

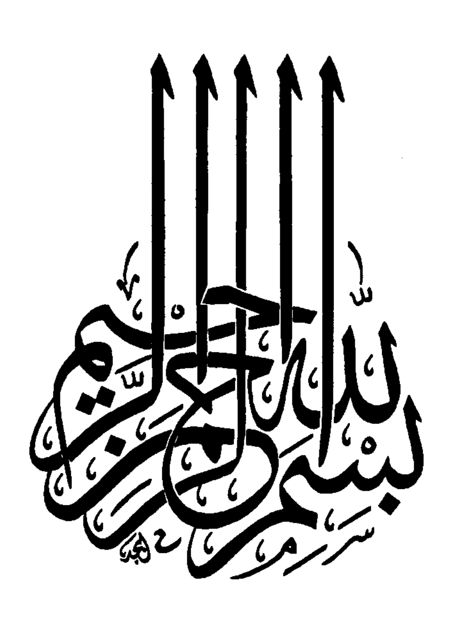
آية الله الفقيه
السيّد محمّد التقي آل بحر العلوم

تحقيق وتقديم
نجله آية الله المرجع
السيّد حسين بحر العلوم

دار المرتضى



مقتل
الإمـــام الحسين عليه السلام


بسم الله الرحمن الرحيم

مقتل الإمام الحسين عليه السلام

آية الله العظمى
السيد محمد تقي بحر العلوم قدس سره

تحقيق
آية الله العظمى
السيد الحسين بحر العلوم قدس سره

دار المرتضى
بيروت

دار المرتضى

طباعة ,نشر ,توزيع

لبنان -بيروت , ص.ب :١٥٥/٢٥ الغبيري

هاتف فاكس : ٠٠٩٦١١٨٤٠٣٩٢

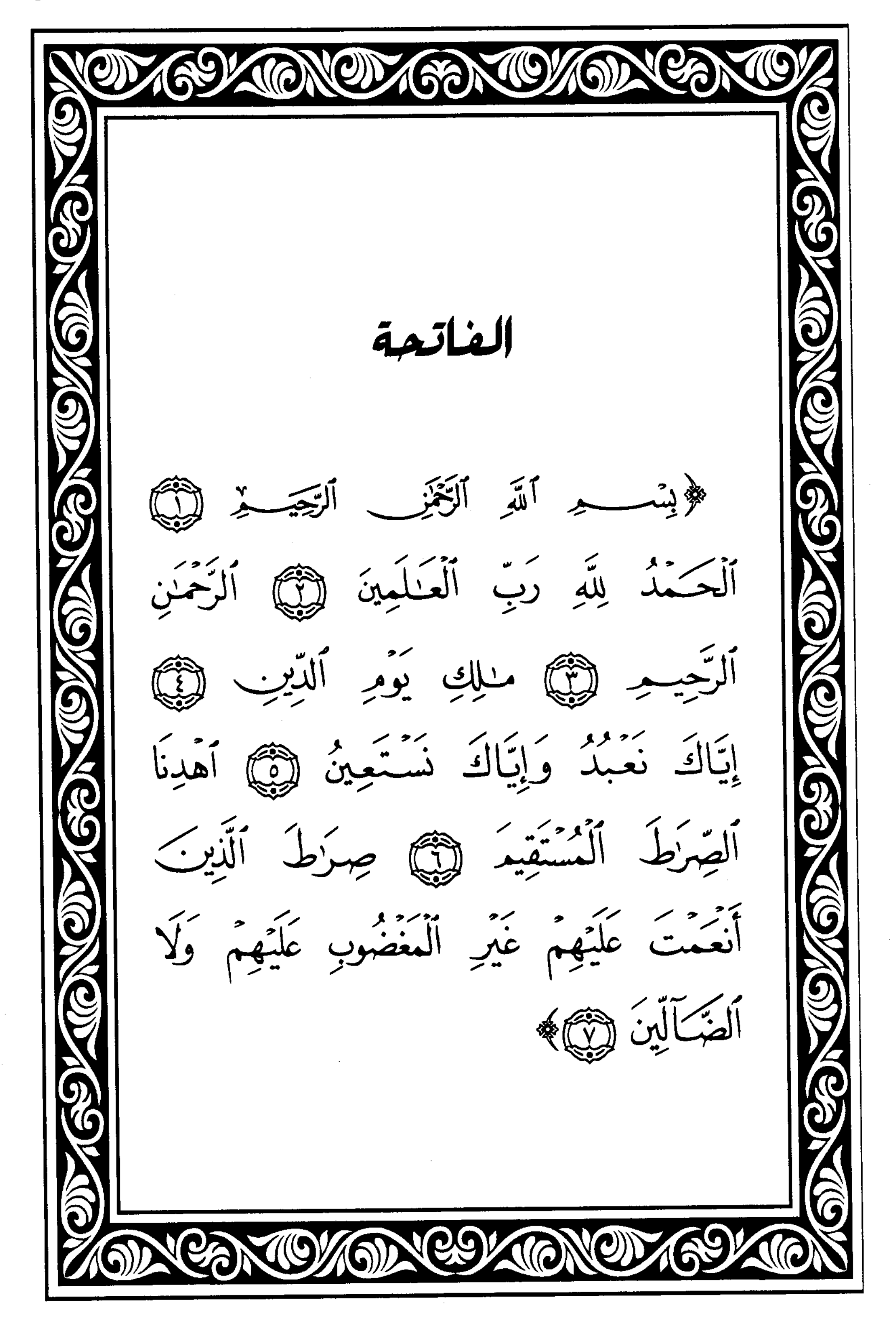
E-mail:mortada14@hotmail.com

DAR AL-MORTADA

Printing -Publishing -Distributing
Lebanon -Beirut
P O Box: 155/25 Ghobiery
Tel -Fax: 009611840392
E-mail:mortada14@hotmail.com

Printed In Lebanon

الطبعة الأولى
1427 هجرية
2006 ميلادية



الفاتحة

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بين يدي الكتاب والمؤلف

باسم الله ربنا الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم والصلاة والسلام على منقذ الإنسانية من ضلالها إلى رشادها سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد، صلى الله عليه وعلى آله وأهل بيته، الأئمة الأطهار، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

وبعد، فقد انبثقت فكرة تأليف هذا الكتاب - بشكل بسيط وبسيط جداً - من المواصلة في إقامة (مجلسنا الحسيني الحولي) في عشرة المحرم.

فلنتحدث عن المدخل - بإيجاز - لنلقي ضوء البيان عن الكتاب، ونختم الحديث عن المؤلف، فنقول:

قبل أكثر من أربعين عاماً - على ما أتذكر - وأنا يومئذ لم أتخط العقد الأول من العمر - كنت أشاهد بعض العلماء والفضلاء، المشار إليهم بالبنان - آنذاك - أنهم من علية الحوزة وطلائع المرجعية - يجتمعون في بيت سيدنا الوالد (قدّس سره) عصر كل يوم من أيام عشرة المحرم للتداول والتناوب في قراءة (التعزية) على صفحات كتب «المقاتل» المعدّة لهذا الشأن كالإرشاد، والإيقاد، ومثير الأحزان، ونحوها. وغالباً ما كان يقع الاختيار من أولئك الجماعة على ثلاثة أو أربعة أشخاص - كان من بينهم سيدنا الوالد - وربما كانت حصته من مجموع العشرة أيام أكثر من حصص الباقين، لبعض المؤهلات التي كان يمتاز بها من طلاقة بيان وشجاوة أداء، وحسن اختيار (الكتاب)، والموضوع الذي تفرضه المناسبة المألوفة من أيام العشرة.

وهكذا ينصرم العام الأول بمنطلق الفكرة والتأسيس البدائي بذلك الشكل

العفوي، والتباني المرصود من أولئك الجماعة على أن يعتبر هذا العام نواة تحضيرية للأعوام الآتية.

ويجيء دور الذكرى الثانية من العام التالي، وإذا بسيدنا الوالد من أنشط الجماعة على استقبال شهر المحرم وتبني إقامة (المجلس) فيه.

فما حان الموعد المرصود من عصر اليوم الأول من عشرة المحرم إلا واكتظ مجلس أولئك الجماعة وغيرهم من نظرائهم في غرفة متواضعة من بيتنا المتواضع أيضاً، ينتظرون من سيكون الفاتح والبادئ الأول لقراءة (المقتل)، فلم تعدو آراء الجميع سيدنا الوالد واختيار أن يكون هو المضطلع - وحده - بقراءة التعزية واختيار الكتاب الذي يراه هو مناسباً في مختلف أيام العشرة.

وفعلاً، قام سيدنا المغفور له بذلك الدور المشرف بأحسن قيام، فلم يعين للقراءة كتاباً واحداً لجميع أيام العشرة، بل ربما كان يقرأ اليومين أو الثلاثة في كتاب، ويبدله بآخر، وثالث في بقية أيام العشرة، حتى أنتهى العام الثاني من إقامة المجلس بهذا ونحوه، من غير تحضير مسبق لتعيين الكتاب الذي يقرأ فيه.

ويقارب موعد (المجلس) من العام الثالث، وإذا بي أرى بين يدي سيدي الوالد (دفتراً صغيراً) وهو يكتب فيه ما يستخلصه من بطون كتب الأخبار والتأريخ والسير، ليعده رصيداً بدائياً لما سيقرؤه في مجلسه الحولي.

ويطلع علينا هلال المحرم من هذا العام بأحزان عاشوراء، وينتصب المجلس - بعد الغروب بساعتين - بدلاً من وقته العصري، وفي ساحة الدار الواسعة بدلاً من (الغرفة) الصغيرة كل ذلك لاتساع الأفق وزخم الحضور.

وتكامل (المجلس) واكتظت ساحة الدار وغرفها، وقرب موعد القراءة، ونصب منبر متواضع في أحد الجوانب، وإذا بسيدنا الوالد رحمه الله يرقى ذلك المنبر وبيده ذلك (الدفتر الصغير) فيبدأ بالقراءة بشكل غير مألوف في الأعوام السابقة: أنه بدأ بتلاوة بعض الآيات البيّنات من الذكر الحكيم. وثنى بعرض بعض الأحاديث النبوية وروايات أئمة أهل البيت عليهم السلام كل ذلك في نطاق الوعظ والإرشاد ومواضيع دينية، ومعارف إسلامية بناءة. وبعد ذلك واصل قراءة الموضوع المناسب في التعزية على ضوء ما تقتضيه المناسبة الحاسمة لذلك

اليوم. وختم المجلس بأبيات رثائية لبعض الشعراء المجيدين من قدماء أو معاصرين. وهكذا ينفض المجلس وينقلب الحاضرون من عظة وبكاء وأجر وثواب. وبهذا ونحوه تواصلت حلقات المجلس الليلية حتى نهاية المطاف من نهاية العشرة من المحرم في ذلك العام.

وظل سيدنا الوالد - بعد ذلك - يواصل التزامه الحثيث بإقامة (مجلسه الحولي) طيلة سنوات حياته. بدأ بذلك المنطق البسيط - كما ذكرنا - حتى اتسع مجاله واستطالت ظلاله في السنوات الأخيرة من حياة الوالد ﷺ فكان يعد من أروع وأضخم المجالس الحسينية المقامة في النجف الأشرف أيام عشرة المحرم لما كان يتمتع به من روحانية عالية وإخلاص وتوجه وواقعية واضحة، فكان مزدحماً بمختلف الطبقات العلمية والاجتماعية، وربما قصده الناس من خارج النجف وضواحيها للحضور والاستفادة، والتبرك والاستشفاء.

وكنت ألمس من سيدنا الوالد - طوال تلكم السنين - مزيد العناية والاهتمام البالغ بإقامة (المجلس) ورعايته، حتى أنه في بعض السنوات مرض مرضاً شديداً بالحمى العنيفة، وصادف ذلك قبيل شهر المحرم، الأمر الذي اقتضى طبيبه المعالج أن يفرض عليه الراحة وعدم الكلام الكثير فتم البناء على ترك قراءته بنفسه في هذا العام، وإناطة ذلك إلى بعض المتفوقين من خطباء المنبر الحسيني - كمنا هو المألوف في المجالس العامة -.

وقبل حلول المحرم بليلة واحدة إذا بسيدنا الوالد ينشط ويعزم على تولي القراءة بنفسه - على عادته في كل عام - بالرغم من تفاقم مرضه وضعف مزاجه. فسئل - وكنت من بين السائلين - عن السبب الذي حدا به أن يغير رأيه بهذه العجالة، ويخالف رأي طبيبه له بالراحة والاستجمام، فذكر لنا - بعد الالحاح عليه بالسؤال - بعض الأسرار العجيبة التي كان يلمسها - من خلال إقامته لهذا المجلس - ومن ذلك ما كان رآه قبل هذه الليلة في عالم التجلي والأحلام بهذا المضمون التالي:

«أنه رأى - فيما يرى النائم وكأنه في الحرم العلوي المطهر، وكأن الليلة هي الأولى من المحرم، وكأن المكان الشريف قد اكتظ بالأشباح النورية والأرواح

القدسية من أنبياء وأوصياء وعلماء وصلحاء، وفي وسط تلك الأشباح المقدسة - من حيث يلي جانب الرأس الشريف - أشباح خمسة تمثل أهل العباء عليهم السلام وهي أكثر سطوعاً من بقية الأشباح الأُخر، وكأن عامة الحاضرين في حالة حزن وكآبة وانتظار من يعتلي منبراً منصوباً هناك ليفجر الدموع من ينابيع القلوب الحزينة. فبينما هم بهذا ونحوه إذا بالأمر النبوي يصدر من الجانب الأقدس مشيراً إلى سيدنا الوالد - وكان في ذلك المحضر المكرم - أن يعتلي ذلك المنبر المنصوب المتجلل بالسواد، ويقرأ التعزية بذلك الشكل المألوف الذي اعتاده كل عام في مجلسه البيتي، فلم يجد سيدنا الوالد بداً من الإطاعة، فقرأ التعزية المألوفة، فضج المحضر الشريف بالبكاء والعويل وسالت الدموع كل مسيل».

وهكذا انتهت قصة الرؤيا التي هي أشبه بالإيحاء النفسي مما دعا سيدنا الوالد أن يواصل قراءة التعزية من أول ليلة من المحرم حتى آخر ليلة من ختام العشرة، ولكنه شفي من مرضه في خلال أيام العشرة ببركة سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام.

ولم يزل رحمه الله مواظباً على إقامة المجلس وقراءة (المقتل) بنفسه، حتى في أخريات أعوامه التي لازمه فيها مرض الموت، فربما كان يقرأ بعض أيام العشرة وبصوت خافت، وكنت أنوب عنه في الأيام الأخر التي لا يستطيع القراءة فيها. وكثيراً ما كان يوصيني - في أيام صحته وأيام مرضه الأخير - بالمواظبة على إقامة المجلس بذلك الشكل المألوف.

وهكذا قمت بذلك الأمر بعده على ما يريد من إقامة المجلس بالشكل المطلوب - ولن أزال إن شاء الله تعالى على ذلك -.

ولنزدلف بعد ذلك إلى عرض بسيط عن الكتاب الذي نحن بين يديه:

إنه ذلك (الدفتر الصغير) الذي لا يتجاوز (١٥٠صفحة) من القطع المتوسط ولقد اطلعت على ذلك المجموع - أخيراً وبعد وفاة سيدنا الوالد رحمه الله فوجدته بحاجة إلى تبويب وتنسيق وتخريج مصادر وبعض الإضافات في أصل المجالس

حيناً ومثلها في ثناياها - أحياناً - وغير ذلك من الملاحظات الملازمة لأي كتاب يمثل للطبع - ولم يكن يدور في خلد مؤلفه أن يطبع -.

فعمدت - مستعيناً بالله - إلى توفير ما يحتاجه الموضوع ليتكامل - بعض الشيء - فجاء - والحمد لله - بعد تلك الجهود المتواصلة التي أخذت مني وقتاً غير قصير - كتاباً فيما لا ريب فيه، ويستحق أن يعيش العمر المديد على صفحات الأجيال الخالدة بحكم موضوعه الضخم وأسلوبه الواضح، وجمعه المتكامل وخلوه إلى حد ما من سقطات التاريخ وهنات المؤرخين.

وسميناه (مقتل الحسين أو واقعة الطف) ورتبناه - وإن كان في أصله غير خال من بعض الترتيب - إلى مجالس عشرة - بحكم اقتضاء الموضوع: انطلاقاً من (المدينة) طلائع الواقعة إلى (كربلاء) نهاية المطاف.

وموجز محتويات مجالسه العشرة - لو استثنينا مقدماتها من آيات وروايات - كما يلي: (المجلس الأول) في فضل البكاء والرثاء وعقد المجالس الحسينية، (الثاني) في ذكر ما دار بين الحسين عليه السلام ومعاوية من مناقشات ورسائل حول أخذ البيعة ليزيد. (الثالث) استدعاء الحسين عليه السلام لبيعة يزيد - بعد موت معاوية - وامتناع من البيعة وخروجه من المدينة إلى مكة. (الرابع) عرض خروجه من مكة إلى وصوله كربلاء (الخامس) خروج مسلم بن عقيل في الكوفة ومقتله فيها (السادس) نزول الحسين وأهل بيته وأصحابه في كربلاء وعرض مواقفهم المشرفة في تهضم الثورة الخالدة. (السابع) عرض مبارزات ومصارع العباس بن علي عليه السلام وأشقائه الثلاثة من (أم البنين). (الثامن) مبارزة ومقتل علي الأكبر والقاسم وعموم بني هاشم من آل علي وجعفر وعقيل. (التاسع) عرض مواقف الأنصار البطولية ومبارزاتهم ومصارعهم يوم الطف. (العاشر) مبارزات الحسين عليه السلام ومصرعه في ميدان الحق وعرض بعض الحوادث التي جرت عليه وعلى أهل بيته بعد مقتله الشريف.

وآخر وقفة لنا في التحدث - بإيجاز - عن شخصية المؤلف سيدنا الوالد رحمه الله:

أنه السيد محمد تقي ابن السيد حسن ابن السيد إبراهيم ابن السيد حسين ابن السيد الرضا ابن سيد الطائفة وصاحب الكرامات الباهرة الحجة البالغة السيد محمد المهدي بحر العلوم الطباطبائي ابن السيد المرتضى ابن السيد محمد ابن عبد الكريم بن مراد بن شاه أسد الله بن جلال الدين بن الحسن بن مجد الدين علي بن قوام الدين محمد بن إسماعيل بن عباد بن أبي المكارم بن عباد بن أبي المجد أحمد بن عباد بن علي بن حمزة بن طاهر بن علي بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد الرئيس بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الغمر بن الحسن المثنى ابن الإمام الحسن السبط ابن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام (١).

نسب كأن عليه من شمس الضحى ألقا ومن فجر الصباح عمودا

ولد رحمه الله في النجف الأشرف - بيئة العلم والأدب والحديث والتفسير - ومنطلق المعارف الإسلامية منذ ألف عام. كيف لا وهي مدينة باب (مدينة علم النبي صلى الله عليه وآله) الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

ودرج ونشأ في بيته الحافل بأمثاله من أبناء العلم ورواد المعرفة والآداب ذلك البيت الذي قيل فيه:

هو بحر العلوم بحر المعالي فالورى وارد إليه وصادر

وتعلم القراءة والكتابة وبعض المعارف البدائية الأخرى على أيدي كتاتيب ذلك الزمان ومهرة الفن من أبنائه، وهو بعد لم يتجاوز العقد الأول من العمر.

وواكب نشأة آله وأبويه وأترابه وأولاد عمومته في حسن التربية وتهذيب الأخلاق وترف السلوك. وكثيراً ما كان يصطحبه والده الحسن (العالم الأديب) معه وهو في هذا السن المبكر - إلى التشرف بالحرم المقدس وإقامة الصلوات بأوقاتها المفروضة في جوامع البلد وإلى ارتياد مناهل العلم ونوادي الأدب

---

(١) هذه السلسلة الشريفة من النسب الوضاح وجدت بالنص المذكور بخط جد الأسرة الأعلى الحجة المهدي السيد بحر العلوم (قدّس سره) ولا تزال مكتبات الأسرة الخاصة تحتفظ بالنسخة الأصلية من ذلك الخط الشريف، وبالمنسوخ عليها مباشرة. ولقد أشرنا إلى ذلك في مقدمة (رجال السيد بحر العلوم) الجزء الأول منه.

ومجالس التعزية، فكان يرمي بذلك تطبيع أولى خطوات ولده (التقي) على منطلق المسيرة في حياته البعيدة الأهداف، المترامية الأطراف.

وما أن دخل في أوليات عقده الثاني من العمر حتى حضر علم النحو والصرف، وعلم البلاغة والأدب والعروض وبدايات كتب الفقه وبعض العلوم الرياضية على فطاحل العلماء المتخصصين في هذه الحقول من جامعة النجف كالشيخ مهدي الظالمي، والشيخ علي ثامر، والشيخ قاسم محي الدين، وبعض جهابذة الأساتذة الرياضيين من الإيرانيين.

وحضر - في أخريات عقده الثاني من العمر - علم المنطق والكلام على بعض العلماء المتخصصين في المنطق من الإيرانيين، ومعالم الأصول على الحجة المغفور له الشيخ محمد تقي آل صادق العاملي، وشرح اللمعة على الحجة المرحوم السيد هادي الصائغ، والقوانين في الأصول على الحجة المحقق السيد محسن القزويني.

وحضر - في أوليات عقده الثالث من العمر - أوائل الكفاية والرسائل على الحجة المدقق الشيخ رفيع الرشتي اللاهيجي وأكملها على يد آية الله الفقيه السيد محسن الحكيم (قدّس سره) كما حضر المكاسب في الفقه عند الفقيه الورع آية الله السيد محمود الشاهرودي (قدّس سره).

وبعد انتهائه من مرحلة (السطوح) في الفقه والأصول امتطى صهوة (البحث الخارج) وهو في أخريات عقده الثالث من العمر - فحضر - حينئذ (خارج) الفقه والأصول على الأستاذ المجدد المحقق آية الله النائني (قدّس سره) وكتب تقريراته بشكل موجز غير مرتب. كما حضر بعد ذلك خارج الفقه على يد مرجع الشيعة - يومئذ - السيد أبو الحسن الاصفهاني رحمه الله - كما حضر خارج الأصول - في عرض ذلك - لدى العلمين المحققين: الشيخ أغا ضياء الدين العراقي والشيخ محمد حسين الاصفهاني (قدس سرهما). وكتب تقريراته في ذلك بشكل موجز.

وأخيراً - وبعد أن اجتاز عقده الرابع من العمر - اختص بملازمة أستاذيه الفقيهين الورعين المرجعين الشيخ محمد رضا آل يسين، والسيد عبد الهادي

الشيرازي (قدس سرهما) ورافق سلوكهما المتطامن في الخلق الإسلامي وهدوء الخطوات، ولطف المسيرة نحو الأهداف البعيدة. فكان يحضر مع علية القوم من أصحابه - مجلس الفتوى لكل من هذين المرجعين، وكان كل منهما ينيط كثيراً من المسائل الإحتياطية في الفتيا برأي سيدنا المترجم (قدّس سره) بالإضافة إلى دوره الكبير في مراجعة تحقيق رسائلهما العملية وابداء رأيه ومناقشاته فيها قبل الطبع، خصوصاً في أخريات أيام المرحوم الشيرازي حيث ألقى عليه اعتماده في مراجعة الفتيا، وفي إقامة الجماعة في مكانه من مسجد الشيخ الأنصاري رحمه الله.

وحضر عليه، وانتهل من فيض (بحره) في الفقه والأصول جموع غفيرة من رواد العلم وأرباب الفضيلة من العرب والفرس، لا يسع المجال لاستعراض اليسير منهم، فضلاً عن الكثير، فقد كان (قدّس سره) متفرغاً للبحث والتدريس أكثر من نصف قرن من حياته، وكان يجيد اللغتين: العربية والفارسية، ويحاضر بهما في موضوعي الفقه والأصول، فقل من تجد من علماء العصر وفضلائهم داخل العراق أو خارجه - إلا وقد انتهل من بحر علمه وارتشف من نمير قدسه.

وكان مركز تدريسه - صباحاً - في مدرسة القوام الشيرازي، ومساءً في بيته المتواضع، قصداً للواقعية المطمئنة، وجنفاً عن التظاهر المرتاب. ولكنه في أخريات سنيه اضطر للخروج في بحوثه إلى (جامع الشيخ الطوسي) لضيق مجاليه الأولين عن سعة الحاضرين من أهل العلم ورواد الفضيلة.

وبعد وفاة السيد الحكيم (قدّس سره) أصبح سيدنا المغفور له من مراجع الشيعة وفقهاء الشريعة، فكتب (رسالة أحكامه) وطبعت بجزئيها - في العبادات والمعاملات - طبعتين في غضون سنة واحدة. وأنثال عامة الناس من داخل العراق وخارجه بالرجوع إليه في التقليد وظل معقد آمال الشريعة الإسلامية، ومدار قطب رحى المرجعية العامة.

وكان سيدنا المغفور له - بالإضافة إلى مقامه العلمي الشامخ - على درجة عالية من الورع والتقوى ورياضة النفس وضبط الإرادة بحيث لا يختلف اثنان في أنه (التقي) اسماً ومدلولاً، وكان يقيم صلاة الجماعة أخيراً في جامع الشيخ

الطوسي - في الأوقات الثلاثة - بشكل منقطع النظير من حيث الكم والكيف، فكان (الجامع) على سعته يكتظ بالعلماء والصلحاء والمؤمنين للتبرك بالصلاة خلفه وكان رحمه الله من أروع الأمثلة الحية لاجداده الأئمة الطاهرين عليهم السلام في حسن الأخلاق، وتوازن السيرة، ووضوح السريرة، يتحدث إلى جليسه بكله، ويستمع إليه بكله، يحترم الفضل من أي جهة كان، ويعترف بالحق ولو على نفسه، يحب الخير لعامة الناس. ويسعى لجلبه إليهم - مهما كلفه ذلك من تعب وعناء -، يرمي إلى الغاية والهدف بحيث لا يستهين بالطريق والأسلوب وكان من أوضح النماذج السامية في الواقعية والزهد في سلوكه الداخلي بحيث ما كان يتناول من الحقوق الشرعية إلا بمقدار الضرورة الملحة ليومه ولليلته - فقط - كان يقضي أغلب أوقاته - الليلية والنهارية - بالبحث والتدريس والمطالعة والكتابة وقضاء حوائج الناس، والعبادة والتجهد، ولا يهجع من الليل إلا قليلاً.

كتب وألف في الفقه وأصوله: تقارير أساتذته العظام: الميرزا النائيني، والسيد الاصفهاني، والشيخ الاصفهاني. وله تعليقة على مكاسب الشيخ الأنصاري غير كاملة، وتعليقة على رسالة آية الله العظمى السيد الشيرازي، أدرجها أخيراً - مع رسالته العملية «رسالة الأحكام»، وله تعليقات إضافية على كتاب «بلغة الفقيه» لآية الله المحقق السيد محمد بحر العلوم (قدّس سره) طبعت أخيراً مع الجزء الأول والثاني من (البلغة) في حياته، ولم يمهله القدر لإكمال التعليقات على تمام الكتاب فطبعنا الجزئين الآخرين الثالث والرابع بتعليقاتنا المختصرة، قصداً لإكمال الكتاب.

ومن آثاره القيّمة: الكتاب الذي بين يدينا - الآن - وهو: (مقتل الحسين عليه السلام) ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه، ولا شبهة تعتريه: من حيث أسلوبه الرصين ومضامينه العالية، فهو كتاب وعظ وإرشاد في عرض كونه كتاب تعزية ورثاء وتاريخ وسير وأدب. وقد ذكرنا في الوقفة الأولى - كما مر عليك آنفاً - تبويبه إلى مجالس عشرة. وأشرنا إلى محتويات تلك المجالس.

وفاته:

وما أن انطلق صباح يوم الاثنين من اليوم الثاني والعشرين من شهر جمادي

الثانية سنة ألف وثلثمائة وثلاث وتسعين للهجرة إلا وتلعثمت المسيرة الهادفة، وانفض الأمل الطموح، وتدحرج التاج عن مفرقه، وترامى الكمي عن صهوات الظفر العملاق، وتوقف القلب الكبير عن نبضات الحياة البناءة، وإذا بالنعي الحزين يصك الأسماع ويطبق الأصقاع بالنداء الفظيع والنبأ العظيم، حيث تعلن المآذن والمنابر في عامة أنحاء القطر العراقي: أنها تنعى بمزيد الأسى والأسف إلى العالم الإسلامي فقيد العلم والتقوى آية الله التقي من آل بحر العلوم (قدّس سره).

وسرعان ما تناقلت النبأ الحزين أمواج الأثير - في أنحاء العالم - على لسان الإذاعة العراقية بنبأ حزين ورثاء مبين فتلاحقت الأنباء والأصداء في مختلف الأنحاء.

وبعد ساعات مرت بعد إذاعة النبأ إذا بمختلف طبقات المجتمع العراقي في أنحاء القطر تتلاحق لحضور مراسيم التشييع، فاكتظت النجف الأشرف بالوفود الواردة من هنا وهناك، وانطلق تشييع الجثمان الطاهر من خارج البلد، تتقدمه العشرات من مواكب اللطم والعزاء من أهالي النجف وضواحيها، وسار النعش بذلك الموكب المهيب إلى الحرم العلوي المطهر حيث وضع أمام الحرم وتوافد الخطباء بكلمات الرثاء والتأبين، ومن ثم وبعد زيارة المرقد الشريف والصلاة سير بالنعش الطاهر مشيعاً بدموع الأسف والفراق إلى حيث مرقده الأخير في مقبرة جده الأعلى السيد بحر العلوم (قدّس سره) فطوي الفتح وانفض السامر ونفضت الأيدي من تراب الجدث الطاهر فإذا بالوحي المبين يستقبل ضيف الرحمة والرضوان بقوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: 27-30] صدق الله العلي العظيم.

وبعد ذلك أقيمت على روحه الطاهرة عشرات الفواتح في مختلف أنحاء القطر العراقي وإيران والكويت ولبنان وسورية والسعودية والهند والباكستان وغيرها.

ورثاه كثير من الخطباء والكتّاب والشعراء باللغتين العربية والفارسية وباللغة الدارجة أيضاً، قرأت في فواتحه ومجلس أربعينه.

فمن أولئك الذين رثوه: العلامة الجليل شاعر أهل البيت شيخ عبد المنعم الفرطوسي، ومطلع قصيدته:

قصرت قادمة الخيال فقصرا وسعى إليك مع الحجيج مقصرا

ومنها:

أرثيك في نفحات خلق طاهر متعطر منه الصعيد تعطرا
وبيان نطق قد تفجر سحره بالجمر من شفتيك حين تفجرا
وبلهجة للصدق بورك مخبرا فيها (أبو ذر) وبورك مخبرا
وجهاد دين في ميادين بها (عمار) قبلك قد تضرج منحرا
وصلابة في الحق من (مقدادها) قد أفرغت درعا عليك ومغفرا
وعقيدة غذاك (سلمان) بها من بذرة الإيمان غرسا مثمرا
وسوابق من سؤدد ومفاخر ومآثر من غيركم لن تؤثرا
تبقى لكم من ارث آل محمد مجدا (على مر القرون) ومفخرا

ومنهم العلامة الأديب الأستاذ الشيخ أحمد الدجيلي، ومطلع قصيدته:

يا عيونا تفجرت بالدموع كفكفي الدمع عن حشاك المروع

ومنها:

يا تقيا يا حاويا كل فخر كيف غيبت عن مداك الوسيع
كيف مدت كف الحمام لبحر كان سمح العطاء غير منوع
وعلى شاطئيه كم من عيون لم تذق لذة الكرى والهجوع
طمعا بالمزيد من علمه الجم، وما تستدره من ضروع
أسفا غيب الحمام إماما كان للناس فضله كالربيع

ومنهم الأستاذ العلامة الشيخ عبد الرحيم فرج الله، ومطلع قصيدته:

لله يومك ماذا أحدث القدر دنيا تلف، وتطوى للعلى صور

ومنها:

أبا الحسين، وما أستطيع مرثية تكاد من ألم بالحزن تنفجر
اني أعزي بك الإسلام قاطبة مذ راح يفجعه في شخصك القدر

وبحر علمك قد غاضت روافده ... وقوضت منه حزنا تلكم الدرر
والحقل جفت سواقيه وقد جمدت ... فيه الحياة فلا نبع ولا مطر
حاشا سجاياك أن يرقى لها عدم ... وأن تضمك في رمس البلى حفر
فذي حياتك نبراس يضيء لنا ... درب الحياة إذا ما هدنا خطر
وذي مزاياك للتاريخ ماثلة ... وتلك أعمال بر منك تزدهر
تمضي السنون عليها وهي شامخة ... تطاول الدهر شأوا دونه القمر

ومنهم العلامة الشاعر الشيخ محمد رضا آل صادق ومطلع قصيدته:

كيف يرقى إلى مداك رثائي ... يا مثال التقوى ورمز العلاء

ومنها:

أيها الناسك الذي وجد اللذة ... صوتاً يشق سجف المساء
ان محرابك الذي كنت فيه ... خاشعاً ضارعاً بأزكى دعاء
طاف فيه السكون فاستعبر ... الأعين وجدا بموحش الأصداء
كيف فارقته وكان أنيساً ... لك في كل غدوة وعشاء
الأن الحياة ما وسعت روحا ... شفيف الرؤى بدنيا الشقاء
فتجاوزتها إلى ملكوت ... ما به من شقاوة واعتداء
نافضاً غلة الضنى عن فؤاد ... ليس يقوى على الضنى والعناء
رق طبعاً ورق لطفا ونبلا ... وتحلى في طيبة وصفاء
وحوى ما حواه فقهاً وعلماً ... واهتداء إلى سبيل سواء

ومنهم العلامة المحقق الشيخ محمد حسين السابقي الباكستاني ومطلع قصيدته:

ما للعيون دموعها لم تجمد ... ما للقلوب أوارها لم يبرد

ومنها:

اليوم غاب عن الغري زعيمها ... فغدت تململ كاليتيم المكمد
فإذا المكارم نكست أعلامها ... حزناً لفقد أبي الحسين محمدا
العالم الحبر الفقيه ومن رقى ... رتباً تسامت فوق هام الفرقد
ورث المكارم عن أبيه وجده ... طابت أرومته بطيب المولد

ومنهم الأستاذ الفاضل السيد جودت السيد كاظم القزويني ومطلع قصيدته:

تاه البيان وضاع الدرب والهدف أين المعالي لقد راحت بمن سلفوا

ومنها:

ماذا أقول لمن أرثيه في كمد والقلب من مدمع العينين ينتزف
قد كنت منبع جيل يلتظي عطشاً فصار من منبع الإيمان يغترف
أهكذا في سبيل بعد تتركه ولم يكن من نتاج الزرع يقتطف
أن تترك الجيل ظمآناً تسيره تلك الرغائب نحو السوء ينحرف
حوشيت يا أيها البحر الذي برزت منه اللئالئ والأحجار والصدف

ومنهم الأستاذ الشيخ حسن محمد الجواهري، ومطلع قصيدته:

يا قلب هل عصفت بك الأرزاء فسكت حتى عاث فيك الداء

ومنها:

ويح الحمام فأي عضو شله وعليه من أثر التقى سيماء
يسري النقاء به كما تسري الدما فيه، فلا حقد ولا بغضاء
تبدو البشاشة في صحيفة وجهه فكأنها في وجهه (طغراء)
متواضع يعطيك بسمته التي هي للنفوس الحائرات شفاء
وعليه لئلاء العبادة بارز للناظرين كما يشع سناء
فقدته أروقة المساجد فامحت منها التلاوة واختفت أصداء
يا سائلين عن النبوغ مبكراً هذا التقي لركبه حداء
يستهل الصعب المعقد حله فيحله فإذا به الإيحاء
ويسدد النظرات في أبحاثه فيرى المغيب حيث ساد خفاء
فبريق عينيه وقوة نطقه وبليغ حجته غنى وثراء

ومنهم العلامة الأديب السيد علي السيد محمد علي عدنان ومطلع قصيدته:

لبس العراق عليك ثوب حداد وتوشحت أعلامه بسواد

ومنها:

أأبا الحسين وفي الحشا لك قرحة تشكو فراقك بعد طول بعاد

قد كان قلبك يستفيض عواطفا تحنو على الآباء والأولاد
فلقد ولدت وكنت في حجر التقي ونموت عند معادن الأمجاد
وسقيت من بحر العلوم تعب من سيب الفضيلة من لدى الأجداد
حتى ارتويت فرصت أنت إلى الملا فيض العلوم ومنهل الوفاء
وغدوت بحراً طالما من فيضه صدرت ظماء مواهب الوراد
فلقد فقدنا فيك شخصاً هادياً - عند التباس غواية - لسداد

ومنهم فضيلة الخطيب الأديب الشيخ هادي اليعقوبي، ومطلع قصيدته:

قد بكاك الهدى وأبدى الشجونا بفؤاد بالحزن بات رهينا

ومنها:

يا فقيداً بفقده فجع الإسلام جهراً، وفيه قد أشجينا
تلك والله فجعة لم تكن تنسى بطول الزمان مهما حيينا
حق للدين أن ينوحك حزنا ويطيل البكا ويبدي الحنينا
بالتقى والصلاح قضيت عمرا ناصراً شرعة الهدى ومعينا
كم كتاب ألفت في آل طه المصطفى خيرة الورى أجمعينا
ما دفناك في ثرى القبر إلا وبه العلم قد غدا مدفونا

ولقد رثيته أنا - يومئذ - بقصيدة مطلعها:

رحلت عن الدنيا نقي المطارف وخلفتني فيها يتيم العواطف

ومنها:

أبي لست أدري حيث داهمني الردى بيتم المعالي وانعطاف المخاسف
أأرثي بك الألطاف في بلج الضحى ضميراً كلألآء الندى في المشارف
ومنتجع التقوى تمد معينها صلابة إيمان عنيف المواقف
وبحر علوم يستفيض نميره روافد فكر بالمعارف عارف
وقلبا رقيق العاطفات فلم يكن لينبض إلا بالدموع الذوارف
وخلقا على رأد الطبيعة رشحه فليس يرى فيه انحراف التجانف
ونطفا عفيف النير تندى حروفه بغض المحيا وانفتاح الطرائف

وعـزا كـإيـمـان الـحـسـام بـحـده ... بيوم وغى أو في اشتباك المخاوف
وسروة مجد وارف الظل تنتخي ... أواصره باسم الجدود الغطارف
وسؤدد عز في حفاظ ومنعة ... تنط بها للفخر شم المراعف
ارسال طبع في سلوك تطامن ... تميزت فيه عن سلوك العجارف
وبسطة كف وانطلاقة واقع ... أليفين في حالي: ندى وظرائف

كما أرخ عام وفاته كثير من الشعراء بأبيات من الشعر، نذكر من بينهم: أخاه الكبير المثكول بفقده عمنا الجليل الحجة الثبت السيد محمد صادق آل بحر العلوم - عافاه الله - فقال:

يا راحلاً عنا إلى جناته ... خلفت قلباً من فراقك مكمدا
يا أيها الحبر (التقي) فجعتنا ... وتركتني من بعد فقدك مفردا
كنا نؤمل أن تدوم لنا حمى ... ما كان بالحسبان يدهمك الردى
عز المصاب وأنت في جدث الثرى ... ثاو وطرفي لا يزال مسهدا
أواه من تلك الفجيعة انها ... أوهت قواي وعبرتي لن تجمدا
حيا الحيا جدثاً رقدت به وثق ... القلب بعدك ناره لن تخمدا
أذهبت أقصى القلب من تأريخه ... (واهنأ بجنات النعيم مخلدا)

١٣٩٣هـ.

وفي قوله (أقصى القلب) إشارة إلى إسقاط (٢) من مادة التاريخ عدد حرف الباء بحساب الأبجد، فيكون الحاصل بعد ذلك (١٣٩٣)هـ.

وأرخه أيضاً فضيلة الخطيب الأديب السيد علي الهاشمي رحمه الله بقوله:

في جمادى الثانية فقدنا اماما ... كان حبراً بعلمه عبقريا
قلت: بالفرد يا مؤرخ أرخ ... (آل بحر العلوم تبكي التقيا)

١٣٩٣هـ.

وفي قوله (بالفرد) إشارة إلى إضافة عدد واحد إلى مادة التاريخ وأرخه الحجة المغفور له عمنا السيد موسى آل بحر العلوم بقوله:

يا لفجيعة قد أنبت بها ... عن السما ممن على الأرض سبب

وأمة الإسلام من فرط الأسى بعد أبي الحسين حبلهما اضطرب
وغاض بحر العلم يوم أرخوا (على التقي دمعه التقي سكب)

وقال سماحة الحجة الفقيه الشيخ محمد تقي الجواهري حفظه الله مؤرخاً:

لله خطب مهول دهى بصبح مشوم
كسا الفقاهة يتما والدين ثوب الغموم
فاصرخ وأرخ (توفي تقي بحر العلوم)

وقال فضيلة العلامة الأديب السيد محمد الحلي في تأريخه:

عواطف يقصر عنها البيان ضج بها القلب وعج اللسان
تقدم العزاء في حادث قد كسفت من وقعه النيران
بحر العلم جف حزنا له وانخسفت من هوله الشاطئان
قضى التقي آية الله من لفضله في الدين أسمى مكان
أمثولة التقوى ونهج الهدى وحجة العصر ونجم الزمان
ومذ قضى نعاه تاريخه: «فأزلفت للمتقين الجنان»

وكما أرخ وفاته أيضاً العلامة الجليل الأديب الشيخ كاظم الشيخ موسى السماوي بقوله:

أصاب قلب الدين وجدا وأسى إذ كنت للدين ملاذاً ووقا
أبا حسين ما حسين صانع فالموت حتم من عظيم المرتقى
يا حوزة العلم استفزي واعولي لطارق كمثله ما طرقا
لذا بكيت صارخاً مؤرخا «ويا تقي بحر علم وتقى»

وقال فضيلة الأديب الخطيب الشيخ هادي الشيخ محمد حسين اليعقوبي رحمه الله:

على فقيد العلم عين الدين أضحت تدمع
وللملا نعاه والقلـ ـب حزين موجع
وقد بكاه العلم والنـ ـاس به قد فجعوا
وخطبه عليهم خطب فظيع أشنع

وأعـــول الـــتـــاريـــخ: (قـــد مـــات الـــتـــقـــي الـــورع)

ولـه أيضاً تاريخ آخر بقوله:

نـجـل الإمـام الـحـسـن الـزكـي أبـو الـحـسـيـن الـسـاجـد الـرضـي
حوى عـلـوما من عـلـوم الـمـصـطـفـى هـادي الأنـام لـلـهـدى الـنـبـي
ومـن عـلـوم الـمـرتـضـى حـامي الـحـمـى الـلـيـث الـهـزبـر الـبـطـل الـكـمـي
مـسـتـبـدل عـن داره دار الـبـقـا مـجـاور لـجـده الـوصـي
مـات بـشـهـر فـيـه مـاتـت فـاطـم وفـيـه حـزن الـمـرتـضـى عـلـي
فـقـلـت: قـد أفـجـعـنـا مـؤرخـاً: (مـوت الـتـقـي الـفـاضـل الأبـي)

وبهذا العرض البسيط للتعريف بالكتاب والمؤلف نختم الوقفة اليسرة المتواضعة بين يديه هذين الموضوعين الواسعين - كمدخل إلى صلب الكتاب - سائلين المولى العلي القدير أن يغفر لنا ان نسينا أو أخطأنا انه سميع مجيب وبعباده رؤوف رحيم «وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين».

١/٨/١٣٩٨هـ.

نجل المؤلف

الحسين بن التقي آل بحر العلوم

العراق، النجف الأشرف

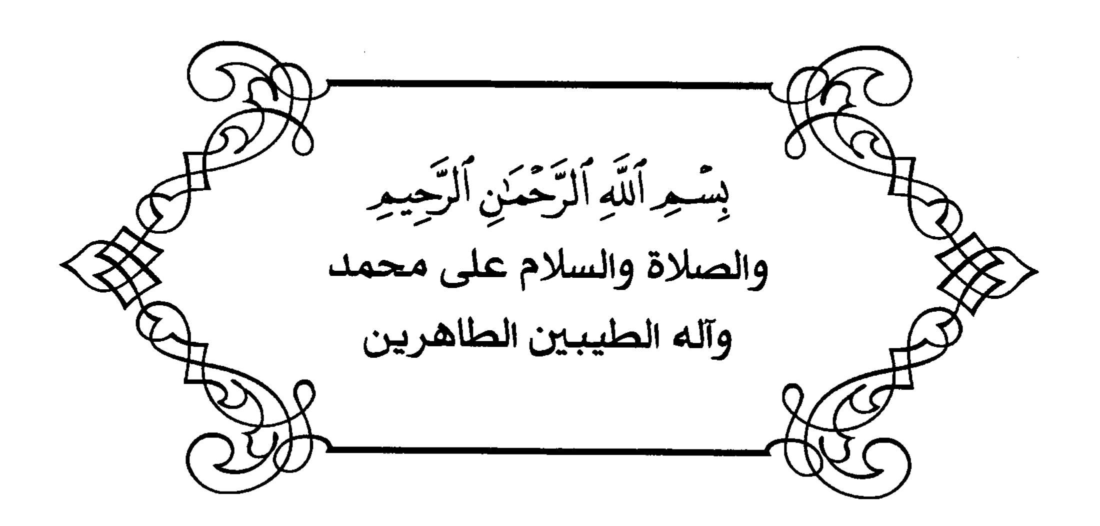




المجلس الأول:

يحتوي بعد المقدمة على: عرض للأحاديث المأثورة وروايات أهل البيت عليهم السلام الواردة في فضل البكاء والرثاء والزيارة وعقد المجالس الحسينية، خصوصاً في عشر المحرم.

[الملاحظ: أن هذا المجلس بكامله لم يكن في (مقتل سيدنا الوالد) وإنما هو من إضافاتنا الخاصة وضعناه للمناسبة الحاسمة].


بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
والصلاة والسلام على محمد
وآله الطيبين الطاهرين

قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه وفصل خطابه:

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾. [النور: 35].

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 164].

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 64].

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: 177].

(صدق الله العلي العظيم).

ومن (الكلم الطيب) لرسول الإنسانية محمد ﷺ

- كما في تحف العقول لابن شعبة الحراني -:

«تعلموا العلم، فان تعلمه حسنة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة لأنه معالم الحلال والحرام،

وسالك بطالبه سبيل الجنة، ومؤنس في الوحدة، وصاحب في الغربة، ودليل على السراء، وسلاح على الأعداء، وزين الاخلاء، يرفع الله به أقواماً يجعلهم في الخير أئمة يقتدى بهم، ترمق أعمالهم، وتقتبس آثارهم، وترغب الملائكة في خلتهم، لأن العلم حياة القلوب، ونور الأبصار من العمى وقوة الأبدان من الضعف، وينزل الله حامله منازل الأحياء، ويمنحه مجالسة الأبرار في الدنيا والآخرة. بالعلم يطاع الله ويعبد، وبالعلم يعرف الله ويوحد، وبه توصل الأرحام، ويعرف الحلال والحرام، والعلم أمام العقل، والعقل يلهمه الله السعداء، ويحرمه الأشقياء.

وصفة العاقل أن يحلم عمن جهل عليه، ويتجاوز عمن ظلمه، ويتواضع لمن دونه، ويسابق من فوقه في طلب البر، وإذا أراد أن يتكلم تدبر، فان كان خيراً تكلم فغنم، وان كان شراً سكت فسلم، وإذا عرضت له فتنة استعصم بالله، وأمسك يده ولسانه، وإذا رأى فضيلة انتهز بها، لا يفارقه الحياء، ولا يبدو منه الحرص، فتلك عشر خصال يعرف بها العاقل.

وصفة الجاهل: أن يظلم من خالطه، ويعتدي على من هو دونه ويتطاول على من هو فوقه، كلامه بغير تدبر، ان تكلم أثم، وان سكت سها، وان عرضت له فتنة سارع إليها فأردته، وان رأى فضيلة أعرض وأبطأ عنها، لا يخاف ذنوبه القديمة، ولا يرتدع فيما بقي من عمره عن الذنوب، يتوانى عن البر ويبطئ عنه، غير مكترث لما فاته من ذلك أو ضيعه، فتلك عشر خصال من صفة الجاهل الذي حرم العقل.

العلم خدين المؤمن، الحلم وزيره، والعقل دليله، والصبر أمير جنوده، والرفق والده، والبر أخوه، والنسب آدم، والحسب التقوى، والمروة إصلاح المال».

وقال ﷺ - كما في المصدر الآنف الذكر -: «أكمل الناس عقلاً أخوفهم لله، وأطوعهم له، وأنقص الناس عقلاً أخوفهم للسلطان وأطوعهم له».

وقال ﷺ: «من أحب أن يكون أعز الناس فليتق الله، ومن أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده».

وقال ﷺ: «من نقله الله من ذل المعاصي إلى عز الطاعة أغناه بلا مال، وأعزه بلا عشيرة، وآنسه بلا أنيس، ومن خاف الله أخاف منه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء، ومن رضي من الله باليسير من الرزق رضي الله منه باليسير من العمل، ومن لم يستح من طلب الحلال من المعيشة خفت مؤونته، ورخى باله، ونعم عياله، ومن زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه، وبصره عيوب الدنيا - داءها ودواءها - وأخرجه من الدنيا سالماً إلى دار القرار».

وقال ﷺ - كما في كنز الفوائد للكراجكي -: «لكل شيء آلة وعدة، وآلة المؤمن وعدته العقل، ولكل قوم راع، وراعي العابدين العقل، ولكل تاجر بضاعة، وبضاعة المجتهدين العقل، ولكل خراب عمارة، وعمارة الآخرة العقل، ولكل سفر فسطاط يلجؤون إليه، وفسطاط المسلمين العقل».

وقال ﷺ - كما في أمالي الشيخ الطوسي بسنده عن أبي جعفر الباقر عليه السلام -:

«لم يعبد الله عز وجل بشيء أفضل من العقل، ولا يكون المؤمن عاقلاً حتى تجتمع فيه عشر خصال: الخير منه مأمول، والشر منه مأمون، يستكثر قليل الخير من غيره، ولا يتبرم بطلاب الحوائج قبله، الذل أحب إليه من العز، والفقر أحب إليه من الغنى، نصيبه من الدنيا القوت، والعاشرة: لا يرى أحداً إلا قال: هو خير مني وأتقى، إنما الناس رجلان، فرجل هو خير منه وأتقى، وآخر هو شر منه وأدنى، فإذا رأى من هو خير منه وأتقى تواضع له ليلحق به، وإذا لقي الذي هو شر منه وأدنى قال: عسى خير هذا باطن وشره ظاهر، وعسى أن يختم له بخير، فإذا فعل ذلك فقد علا مجده، وساد أهل زمانه».

وقال ﷺ - كما في أصول الكافي للكليني بسنده عن أبي جعفر الباقر عليه السلام -:

«... والذي لا إله إلا هو، ما أعطي مؤمن - قط - خير الدنيا والآخرة إلا بحسن ظنه بالله ورجائه له، وحسن خلقه، والكف عن اغتياب المؤمنين، والذي لا إله إلا هو، لا يعذب الله مؤمناً - بعد التوبة والاستغفار - إلا لسوء ظنه بالله،

وتقصيره من رجائه، وسوء خلقه، واغتيابه للمؤمنين. والله الذي لا إله إلا هو، لا يحسن ظن عبد مؤمن بالله إلا كان الله عند ظن عبده المؤمن، لان الله كريم بيده الخيرات، يستحي أن يكون عبده المؤمن قد أحسن الظن ثم يخلف ظنه ورجاءه، فأحسنوا الظن بالله، وارغبوا إليه».

وقال ﷺ - كما في أمالي الشيخ الصدوق بسنده عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام:

«للمؤمن على المؤمن سبعة حقوق واجبة من الله عزّ وجلّ - عليه:

الاجلال له في عينه، والود له في صدره، والمواساة له في ماله، وأن يحرم له غيبته. وأن يعوده في مرضه، وأن يشيع جنازته، وأن لا يقول فيه بعد موته إلا خيرا».

وقال ﷺ - كما في المصدر الآنف الذكر -: «أعبد الناس من أقام الفرائض، وأسخى الناس من أدى زكاته، وأزهد الناس من اجتنب الحرام، وأتقى الناس من قال الحق فيما له وعليه، وأعدل الناس من رضي للناس ما يرضى لنفسه، وكره لهم ما يكره لنفسه، وأكيس الناس من كان أشد ذكراً للموت، وأغبط الناس من كان تحت التراب، قد أمن العقاب ورجا الثواب، وأغفل الناس من لم يتعظ بتغير الدنيا من حال إلى حال، وأعظم الناس في الدنيا خطراً من لم يجعل للدنيا عنده خطراً، وأعلم الناس من جمع علم الناس إلى علمه، وأشجع الناس من غلب هواه، وأكثر الناس قيمة أكثرهم علماً، وأقل الناس قيمة أقلهم علماً، وأقل الناس لذة الحسود، وأقل الناس راحة البخيل، وأبخل الناس من بخل بما افترض الله عزّ وجلّ عليه، وأفقر الناس الطامع، وأغنى الناس من لم يكن للحرص أسيراً، وأفضل الناس إيماناً أحسنهم خلقاً، وأكرم الناس أتقاهم، وأعظم الناس قدراً من ترك ما لا يعنيه، وأروع الناس من ترك المراء، وإن كان محقاً، وأقل الناس مروة من كان كاذباً، وأشقى الناس الملوك، وأمقت الناس المتكبر، وأشد الناس اجتهاداً من ترك الذنوب، وأحكم الناس من فر من جهال الناس، وأسعد الناس من خالط كرام الناس، وأعقل الناس أشدهم مداراة للناس، وأولى الناس بالتهمة من جالس أهل التهمة، وأعتى الناس من قتل غير

قاتله أو ضرب غير ضاربه، وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة، وأحق الناس بالذنب السفيه المغتاب، وأذل الناس من أهان الناس، وأحزم الناس أكظمهم للغيظ، وأصلح الناس أصلحهم للناس، وخير الناس من انتفع الناس به».

وقال ﷺ - كما في جامع السعادات للنراقي بسنده عن قيس بن عاصم -: «يا قيس، ان مع العز ذلاً، ومع الحياة موتاً، ومع الدنيا آخرة، وان لكل شيء رقيباً، وعلى كل شيء حسيباً، وان لكل أجل كتاباً، وإنه لا بد لك من قرين يدفن معك - وهو حي - تدفن معه - وأنت ميت - فان كان كريماً أكرمك، وإن كان لئيماً ألأمك، ثم لا يحشر إلا معك، ولا تحشر إلا معه، ولا تسأل إلا عنه، فلا تجعله إلا صالحاً، فانه أن صلح أنست به، وإن فسد لا تستوحش إلا منه، وهو فعلك».

«اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل مماتك».

«الكيّس من دان نفس وعمل لما بعد الموت، والأحمق من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله».

إخبار الوحي بمقتل الحسين

ذكر (الخوارزمي في مقتله)[1] باسناده عن أم الفضل (لبابة) بنت الحرث زوجة العباس بن عبد المطلب قالت: «دخلت على رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، إني رأيت حلماً منكراً - الليلة - قال: وما هو؟ قلت أنه شديد، قال: وما هو؟ قلت: رأيت قطعة من جسدك قطعت ووضعت في حجري، قال رسول الله: رأيت خيراً، ستلد فاطمة، إن شاء الله - غلاماً يكون في حجرك.

(١) أبو المؤيد الموفق بن أحمد الخوارزمي أخطب خوارزم، فقيه، خطيب، كاتب، شاعر، له كتاب كبير في مناقب أهل البيت عليهم السلام، وله كتاب (مقتل الحسين) طبع عدة طبعات في جزئين، توفي سنة ٥٦٨هـ في ناحية قريبة من (زمخشر).

قالت: فولدت فاطمة الحسين، فكان في حجري - كما قال رسول الله، فدخلت - يوماً - على رسول الله، فوضعته في حجره، ثم حانت مني التفاتة، فإذا عينا رسول الله تهريقان الدموع. فقلت: يا نبي الله بأبي أنت وأمي، مالك، ومم بكاؤك؟ فقال: أتاني جبرئيل، فأخبرني أن أمتي ستقتل ابني هذا، فقلت: هذا؟ فقال: نعم، وأتاني بتربة من ترتبه حمراء»[١].

وفي (كامل الزيارات لابن قولويه)[٢] باسناده عن المعلى بن خنيس قال: «كان رسول الله ﷺ أصبح صائماً، فرأته فاطمة باكياً حزيناً، فقالت: ما لك يا رسول الله؟ فأبى أن يخبرها، فقالت: لا آكل ولا أشرب، حتى تخبرني. فقال: ان جبرئيل أتاني بالتربة التي يقتل عليها غلام لم يحمل به - بعد - ولم تكن تحمل الحسين عليه السلام - وهذه تربته»[٣].

وفيه - باسناده عن أبي خديجة سالم بن مكرم الجمال عن أبي عبد الله عليه السلام - قال: «لما ولدت فاطمة الحسين عليه السلام جاء جبرئيل إلى رسول الله ﷺ فقال

---

(١) راجع ذلك منه في (ج١ ص١٥٨) الفصل الثاني في أخبار رسول الله عن مقتل الحسين عليه السلام ومثله في (ينابيع المودة) للحافظ سليمان بن ابراهيم القندوزي الحنفي (المتولد ١٢٢٠، والمتوفى١٢٩٤هـ) أول باب ٦٠.

(٢) أبو القاسم جعفر بن محمد بن جعفر بن موسى بن قولويه القمي، أستاذ الشيخ المفيد، ويروى عن الكليني. كتب عنه النجاشي في رجاله، والشيخ في فهرسته، والعلامة في الخلاصة، والبهائي في الوجيزة والمجلسي في بحاره، والماحوزي في بلغة الرجال، والطريحي في مشتركاته، والكاظمي في مشتركاته، والحر العاملي في الوسائل، وأبو علي في منتهى المقال، وغيرهم كثير من علماء الرجال والترجمة. فقد أجمع كل من كتب عنه: أنه كان على جانب عظيم من الجلالة والوثاقة والعلم والمعرفة. وذكر له النجاشي والشيخ كتباً كثيرة في مختلف الفنون وكتابه (كامل الزيارات) من الأصول المعروفة في الحديث المعتمد عليه من قبل عامة المحدثين كالشيخ في تهذيبه، والحر العاملي في وسائله، وغيرهم من عامة المحدثين القدماء والمتأخرين، توفي - على ما يظهر من كلام القطب الراوندي في كتابه (الخرائج والجرائح) سنة ٣٦٧هـ ودفن في الحرم الكاظمي، وبجنبه قبر الشيخ المفيد - رحمهما الله -.

(٣) راجع الحديثين في الباب السابع عشر من الكتاب.

له ان أمتك تقتل الحسين عليه السلام من بعدك. ثم قال: ألا أريك من تربته؟ فضرب بجناحه فأخرج من تربة كربلاء وأراها إياه، ثم قال: هذه التربة التي يقتل عليها»[١].

وروى الشيخ الطوسي في (الأمالي)[٢] والمجلسي في (البحار)[٣] بأسانيد معتبرة إلى الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عن أسماء بنت عميس قالت: لما ولدت فاطمة الحسين كنت أخدمها في نفاسها، فجاء النبي صلى الله عليه وآله فقال: هلمي ابني يا

---

(١) ن. م.

(٢) الشيخ الطوسي أبو جعفر: هو محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي شيخ الطائفة الإمامية بعد أستاذيه: الشيخ المفيد، والسيد المرتضى - قدس سرهما -.
ولد في شهر رمضان سنة ٣٨٥هـ في طوس. وقدم منها إلى بغداد سنة ٤٠٨هـ، وهو ابن (٢٣) عاماً وحضر عند الشيخ المفيد شيخ الأمة قرابة (٥ سنين). وبعد وفاته سنة ٤١٣هـ، حضر عند السيد المرتضى علم الهدى قرابة (١٣عاماً) وبعد وفاته سنة ٤٣٦هـ استقل بزعامة الشيعة في بغداد فبقى فيها قرابة (١٢عاماً) ثم كانت فتنة السلاجقة الطائفية، فنكلوا بالشيعة اشنع التنكيل، وأرادوا قتل شيخنا المترجم له، فهرب بنفسه وولده وأهل بيته إلى النجف سنة ٤٤٨، فأسس فيها الحوزة العلمية التي لا تزال تمد العالم الإسلامي باشعاعها الفكري. وتوفي في النجف في شهر محرم من سنة ٤٦٠هـ، ودفن في داره التي اتخذت مسجداً من بعده حسب وصيته لولده المفيد الثاني.
وكتابه الأمالي - هذا - هي مجموعة مجالسه التي أملاها على ولده أبي علي المفيد الثاني (قدّس سره) راجع - في تفصيل ترجمته - ما كتبناه في مقدمة كتابه الذي طبعناه أخيراً (تلخيص الشافي) في الإمامة.

(٣) انه الشيخ المعظم مروج الملة والدين الباحث المتبحر الشيخ محمد باقر بن الشيخ محمد تقي بن المقصود المجلسي - على الإطلاق - وعند التمييز بينه وبين أبيه، يعبر عن أبيه بالمجلسي الأول وعنه بالمجلسي الثاني، صاحب المؤلفات الجمة في عامة العلوم والفنون الإسلامية باللغتين العربية والفارسية ولقد أحصيت - كما قيل - سطور مؤلفاته فبلغت (مليون و٤ آلاف) ولا يتم ذلك إلا للنوابغ من الرجال.
وكتابه (بحار الأنوار) دائرة معارف إسلامية ومن أضخم الموسوعات العلمية في عامة الفنون طبع أخيراً في طهران في أكثر من (١٠٠ مجلد).
ولد سنة ١٣٠٧هـ وتوفي سنة ١١١١هـ ليلة ٢٧ شهر رمضان في (اصفهان) من بلدان إيران.

أسماء. فدفعته إليه في خرقة بيضاء، فأخذه وجعله في حجره، وأذن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى).

قالت: ثم بكى رسول الله ﷺ وقال: انه سيكون لك حديث، اللهم العن قاتله، لا تعلمي فاطمة بذلك.

قالت: فلما كان اليوم السابع من مولده جاء النبي ﷺ فعق عنه كبشاً أملح، وأعطى القابلة الورك ورجلاً، وحلق رأسه، وتصدق بوزن الشعر ورقاً، وخلق رأسه بالخلوق، وقال: ان الدم من فعل الجاهلية.

قالت ثم وضعه في حجره وقال: يا أبا عبد الله، عزيز علي - ثم بكى - فقلت: بأبي أنت وأمي، مم بكاؤك في هذا اليوم؟ وفي اليوم الأول؟ قال ﷺ: أبكي على ابني هذا، تقتله فئة باغية كافرة من بني أمية، لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة...» الحديث[1].

وفي (لهوف بن طاووس)[2] «قال رواة الحديث: فلما أتى على الحسين عليه السلام من مولده سنتان، خرج النبي ﷺ في سفر له، فوقف في بعض الطريق واسترجع، ودمعت عيناه. فسئل عن ذلك فقال: هذا جبرئيل يخبرني عن أرض بشط الفرات، يقال لها (كربلا) يقتل عليها ولدي الحسين بن فاطمة. فقيل له: من يقتله يا رسول الله؟ فقال: رجل اسمه (يزيد)، وكأني أنظر إلى مصرعه ومدفنه بها...

---

(١) وهذا طرف للحديث، وهو وارد في ولادة الحسن والحسين عليهما السلام وأوله كما في (الأمالي ج١٣) هكذا: «وبالاسناد عن علي بن الحسين عليه السلام قال حدثتني أسماء بنت عميس الخثعمية قالت: أقبلت جدتك فاطمة بنت رسول الله ﷺ بالحسن والحسين عليهما السلام...».
ومثل ذلك في (البحار: ج٤٣) باب ١١ من أبواب تاريخ الإمامين عليهما السلام طبع طهران الجديد.

وكذلك ذكره في (البحار: ج٤٤ باب٣١ ص٢٥٠) من الطبعة الجديدة.

(٢) هو رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن محمد بن طاووس الحسيني، صاحب الكرامات الباهرة والكتب الوافرة منها كتابه المذكور (الملهوف في قتلى الطفوف) طبع مرات عديدة. توفى في الحلة سنة ٦٦٤هـ ودفن فيها - اليوم - مزار مشهور.

ثم رجع من سفره ذلك مغموماً مهموماً - فصعد المنبر، فخطب ووعظ الناس - والحسن والحسين بين يديه - فلما فرغ من خطبته وضع يده اليمنى على رأس الحسن، ويده اليسرى على رأس الحسين، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إني محمد عبدك ونبيك، وهذان أطائب عترتي وخيار أرومتي أفضل ذريتي ومن أخلفهما في أمتي، وقد أخبرني جبرئيل: أن ولدي - هذا - مقتول مخذول، اللهم فبارك له في قتله، واجعله من سادات الشهداء اللهم ولا تبارك في قاتله وخاذله(١).

قال: فضج الناس في المسجد بالبكاء والنحيب: فقال رسول الله ﷺ: أتبكون ولا تنصرونه؟. ثم رجع ﷺ - وهو متغير اللون محمر الوجه. فخطب خطبة أخرى موجزة، وعيناه تهملان دموعاً...»(٢).

وفي (أعلام النبوة للماوردي)(٣) - والرواية عن عائشة - قالت:

«دخل الحسين بن علي على رسول الله - وهو يوحى إليه - فقال جبرئيل: ان أمتك ستفتتن بعدك، وتقتل ابنك هذا من بعدك، ومد يده فأتاه بتربة بيضاء. وقال: في هذه يقتل ابنك، اسمها «الطف». فلما عرج جبرائيل خرج رسول الله إلى أصحابه - والتربة بيده وهو يبكي - فقالوا: ما يبكيك يا رسول الله؟ فقال:

---

(١) في (ج ٤٤ من البحار مجلد ١٠ ص٢٤٨ طبع الجديد) يذكر الحديث بالنص، ويزيدها هنا هذه الفقرة «وأصله حر نارك، واحشره في أسفل درك الجحيم».

(٢) الحديث المذكور في (اللهوف) مفصل أخذنا منه مورد الحاجة، وتركنا أوله وآخره. راجع أوله في ص٨ من الكتاب طبع النجف، وهكذا: قال رواة الحديث: فلما أتت على الحسين عليه السلام سنة كاملة... وقد ذكره الخوارزمي في (مقتله ج١ فصل ٨) مع تكملة له.

(٣) هو قاضي القضاة أبو الحسن بن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي - نسبة إلى بيع ماء الورد تخفيفاً - كان من وجوه فقهاء الشافعية، أخذ عن الصيرمري في البصرة، والاسفراييني في بغداد، وأخذ عنه الخطيب البغدادي، وقد فوض إليه القضاء بمختلف البلدان الإسلامية لتضلعه في مختلف العلوم والفنون، له مؤلفات كثيرة في التفسير والفقه والتاريخ والأدب والحديث وغيرها، منها هذا الكتاب المشار إليه، توفي في بغداد سنة ٤٥٠هـ عن عمر يبلغ (٨٦ سنة) عن الخطيب البغدادي في تاريخه -.

أخبرني جبرئيل أن ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطف، وجاء بهذه التربة، فأخبرني أن فيها مضجعه».

وفي (العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي)[١]: «ومن حديث أم سلمة زوجة النبي ﷺ قالت: كان عندي النبي - ومعي الحسين - فدنا من النبي، فأخذته فبكى فتركته، فدنا منه فأخذته فبكى فتركته، فقال له جبرئيل: أتحبه يا محمد؟ قال: نعم، قال: أما أن أمتك ستقتله، وان شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها، فبسط جناحه، فأراه منها، فبكى النبي ﷺ»[٢].

وأخرج ابن حجر في (صواعقه)[٣]، من حديث أنس بن مالك «أن رسول الله ﷺ، قال: استأذن ملك القطر به أن يزورني، فأذن له، وكان في يوم أم سلمة، فقال رسول الله: يا أم سلمة، احفظي علينا الباب لا يدخل أحد، فبينما هي على الباب، إذ دخل الحسين، فاقتحم، فوثب على رسول الله ﷺ فجعل رسول الله يلثمه ويقبله. فقال له الملك: أتحبه؟ قال: نعم، قال: ان أمتك

---

(١) هو أبو عمرو أحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبي الأندلسي المالكي صاحب المؤلفات الكثيرة، ومنها كتابه المشار إليه (العقد الفريد) الكتاب القيم المحتوى على كثير من العلوم والمعارف والآداب، توفي سنة ٣٢٨هـ في (قرطبة) من بلاد الأندلس، ودفن فيها.

(٢) ذكر ذلك الحديث في (ج٤ ص٣٨٣) من كتابه المذكور طبع القاهرة سنة ٩٦٢م. وذكر نفس المضمون ابن قولويه في (كامل الزيارات باب١٧) بسنده عن عبد الملك بن أعين عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام.

(٣) تطلق هذه الكنية على حافظين عظيمين: أحدهما - الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - صاحب المؤلفات الشهيرة الكثيرة القيمة، كتهذيب التهذيب، والدرر الكامنة، والإصابة، ولسان الميزان وغيرها، من كتب الفقه والحديث والرجال. وثانيهما - شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن حجر المصري الهيثمي مفتي الحجاز، وهو صاحب كتاب (الصواعق المحرقة) وشرح قصيدة البردة وغيرهما. وهو - على انحرافه من أهل البيت عليهم السلام - فقد اعترف بالكثير من فضائلهم ومناقبهم في هذا الكتاب، وفي غيره من كتب الحديث، توفي سنة ٩٧٣هـ.

ستقتله، وان شئت أريك المكان الذي يقتل به، فأراه، فجاء بسهلة، أو تراب أحمر، فأخذته أم سلمة، فجعلته في ثوبها...»[١].

وفي (أمالي الشيخ الصدوق)[٢] مجلس ٢٩ - بسنده المعتبر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام - قال:

---

(١) أخرج ابن حجر هذا الحديث من (صواعقه) برقم ٣٠ ضمن الفصل الثاني في سرد أحاديث واردة في أهل البيت عليهم السلام.

(٢) هو أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي.
ولد رحمه الله - بدعاء الحجة صاحب الأمر عليه السلام - وكان يفتخر بذلك. قال النجاشي في (رجاله ضمن ترجمة أبيه علي بن الحسين): «... أنه قدم العراق، واجتمع بأبي القاسم الحسين بن روح - رضي الله عنه - وسأله مسائل، ثم كاتبه بعد ذلك على يد أبي جعفر محمد بن علي الأسود يسأله أن يوصل له رقعة إلى الصاحب عليه السلام ويسأله فيها الولد، فكتب إليه: قد دعونا الله لك بذلك، وسترزق ولدين ذكرين خيرين...». وقال عنه جدنا الأعلى سيد الطائفة السيد المهدي بحر العلوم في (رجاله ج٣ ص٢٩٢): «... انه ركن من أركان الشريعة، ورئيس المحدثين والصدوق فيما يرويه عن الأئمة عليهم السلام، ولد بدعاء صاحب الأمر والعصر عليه السلام ونال بذلك عظيم الفضل والفخر، وصفه الإمام في التوقيع الخارج من الناحية المقدسة بأنه فقيه خير مبارك، ينفع الله به، فعمت بركته الأنام، وانتفع به الخاص والعام، وبقيت آثاره ومصنفاته مدى الأيام...». وكل من كتب عنه أشار إلى فضيلة ولادته بدعاء الحجة عليه السلام.

وكانت ولادته في (قم) المشرفة من بلاد إيران سنة ٣٠٦هـ - تقريباً - فان عامة من كتب عنه قال: انه ولد بعد وفاة محمد بن عثمان العمري، وفي أوائل سفارة الحسين بن روح عن الحجة عليه السلام والمحقق أن وفاة العمري كانت سنة ٣٠٥ هجرية، فاعتبار ولادة المترجم له بعد ذلك بسنة تقريب لا تحقيقي.

ولقد سافر لطلب الحديث ومدارسة العلماء في ذلك سنة ٣٣٩هـ إلى عامة بلدان إيران وحواضرها، وكثر تطوافه بعد ذلك ولنفس الغرض إلى مختلف البلدان الإسلامية، كالحرمين: مكة والمدينة والعراق وسمرقند وإيلاف وبلخ وغيرها.

وتجاوز عدد مشايخه الذي سمع منهم في مختلف الآفاق: المائتين. كما بلغت أرقام تلاميذه ومن سمعوا عنه في مختلف الآفاق أيضاً: العشرات من العدد.

كما ناهزت مصنفاته في مختلف الفنون والعلوم الإسلامية - خصوصاً في الحديث -=

*«كان النبي ﷺ في بيت أم سلمة، فقال لها: لا يدخل علي أحد، فجاء الحسين وهو طفل - فما ملكت معه شيئاً، حتى دخل على النبي، فدخلت أم سلمة على أثره، فإذا الحسين على صدر النبي، وإذا النبي يبكي، وإذا في يده شيء يقبله. فقال النبي ﷺ: يا أم سلمة، ان هذا جبرئيل يخبرني أن هذا مقتول، وهذه التربة التي يقتل عليها، فضعيها عندك، فإذا صارت دماً فقد قتل حبيبي. فقالت أم سلمة: يا رسول الله، سل الله أن يدفع ذلك عنه؟ قال: قد فعلت، فأوحى الله - عز وجل - إلي: أن له درجة لا ينالها أحد من المخلوقين، وأن له شيعة يشفعون فيشفعون، وأن المهدي من ولده، فطوبى لمن كان من أولياء الحسين، وشيعته هم - والله - الفائزون يوم القيامة».

وفي (أمالي الطوسي ج١١) باسناده عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس، قال: «بينا أنا راقد في منزلي إذ سمعت صراخاً عظيماً عالياً من بيت أم سلمة زوج النبي ﷺ فخرجت يتوجه بي قائدي إلى منزلها، وأقبل أهل المدينة إليها - الرجال والنساء - فلما انتهيت إليها قلت: يا أم المؤمنين ما بالك تصرخين وتغوثين؟ فلم تجبني، وأقبلت على النسوة الهاشميات وقالت: يا بنات عبد المطلب اسعدنني وابكين معي، فقد قتل - والله - سيدكن وسيد شباب أهل الجنة وسبط رسول الله وريحانته الحسين. فقيل: يا أم المؤمنين: ومن أين علمت ذلك؟ قالت: رأيت رسول الله ﷺ في المنام - الساعة - شعثاً مذعوراً فسألته عن شأنه ذلك؟ فقال: قتل ابني الحسين وأهل بيته اليوم، فدفنتهم، والساعة فرغت من دفنهم.

قالت: فقمت حتى دخلت البيت وأنا لا أكاد أن أعقل، فنظرت فإذا بتربة الحسين التي أتى بها جبرئيل من كربلا فقال: إذا صارت هذه التربة دماً فقد قتل

= المائتين. وكان من بينها: كتاب (الأمالي) المعروف بالمجالس، ويقارب عدد مجالسه (المائة) أملاها في مختلف أسفاره في البلدان الإسلامية بأزمنة مختلفة، ويؤرخ كل مجلس منها باليوم والشهر والسنة، ويرقمه بالرقم الخاص.

توفى رحمه الله - في الري - طهران - سنة ٣٨١هـ، ودفن في خارجها قرب مرقد السيد العظيم السيد عبد العظيم الحسني رحمه الله - وله هناك مزار مأثور، ومرقد مشهور، وكرامات باهرة.

ابنك وأعطانيها النبي، فقال اجعلي هذه التربة في زجاجة أو قال في قارورة - ولتكن عندك فإذا صارت دماً عبيطاً فقد قتل الحسين فرأيت القارورة - الآن - وقد صارت دماً عبيطاً تفور.

قال ابن عباس: وأخذت أم سلمة من ذلك الدم فلطخت به وجهها وجعلت ذلك اليوم مأتماً ومناحة على الحسين...» الحديث.

أخبار علي بمقتل الحسين

وفي الفصل الثامن من (مقتل الخوارزمي): «ذكر شيخ الإسلام الحاكم الجشمي:

«أن أمير المؤمنين عليه السلام لما سار إلى (صفين) نزل بكربلاء وقال لابن عباس: أتدري ما هذه البقعة؟ قال: لا، قال: لو عرفتها لبكيت بكائي، ثم بكى بكاء شديداً ثم قال: ما لي ولآل أبي سفيان، ثم التفت إلى الحسين، وقال: صبراً يا بني، فقد لقي أبوك منهم مثل الذي تلقى بعده».

أخبار الحسن بمقتل الحسين

وفي المجلس الرابع والعشرين من أمالي الصدوق بسنده عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله الصادق عن أبيه عن جده علي بن الحسين عليه السلام: انه قال: ان الحسين بن علي عليه السلام دخل يوماً على أخيه الحسن بن علي عليه السلام عائداً، فلما نظر إليه الحسين بكى، فقال له الحسن عليه السلام: ما يبكيك يا أبا عبد الله، فقال عليه السلام: أبكي لما يصنع بك.

فقال الحسن: إن الذي يؤتى إلي سم يدس إلي فأقتل به، ولكن لا يوم كيومك - يا أبا عبد الله - يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل يدعون أنهم من أمة جدنا محمد صلى الله عليه وآله وينتحلون دين الإسلام، فيجتمعون على قتلك وسفك دمك، وانتهاك حرمتك، وسبي ذراريك ونسائك وانتهاب ثقلك، فعندها تحل ببني أمية

اللعنة، وتمطر السماء رماداً ودماً، ويبكي عليك كل شيء حتى الوحوش في الفلوات، والحيتان في البحار. . .»[١].

النبي ﷺ يبكي الحسين

وفي (كامل الزيارات لابن قولويه) بسنده عن عبد الله بن محمد الصنعاني، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل الحسين جذبه إليه، ثم يقول لأمير المؤمنين عليه السلام: أمسكه، ثم يقع عليه فيقبله ويبكي فيقول الحسين: يا أبت، لم تبكي؟ فيقول له: يا بني أقبل موضع السيوف منك وأبكي. قال: يا أبت، وأقتل؟ قال: أي والله، وأبوك وأخوك وأنت، قال: يا أبت، فمصارعنا شتى؟ قال: نعم يا بني، قال: فمن يزورنا من أمتك؟ قال: لا يزور أباك وأخاك وأنت إلا الصديقون من أمتي»[٢].

وفيه بسنده عن مسمع بن عبد الملك عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان الحسين عليه السلام مع أمه تحمله، فأخذه رسول الله ﷺ فقال: لعن الله قاتليك، ولعن الله سالبيك، ولعن الله المتوازرين عليك، وحكم الله بيني وبين من أعان عليك.

فقالت فاطمة: يا أبت، أي شيء تقول؟:

قال: يا بنتاه، ذكرت ما يصيبه بعدي وبعدك من الأذى والظلم والغدر والبغي، وهو - يومئذ - في عصبة كأنهم نجوم السماء يتهاوون إلى القتل، وكأني أنظر إلى معسكرهم، وإلى موضع رحالهم وتربتهم.

فقالت: يا أبت، وأين هذا الموضع الذي تصف؟:

قال: موضع يقال له (كربلا) وهي ذات كرب وبلاء علينا وعلى الأمة، يخرج

---

(١) وذكر الحديث أيضاً ابن طاووس في اللهوف: ص١١ طبع النجف.

(٢) ذكر نص الحديث المجلسي أيضاً في المجلد العاشر ج٤٤ باب٣١ من البحار ص٢٦١ من الطبع الجديد.

عليهم شرار أمتي، ولو أن أحدهم يشفع له من في السماوات والأرضين ما شفعوا فيهم، وهم المخلدون في النار.

قالت: يا أبت، فيقتل؟.

قال: نعم يا بنتاه، ما قتل قبله أحد كان تبكيه السماوات والأرض والملائكة والوحوش والحيتان في البحار والجبال، لو يؤذن لها ما بقي على الأرض متنفس، وتأتيه قوم من محبينا، ليس في الأرض أعلم بالله ولا أقوم بحقنا منهم، وليس على ظهر الأرض أحد يلتفت إليه غيرهم، أولئك مصابيح في ظلمات الجور، وهم الشفعاء، وهم واردون حوضي غداً، أعرفهم إذا وردوا علي بسيماهم، وأهل كل دين يطلبون أئمتهم، وهم يطلبوننا ولا يطلبون غيرنا..» الحديث.

وذكر ابن نما الحلي(١) في (مثير الأحزان) بسنده عن ابن عباس - قال: «لما اشتد برسول الله ﷺ مرضه الذي مات فيه، ضم الحسين إلى صدره يسيل من عرقه عليه وهو يجود بنفسه ويقول: ما لي وليزيد، لا بارك الله فيه، اللهم العن يزيد. ثم غشي عليه طويلاً وأفاق وجعل يقبل الحسين وعيناه تذرفان ويقول: «أما أن لي ولقاتلك مقاماً بين يدي الله عز وجل».

الملائكة والسموات تبكيه

وفي (الكامل أيضاً) بسنده إلى حماد بن عيسى عن ربعي قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام بالمدينة: أين قبور الشهداء؟ فقال عليه السلام: أليس أفضل الشهداء

---

(١) تطلق هذه الكنية على شخصين عظيمين من عظماء الحلة أحدهما - محمد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله بن نما بن علي بن حمدون شيخ الفقهاء في عصره وأستاذ المحقق الحلي في الفقه والرواية وهو يروي عن الشيخ محمد بن المشهدي توفي في النجف سنة ٦٤٥هـ ودفن فيها. وثانيهما ابنه نجم الدين جعفر بن محمد بن جعفر.. من أعاظم الفقهاء في عصره وأحد أساتذة العلامة الحلي رحمه الله - وهو صاحب (المقتل المعروف بمثير الأحزان) توفي في الحلة بعد أبيه بسنين يسيرة ودفن فيها.

عندكم؟ والذي نفسي بيده، أن وله أربعة آلاف ملك شعث غبر يبكونه إلى يوم القيامة».

وفيه - بسنده عن عبد الله بن هلال - قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ان السماء بكت على الحسين بن علي ويحيى بن زكريا، ولم تبك على أحد غيرهما، قلت: وما بكاؤهما؟ قال: مكثت أربعين يوماً تطلع الشمس بحمرة، وتغرب بحمرة...» الحديث.

وفيه أيضاً - بسنده عن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «يا زرارة، ان السماء بكت على الحسين أربعين صباحاً بالدم، وان الأرض بكت أربعين صباحاً بالسواد، وان الشمس بكت أربعين صباحاً بالكسوف والحمرة، وان الجبال تقطعت وانتثرت، وان البحار تفجرت، وان الملائكة بكت أربعين صباحاً على الحسين، وما اختضبت منا امرأة ولا ادهنت ولا اكتحلت ولا رجلت حتى أتانا رأس عبيد الله بن زياد، وما زلنا في عبرة بعده. وكان جدي إذا ذكره بكى حتى تملأ عيناه لحيته، وحتى يبكي لبكائه رحمة له من رآه، وان الملائكة الذين عند قبره ليبكون، فيبكي لبكائهم كل من في الهواء والسماء من الملائكة...» الحديث.

الحسين ينعي نفسه

وفي الكامل أيضاً - بسنده عن هارون بن خارجة - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال الحسين عليه السلام: أنا قتيل العبرة، قتلت مكروباً، وحقيق علي أن لا يأتيني مكروب - قط - إلا رده الله وأقلبه إلى أهله مسروراً».

وفي أمالي الصدوق مجلس ٢٨ - بسنده عن أبي بصير عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال، قال: أبو عبد الله الحسين بن علي عليه السلام: أنا قتيل العبرة، لا يذكرني مؤمن إلا استعبر».

وفي أمالي الطوسي ج٤ - بسنده عن الربيع بن المنذر عن أبيه - عن الحسين

ابن علي عليه السلام : أنه قال: «ما من عبد قطرت عيناه فينا قطرة أو دمعت عيناه فينا دمعة إلا بوأه الله بها في الجنة حقبا».

الإمام زين العابدين يبكي على أبيه

وفي (الكامل) باب. ٣٥ بسنده عن أبي داود المسترق عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «بكى علي بن الحسين على أبيه الحسين بن علي - عليه السلام - عشرين أو قال - أربعين - سنة، وما وضع بين يديه طعام إلا وبكى على الحسين حتى قال له مولى له: جعلت فداك يا بن رسول الله أني أخاف عليك أن تكون من الهالكين، قال: «إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون». اني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني العبرة».

وفي (أمالي الصدوق مجلس ٢١) بسنده المرفوع إلى أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «البكاؤون خمسة: آدم ويعقوب ويوسف وفاطمة بنت محمد وعلي بن الحسين. فأما آدم فبكى على الجنة حتى صار في خديه أمثال الأودية. وأما يعقوب فبكى على يوسف حتى ذهب بصره وحتى قيل له: «تالله تفتوء تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين»، وأما يوسف فبكى على يعقوب حتى تأذى به أهل السجن فقالوا: إما أن تبكي بالنهار وتسكت بالليل، واما أن تبكي بالليل وتسكت بالنهار، فصالحهم على واحد منهما.

وأما فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله فبكت على رسول الله صلى الله عليه وآله حتى تأذى بها أهل المدينة فقالوا لها: «قد أذيتنا بكثرة بكائك فكانت تخرج إلى مقابر الشهداء فتبكي حتى تقضي حاجتها ثم تنصرف.

وأما علي بن الحسين فبكى على أبيه حتى لحق ربه، وما وضع بين يديه طعام إلا بكى. . .» الحديث.

ثواب البكاء على الحسين

وفي (الكامل) بسنده عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: «كان علي بن الحسين - عليه السلام - يقول: أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن علي عليه السلام دمعة حتى تسيل على خده، بوأه الله بها في الجنة غرفاً يسكنها أحقاباً، وأيما مؤمن دمعت عيناه حتى تسيل على خده فينا لأذى مسنا من عدونا في الدنيا بوأه الله بها في الجنة مبوأ صدق، وأيما مؤمن مسه أذى فينا فدمعت عيناه حتى يسيل دمعه على خده من مضاضة ما أوذي فينا، صرف الله عن وجهه الأذى، وآمنه يوم القيامة من سخطه والنار»[١].

وفي (البحار للمجلسي) بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام بأنه قال للفضيل، «يا فضيل تجلسون وتتحدثون؟ قال: نعم جعلت فداك، قال: إن تلك المجالس أحبها فأحيوا أمرنا، يا فضيل فرحم الله من أحيى أمرنا، يا فضيل، من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب غفر الله ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر»[٢].

مآتم تعقد للعزاء	جديرة بالفضل والثناء
وذنب من يبكي عليهم يغفر	مصاب أهل البيت فيها يذكر
إني أحبها فأحيوا أمرنا	مجالس قال الإمام معلنا
يدعو إليها الحب والولاء[٣].	تقيمها الرجال والنساء

---

(١) وذكره أو مضمونه اللهوف لابن طاووس ص٥ طبع النجف، كذلك البحار: ج٤٤ ص٢٨١ طبع طهران الجديد. والقمي في تفسيره - في تفسير سورة الدخان -.

(٢) راجع منه باب ٣٤من ج٤٤، ثواب البكاء على مصيبة الحسين. وذكر ذلك الحديث بنصه أبو العباس عبد الله بن جعفر الحميري - من أعلام القرن الثالث والرابع الهجري. في كتابه (قرب الاسناد في ص٢٦) طبع النجف سنة ١٣٦٩هـ. كما ذكره القمي علي بن إبراهيم في تفسيره المشهور - في تفسير سورة الدخان - كما ذكره أيضاً ابن طاووس في اللهوف ص٥ طبع النجف.

(٣) أبيات من المقبولة الحسينية للحجة الشيخ هادي آل كاشف الغطاء (قدّس سره) -.

وفي (الكامل) أيضاً - بسنده عن مسمع بن عبد الملك كردين البصري - قال: «قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا مسمع، أنت من أهل العراق، أما تأتي قبر الحسين؟ قلت: لا، أنا رجل مشهور عند أهل البصرة، وعندنا من يتبع هوى هذا الخليفة، وعدونا كثير من أهل القبائل من النصاب وغيرهم ولست آمنهم أن يرفعوا حالي عند ولد سليمان فيمثلون بي.

قال لي: أفما تذكر ما صنع به؟ قلت: نعم، قال: فتجزع؟ قلت: اي والله، واستعبر لذلك حتى يرى أهلي أثر ذلك عليَّ، فأمتنع عن الطعام حتى يستبين ذلك في وجهي.

قال: رحم الله دمعتك، أما إنك من الذين يعدون من أهل الجزع لنا، والذين يفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا، ويخافون لخوفنا ويأمنون إذا أمنا، أما إنك سترى عند موتك حضور آبائي لك ووصيتهم ملك الموت بك، وما يلقونك به من البشارة ما تقر به عينك قبل الموت، ولملك الموت أرق عليك وأشد رحمة لك من الأم الشفيقة على ولدها.

قال: ثم استعبرَ، واستعبرتُ معه، فقال: الحمد لله الذي فَضّلنا على خلقه بالرحمة، وخَصّنا - أهل البيت - بالرحمة.

يا مسمَع، إن الأرضَ والسماءَ لتَبكي مُنذُ قُتِلَ أميرُ المؤمنين عليه السلام رحمةً لنا، وما بكى لنا من الملائكة أكثرُ، وما رَقأتْ دموعُ الملائكة مُنذُ قُتِلنا، وما بكى أحدٌ رحمةً لنا ولما لقينا إلا رَحِمه اللهُ قبلَ أن تَخرج الدمعةُ من عينه، فإذا سالتْ دموعهُ على خدّه، فلو أنَ قطرةً من دموعه سقَطتْ في جَهنّم لأطفأتْ حرَّها حتى لا يُوجد لها حرّ وإن الموجعَ لنا قلبُه ليَفرحُ يومَ يرانا عندَ موته فرحةً، لا تَزالُ تلك الفرحةُ في قلبه حتى يَرِدَ علينا الحوضَ، وإن الكوثر ليفرح بمحبّنا إذا وردَ عليه، حتى إنه ليُذيقهُ من ضُروب الطعَام ما لا يَشتهي أن يَصدرَ عنه...» الحديث[1].

فـابـكِ دمـاً عـلـى قَـتـيـل الـعَـبـره والـسـيّـد الـسـبـطِ شـهـيـدِ الـعِـتـره
عـبـرةُ كـلّ مـؤمـنٍ ومـتـقـي فـمـا بـكـى بـاكٍ عـلـيـه فـشُـقـي

(١) راجع منه: باب ٣٢ وأورده المجلسي أيضاً في بحار.

وإن يـفـتْـك أن تـكـونَ الـبـاكـي فـلا يُـفـتـكَ الأجـر بـالـتـبـاكـي[(١)]

وعن المجلسي في بحاره - بسنده عن علي بن الحسن بن فَضّال عن أبيه: قال: قال الرضا عليه السلام: «من تذكّر مصابَنا وبكى لما ارتُكبَ منّا كان معنا في دَرجتنا يومَ القيامة، ومَن ذُكّر بمصابنا فبكى وأبكى لم تَبكِ عينُه يومَ تبكي العيون، ومن جَلسَ مجلساً يُحيى فيه أمرُنا لم يَمتْ قلبُه يومَ تموتُ القلوب»[(٢)].

وفي (البحار أيضاً عن أمالي الصدوق) بسنده عن إبراهيم بن أبي محمود - قال: قال الرضا عليه السلام: إنَّ المحرّم شهرٌ كان أهلُ الجاهلية يُحرّمون فيه القتال، فاستُحلتْ فيه دماؤنا، وهُتِكتْ فيه حرمتُنا وسُبيَ فيه ذَرارينا ونساؤُنا، وأضرمت النيرانُ في مضاربنا، وانتهبَ ما فيها من ثِقلنا، ولم تُرعَ لرسول الله حرمةٌ في أمرنا، إن يومَ الحسين أقرح جفونَنا، وأسبَل دُموعَنا، وأذلّ عزيزَنا بأرض كربٍ وبلاء، وأورثَنا الكربَ والبلاء إلى يوم الإنقضاء، فعلى مثل الحسين فليبكِ الباكون، فان البكاءَ عليه تَحطُ الذنوبَ العِظام.

ثم قال عليه السلام: كان أبي إذا دخل شهرُ المحرّم لا يُرى ضاحكاً، وكانت الكآبةُ تَغلبُ عليه، حتى يَمضي منه عشرةُ أيام، فإذا كان اليومُ العاشر كان ذلك يومَ مصيبته وحزنه وبكائه، ويقول: هو اليومُ الذي قُتِلَ فيه الحسين»[(٣)].

وفيه - عن أمالي الصدوق - بسنده عن ماجيلويه عن علي عن أبيه عن الريّان بن شبيب - قال: «دخلتُ على الرضا عليه السلام في أول يومٍ من المحرّم، فقال لي: يا ابنَ شَبيب، أصائمٌ أنت؟ فقلت: لا.

فقال: إن هذا اليومَ هو اليومُ الذي دعا فيه زكريا ربَّه عليه السلام فقال: ﴿هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران: 38] فاستَجاب اللهُ له وأمرَ الملائكةَ،

---

(١) من أبيات (المقبولة الحسينية) للمغفور له الشيخ هادي بن الشيخ عباس بن الشيخ علي بن الشيخ الأكبر الشيخ جعفر النجفي صاحب (كشف الغطاء) قدس الله أسرارهم -.

(٢) ذكره في ج٤٤ أول باب ثواب البكاء على مصيبته ص٢٧٨ طبع طهران الجديد.

(٣) راجع ذلك في المجلس السابع والعشرين من أمالي الصدوق، وفي (ج٤٤ من البحار ص٢٨ طبع جديد).

فنادتْ زكريّا - وهو قائمٌ يُصلّي في المحراب: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ [آل عمران: 39]، فمَن صام هذا اليومَ ثم دعا الله عزّوجلّ استجاب الله له كما استجابَ لزكريّا عليه السلام.

ثم قال لي: يا ابنَ شبيب، إن المحرّم هو الشَهرُ الذي كان أهلُ الجاهلية - فيما مضى - يُحرِّمون فيه الظلمَ والقتالَ لحرمته، فما عرَفتْ هذه الأمةُ حرمةَ شهرها ولا حرمةَ نبيها، لقد قتلوا في هذا الشهر ذرّيتَه، وسَبوا نساءَه، وانتهبُوا ثقلَه، فلا غفرَ اللهُ لهم ذلك أبداً.

يا ابنَ شَبيب، إن كنتَ باكياً لشيء فابكِ للحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام فانه ذُبح كما يُذبحُ الكبشُ، وقُتِلَ معه من أهل بيته ثمانية عشَر رجلاً، ما لهم في الأرض شبيهٌ، ولقد بكتِ السماواتُ السَبعُ والأرضونَ لقتله، ولقد نَزل إلى الأرض من الملائكة أربعةُ آلاف لنصره، فوجدوه قد قُتِلَ، فهُم عند قبره شُعثٌ غُبرٌ إلى أن يَقومَ القائم، فيكونونَ من أنصاره، وشعارهم: (يا لثاراتِ الحسين).

يا ابن شَبيب، لقد حدثني أبي عن أبيه عن جده: أنه لما قُتِلَ جَدي الحسين مَطَرت السماءُ دماً وتراباً أحمرَ.

يا ابنَ شَبيب، إن بكيتَ على الحسين حتى تَصيرَ دموعُك على خَديكَ غفَر الله لك كلَّ ذَنبٍ أذنبتَه - صغيراً كان أو كبيراً قليلاً كان أو كثيراً -.

يا ابنَ شَبيب، إن سرَّك أن تلقى الله عزّوجلّ ولا ذنبَ عليك فزُرِ الحسينَ عليه السلام.

يا ابنَ شَبيب، إن سرَّك أن تَسكنَ الغرفَ المبنيةَ في الجنة مع النبي صلى الله عليه وآله فالعنْ قَتلةَ الحسين.

يا ابنَ شَبيب، إن سرَّك أن يكون لك من الثواب مثلُ ما لِمَن استُشهدَ مع الحسين، فقُل - متى ذكرتَه -: يا ليتَني كنتُ معهم فأفور فوزاً عظيماً.

يا ابنَ شَبيب، إن سرّك أن تكون معنا في الدّرجات العُلى من الجِنان فاحزَنْ لحُزننا، وافرحْ لفرحنا، وعليك بولايتنا، فلو أن رجلاً تولّى حجراً لحشره الله معه يوم القيامة.

ثواب إنشاد الشعر في الحسين عليه السلام

وفي (كامل الزيارات) بسنده عن صالح بن عقبة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من أنشد في الحسين بيتاً من شعرٍ، فبكى وأبكى عشَرةً فله ولهُم الجنّة، ومَن أنشَد في الحسين بيتاً، فبكى وأبكى تسعةً فله ولهم الجنّة، فلمْ يزَلْ حتى قال: مَن أنشَد في الحسين بيتاً، فأبكى - وأظنّه قال: أو تباكى - فله الجنّة»[1].

ودَخل الكميتُ بنُ زيد الأسدي[2] مع مولىً له اسمه (صاعد) على الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام وكان ذلك في أيام المحرّم، قال صاعد: فأنشدَه قصيدتَه الميميةَ التي يقول في أولها:

مَن لقلبٍ مُتيّمٍ مُستَهامِ ... غيرُ ما صبوةٍ ولا أحلامِ

بل هواي الذي أجنّ وأبدي ... لبني هاشم أجلّ الأنام

(١) ذكر ذلك في آخر باب ٣٣ من الكتاب: ص١٠٦ طبع حجر، كما ذكره كتاب (ثواب الأعمال للصدوق: ص٤٨) كما ذكره المجلسي في البحار: ج٤٤ ص٢٨٩) طبع طهران الجديد.

(٢) هو أبو المستهل الكميتُ بن زيد الأسدي (٦٠-١٢٦)هـ من شعراء أهل البيت عليهم السلام قال عنه أبو الفرج في (الأغاني): انه شاعر مقدّم عالم بلغات العرب، خبير بأيامها من شعراء مضر وألسنتها، وكان معروفاً بالتشيّع لبني هاشم، مشهوراً بذلك.

وقال صاحب (خزانة الأدب) وشرح الشواهد عنه: «. . . كان في الكميت عشرُ خصال لم تكن في شاعر: كان خطيبَ أسد، فقيهَ الشيعة، حافظَ القرآن، ثبتَ الجنان، كاتباً حسنَ الخط، نسابةً، جدلاً، وهو أول من ناظر في التشيّع، رامياً لم يكن في أسد أرمى منه، فارساً، شجاعاً سخياً ديّناً.

أكثرَ من نظم الشعر الجيد، خصوصاً في أهل البيت عليهم السلام فقد قيل: إن له أكثر من (٥ آلاف) بيت أو قصيدة. وطبعت له (هاشمياته السبعة أو العشرة) عدة مرات، وهذه القصيدة الميمية هي إحدى هاشمياته.

قتله جُند والي الكوفة - في وقته - يوسف بن عمرو، الذين كانوا محتوشين به، لانه كان قد هجا خالد القسري الوالي السابق للكوفة، فتعصّب له الجند، فهجموا على الكميت بالسيوف فقتلوه.

قال: فلما بلغ إلى قوله:

وقتيلٍ بالطفّ غودر منهم بينَ غوغاء أمةٍ وطُغام

وأبو الفضل إنّ ذكرَهم الحلوَ شفاءُ النفوس والأسقام

قُتِلَ الأدعياءُ إذ قتلوه أكرمَ الشاربينَ صوبَ الغمام

بكى أبو جعفر عليه السلام بكاءً شديداً، ثم قال: يا كميت، لو كان عندنا مالٌ لأعطيناك، ولكن لك ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله لحسان بن ثابت: لا زلت مؤيداً بروح القدس ما ذببتَ عنّا أهل البيت، ثم رفع يديه بالدعاء وقال: اللهم اغفر للكميت، اللهم اغفر للكميت»[١].

وفي (الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني)[٢] - بسنده عن علي بن إسماعيل التميمي عن أبيه - قال: «كنتُ عند أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام إذ استأذن آذنُه للسيّد الحميري[٣] فأمر بإيصاله، وأقعد حرَمه خلفَ سترٍ، ودخل فسلّم وجلَسَ، فاستنشدَه أبو عبد الله في الحسين عليه السلام فأنشد قوله:

---

(١) تُراجَع هذه القصة في عامة المصادر التأريخية، كالأغاني لأبي الفرج (ج١٥ ص١٢٣) ومروج الذهب للمسعودي: ج٣ ص٢٤٣، معاهد التنصيص: ج٢ ص٢٧، ورجال الكشي ص١٣٦، واعلام الورى للطبرسي: ص.١٥٨

(٢) علي بن الحسين بن محمد المرواني الأموي الزيدي المذهب، صاحب كتاب (الأغاني) اصبهاني الولادة، بغدادي النشأة، له تصانيف كثيرة في مختلف العلوم، ومن كتبه (مقتل الطالبين) توفي سنة ٣٥٦هـ. وعن (فهرست ابن النديم) ان وفاته سنة ٣٦٠هـ.

(٣) أبو هاشم إسماعيل بن محمد بن يزيد الحميري (المولود في عمان سنة ١٠٥ والمتوفي في بغداد سنة ١٧٨هـ)، ويلقب بالسيد - من صغر سنه - لعؤمته وسيادته في قومه. قال الكشي في (رجاله ص١٨٦) طبع النجف: «روى أن أبا عبد الله عليه السلام لقي السيد بن محمد الحميري - وقال: سمتك أمك سيداً، وفقت في ذلك، وأنت سيد الشعراء». وفي (العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي: ج٢ ص٢٨٩): «السيد الحميري وهو رأس الشيعة، وكانت الشيعة من تعظيمها لها تلقي له وسادة بمسجد الكوفة...».

وكان متصلباً في تشيعه وحبه لأهل البيت عليهم السلام من أبوين أباضيين، من اتباع عبد الله بن أباض.

وروي: «أن أبويه لما علما بتشيعه لعلي عليه السلام همّا بقتله لولا أن يجيره منهما الأمير عقبة بن مسلم الهنائي ويأخذه منهما إلى منزله، ولما مات أبواه ورثهما». =

أمرُرْ علَى جَدَث الحسين، وقُلْ لأعظُمه الزكيّة
يا أعظماً لا زلتِ من وطفاءَ ساكبةٍ رويّه
ما لذّ عيشٌ بعدَ رضّك بالجياد الأعوَجيّه
قبرٌ تضمّن طيّباً آباؤه خَيرُ البريّة
فإذا مَررتَ بقبره فأطِلْ به وقف المطيّه
كبكاء مُعولةٍ أتتْ يوماً لواحدها المنيّه

قال الراوي: فرأيتُ دموعَ جعفر بن محمد تنحدر على خديه، وارتفع الصراخ والبكاء من داره، حتى أمره بالإمساك، فأمسك»[1].

وفي (أمالي الصدوق: مجلس ٢٩) و(الكامل لابن قولويه) باب ٣٣ - بسندهما عن علي بن المغيرة عن أبي عمارة المنشد عن أبي عبد الله

= كان أحد الشعراء الثلاثة المكثرين من قولة الشعر في الجاهلية والإسلام، وفي مقدمتهم السيد، ثم بشار، ثم أبو العتاهية، وكان عامة شعره في مدح أهل البيت عليهم السلام وذم أعدائهم.

قال أبو الفرج في (الأغاني ج٧ ص٢٣٦) طبع الساسي، «... وروى عن الموصلي عن عمه قال جمعت للسيد في بني هاشم ألفين وثلاثمائة قصيدة، فخلت أني استوعبت شعره حتى جلس إلي - يوماً - رجل ذو أطمار رثة، فسمعني أنشد شيئاً من شعره، فأنشدني ثلاثة قصائد لم تكن عندي، فقلت في نفسي: لو كان هذا يعلم ما عندي كله ثم أنشدني بعدها ما ليس عندي لكان عجباً، فكيف وهو لا يعلم وأنما أنشد ما حضره. وعرفت حينئذ أن شعره ليس مما يدرك ولا يمكن جمعه».

وقال ابن المعتز في (طبقات الشعراء ص٧): «كان السيد أحذق الناس بسوق الأحاديث والأخبار والمناقب في الشعر، لم يترك لعلي بن أبي طالب فضيلة معروفة إلا نقلها في الشعر...».

عاش ردحاً من عمره كيساني العقيدة يرى أمامة محمد بن الحنفية بعد أخويه الحسنين عليهما السلام ولكنه تبصر - أخيراً - فتجعفر - على حد تعبيره - على يد الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام. وله في ذلك شعر معروف، ذكر ذلك الشيخ المفيد في كتابه (الفصول المختارة ص٩٣).

(١) راجع القصة والأبيات في الأغاني: ج٧ ص٢٣٠ طبع الساسي.

الصادق عليه السلام قال، قال لي: «يا أبا عمارة، أنشدني للعبدي[١] في الحسين؟ قال: فأنشدته فبكى، ثم أنشدته فبكى. قال: فوالله ما زلتُ أنشده ويبكي حتى سمعتُ البكاء من الدار.

فقال لي: يا أبا عمارة، من أنشَد في الحسين عليه السلام شعراً فأبكى خمسينَ فله الجنة، ومَن أنشدَ في الحسين شعراً فأبكى أربعينَ فله الجنة، ومَن أنشد في الحسين شعراً فأبكى ثلاثينَ فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى عشرين فله الجنة، ومن أنشدَ في الحسين شعراً فأبكى عشرة فله الجنة، ومن أنشدَ في الحسين شعراً وأبكى واحداً فله الجنة، ومَن أنشد في الحسين شعراً فبكى فله الجنة، ومَن أنشدَ في الحسين شعراً فتباكى فله الجنة».

وفي (الكامل لابن قولويه: باب٣٣) بسنده عن أبي هارون المكفوف[٢]. قال: دخلتُ على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي. أنشدني، فأنشدتهُ، فقال: لا، كما تنشدونه وكما ترثيه عند قبره. قال: فأنشدتُه:

امرُرْ على جَدَث الحسين، فقل لأعظمه الزكية[٣]

قال: فلما بكى أمسكتُ أنا، فقال: مُرْ، فمَررتُ. قال ثم قال: زِدني، زِدني، قال: فأنشدته:

---

(١) يقصد: أبا محمد سفيان بن مصعب العبدي الكوفي من أعلام القرن الثاني الهجري. وكان شعراء أهل البيت المتظاهرين في حبهم والولاء لهم. وقد عده الشيخ في (رجاله) من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام وأمر عليه السلام شيعته بتعليم أولادهم شعر العبدي فقال عليه السلام: «يا معشر الشيعة علموا أولادكم شعر العبدي فانه على دين الله». ذكر ذلك الكشي في رجاله: ص٢٥٤ طبع النجف الأشرف.

(٢) واسمه - على ما احتمله الشيخ المامقاني في تنقيح المقال -: موسى بن عمير مولى آل جعدة بن هبيرة الكوفي، أو ابن أبي عمير - على ما في فروع الكافي - وعده الشيخ الطوسي في (رجاله) من أصحاب الإمام الباقر والصادق عليهما السلام.

(٣) إلى آخر أبيات السيد الحميري الآنفة الذكر.

مـريـمُ قـومـي فـانـدي مَـولاكِ وعلى الحسين فأسعدي ببكاكِ[١]

قال: فبكى وتهايَج النساء، قال: فلما سكتنَ، قال لي: يا أبا هارون، مَن أنشد في الحسين عليه السلام فأبكى عشرةً فله الجنة، ثم جعل يُنقص واحداً واحداً، حتى بلغ الواحد، فقال: مَن أنشد في الحسين فأبكى واحداً فله الجنة، ثم قال: مَن ذكره فبكى فله الجنة».

وفي (رجال الكشي، ومنتهى المقال لأبي علي)[٢] برواية زيد الشحّام - قال: «كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام ونحنُ جماعةٌ من الكوفيين، فدخَل جعفرُ بنُ عفّان الطائي[٣] على أبي عبد الله، فقرّبه وأدناه، ثم قال: يا جَعفر، قال: لبيك

---

(١) الظاهر أنه مطلع قصيدة للسيد الحميري أيضاً، فان ابن قولويه ذكر في أول هذا الباب من (كامله) رواية أخرى عن أبي هارون نفسه، وفيها - بعد قول الإمام: (زدني) قال: فأنشدته القصيدة الأخرى، فالظاهر من هذا التعبير: الأخرى من قصيدتي السيد نفسه، فان أبا هارون كان منشداً لا منشئاً.

(٢) الكشي - بالفتح -: أبو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز، نسبة إلى (كش) بالفتح فالتشديد، بلد عظيم من بلاد ما وراء النهر. عاصر ابن قولويه القمي المتوفي سنة ٣٦٧هـ، وكل منهما يروي عن الآخر وكلاهما يرويان عن والد (ابن قولويه) محمد ويروي عنهما أبو محمد هارون بن موسى التلعكبري المتوفي سنة ٣٨٥هـ. فتكون وفاة (الكشي) بعد هذا - في أخريات القرن الرابع الهجري - على الظاهر -.
كتب عنه الرجاليون أنه كان عيناً ثقة بصيرا بالأخبار والرجال، وقد يروي في كتابه عن الضعفاء، طبع رجاله - الذي هو مما لخصه الشيخ الطوسي وهذبه - عدة مرات في بمبي والنجف. وأبو علي هو الرجالي العظيم محمد بن اسماعيل بن عبد الجبار المتولد في كربلاء سنة ١١٥٩هـ والمتوفى فيها سنة ١٢١٥هـ ينتهي نسبه إلى الشيخ الرئيس أبي علي بن سينا، وأصله من (طبرستان) تلمّذ على الأستاذ الأكبر الآغا الوحيد البهبهاني (قدّس سره) المتوفى سنة ١٢٠٦هـ وعلى السيّد بحر العلوم المتوفى سنة ١٢١٢هـ، وعلى صاحب (الرياض) المتوفى سنة ١٢٣٦هـ وكتابه - هذا - من أهم الكتب الباحثة عن علم الحديث والرجال، وق طبع في عدة أجزاء طبعاتٍ عديدة. ولق أورد الرواية كلّ من الكشي وأبي علي في (رجاليهما بترجمة جعفر بن عفان).

(٣) هو أبو عبد الله جعفر بن عفان الطائي المتوفى حدود سنة ١٥٠هـ، وكان معاصراً للإمام الصادق عليه السلام وممّن يحضر - أحياناً - في مجلسه العلمي ويستفيد من معارفه وكان =

جعلني الله فداك، قال: بلغني أنك تقول الشعر في الحسين عليه السلام وتجيد؟ فقال له: نعم جَعلني الله فداك فقال: قل، فأنشده:

لَيبكِ على الإسلام مَن كان باكياً ... فقد ضُيّعتْ أحكامُه واستُحلّتِ

غداةَ حسينٌ للرماح دريئةٌ ... وقد نهَلتْ منه السيوفُ وعلّتِ

وغُودرَ في الصحراء شلواً مُبدّداً ... عليه عِتاقُ الطير باتتْ وظَلّتِ

فما نَصرتهُ أمةُ السوء إذ دعا ... لقد طاشت الأحلامُ منهم وضَلّتِ

وما حَفِظَتْ قُربَ النبيّ ولا رَعَتْ ... وزَلّت بها أقدامُها واستَزلّتِ

أذاقَتْهُ حَرَّ القَتل أمةُ جَدّه ... فتَبّتْ أكفُ الظالمين وشُلّتِ

فلا قَدّس الرحمانُ أمةَ جدّه ... وإن هي صامتْ للاله وصَلّتِ

كما فَجَعتْ بنتَ الرسول بنسلها ... وكانوا كماةَ الحَرب حين استقلّتِ

قال: فبكى الإمام الصادق عليه السلام ومَن حَوله حتى صارت الدموعُ على وجهه ولحيته، ثم قال:

يا جعفر، والله لقد شَهِدتْ الملائكةُ المقرَّبونَ ها هنا، وإنهم لها هنا يَسمعون قولَك في الحسين، ولقد بكوا كما بكينا وأكثر، ولقد أوجبَ الله تعالى لك - يا جعفر - في ساعتك الجنّة، وغَفَر لك، ثم قال: ألا أزيدُك؟ قال: نعم يا سيدي؟

= من شعراء الكوفة ومن الشيعة المخلصين - كما عن المرزباني في مُعجمه - وكان مكفوف البصر، وله شعر كثير في مواضيع مختلفة. قال عنه ابن النديم في (فهرسته): «شعره مائتا ورقة».

وقال عنه كلُ من كتب عنه: إنه من الشعراء الموالين لأهل البيت المخلصين في التشيّع، ففي (الأغاني ج١ ص٤٥): «انه هو الذي ردّ على مروان بن أبي حفصة حيث يقول:

أنّى يكون وليس ذاك بكائنٍ ... لبني البنات وراثةُ الأعمام

فقال جعفر بن عفان:

لِمَ لا يكون وإن ذاك لكائنٌ ... لبني البنات وراثةُ الأعمام

للبنت نصفٌ كاملٌ من ماله ... والعمُّ متروكٌ بغير سهام

ما للطليق وللتُراث وإنما ... صلّى الطليق مخالفةَ الصَمصام

قال عليه السلام: ما مِن أحدٍ قال في الحسين شعراً فبكى، وأبكى به إلا أوجبَ الله له الجنّة وغفرَ له».

دعبل الخزاعي ومرثيته

وروي عن دِعبِل بنِ علي الخُزاعي(١): أنه قال: دَخلتُ على سيدي ومولاي عليِ بنِ موسى الرضا عليه السلام في أيام المحرّم، فرأيتُه جالساً جِلسةَ الحزين الكئيب - وأصحابُه من حَولِهِ - فلما رآني مُقبلاً، قال لي: مرحباً بك يا دعبل، مرحباً بناصرنا بيده ولسانه، ثم إنه وسّع لي في مَجلسه، وأجلسني إلى جانبه، ثم قال لي:

---

(١) دعبل بن علي بن رزين بن عثمان بن عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، من قبيلة خزاعة القحطانية الأصل: (١٥٨- ٢٤٥هـ) أيام المتوكل، فمدة عمره (٨٧ سنة) فعن أبي الفرج في (الأغني: ج١٨): أنه توفي بقرية من نواحي السوس، ودفن بتلك القرية.
كان من الشعراء المجيدين، ومن المتفانين في ولاء أهل البيت عليهم السلام يقول الشعر كثيراً في مدائح أهل البيت، وفي الطعن على أعدائهم على غرار التولي والتبري.
ذكر له المؤرخون أسماء كثيرة، ولكنه اشتهر بلقب (دعبل) بكسر الدال.
هو من بيت أدب وشعر، فأبوه علي بن رزين كان شاعراً مفلقاً، ذكره المرزباني (معجمه) وعمه عبد الله ابن رزين هو الآخر كان من الشعراء أيضاً - كما عن عمدة ابن رشيق - وأخوه الأكبر علي بن علي بن رزين كان من الشعراء - كما عن النجاشي وغيره.
وأخوه الآخر رزين بن علي بن رزين كان أيضاً من الشعراء - كما ذكره ابن طيفور في كتاب بغداد - وولده الحسين بن دعبل شاعرٌ مطبوع له شعر كثير - كما ورد اسمه في فهرست ابن النديم - وولده الآخر علي بن دعبل من الشعراء أيضاً - كما في الأغاني ج.١٨ وابن أخيه إسماعيل بن علي الشهير بالدعبلي من الشعراء - كما في كتاب الغدير: ج٢ - وابن عمه محمد بن عبد الله بن رزين المعروف بأبي الشيص من مشاهير الشعراء - كما ذكره المرزباني في معجمه وأبو الفرج في أغانيه ج١٥ وابن قتيبة في الشعر والشعراء -. وعامة هذه المصادر الآنفة تستعرض شخصية شاعرنا المترجم باكبار وتجلة، وتعطيه سمة الرفعة الأدبية والولاء والتشيع لأهل البيت عليهم السلام.

يا دِعبلْ، أحبُّ أن تُنشدني شعراً، فان هذه أيامُ حُزنٍ كانت علينا - أهلَ البيت - وأيامُ سرورٍ كانت على أعدائنا، خصوصاً بني أمية.

يا دِعبلْ، مَن بكى وأبكى على مصابنا! ولو واحداً - كان أجرهُ على الله.

يا دِعبِلْ، مَن ذَرُفتْ عيناه على مصابنا، وبكى لما أصابنا من أعدائنا حشره الله معَنا في زمرتنا.

يا دِعبل، مَن بكى على مصاب جدي الحسين عليه السلام غفَر الله له ذنوبَه - البتة -.

ثم إنه عليه السلام - نهضَ وضربَ ستراً بيننا وبين حرَمه، وأجلس أهلَ بيته من وراء الستر ليبكوا على مصاب جدّهم الحسين. ثم التفت إليّ وقال لي: يا دِعبل، إرثِ الحسين، فأنت ناصرُنا ومادحُنا، وما دمتَ حياً فلا تُقصّر عن نَصرنا ما استَطعتَ.

قال دِعبل: فاستَعبرتُ وسالتْ دمعتي وأنشأت أقول:

بكيتُ لرسمِ الدار مِن عَرَفاتِ	وأذريتُ دمعَ العين بالعَبَراتِ
وفَكّ عُرى صبري وهاجتْ صبابتي	رسومُ ديارٍ أقفرتْ وَعِراتِ
مَدارسُ آياتٍ خَلتْ مِن تِلاوةٍ	ومنزلُ وحيٍ مُقفرُ العرَصاتِ[1]
لآل رسول الله بالخيف مِن مِنى	وبالبيتِ والتعريفِ والجَمَراتِ
ديارُ عليٍ والحسين وجعفرٍ	وحمزةَ والسجّادِ ذي الثَفِناتِ[2]
ديارٌ لعبدِ الله والفضلِ صنوهِ	نجيّ رسول الله في الخَلَواتِ
وسبطي رسول الله وابني وصيّه	ووارثِ علم الله والحسَنَاتِ
منازلُ قوم يُهتدى بهداهمُ	فتُؤمن منهم زَلةُ العثَرَاتِ
منازلُ كانت للصلاة وللتُقى	وللصَوم والتطهير والحَسَناتِ

---

(١) هذا البيت مطلع القصيدة على رأي ياقوت الرومي وبعض المؤرخين. وقد ذكر ابن القتال في (الروضة) وابن شهر اشوب في (المناقب): أن دعبلاً أنشد الإمام عليه السلام من قوله (مدارس آيات...) فقيل له: لم تركت التشبيب؟ قال: استحييت من الإمام.

(٢) الثفنات: جمع ثفنة - بالفتح فالكسر -: وهي من البعير ما يقع على الأرض من أعضائه عندما يبرك كالركبتين. وهذا من ألقاب الإمام زين العابدين عليه السلام كناية عن كثرة سجوده على أعضائه السبعة.

منازلُ جبريلُ الأمينُ يحلّها ... من الله بالتسليم والرحَمَاتِ
منازلُ وحي الله معدنِ علمِه ... سبيلِ رشادٍ واضح الطُرُقاتِ
ديارٌ عفاها كلُ جَوْنٍ مبادرٍ ... ولم تَعفُ للأيام والسَنَواتِ[١]
فيا وارثي علم النبيّ وآله ... عليكمْ سلامٌ دائمُ النَفَحاتِ
لقد آمنتْ نفسي بكم في حياتها ... وإني لأرجو الأمنَ بعدَ وفاتي

قَفا نسألِ الدارَ التي خَفَّ أهلُها ... متى عهدُها بالصَوم والصَلَواتِ
وأينَ الأولى شَطّتْ بهمْ غُربةُ النوى ... أفانينَ في الآفاق مُفترقاتِ[٢]
همُ أهلُ ميراثِ النبي إذا اعتَزَوا ... وهمْ خيرُ ساداتٍ وخيرُ حماةِ
إذا لم نناج الله في صَلَواتِنا ... بأسمائهمْ لم يَقبلِ الصَلَواتِ
مطاعِمُ في الإعسار في كلّ مَشهدٍ ... لقد شرّفوا بالفَضل والبَركاتِ
وما الناسُ إلا حاسدٌ أو مُكذِبٌ ... ومُضْطَغِنٌ ذو إحنةٍ وَتِراتِ
إذا ذَكروا قتلىً ببدر وخيبرٍ ... ويوم حُنينٍ أسبلوا العبَرَاتِ
فكيفَ يُحبّونَ النبيَّ ورَهطَه ... وهمْ تَركوا أحشاءَهم وَغِراتِ
لقد لاينوه في المقال وأضمَروا ... قلوباً على الأحقاد مُنطوياتِ
فان لم تكن إلا بقربى مُحمّدٍ ... فهاشمُ أولى مِنْ هَنٍ وهَناتِ
ولو قَلّدوا الموصى إليه أمورَهمْ ... أَخذنَ بمأمونٍ مِن العَثَراتِ[٣]
وصي النبيّ المصطفى وابنِ عمه ... ومفترسِ الأبطال في الغَمَراتِ

فقال الإمام عليه السلام: يا دِعْبل، عرّج بنا على كربلا، فجعلتُ أقول:

أفاطمُ لو خِلتِ الحسينَ مُجدّلاً ... وقد ماتَ عطشاناً بشطِ فُراتِ

---

(١) عفى الشيء عن كذا، أي: تركه وعافه. والجون - بالفتح فالسكون -: النبات تقرب خضرته إلى السواد.
(٢) شط شطا: أي بعد. والافانين: جمع أفنان. وهو جمع فنن - بالتحريك - أي الغصن المستقيم.
(٣) ذكر الخوارزمي في (مقتله ج ٢ ص١٣٠) طبع النجف: هذين البيتين وأبيات أخر في مدح أمير المؤمنين عليه السلام.

إذاً لـلَـطـمـتِ الـخـدَّ فـاطـمُ عـنـدَهُ ... وأجريتِ دمعَ العينِ في الوجَنَاتِ
أفاطمُ قومي يا ابنةَ الخيرِ واندُبي ... نـجـومَ سـمـاواتٍ بـأرضِ فـلاةِ
قـبـورٌ بـكـوفـانٍ، وأخـرى بـطَـيـبـةٍ ... وأخـرى بـفـخٍّ نـارهـا صَـلـواتـي[١]
وأخرى بأرضِ (الجَوزجَانِ) محَلّها ... وقبرٌ بباخمرى لدى الغُرُبات[٢]
وقـبـرٌ بـبـغـدادٍ لـنَـفـسٍ زَكـيـةٍ ... تضَمّنها الرحمانُ في الغُرفاتِ[٣]

قال دعبل: فقال لي الرضا عليه السلام: «أفلا ألحقُ لك بهذا الموضع بيتين بهما تمامُ قصيدتك»، فقلت: بلى يا ابنَ رسول الله، فقال الإمام الرضا عليه السلام:

وقبرٌ بطوسٍ يا لها مِن مُصيبةٍ ... ألحّتْ على الأحشاء بالزَفَراتِ
إلى الحشر حتى يَبعثَ اللهُ قائماً ... يُفرّج عنا الغمَّ والكُرباتِ

قال دعبل: فقلت: يا ابنَ رسول الله، هذا القبر الذي بطوس قبرُ مَن هو؟ فقال الرضا عليه السلام: هو قبري، ولا تنقضي الأيام والليالي حتى تصير (طوس) مختلفَ شيعتي وزوّاري، ألا مَن زارني في غربتي في (طوس) كان معي في درجتي يومَ القيامة، مغفوراً له[٤].

---

(١) يقصد بكوفان: قبر الإمام علي عليه السلام ومن استشهد من بعده على شرف الولاية، وقبور طيبة، - وهي المدينة - قبور أئمة البقيع الأربعة وغيرهم من آل محمد عليهم السلام، وقبور فخ - وهو واد بمكة - قبر الحسين بن علي بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى، وغيره من العلويين الذين استشهدوا في هذا المكان في أيام بني العباس سنة ١٦٩هـ، وواقعة فخ من الوقائع المشهورة في التاريخ.

(٢) الجوزَجان: موضع في (بلخ) قتل في ذلك المكان الداعيان: يحيى بن زيد بن علي بن الحسن، وأخوه، ومن كان معهما من الأنصار، وذلك في أيام الوليد الأموي، والقصة مشهورة.
وباخمرى - بالقصر -: موضعٌ بين الكوفة وواسط، قتل فيه إبراهيم الإمام بن عبد الله بن الحسن بن علي وأصحابه الذين استشهدوا في أيام المنصور العباسي سنة ١٤٥.

(٣) وقبور بغداد: المرقدان العظيمان للإمامين العظيمين: الكاظم والجواد - عليهما السلام -.

(٤) ذكر ذلك ابن شهر آشوب في (مناقبه ج٣ ص٤٥٠) ومنتهى المقال، وأعيان الشيعة، وغيرها من مصادر التاريخ. وبهذا المضمون وبغيره من مضامين عالية أورده ابن قولويه في (الكامل: باب١٠١) في ثواب زيارته عليه السلام -.

ثم استمرّ دِعبلُ في إنشاده، فقال:

فأمّا المُمِضّاتُ التي لستُ بالغاً مبالغَها مني بكنهِ صفاتِ[١]
نفوسٌ لدى النهرَين من أرضِ كربلا مُعرّسهُم فيها بشطّ فراتِ[٢]
تُوفُّوا عُطاشى بالفراتِ فليتَني تُوفيتُ فيهم قَبلَ حين وفاتي
إلى الله أشكوْ لوعةً عند ذكرهم سقَتْني بكاس الذلّ والفَظَعاتِ
أخاف بأن أزدارَهم فتشُوقني مصارعُهم بالجزْع فالنَخَلاتِ
تقسّمهم ريبُ المنون فما تَرى لهم عَفرةً مَغشيةَ الحُجراتِ[٣]
سوى أنّ منهم في المدينة عُصبةً مدى الدهر أنضاءً من الأزمات[٤]
قليلةُ زوّارٍ سوى بعضِ زُوّرٍ من الضَبع والعِقبان والرخَمَاتِ
لهم كلَّ يوم نومةً بمضاجعٍ ثوتْ في نواحي الأرض مختَلفاتِ
وقد كان منهم بالحجاز وأهلِها مغاويرُ يُختارُونَ في السرَوَاتِ[٥]
تَنكّب لأواء السنين جوارُهم فلا تَصطليهم جَمرةُ الجمَرَاتِ[٦]
حميً لم تَزرهُ المُدنياتُ وأوجهٌ تُضيءُ لدى الأستار في الظُلماتِ
إذا ورَدوا خَيلاً تَشمّسُ بالقَنا مساعيرَ جَمرِ الموتِ والغَمَراتِ
وإن فَخروا يوماً أتوا بمحمّدٍ وجِبريلَ والفرقانِ والسّورَاتِ
وعَدوا علياً ذا المناقب والعُلى وفاطمةَ الزهراء خيرَ بناتِ
وحمزةَ والعباسَ ذا الهديِ والتُقى وجعفراً الطيّارَ في الحجُبَاتِ
أولئك لا منتوجُ هندْ وحربها (سمية): من نُوكى ومِنْ قذُرات[٧]

ملامَكَ في أهل النبيّ فانهمْ أحبايَ، ما عاشوا، وأهلُ ثقاتي

---

(١) الممضات من: أمضى الشيء: أي أحرقه وشق عليه.
(٢) المعرس - بفتح الراء وتشديدها - من التعريس، وهو النزول في المكان.
(٣) العفَرة - بالفتح فالسكون -: محلة القوم أو وسط الدار.
(٤) الأنضاء: جمع نضو - بالكسر فالسكون - وهو الحيوان المهزول.
(٥) المغاوير: جمع مغوار - بالكسر -: وهو الرجل الكثير الغارات.
(٦) اللأواء: الشدة المحنة.
(٧) النوكى - بالقصر -: جمع نوك - بضم النون وفتحها - وهو الحمق يقال: رجل أنوك.

تَخيّرتُهم رُشداً لأمري فانهم على كل حالٍ خَيرةُ الخَيَراتِ
نبذتُ إليهمْ بالمودّة صادقاً وسَلّمتُ نفسي طائعاً لوُلاتي
فيا ربّ زِدني مِن يَقيني بَصيرةً وزِدْ حبَّهم يا ربّ في حسَنَاتي
سأبيكهمُ ما حجَّ لله راكبٌ وما ناح قَمريٌ على الشَجَراتِ
بنفسي أنتم مِن كُهولٍ وفتيةٍ لفكِ عُناةٍ أو لحَمل دِيات[1]
وللخيل لما قَيّد الموتُ خطوَها فأطلقتُم منهنّ بالذرَبَات
أحبُّ قصيَّ الرَحم من أجل حُبكم وأهجرُ فيكم أسرتي وبَناتي
فأكتمُ حبيكمْ مخافةَ كاشحٍ عنيدٍ لأهل الحق، غيرِ مُواتي
لقد خِفتُ في الدنيا وأيامِ سعيها وإني لأرجو الأمنَ بعدَ وَفاتي[2]

قال دعبل: فلما وصلت إلى هذا البيت قال الإمام الرضا عليه السلام، «آمنك الله يومَ الفزَع الأكبر» ثم قلت:

ألمْ تَر أني ثلاثينَ حِجةً أروح وأغدو دائمَ الحسَرات[3]
أرى فيأهم في غيرهم متقسّماً وأيديَهم من فيئهم صَفِراتِ[4]

قال دعبل: فلما انتهيتُ إلى قولي هذا بكى أبو الحسن الرضا عليه السلام وقال لي: «صدقتَ يا دعبل». ثم قلت:

فكيف أداوي من جوىً لي والجوى أميةُ أهلُ الفسق والتَبعات
فآل رسول الله نُحفٌ جُسومَهمْ وآلُ زيادٍ حُفّلُ القَصِراتِ[5]
بناتُ زيادٍ في القُصور مصونة وآلُ رسول الله في الفَلَوَاتِ
سأبكيهمُ ما ذرّ في الأرض شارقٌ ونادى منادي الخير بالصَلَواتِ

---

(١) العُناة - بالضم - جمع العاني وهو الأسير - والديات: جمع دية - بكسر الدال - وهي التعويض الذي يعطى من قبل الجاني لذوي المجنى عليه - في حالة قتل الخطأ -.

(٢) في بعض النسخ صدر البيت هكذا: (لقد حفت الأيام حولي بشرّها).

(٣) في رواية: مذ ثمانين حجة، والحجة - بالكسر -: السنة.

(٤) الفيئ: - بالفتح فالسكون - خراج الأرض أو مطلق الغنيمة.

(٥) الحفل - بالضم والتشديد -: جمع حافل. وهو الممتلئ والغزير والكثير. والقصرات - جمع قصرة - بالتحريك، وهي أصل العنق. ويروى (غلظ بدل حفل).

وما طَلعتْ شمسٌ وحان غروبُها   وباللّيل أبكيهمْ وبالغدُواتِ
ديارُ رسول الله أصبَحنَ بَلقعاً   وآل زيادٍ تَسكنُ الحُجُراتِ
وآلُ رسول الله تُدمى نحورُهمْ   وآلُ زيادٍ آمنو السَربات[١]
وآلُ رسول الله تُسبى حَريمُهم   وآلُ زيادٍ رَبةُ الحَجَلات[٢]
إذا وُتروا مَدّوا إلى واتريهمُ   أكفاً عن الأوتار مُنقَبضاتِ[٣]

قال دعبل: فلما بلغتُ إلى هذا القول بكى أبو الحسن عليه السلام حتى أغمي عليه، وجعل يقلّب كفيه ويقول: «أجل والله منقبضات» ثم قلت:

فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غدٍ   لقُطِّع قلبي إثرهم حسَرَاتِ
خروجُ إمامٍ لا محالة خارجٌ   يقومُ على اسم الله والبَرَكاتِ
يُميّز فينا كلَّ حقٍ وباطلٍ   ويَجزي على النعماء والنَقِماتِ

قال دعبل: فلما انتهيتُ إلى هذا القول بكى الإمام الرضا عليه السلام بكاءً شديداً، ثم قال: «يا خزاعي، نطق روحُ القدس على لسانك بهذين البيتين» أتعرف من هذا الإمام؟

قلت: لا، إلا أني سمعت خروجَ إمامٍ منكم يَملأ الأرضَ قسطاً وعدلاً. قال الرضا عليه السلام: إن الإمامَ بعدي ابني محمّد، وبعد محمّد ابنُه علي، وبعد علي ابنُه الحسن، وبعد الحسن ابنُه الحجةُ القائم، وهو المنتظَر في غيبته، المطاعُ في ظهوره فيملأ الأرضَ قسطاً وعدلاً كما مُلئتْ جوراً وظلماً. وأما متى يقوم؟

---

(١) السرب - بالفتح فالسكون -: الابل وما رعى من المال، جمعه: سربات. ويقال: هو آمن في سربه، أي في نفسه.

(٢) الحَجَلات: جمع حَجَلة - بالتحريك - وهو ستر يضرب للعروس في جوف البيت أو البيت المزين.

(٣) وفي رواية «مدوا إلى أهل وترهم» والموتور: من يُطل دم قتيله. والوتر - بكسر الواو وفتحها -: الدم المطلول أو الانتقاء والظلم، جمعه أوتار.
قال الصنعاني في (نسمة السحر): «وقد عانقته التورية وهو ذاهل في قوله (إذا وتروا) لان الوتر الأول بكسر الواو: الذحل، وهو الدم يطلب به الرجل، والأوتار: جمع (الوتر) الذي يشد به على عود اللهو، وجمع الوتر الذي هو الذحل، ففيه تورية سافرة النقاب».

فإخبارٌ عن الوقت، لقد حدثني أبي عن آبائه عن رسول الله ﷺ: انه قال: مَثَله كمَثل الساعة لا تأتيكم إلا بغتة».

ثم أخذ يستمرُ دعبل في إنشاد قصيدته إلى آخرها، فقال:

سأقصرُ نفسي جاهداً عن جدالهمْ كفانيَ ما ألقى من العَبَراتِ
فيا نفسُ ثم يا نفس أبشري فغيرُ بعيدٍ كلُ ما هو آتِ
ولا تجزعي من مدة الجور إنني أرى قوّتي قد آذنتْ بثباتي
فان قرّب الرحمان من تلك مدتي وأخّر من عمري لطول حياتي
شفيتُ ولم أترك لنفسي رزيةً ورَوّيت منهم مِنصلي وقَناتي
فاني من الرحمان أرجو بحبّهم حياةً لدى الفردوس غيرَ بتاتِ[1]

ألا لعنة الله على القوم الظالمين



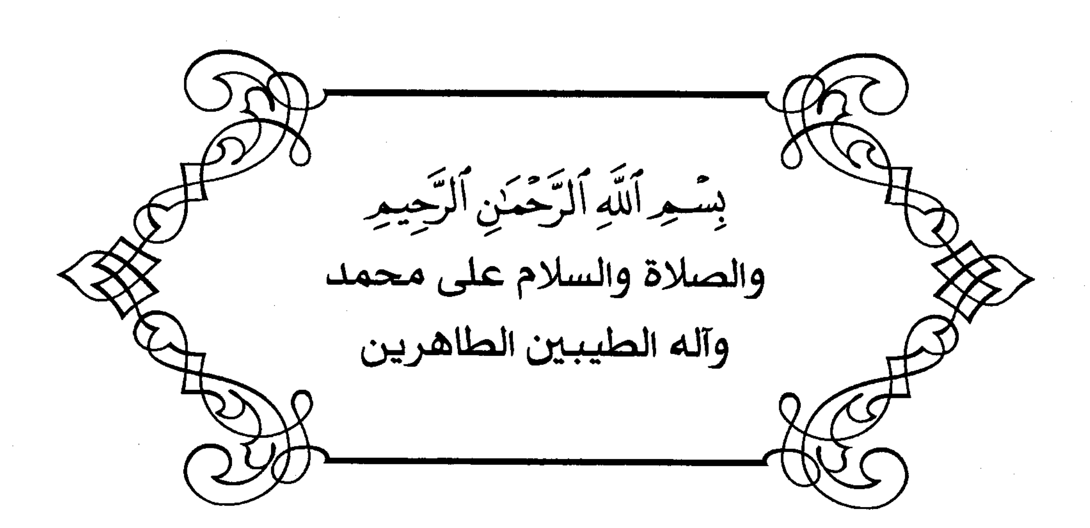
(١) ان قصة دخول شاعر أهل البيت (دعبل) على الإمام الرضا عليه السلام بهذه القصيدة العصماء مما أجمع عليها المؤرخون. أما مصادفة دخوله لأيام المحرم فيرويها بعض المؤرخين لا جميعهم، ووقع الاختلاف الكثير بين المؤرخين في عدد أبيات القصيدة، ومبدئها وختامها. ونحن اقتضبنا منها ما أثبتناه هنا من ديوانه المطبوع في النجف سنة ١٣٨٢هـ بتحقيق الأستاذ عبد الصاحب الدجيلي. والقصيدة أكثر من مائة بيت. وبهذا ينتهي المجلس الأول من (المقتل)، والحمد لله رب العالمين.



المَجلِسُ الثَّاني

يحتوي - بعد المقدمة - على المناجزات والرسائل التي دارت بين الحسين عليه السلام ومعاوية في أخذ البيعة ليزيد وتمامية بيعة يزيد بالقهر والغلبة وتولّيه على رقاب المسلمين بعد وفاة أبيه.

[وهذا المجلس بكامله أيضاً لم يكن في (مقتل المرحوم الوالد) وانما كتبناه ليكون المدخل إلى المقتل].


بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
والصلاة والسلام على محمد
وآله الطيبين الطاهرين

قال الله تبارك وتعالى في قرآنه المجيد:

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البيّنة: 4].

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [آل عمران: 19].

﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85].

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [الصف: 9].

﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ [الفتح: 29].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: 59].

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾ [القصص: 5].

صدَقَ الله العَليّ العَظيمْ.

من وصايا النبي محمد ﷺ
إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في المواعظ والحكم

- كما عن تحف العقول لابن شعبة الحراني -

ومن لا يحضره الفقيه للصدوق

يا علي، إنّ من اليقين أن لا تُرضي أحداً بسَخَط الله، ولا تَحمدْ أحداً بما آتاك الله، ولا تَذمَ أحداً على ما لم يُؤتك الله، فانّ الرزقَ لا يَجرّهُ حرصُ حَريص، ولا تَصرفُه كراهةُ كارِه، إنّ اللهَ بحكمه وفَضله جَعَل الرَوحَ والفَرَج في اليقين والرضا، وجَعَل الهمَّ والحُزنَ في الشَك والسُخْط.

يا علي، إنه لا فقرَ أشدّ من الجَهل، ولا مالَ أعودُ من العقل، ولا وَحدةَ أوحشُ من العُجب، ولا مُظاهرةَ أحسنُ من المشاوَرة، ولا عقل كالتدبير، ولا حسَب كحُسن الخُلق، ولا عبادةَ كالتفكر.

يا علي، آفةُ الحديث الكذبُ، وآفةُ العلم النسيانُ، وآفةُ العبادة الفترَةُ، وآفةُ السَماحة المنّ، وآفةُ الشَجاعة البغيُ، وآفةُ الجَمال الخيلاء، وآفةُ الحَسَب الفخر...

يا علي، أحبّ العمل إلى الله ثلاثُ خِصال: مَن أتى اللهَ بما افترَض عليه فهو من أعبَد الناس، ومَن وَرَع عن محارم الله فهو من أورَع الناس، ومَن قَنَع بما رزقه الله فهو من أغنى الناس.

يا علي، ثلاثٌ من مكارم الأخلاق في الدنيا والآخرة: تَصلُ مَن قَطَعك، وتُعطي مَن حَرَمك، وتَعفوَ عمّن ظَلَمك.

يا علي، سيّدُ الأعمال ثلاثُ خصال: إنصافُك الناسَ من نفسك، ومساواةُ الأخ في الله، وذكرُ الله على كل حال.

يا علي، ثلاثٌ ثوابُهنّ في الدنيا والآخرة: الحجُ يَنفي الفقر والصدقةُ تدفع البليّة، وصِلةُ الرحم تزيد في العمر.

يا علي، ثلاثٌ مَن لم تكن فيه لم يَقمْ له عَمَل: وَرَعٌ يَحجزه عن معاصي الله عَزَّوَجَلَّ، وعلمٌ يَردُّ به جهل السفيه، وعقلٌ يُداري به الناس.

يا علي، ثلاثٌ من أبواب البِرّ: سَخاءُ النَفس، وطيبُ الكلام، والصبرُ على الأذى.

يا علي، ثلاثٌ مُوبقاتٌ وثلاثٌ مُنجيات. فأما الموبقات فهوًى مُتَّبع، وشُحٌّ مُطاعٌ، وإعجابُ المرءِ بنفسه. وأما المنجياتُ، فالعدلُ في الرضا والغَضَب، والقَصدُ في الغنى والفقر، وخوفُ الله في السرّ والعلانية كأنك تَراه، فان لم تكن تَراه فانه يَراك.

يا علي، إن للمؤمن ثلاثَ علاماتٍ: الصيامُ والصلاةُ والزكاةُ وانّ للمتكلف من الرجال ثلاثَ علاماتٍ: يُتَملّق إذا شَهِدَ، ويُغتابُ إذا غاب، ويَشمُتُ بالمصيبة، وللظالم ثلاثَ علاماتٍ: يَقهر مَن دُونَه بالغَلَبة، ومَن فوقَه بالمعصية، ويُظاهر الظَلَمة. وللمرائي ثلاثُ علاماتٍ: يَنشطُ إذا كان عند الناس، ويكسل إذا كان وحدَه ويُحبّ أن يُحمدَ في جميع الأمور. وللمنافق ثلاثُ علاماتٍ: إن حَدّث كَذِب، وإن ائتُمِن خان، وإن وَعَدَ أَخلف. وللكسلان ثلاثُ علاماتٍ: يتَوانى حتى يُفرِّط، ويُفرِّط حتى يُضيِّع، ويُضيِّع حتى يَأثَم.

يا علي، ثلاثٌ مِن حقائق الإيمان: الإِنفاقُ من الإقتار، وإنصافُك الناسَ من نفسك، وبَذلُ العلم للمتعلم.

يا علي، ثلاثٌ يُقسّينَ القلب: إستماعُ اللهو، وطلبُ الصيَد وإتيانُ باب السلطان.

يا علي، في التوراة: أربعٌ إلى جَنبهنّ أربعٌ: مَن أصبحَ على الدنيا حريصاً أصبَح وهو على الله ساخطُ، ومَن أصبَح يشكو مصيبةٌ نزَلتْ به فانما يَشكو ربَّه، ومَن أتى غنيّاً فتَضعْضعَ له ذهَب ثُلثا دينه، ومَن دَخل النار من هذه الأمة فهو مَن اتخذ آيات الله هزُواً ولَعِباً.

يا علي، أربعٌ أسرعُ شيء عقوبةً: رجلٌ أحسنتَ إليه فكافأك بالإحسان إساءةً، ورجلٌ لا تَبغي عليه وهو يَبغي عليك، ورجلٌ عاقدتَه على أمرٍ فمِن أمرك الوفاء، ومِن أمره الغدرُ بك، ورجلٌ تَصِلُ رحمَه فيَقطَعها.

يا علي، أربعٌ مَن كنّ فيه كملَ إسلامُه: الصدقُ والشكرُ والحياءُ وحسنُ الخُلق.

يا علي، أربعةٌ مِن قَواصم الظَهر: إمامٌ يَعصي الله ﷻ ويُطاع أمرُه، وزوجةٌ يحفظها زوجُها وهي تَخونُه، وفَقرٌ لا يجد صاحبُه مُداوياً، وجارُ سوءٍ في دار مَقام.

يا علي، أربعُ خِصال مِن الشّقاوة: جمودُ العَين، وقساوةُ القَلب، وبُعدُ الأَمل، وحُبُّ البَقاء.

يا علي، أربعٌ مَن كنّ فيه بنى الله تعالى له بيتاً في الجنّة: مَن آوى اليتيمَ، ورحمَ الضَعيفَ، وأشفَق على والديه، ورفَق بمملوكه.

يا علي، بادِرْ بأربعٍ قَبلَ أربع: شبابَك قبلَ هرمك، وصحتَك قبلَ سقمك، وغِناك قبلَ فقرك، وحياتَك قبلَ موتك.

يا علي، أربعةٌ لا تُردُّ لهم دَعوةٌ: إمامٌ عادل، ووالدٌ لولده، والرجلُ يدعو لأخيه بظَهر الغَيب، والمظلومُ، يقولُ الله ﷻ: وعِزّتي وجَلالي: لأنتصرنَّ لك ولو بَعدَ حِين.

يا علي، أَحسِنْ خُلقِك معَ أهلك وجيرانك ومَن تُعاشرُ وتُصاحبُ مِن الناس، تُكتبُ عندَ الله في الدَرَجات العُلى.

يا علي، قلة طلب الحوائج من الناس عزٌ وهو الغنى الحاضر، وكثرة الحوائج إلى الناس مذلّةٌ وهو الفقر الحاضر.

يا علي، ما كرهتَه لنفسك فاكرههُ لغيرك، وما أَحببتَه لنفسك فأحببْه لأخيك، تكنْ عادلاً في حُكمك، مُقسطاً في عَدلك، محبّباً في أهل السماء، مَودوداً في صدُور أهل الأرض.

يا علي، شرُّ الناس مَن أكرمه الناسُ إتقاءَ شرّه.

يا علي، شرُّ الناس مَن باع آخرتَه بدنياه، وشرٌّ من ذلك: مَن باع آخرتَه بدنيا غيره.

يا علي، يَنبغي أن تكونَ في المؤمن ثمانُ خِصال: وقارٌ عند الهَزاهز، وصبرٌ عند البلاء، وشكرٌ عند الرخاء، وقُنوعٌ بما رزقه الله عزّ وجلّ، لا يَظلم الأعداءَ، ولا يتَحامل على الأصدقاء، بدنَهُ منه في تَعَب، والناسُ منه في راحة.

يا علي، ثمانيةٌ إن أهينوا فلا يَلوموا الا أنفسَهم: الذاهبُ إلى مائدةٍ لم يُدعَ إليها، والمتآمرُ على رَبّ البَيت، وطالبُ الخيرَ من أعدائه، وطالبُ الفضل من اللئام، والداخلُ بين اثنين في سِرٍّ لم يُدخلاه فيه، والمستَخفّ بالسلطان، والجالسُ في مَجلسٍ ليس له بأهل، والمُقبلُ بالحديث على مَن لا يَسمع منه.

يا علي، لا تَمزحْ فيذهبَ بهاؤك، ولا تكذبْ فيذهبَ نورُك، وإياكَ وخِصلتين: الضجر، والكسَل، فإنك إن ضجَرتَ لم تَصبرْ على حَق، وإن كسَلت لم تُؤدّ حقاً.

يا علي، مَن خاف الله عزّ وجلّ خافَ منه كلُ شيء، ومَن لم يخفِ الله أخافه اللهُ من كل شيء.

يا علي، أوثقُ عُرى الإيمان: الحبُ في الله، والبغضَ في الله.

يا علي، مَن تَعلّم علماً ليُماري به السفهاء أو يجادل به العلماء، أو ليدعوَ الناسَ إلى نفسه، فهو مِن أهل النار.

يا علي، إذا مات العبدُ قال الناسُ ما خَلّف، وقالت الملائكةُ ما قَدّم.

يا علي، الاسلامُ عريانٌ، فلباسُه الحياء، وزينتُه الوفاء، ومروّتُه العملُ الصالح، وعِمادُه الورَع، ولكل شيءٍ أساسٌ، وأساسُ الإسلام حبّنا أهلَ البيت.

يا علي، في الزنا ستُ خِصال: ثلاثٌ منها في الدنيا، وثلاثٌ منها في الآخرة. فأما التي في الدنيا، فيَذهبَ بالبهاء ويُعجّل الفناء، ويَقطع الرزقَ. وأما التي في الآخرة، فسوءُ الحساب، وسخطُ الرحمان، وخلودٌ في النار.

يا علي، لا خيرَ في قولٍ إلا معَ الفعل، ولا في المنظَر إلا مع المخبَر، ولا في المال إلا معَ الجُود، ولا في الصِدق إلا معَ الوفاء، ولا في الفِقه إلا معَ الوَرَع، ولا في الصَدَقة إلا معَ النية، ولا في الحياة إلا معَ الصحة، ولا في الوطن إلا مع الأمن والسُرور.

يا علي، مَن اغتيبَ عنده أخوه المسلم فاستطاع نصرَه فلم يَنصرهُ، خَذَله الله في الدنيا والآخرة.

يا علي، مَن مسَح يدَه على رأس يتيمٍ ترحّماً له أعطاه الله عز وجل بكل شَعرةٍ نوراً يومَ القيامة.

يا علي، لأن أدخلَ يَدي في فَمِ (التنّين) إلى المرفق أحبّ إليّ من أن أسأل مَن لم يكن ثم كان.

تَبرّم شيعة العراق من معاوية

قال أربابُ السِيَر والتاريخ: لما تَنازل الحسنُ بنُ علي عليه السلام إلى معاويةَ بالخلافة في النصف من جمادى الأولى سنة ٤١ للهجرة، وتمّ الصلح بينهما على شروطٍ كثيرة، كان من بينها العملُ بكتاب الله وسُنة نبيه وإرجاعُ الخلافة إلى الحسن عليه السلام - من بعده - وان حدَث به حدثٌ فإلى أخيه الحسين عليه السلام وتركُ سبّ علي عليه السلام وإعطاءُ الأمان العام لشيعة علي عليه السلام في جَميع الأصقاع، وإيصالُ كل حق إلى صاحبه[1].

ولكنّ معاويةَ لم يَلتزم بكل شرطٍ من تلكم الشروط التي أعطاها إلى الحسن عليه السلام وأشهدَ عليها مَن حضر مجلسَ الصُلح من وجوه الصحابة والتابعين، فقد خَطَب وأشهدَ عليها مَن حضر مجلسَ الصُلح من وجوه الصحابة والتابعين، فقد خَطَب الناسَ بعد ذلك في (النُخَيلة)[2] أو في جامع الكوفة فكان مما قال:

---

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ص١٤٥، وذخائر العقبى: ص١٣٩، وعمدة الطالب: ص٥٢ والإرشاد للمفيد: باب ذكر الإمام الحسن بن علي عليه السلام.

(٢) ابن أبي الحديد في شرح النهج: ج٤ ص١٦. والنخيلة: موضع قريب من الكوفة.

«ألا وإن كلّ شرط شرطتُه للحسن بن علي فتحت قدميَّ هاتين ولا أفي له بشيءٍ منها»[١].

ثم أخذ معاويةُ - وهو على المنبر - يَنالُ من عليٍ والحسنِ عليه السلام غيرَ مستأثمٍ ولا مُتحرّج[٢].

وأخذ - بعد ذلك - في نَقض جميع الشروط، فغيَّر أحكامَ الله وعَبث بكتاب الله وسنة نبيه - حسب هواه - وطاردَ الشيعةَ في كل صُقعٍ وبلادٍ وأمرَ بهدم دُورِهم، وتسِيّب عوائلهم[٣]، وقتَلَ الوجهاء منهم وأهلَ الإيمان والصَلاح من الصحابة والتابعين أمثال رَشِيدِ الهجري[٤] وعَمرو بن الحَمِقِ الخُزاعي[٥] وجُوَيرةِ

(١) في كشف الغمة للاربلي: ج٢ ص١٦٨ طبع تبريز، وفي إرشاد المفيد - باب ذكر الإمام أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام هكذا:
«ألا واني كنت منيت الحسن أشياء، وأعطيته أشياء، وجميعها تحت قدمي لا أفي بشيء منها له».

(٢) قال المفيد في إرشاده - بنفس الباب الآنف الذكر: «ثم سار - أي معاوية - حتى دخل الكوفة فأقام بها أياماً فلما استتمت البيعة له من أهلها، صعد المنبر، فخطب الناس وذكر أمير المؤمنين عليه السلام ونال منه ونال من الحسن عليه السلام ما نال، وكان الحسن والحسين عليه السلام حاضرين، فقام الحسين عليه السلام ليردّ عليه، فأخذ بيده الحسن عليه السلام وأجلسه، ثم قام فقال: أيها الذاكر علياً، أنا الحسن وأبي علي، وأنت معاوية وأبوك صخر. وأمي فاطمة وأمك هند وجدي رسول الله وجدك حرب. وجدتي خديجة وجدتك فتيلة، فلعن الله أخملنا ذكراً وألأمنا حسباً وشرفا، وأقدمنا كفراً ونفاقا...»
ومثله في كشف الغمة: ج٢ ص١٦٩ طبع تبريز.

(٣) أعيان الشيعة للأمين: ج٤ ص. ٤٦٥

(٤) قتله زياد بأمر معاوية لتشيعه، فقطع لسانه وصلبه - كما قال الذهبي في (التذكرة) وغيره.

(٥) طعنه عبد الرحمان بن عبد الله الثقفي حاكم الموصل بأمر معاوية تسع طعنات فمات في الأولى أو الثانية ثم احتز رأسه وبعثه إلى معاوية، فأمر معاوية أن يطاف به في الشام وغيره، فكان أول رأس طيف به في الإسلام...»، كما قال ابن عبد البر في الاستيعاب: ج٢ ص. ٥١٧

ابن مُسهِر العبدي[١] وعبد الله بن يحيى الحضرَمي وأصحابه[٢] وحجر بن عدي الكندي وأصحابه [٣] واخوانهم من وجهاء الشيعة في العراق.

قالوا: لما كان ذلك كله من معاويةَ استشاطت نفوس الشيعة في كل مكان فأخذتْ تحاول الانتفاضةَ عليه من جديد، وتركزت موجةُ السُخط أكثرَ في غالبية أهل العراق، خصوصاً بعد مُلاحقة الكثير من زعمائهم من قِبَلِ السُلطة الأموية الغاشمة. فهناك عقد الشيعةُ أولَ اجتمعٍ خطيرٍ في الكوفة حَضره عامةُ الزعماء وأولي الرأي منهم، ونَظّموا مُذكرةً شفويّةً خطيرةً استعرضوا فيها الجرائمَ التي ارتكبها معاويةُ وعدم التزامه ببنود المصالحة بينه وبين الحسن بن علي عليه السلام. وبعَثوا بتلك المذكرة الشفوية على لسان وَفدٍ محترَم مؤلفٍ من عَليّةِ القَوم إلى المدينة، لمواجهة الإمام الحسَن أولاً - يطلبون منه الانتفاضةَ في وجه معاوية ومعاودة الكرة، ونقض البيعة لعدم وفائه بشروط التنازل. فان امتنع الحسنُ من قبول طلبهم، فيواجهون بذلك الإمامَ الحسين عليه السلام لعله يَستجيبُ هو الآخر لطلبهم لما تلمّسوه منه من شدةِ السُخط والغضَب على انحرافاتِ معاوية وتصرفاته المعادية:

وخرج الوفد من الكوفة يجدّ السيرَ حتى دخل المدينة، فتوجّهوا بالطلب إلى

---

(١) أمر معاوية فقُطعت يده ورجله وصُلب على جذع قصير - كما عن ابن أبي الحديد في شرح النهج -.

(٢) ذكر المجلسي في (بحاره: ج١٠ ص١٠٢) من الطبع الحجري: أنهم تركوا الكوفة بعد مقتل علي عليه السلام وبنوا لهم صومعة خارج الكوفة يتعبدون فيها، فلما علم معاوية بجزعهم وحزنهم على قتل علي عليه السلام أمر بإحضارهم عنده، فلما حضروا بين يديه، أمر بقتلهم جهراً...».

(٣) إنه الصحابي الشجاع ومن شيعة علي عليه السلام شهد معه وقعتي الجمل وصفين، وسكن الكوفة بعد ذلك إلى أن قدم زياد بن أبيه والياً عليها من قبل معاوية. فلم يعترف حجر وأصحابه بولاية زياد ولا بخلافة معاوية، فحذره زياد من الخروج على بني أمية، فلم يكترث بذلك وغبّروا في وجه السلطة الأموية، فكتب زياد إلى معاوية بذلك، فأمر معاوية أن يجلبوا إليه، فجيء بهم. فقتلهم صبراً في (مرج عذراء) من قرى دمشق، والقصة مفصلة في كتب التاريخ كتاريخ الطبري وابن الأثير وطبقات ابن سعد، وغيرها...

الإمام الحسن عليه السلام فلم يجدوا عنده جواباً شافياً لغليلهم فجاؤا - ثانياً - إلى الإمام الحسين عليه السلام يطلبون منه التوسّط إلى أخيه الحسن عليه السلام في معاودة الكرّة، أو أن يقوم هو نفسه بذلك الأمر.

فأجابهم الحسين عليه السلام بقوله: «قد كان صُلحٌ وكانتْ بيعةٌ كنتُ لها كارهاً، فانتظروا ما دام هذا الرجلُ (يعني معاوية) حياً، فان يهلك نظرنا ونظرتم» فانصرف الوفد راجعاً بهذا الجواب من الحسين عليه السلام إلى شيعة العراق.

قال البلاذري: فلم يكن شيء أحبّ إلى الشيعة من هلاك معاوية[١].

ولم تنقطع المواصلةُ والمكاتبةُ بين شيعة العراق وبين الإمام الحسين عليه السلام فيما يَخصّ الكرةَ إلى مناجزة معاوية، ولكنّهم ما كانوا يَتلقَّون منه - في خلال تلك المدة - إلا الأمرَ بالصبر والتريّث وانتظارَ الفَرَج.

تحرّك الشيعة بعد وفاة الحسن عليه السلام

فما إن تُوفي الحسنُ بنُ علي عليه السلام في اليوم السابع من شهر صفر سنة ٥٠[٢] من الهجرة على أثر السمّ الذي دسّه إليه معاويةُ على يد زوجته جُعَيدة بنتِ الأشعث.

إلاّ وتحَرّكت الشيعةُ في العراق من جديد، وعقدوا الاجتماعات المتواصلة في الكوفة، وكتبوا إلى الحسين عليه السلام كتاباً مزَجوا فيه التعزيةَ بوفاة أخيه الحسن عليه السلام والاستنهاضَ في خَلع معاوية ومناجزته، جاء فيه:

«أما بعد فقد بلغنا وفاةُ الحسن بن علي، فسلامٌ عليه يومَ وُلدَ ويوم يموت ويوم يُبعث حياً، غفرَ اللهُ ذنبَه، وتَقبّل حسناتِهِ وألحقه بنبيه محمد صلى الله عليه وآله، وضاعفَ لك

(١) راجع: أنساب الأشراف للبلاذري: ج٣ طبع بيروت.

(٢) وقال النويري في نهاية الارب: ج٢٠ وبعض المؤرخين: إن وفاته كانت في أخريات سنة (٤٩ للهجرة) ولعلّ الأول أشهر.

الأجر في المصاب به، وحبّر لك المصيبة من بعده، فعند الله تحتسبه، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ما أعظَمَ ما أصيبتْ به هذه الأمةُ عامةً، وأنت وهذه الشيعة خاصةً بهلاك ابنِ الوصي وابنِ بنتِ النبي، عَلَمِ الهدى، ونورِ البلاد المرجوّ لإقامة الدين، وإعادة سيرةِ الصالحين، فاصبرْ - رحمك الله - على ما أصابك، إنّ ذلك من عَزم الأمور، فانّ فيك خَلَفاً ممن كان قبلك، وإن الله يُؤتي رُشدَه مَن يهتدي بهَديك، ونحن شيعتُك، المصابةُ بمصيبتك، المحزونةُ بحزنك المسرورةُ بسرورك، السائرةُ بسيرتك، المنتظرةُ لأمرك، شرح الله صدرَك، ورفَع ذكرَك، وأعظمَ أجرَك، وغفَر ذنبَك، وردّ عليك حقَك والسلام»[١].

ولما قرأ الحُسين عليه السلام كتابَهم، كتب إليهم كتاباً جاء فيه:

«إني لأرجو أن يكون رأي أخي في الموادَعة ورأيي في جهاد الظَلَمة رُشداً وسَداداً، فالصقوا في الأرض واخفوا الشخصَ، والتمسوا الهدى - مادام ابنُ هندٍ حياً - فان يحدث به حدثٌ - وأنا حي - يأتكم رأيي إن شاء الله»[٢].

ولكن الشيعة في العراق - خصوصاً أهل الكوفة - لم يتَركوا المواصلةَ وإرسالَ الوفود والرسائل المتوالية إلى الحسين عليه السلام وهو يجيبهم بالصبر والتريّث وانتظار الفَرَج بموت معاوية.

فكان جوابه على آخر كتابٍ لهم سيّروه مع محمد بن بشر الهمداني وسفين بن ليل الهمداني - وهما على رأس وفدٍ كبير من أهل الكوفة، جاء فيه:

«ليكن كلّ امرئٍ منكم حِلساً من أحلاس بيته ما دام هذا الرجل (يعني معاوية)

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص. ٢٠٣ واكتفى البلاذري في أنساب الأشراف بذكر الفقرات الأخيرة من الكتاب.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري: ج٣ ص١٥٢ طبع بيروت. وتاريخ ابن عساكر: ج٧ مخطوط. وفي (مناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص٨٧) طبع قم: «روى انه لما مات الحسن بن علي استدعي الحسين في خلع معاوية، فقال: ان بيني وبين معاوية عهداً لا يجوز نقضه».

حياً، فان يهلك - وأنتم أحياء - رجَونا أن يخير الله لنا، ويؤتينا رشدَنا ولا يكلنا إلى أنفسنا، فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون»[١].

وبعد ذلك بقليل قدم عليه المسيّبُ نَجبَة على رأس وفدٍ من الكوفة، يطالبون بخلع بيعة معاوية، وقالوا - فيما قالوا له - متأثرين -:

«قد علمنا رأيَك ورأي أخيك من قبل» فأجابهم الحسين عليه السلام:

«اني لأرجوا أن يعطي الله أخي على نيّته، وأن يعطيني على نيتي في حبي جهادَ الظالمين»[٢].

وكانت هذه الوفود والرسائل بين الحسين عليه السلام وشيعته في العراق مكشوفةً أمام أعوان السلطة الأموية، فرفعوا الأمرَ إلى معاوية. وممن كتب إلى معاوية في ذلك مروانُ بنُ الحكم - عامله في المدينة - ومما جاء في كتابه:

«أما بعد فقد كثر اختلافُ الناس إلى حسين، والله إني لأرى لكم منه يوماً عصيباً»[٣].

فأجابه معاوية عن كتابيه بكتاب جاء فيه:

«أما بعدُ، فقد بلَغني كتابُك، وفهمتُ ما ذكرتَ فيه من أمر الحسين، فإيّاك أن تُعرّض للحسين في شيء، واترك حُسَيناً ما تركك، فإنّا لا نريد أن نُعرضَ له بشيء ما وفي بيعتنا ولم ينازعنا سلطانَنا، فاكمُن عليه ما لم يُبدِ لك صفحتَه والسلام»[٤].

---

(١) المصدران - الآنفان الذكر - من الأنساب وابن عساكر.
(٢) تاريخ الإسلام للذهبي: ج٢ ص. ٣٤٠
(٣) ابن قتيبة في (الامامة والسياسة: ج١) والبلاذري في (أنساب الأشراف: ج٣) والكشي في (رجاله: ص٤٨) طبع النجف.
(٤) في أنساب الأشراف للبلاذري: ج٣: آخر الكتاب هكذا «فاكمن له كمون الثرى ان شاء الله»، وفي (العقد الفريد للأندلسي: ج٢ ص١٦): «ان مروان اقترح على معاوية في كتابه - أبعاد الحسين عليه السلام عن المدينة وجلبه إلى الشام، فكتب إليه معاوية كتاباً جاء فيه: «... أردت والله أن تستريح منه وتبتليني به، فان صبرت عليه صبرتُ على ما أكره، وان أسأتُ إليه قطعتُ رحمه».

المراسلة الحادة بين معاوية والحسين

وكتبَ معاويةُ على أثر ذلك كتاباً إلى الحسين جاء فيه:

«أما بعد، فقد انتهتْ إليّ أمورٌ عنك إن كانت حقاً فاني أرغب بك عنها، وَلَعمرُ الله إنّ مَن أعطى اللهَ عهدَه وميثاقَه لجدير بالوفاء، وان أحقّ الناس بالوفاء من كان مثلك في خطرك وشرفك ومنزلتك التي أنزلك الله بها، ونفسَك فاذكر، وبعهد الله أوفِ، فإنك متى تُنكرْني أنكرْك، ومتى تُكدني أكدْك، فاتقِ شق عصا هذا الأمة وأن يَردهم الله على يديك في فتنة، فقد عرفتَ الناس وبلوتَهم، فانظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد ﷺ ولا يَستخفنّك الناسُ والذين لا يَعلمون»[١].

فلما وصل الكتابُ إلى الحسين عليه السلام كتب إلى معاوية كتاباً جاء فيه:

«... أما بعد، فقد بلغني كتابُك تذكر فيه: أنه قد انتهتْ إليك عني أمورٌ أنتَ لي عنها راغبٌ، وأنا بغيرها عندك جَديرٌ.

فان الحسناتِ لا يَهدي لها ولا يُسدّد إليها إلا الله تعالى، وأما ما ذكرتَ: أنه رُقي[٢] إليك عني، فانه إنما رقاه إليك الملاّقون المشاؤون بالنَّمائم[٣] المفرّقون بين الجمع، وكذبَ الساعون الواشون[٤] ما أريد لك حرباً، ولا عليك خلافاً، وأيمُ الله إني لأخاف الله - عزّ ذكرهُ - في تَركِ ذلك منك.

---

(١) ابن قتيبة في (الامامة والسياسة: ج١) و(أنساب الأشراف) للبلاذري: ج٣ وفي تاريخ ابن كثير: ج٨ ص١٦٨، ورجال الكشي: ص٤٩ قريب منه، وفي بحار المجلسي: ج٤٤ ص٢١٢ طبع طهران الجديد مثله.

(٢) رقي إليك: أي: رفع إليك.

(٣) الملاقون - بالتشديد - مبالغة من (مالق) اسم فاعل من (الملق) وهو التذلل والتخضع، والتبذل باللسان بما ليس في القلب.
والمشاؤون - مبالغة - من المشي: كناية عن النمام، وهو ناقل الكلام من قوم إلى قوم على وجه السعاية والافساد.

(٤) والساعون الواشون: كناية عن النمّامين الذين يسعون للتخريب بين الناس.

وما أظن اللهَ راضياً عني بتركه، ولا عاذري بدون الاعتذار إليه فيك وفي أوليائك القاسطين[1] الملحدين حزبِ الظَلَمة، وأولياء الشياطين.

ألستَ القاتلَ حِجرَ بنَ عُدي أخا كِندة[2] وأصحابَه المصلّين الصالحين

---

(١) وهم الجائرون الحائدون عن الحق، اشتقاق من القسط عن الشيء، أي الانحراف والعدول عنه.

(٢) حجر بن عدي بن جبلة الكندي من أعاظم الصحابة وأجلاء الشيعة في الكوفة، كان على جانب كبير من العبادة والطاعة والمعرفة والعلم بفقه القرآن، وكان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة، ولقد أثر عنه: أنه ما أحدث إلا توضأ، وما توضأ إلا صلى.

واجه السلطة الأموية أشد مواجهة، وعارض سياسة زياد بن أبيه المحرفة في الكوفة - وكان زياد يومئذ والياً عليها من قبل معاوية - فأرسل زياد إليه وإلى أصحابه المعارضين جيشاً بقيادة محمد بن الأشعث الكندي، فألقى القبض عليهم وزجوا في السجن وكانوا (١٤ شخصاً) وهم: حجر بن عدي الكندي والأرقم بن عبد الله الكندي، وشريك بن شدّاد الحضرمي، وصيفي بن فسيل الشيباني، وقبيصة بن ضيعة العبسي، وكريم بن عفيف الخثعمي، وعاصم بن عوف البجلي، وورقاء بن سُمي البجلي، وكدام بن حيان العنزي، وعبد الرحمان بن حسان العنزي، ومحرز بن شهاب التميمي، وعبد الله بن حوية السعدي، وعتبة بن الأخنس من بني سعد وسعيد بن نمران الهمداني.

وكتب زياد - في أمرهم - إلى معاوية بأنهم شيعة علي عليه السلام في الكوفة، ويتبرؤن من أعدائه. فكتب معاوية إلى زياد: أن شدّهم بالحديد واحملهم إلينا، ففعل زياد وحملهم إلى جهة دمشق ليلاً ومع وائل بن حجر الحضرمي وكثير بن شهاب الحارثي. ولما بلغوا إلى (مرج عذراء) قريب من الشام، باثني عشر ميلاً أخبر معاوية بمقدمهم، فأرسل إليهم من يعرض عليهم البراءة من علي أو اختيار القتل، فرجع نصف من أصحاب حجر فنجوا، وبقي الآخرون على صلابتهم فقتلوا هناك، ولا تزال قبورهم مزاراً معروفاً ومشهداً مشيداً، وسيبقى ذكرهم خالداً خلودَ الحق في التاريخ.

والذين استشهدوا من أصحاب حجر معه هم: عبد الرحمان بن حسان وصيفي بن فسيل، وقبيصة بين ضبيعة العبسي، وشريك بن شداد الحضرمي وكدام بن حيان العنزي، ومحرز بن شهاب التميمي. وكان تاريخ استشهادهم في سنة ٥١ هجرية - عن تاريخ الطبري: ج٥ حوادث سنة ٥١ هجرية، والكامل لابن الأثير: ج٣ حوادث سنة ٥١، وتاريخ ابن كثير: ج٨ ص٤٩ وتاريخ ابن عساكر: ج٢ ص٣٨١، ونهاية الإرب للنويري جزء ٢٠ ص٣٣٨ ط القاهرة.

العابدين، الذين كانوا يُنكرون الظُلمَ، ويستعظمون البَدَع، ويأمرون بالمعروف، وينهَون عن المنكر، ويؤثرون حكمَ الكتاب، ولا يخافون في الله لومةَ لائم، فقتلتَهم ظُلماً وعدواناً من بعد ما كنتَ أعطيتَهم الأيمانَ المغلّظة والمواثيقَ المؤكدة: لا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم، ولا بإحنة تجدها في نفسك[١].

أوَلستَ قاتلَ عَمرو بن الحَمِق[٢] صاحبَ رسول الله ﷺ العبدِ الصالح،

---

(١) أحن - بالفتح فالكسر - عليه: حقد عليه وأضمر العداوة له، والاسم منه (احنة) بالكسر، جمعه (أحن) ولعله يشير عليه السلام إلى العهود والمواثيق التي أعطاها معاوية للحسن بن علي عليه السلام حين (المصالحة) بينهما على أن لا يتعرض لشيعة علي بأي سوء. فنكث العهود بعد ذلك ولم يلتزم بأي ذمة منها.

(٢) عمرو بن الحمق الخزاعي من أعاظم الصحابة ومن صفوة شيعة أمير المؤمنين عليه السلام ومن طلائع الذين عرفهم التاريخ بالإيمان الصلب والولاء الصريح لأهل البيت عليهم السلام ومن ذوي المعرفة والعبادة والزهادة.
وكان من أمره: ان زياد بن أبيه - والي الكوفة من قبل معاوية - أخذ بعد قتل حجر بن عدي الكندي يتتبع أصحابه من الشيعة والموالين لأهل البيت عليهم السلام فهرب عمرو ومعه رفاعة بن شداد إلى المدائن، للتخلص من ابن زياد، فمكثا هناك، حتى أتيا قريباً من الموصل، فاختفيا في كنف جبل هناك ليستجمّا تحته. فبلغ عامل معاوية - هناك - بلتعة ابن أبي عبد الله أو عبد الله بن أبي بلتعة - أمرهما، فسار أليهما مع بعض شرطته، فأما رفاعة فاعتلى ظهر فرسه - وكان شاباً قوياً - والتفت إلى عمرو قائلاً: «اقاتل معك» فأجابه عمرو: وما ينفعني أن تقاتل انج بنفسك ان استطعت، فنجا بنفسه.
وأما عمرو - وكان شيخاً مريضاً - فوقف في مكانه حتى قبض عليه وأرسل مخفوراً إلى عبد الرحمان بن عبد الله الثقفي - والي الموصل من قبل معاوية - فرفع الوالي أمره إلى معاوية، فورد عليه كتاب معاوية يأمره بأن يطعنه تسع طعنات كما فعل هو بعثمان كذلك، ففعل به الوالي ما أمر، فمات رحمه الله في الطعنة الأولى أو الثانية، واحتز رأسه وبعثه إلى معاوية، فأمر به معاوية أن يطاف به في الشام، فكان أول رأس حمل وطيف به في الإسلام. ثم أمر أن يرسل الرأس إلى زوجته آمنة بنت الشريد - وكانت في سجن الشام - فجيء بالرأس فوضعوه بين يديها، فولولت وصاحت: «واحزناه لصغره في دار هون... نفيتموه عني طويلاً، وأهديتموه إليّ قتيلاً، فأهلاً وسهلاً بمن كنت له غير قالية وأنا له اليوم غير ناسية» ثم التفتت إلى الرسول، وقالت: ارجع به أيها الرسول إلى معاوية فقل له ولا تطوه دونه: أيتم الله ولدك، وأوحش منك أهلك ولا غفر لك =

الذي أبلتْه العبادة، فنَحل جسمُه، واصفرّ لونُه، فقتلتَه بعد ما أمِنتَه، وأعطيتَه من عهود الله ومواثيقه ما لو أعطيتَه طائراً لنزل إليك من رأس الجبل، ثم قتلتَه جُرأةً على ربّك، واستخفافاً بذلك العهد.

أولستَ المدعي (زيادَ بنَ سُميّة) المولودَ على فراش عُبَيدِ بنِ ثقيف، فزعمتَ أنه ابنُ أبيك[١] وقد قال رسول الله ﷺ: «الولدُ للفراش وللعاهر الحَجر»[٢]

= ذنبك». فأرسل خلفها معاوية، ومثلت أمامه برباطة جأش وإيمان صلب، فكان بينها وبينه كلام ومشادة، مما أدى - أخيراً - إلى إطلاق سراحها من السجن.

- باقتضاب عن تاريخ الطبري - وابن الأثير، ونهاية الارب للنويري - بحوادث سنة (٥١هـ) وأعلام النساء، واستيعاب ابن عبد البر، وغيرها -.

(١) في العقد الفريد للأندلسي: ج٣ ص٣، وتاريخ ابن عساكر: ج٥ ص٤٠٩، وكامل ابن الأثير: ج٣ ص١٩١ وغيرها من كتب التاريخ: «أن أبا سفيان خرج يوماً إلى الطائف فنزل على خمّار يقال له: أبو مريم السلولي، فقال أبو سفيان لأبي مريم - بعد أن شرب عنده -: قد اشتدت بي العزوبة، فالتمس لي بغياً؟ فقال له: هل لك في جارية الحارث بن كلدة (سمية امرأة عبيد)؟ فقال: هاتها، على طول ثدييها وريخ إبطها، فجاء بها إليه، فوقع بها، فولدت زياداً، فادّعاه معاوية».

وكان قبل ذلك يُدعى: زياد بن عبيد او ابن سمية أو ابن أبيه، وأخيراً حضر زياد بين يدي معاوية في الشام - بعد أن كان متمرداً عليه في فارس - فرحّب به معاوية، وأمر أخته جويرة بنت أبي سفيان أن تستدعيه فلما حضر عندها كشفت عن شعرها بين يديه، وقال له: أنت أخي أخبرني بذلك أبو مريم.

ثم أخرجه معاوية إلى المسجد وجمع الناس، وأعلن استلحاق زياد به وأنه أخوه - برغم الآناف، ومعارضة الأعراف، ومخالفة السنة والكتاب.

وأخرج الطبري في تاريخه: ج٥ ص١٢٣- باسناده عن ابي اسحاق - أنّ زياداً لما قدم الكوفة قال: قد جئتكم في أمر ما طلبته إلاّ لكم، قالوا: أدعنا إلى ما شئت؟ قال: قال: تلحقون نسبي بمعاوية، قالوا: اما بشهادة الزور فلا،

فأتى البصرة فشهد له رجل...».

(٢) بهذا النص ورد ذكر الحديث النبوي المشهور في عامة كتب الحديث والصحاح بين الفريقين. ولقد جاء ذكره من طريق أبي هريرة في الصحاح الستة: في صحيح البخاري: ج٢ ص١٩٩ في الفرائض، وفي صحيح مسلم: ج١ ص٤٧١ في الرضاع، وفي =

فتركتَ سُنة رسول الله ﷺ تعمداً، واتّبعتَ هواك بغير هدىً من الله، ثم سلّطته على أهل العراق، يقتل المسلمين ويقطع أيديَهم وأرجلَهم، ويسمَلُ أعينَهم[1] ويُصلّبهم على جذوع النخل، كأنك لستَ من هذه الأمة، وليسوا منك.

أوَلستَ صاحبَ (الحضرمَيين)[2] الذين كتب إليك فيهمَ (ابنُ سُمية): أنهم على دين علي ورأيه، فكتبتَ إليه: أن أقتل كل مَن كان على دين علي ورأيه.

فقَتلهم ومثّل بهم بأمرك، ودينُ علي هو دينُ ابنِ عمّه محمد ﷺ، وهو الذي كان يضرب عليه أباك ويضربُك، وبه جلستَ مجلسَك الذي أنتَ فيه، ولولا ذلك لكان أفضلَ شرفك وشرفِ أبيك تجَشّمُ الرحلتين: رحلةِ الشتاء والصيف اللتين بنا منّ الله عليكم فوضعها عنكم.

= صحيح الترمذي: ج١ ص١٥٠، وفي سنن النسائي: ج٢ ص١١٠، وفي سنن أبي داود: ج١ ص٣١٠، وفي سنن البيهقي: ج٧ ص.٤٠٢

كما جاء ذكره من طريق عائشة في الكتب المذكورة باستثناء الترمذي.

وأورده البيهقي - من طريق عمر وعثمان -: ج٧ ص.٤١٢ وأورده أبو داود - في اللعان: ج١ ص٣١٠- من طريق عبد الله بن عمر - كما أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده: ج١ ص١٠٤، وج٢ ص٤٠٩، إلى غير هؤلاء ممن استعرضوا الحديث من طرقه المعتبرة عندهم.

وجاء في تاريخ الطبري: ج٥ ضمن حوادث سنة ٥١هـ - عن الحسن البصري قال: «أربع خصال كنّ في معاوية لو لم يكن فيه منهم إلاّ واحدة لكانت موبقة: انتزاؤه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزّها أمرها بغير مشورة منهم، وفيهم بقايا الصحابة وذو الفضيلة. واستخلافه ابنه بعده سِكيراً خِمّيراً، يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادعاؤه زياداً - وقد قال رسول الله ﷺ: الولد للفراش وللعاهر الحجر، وقتله حجراً...» ومثله في (نهاية الارب للنويري ج٢٠ ص٣٤٠ ط القاهرة، إلا أن فيه كلمة (بالسيف) بدل كلمة (بالسفهاء).

(١) سمل عينيه سملاً: فقأها بحديدة محماة ثم قلعها.

(٢) لعله يقصد: شريك بن شداد الحضرمي وعبد الله بن يحيى الحضرمي وأصحابهما الذين قتلوا على الولاية لعلي عليه السلام والبرائة من أعدائه. كما هو معروف لدى عامة المؤرخين. وفي (الامامة والسياسة لابن قتيبة ج١ ص١٨١) الطبعة الثانية بمصر الجملة بنحو الأفراد هكذا» أولست قاتل الحضرمي الذي كتب إليك فيه زياد...».

وقلتَ - فيما قلتَ -: «أنظر لنفسك ولدينك ولأمة محمّد ﷺ واتّقِ شقَ عصا هذه الأمة وأن تَردهم إلى فتنة».

واني لا أعلم فتنةً أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها، ولا أعظمَ نظراً لنفسي ولديني ولأمة جدي محمد ﷺ أفضلَ من جهادك: فان فعلتُه فهو قربةٌ إلى الله ﷻ. وان تركتُه فأستغفرُ اللهَ لديني، وأسأله توفيقَه لإرشاد أمري».

وقلتَ - فيما قلتَ -: «إني ان أنكرتك تنكرني، وان أكدك تكدني».

وهل رأيُك إلا كيدُ الصالحين منذ خُلقتَ - فكدني - يا معاوية ما بدا لك - إن شئت، فإني أرجو أن لا يَضرّني كيدُك فيّ، وأن لا يكون على أحد أضرَّ منه على نفسك عليّ، لأنك قد ركبتَ جهلك، وتَحرّصت على نقض عهدك، ولَعَمري ما وفيتَ بشرط[1] على أنك تكيد فتوقظُ عدوَّك وتُوبقُ نفسَك. ولقد نقضتَ عهدَك بقتلك هؤلاء النَفَر الذين قتلتَهم، ومثّلتَ بهم بعد الصُلح والأيمان والعهود والمواثيق[1] فقَتلتَهم من غير أن يكونوا قاتلوا أو قَتلوا، ولم تَفعل ذلك بهم إلا لذكرهم فضلَنا، وتعظيمهم حقّنا، ما به شَرُفتَ وعُرفتَ، فقتلتَهم مخافةَ أمرٍ لعلّك لو لم تقتلهمْ مُتّ قبل أن يَفعلوا، أو ماتوا قبل أن يُدرِكوا.

فابشرْ - يا معاوية - بالقصاص، واستَعدَّ للحساب، واعلمْ أنّ لله تعالى كتاباً لا يُغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها.

وليس الله - تبارك وتعالى - بناسٍ أخذَك بالظِنّة، وقتلَك أولياءَه بالتُهمة، ونفيَك إيّاهم من دار الهجرة إلى دار الغُربة والوَحشة.

وأخذُك الناسَ ببيعة ابنِك: الغلامِ الحَدِث، يَشرب الشرَاب، ويلعبُ بالكلاب، لا أعلمُك إلا وقد خسَرتَ نفسَك، وتَبّرت[2] دينك، وغشَشْتَ رعيتَك، وأخونتَ أمانتَك، وسمعتَ مقالةَ السفيه الجاهل، وأخفتَ التقيّ الورعَ الحليمَ والسلَام».

---

(١) يشير في الموردين إلى العهود التي أعطاها معاوية للحسن بن علي عليه السلام في المصالحة وكان من أهمها: عدم التعرض والوقيعة بشيعة علي عليه السلام في كل مكان: ولكنه لم يلتزم بجميع بنود المصالحة والمعاهدة.

(٢) تبره تتبيراً - بتشديد الباء -: أهلكه ودمره، والمعنى أهلكت دينك.

فلمّا قرأ معاويةُ الكتابَ قال: «لقد كان في نفسه ضَبّ ما كنتُ أشعرُ به»[١].

فقال له ابنُه يزيد وعبد الله بن عَمر بن العاص: يا أميرَ المؤمنين أجبْه جواباً شديداً تُصغّر إليه نفسَه، وتَذكر أباه بأسوأ فعله وآثاره.

فقال معاوية: «أخطأتما، أرأيتما لو أني أردت أن أعيب علياً محقاً ما عسيت أن أقول فيه، ومثلي لا يحسن به أن يعيب بالباطل، وما لا يُعرف، ومتى عبت رجلاً بما لا يَعرف الناس لم يُحفل به، ولم يره الناس شيئاً، وكذّبوه. وما عسيتُ أن أعيب حسيناً، وما أرى للعيب فيه موضعاً. إلا أني قد أردتُ أن أكتب إليه، وأتوعّده وأتهدّده، ثم رأيت أن لا أفعل». فلم يكتب معاوية شيئاً[٢].

معاوية يبايع لولده يزيد

قال ابن قتيبة[٣]: ثم لم يلبث معاويةُ بعد وفاة الحسن عليه السلام إلا يسيراً حتى

---

(١) الضب - بالفتح -: الورم في الصدر والحقد الدفين، يقال في المثل: في قلبه ضبّ، أي غل داخل كالضب الممعن في جحره، والضبّ: هو الحيوان البري الكامن في جحره ولا يهتدي إذا خرج. وفي كتاب (سير أعلام النبلاء: ج٣ ص١٩٨): «قال معاوية بعد أن وصله الكتاب» «ان أثرنا بأبي عبد الله إلا أسداً».

(٢) راجع هذه القصة في (الامامة والسياسة لابن قتيبة: ج١ ص١٨١-١٨٢) الطبعة الثانية بمصر، و(سير أعلام النبلاء للذهبي: ج٣ ص١٩٨) و(رجال الكشي: ص٥) طبع النجف، و(معادن الحكمة في مكاتيب الأئمة للكاشاني: ج١ ص٣٤) طبع إيران، و(بحار المجلسي: ج٤٤ ص٢١٢) طبع طهران الجديد، و(أعيان الشيعة للأمين: ج٤ ص١١٩) طبع دمشق و(الدرجات الرفيعة للسيد عليخان: ص٣٣٨) وغيرها كثير من مصادر الفريقين - باختلاف بسيط بينها في بعض الجمل والكلمات. . . .

(٣) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة بن مسلم بن عمرو الباهلي الدينوري - بكسر الدال وفتحها - بلد قريب من همدان. كان من الأئمة في الفقه والتأريخ والحديث واللغة والأدب، له تصانيف كثيرة وآثار وفيرة، كالمعارف، وأدب الكاتب، وعيون الأخبار، وغريب القرآن، والامامة والسياسة، وهو ذلك الكتاب المشار إليه. ولد سنة ٢١٣، وتوفي سنة ٢٧٦هـ - كما عن الخطيب البغدادي وغيره من أرباب المعاجم والتأريخ -.

بايع ليزيد بالشام[1]، وكتب ببيعه إلى الآفاق، وكان عامله على المدينة - يومئذٍ -

(١) وذلك في أوائل سنة (٥٦هـ). ومجمل القصة ومنطلقها كما عن كتب التأريخ -: أن معاوية لما أراد أن يعزل المغيرة بن شعبة عن الكوفة ويستعمل سعيد بن العاص عليها، شخص المغيرة إلى معاوية، فدخل على يزيد - أولاً - وقال له: «قد ذهب أعيان أصحاب النبي، وكبراء قريش، وإنما بقي أبناؤهم، وأنت من أفضلهم وأحسنهم رأياً وأعلمهم بالسياسة، وإني لا أدري ما يمنع أمير المؤمنين أن يعقد لك البيعة».

قال يزيد: أو ترى ذلك يتم؟ قال: نعم. فدخل يزيد على أبيه، فأخبره بما قاله المغيرة. فأحضر معاوية المغيرة، واستدرجه في الرأي.

فقال المغيرة: «يا أمير المؤمنين، قد رأيت ما كان من سفك الدماء والاختلاف بعد عثمان، وفي يزيد منك خلف، فاعقد له البيعة، فإن حدث بك حدث كان كهفاً للناس، ولا تُسفك الدماء، ولا تكون فتنة».

قال معاوية: «ومن لي بهذا»؟.

قال المغيرة: «أنا أكفيك أهل الكوفة، ويكفيك زيادُ أهل البصرة، وليس بعد هذين المصرين من يخالفك».

قال معاوية: «فارجع إلى عملك، وتحدّث مع من تثق إليه في ذلك، وترى ونرى».

فرجع المغيرة إلى الكوفة وذاكر مع من يثق إليه من شيعة معاوية في أمر يزيد، فأجاب الكثير منهم إلى ذلك. فأوفد جماعةً منهم - مع ابنه موسى - أو عروة - إلى معاوية، وأعطاهم ثلاثين ألف درهم، فقدموا على معاوية، وزينوا له بيعة يزيد، ودعوه إلى عقدها.

فقال لهم معاوية: «لا تعجلوا بإظهار هذا، وكونوا على رأيكم». ثم التفت إلى ابن المغيرة وقال: «بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم»؟ قال: بثلاثين ألفاً. فقال معاوية: لقد هان عليهم دينهم.

فرجع الوفد، وقوي عزم معاوية على أخذ البيعة ليزيد.

قال المؤرخون: وكتب معاوية - بعد ذلك - إلى زياد بن أبيه - وهو يومئذ على البصرة - يستشيره. فلما ورد كتاب معاوية إلى زياد أحضر عبيد بن كعب النميري، وأخبره بما كتب إليه معاوية في أمر البيعة ليزيد، وقال له فيما قال: «إن أمير المؤمنين كتب إلي يستشيرني في كذا وكذا وإنه يتخوف نفرة الناس ويرجو طاعتهم، وعلاقة أمر الإسلام، وضمانه عظيم. ويزيد صاحب رسلةٍ وتهاون، مع ما قد أولع به من حبّ الصيد. فألقَ=

مروان بن الحكم[١].

فكتب إليه معاويةُ يذكر الذي قضى الله به على لسانه من بيعة يزيد، ويأمره أن يجمع من قِبله من قريش وغيرهم من أهل المدينة، ثم يبايعوا ليزيد[٢].

فلما قرأ مروانُ كتابَ معاوية قام وجمَع الناسَ عنده، ودعاهم إلى بيعة يزيد كما أمره معاويةُ. فأنكر عليه عامةُ الحاضرين. وكان في طليعة المعارضين: الحسينُ بنُ علي عليه السلام وعبدُ الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير.

وكتب مروان إلى معاوية كتاباً أخبره فيه بامتناع الجماعة من قبول البيعة. وكان فيما كتب إليه: «إن قومك قد أبوا إجابتك إلى بيعتك ابنك، فارأ رأيك».

= أمير المؤمنين وأدّ إليه عني فعلات يزيد، وقل له: رويدك بالأمر وأحرى أن يتم لك ولا تعجل، فان دركا في تأخير خير من فوت في عجلة».

فقال له عبيد: أفلا غير هذا قال: وما هو؟ قال: «لا تفسد على معاوية رأيه، ولا تبغض إليه ابنه، وألقى أنا يزيد وأخبره أن أمير المؤمنين كتب إليك يستشيرك في البيعة له، وأنك تتخوف خلاف الناس عليه لهنات ينقمونها عليه، وإنك ترى له ترك ما ينقم عليه لتستحكم له الحجة على الناس ويتم ما يريد، فتكون قد نصحتَ أمير المؤمنين وسلمت مما يخلف من أمر الناس».

فقال زياد: «لقد رميت الأمر بحجره، إشخص على بركة الله، فان أصبت فما لا ينكر، وإن يكن خطأ فغير مستغش، ونقول ما نرى، ويقضي الله بغيب ما يعلم».

فقدم عبيد على يزيد، فذكر له ذلك، فكفّ عن كثير مما كان يصنع.

وكتب زياد إلى معاوية يشير إليه بالتؤدة وألاّ يعجل، فقبل معاوية، وتأخر الأمر إلى أن مات زياد...

(١) فقد نصبه معاوية في سنة (٥٤ هـ) بديلاً عن سعيد بن العاص الذي كان عامله على المدينة إلى حين ذلك التاريخ - على أثر قصة مفصّلة تذكرها كتب التأريخ والسيرة.

(٢) ويذكر النويري في (نهاية الارب ج٢٠ ص٣٥١) ط القاهرة سنة ١٣٩٥هـ نص الكتاب هكذا: «اني قد كبرت سني ورق عظمي، وخشيت الاختلاف على الأمة بعدي، وقد رأيت أن أتخير لهم من يقوم بعدي، وكرهت أن أقطع أمراً دون مشورة من عندك، فأعرض ذلك عليهم، وأعلمني بالذي يردون عليك». ويذكر النويري - في نفس المصدر - أن ذلك الأمر كان في سنة ٥٦ هجرية.

فلما بلغ معاويةَ كتابُ مروان عرَف أن ذلك من قِبَله، فكتب إليه يأمره باعتزال عَمله، وأنه قد ولّى بدَله سعيدَ بنَ العاص...

ثم كتب معاويةُ إلى سعيد بن العاص يدعوه إلى أخذ البيعة من أهل المدينة، ويكتب له بجليّة الأمر.

فلما أتى سعيدَ بنَ العاص كتابُ معاوية قام بدوره بدعوة الناس إلى أخذ البيعة ليزيد، وأظهر الشدةَ والغِلظَةَ، وسطا بكل من أبطأ عن ذلك.

فتباطأ الناس إلا اليسر منهم عن الإجابة، وكان بنو هاشم عامةً وخصوصاً ابنَ الزبير من أشدّ الناس إنكاراً لذلك ورداً له.

فكتب سعيدُ بنُ العاص إلى معاوية كتاباً جاء فيه:

«أما بعد، فإنك أمرتني أن أدعوَ الناس لبيعة يزيد بن أمير المؤمنين، وأن أكتب إليك بمن سارع ممن أبطأ، وإني أخبرك: إن الناس عن ذلك بِطاء، لا سيما أهل البيت من بني هاشم، فإنه لم يجبني منهم أحد وبلغني عنهم ما أكره. وأما الذي جاهر بعداوته وإبائه لهذا الأمر فعبد الله بن الزبير، ولست أقوى عليهم إلّا بالخيل والرجال، أو تقدم بنفسك، فترى رأيك في ذلك والسلام».

قال ابن قُتَيْبة: فكتب معاوية إلى عبد الله بن العبّاس، وإلى عبد الله بن الزبير، وإلى عبد الله بن جعفر، وإلى الحسين بن علي - رضي الله عنهم - كتباً، وأمر سعيد ابن العاص أن يوصلها إليهم، ويبعث بجواباتها[١]. ثم كتب إلى سعيد بن العاص كتاباً جاء فيه:

«أما بعد، فقد أتاني كتابُك، وفهَمتُ ما ذكرتَ فيه من إبطاء الناس عن البيعة، ولا سيّما بني هاشم، وما ذكر ابنُ الزبير، وقد كتبتُ إلى رؤسائهم كتُباً فسلّمها إليهم، وتَنجّز جواباتها، وابعث بها إليّ حتى أرى في ذلك رأيي، ولتشدّ عزيمتَك، ولتُصلّب شكيمتَك وتُحسن نيتَك، وعليك بالرفق، وإياك والخُرق، فان الرفق رُشدٌ، والخُرق نَكَد.

(١) ذكر ابن قتيبة في (الامامة والسياسة: ج١ ص١٧٨) نص كتب معاوية إلى هؤلاء النفر، ونص جواباتهم له، لا حاجة إلى الإطالة بذكرها هنا.

وانظر حسيناً خاصةً، فلا يناله منك مكروه، فان له قرابةً وحقاً عظيماً، لا يُنكره مسلمٌ ولا مسلمةٌ، وهو ليث عرين، ولستُ آمنك، إن شاورتَه أن لا تقوى عليه.

فأما مَن يَردُ مع السِباعِ إذا ورَدتْ، ويكنسُ إذا كنَستْ، فذلك عبدُ الله بنُ الزبير، فاحذره أشدّ الحذَر، ولا قوةَ إلا بالله، وأنا قادم عليك إن شاء الله والسلام»[١].

رحلة معاوية الأولى إلى المدينة لأخذ البيعة

قال ابن قتيبة: ان معاوية قدم المدينةَ حاجاً[٢]. فخرج إليه الناس يتلقونه ما بين راكب وماش، وخرج النساءُ والصبيانُ، فلقيه الناس على حال طاقتهم... وفاوض العامةَ بمحادثته، وتألّفهم جُهدَه مقاربةً ومصانعةً ليستميلَهم إلى ما دخل فيه الناس، حتى قال في بعض ما يجتَلبهم به: «أهلَ المدينة، ما زلت أطوي الحَزَن من وعثاء السفر بالحبّ لمطالعتكم، حتى انطوى البعيدُ ولان الخَشِن، وحقَ لجار رسول الله ﷺ أن يُتاقَ إليه».

فردّ عليه القوم: «بنفسك ودارك ومُهاجرك، أما إنّ لك منهم كاشفاق الحميم البرّ والحفيّ المتعاهد».

حتى إذا كان بالجُرف[٣] لقيه الحسينُ بنُ علي وعبدُ الله بنُ العباس. فقال معاوية: مرحباً بابن بنت رسول الله وابنِ صنو أخيه.

ثم انحرف إلى الناس فقال:

هذان شيخا بني عبد مناف. وأقبل عليهما بوجهه وحديثه فرحّب وقرّب، وجعل

---

(١) الامامة والسياسة: ج١ ص١٤٤-١٤٦.

(٢) وذلك بعد وفاة الإمام الحسن بن علي عليه السلام بسنة - تقريباً - وهذه هي رحلته الأولى، في أخذ البيعة أهل المدينة، وله رحلة ثانية بعدها شدّد فيها الخناق على أهل الحجاز والعراق بأخذ البيعة ليزيد - كما ستعرف -.

(٣) الجرف - بالضم -: موضع خارج المدينة قريب من حدودها.

يواجه هذه - مرةً - ويضاحك هذا - أخرى - حتى ورد المدينة، فلما خالطها لقيته المشاةُ والنساءُ والصبيانُ يسلّمون عليه، ويسايرونه إلى أن نزل. فانصرفا عنه فمال الحسين إلى منزله، ومضى عبد الله بن العباس إلى المسجد، فدخله. . .

معاوية يجتمع بالمعارضين للبيعة

قال ابن قتيبة: ثم مضى معاوية حتى أتى منزله فأرسل إلى الحسين بن علي، فخلا به، فقال له:

«يا ابن أخي قد استوثق الناس لهذا الأمر غيرُ خمسة نفر من قريش أنت تقودهم، يا ابن أخي، فما إربك إلى الخلاف».

قال الحسين: «أرسل إليهم، فان بايعوك كنتُ رجلاً منهم، وإلاّ لم تكن عجّلتَ عليّ بأمر». قال: وتفعل؟.

قال: نعم، فأخذ عليه أن لا يخبر بحديثهما أحداً. . .

ثم أرسل معاوية بعده إلى ابن الزبير، فخلا به، فقال له:

«قد استوثق الناس لهذا الأمر غيرُ خمسة من نفر من قريش أنت تقودهم يا ابن أخي فما إربك إلى الخلاف».

قال: فأرسل إليهم، فان بايعوك كنتُ رجلاً منهم، وإلاّ لم تكن عجلت عليّ بأمر».

قال: وتفعل؟ قال: نعم، فأخذ عليه أن لا يخبر بحديثهما أحداً.

وأرسل بعده إلى ابن عمر، فأتاه وخلا به، فكلّمه بكلام هو ألين من كلام صاحبيه، وقال: اني كرهت أن أدع أمةَ محمّد بعدي كالضان لا راعي لهم، وقد استوثق الناس لهذا الأمر غير خمسة نفر من قريش أنت تقودهم، فما إربك إلى الخلاف؟.

قال ابن عمر: هل لك في أمرٍ تحقن به الدماء، وتدرك به حاجتك؟.

فقال معاوية: وددتُ ذلك.

فقال ابن عمر: تُبرز سريرك، ثم أجيء فأبايعك على أني أدخل بعدك فيما اجتمعت عليه الأمة، فوالله لو أن الأمة اجتمعت بعدك على عبدٍ حبشي لدخلت فيما تدخل فيه الأمة.

قال: وتفعل؟ قال: نعم، ثم خرج ابن عمر وأتى منزلَه فأطبق بابَه.

وأرسل معاوية بعد ذلك إلى عبد الرحمان بن أبي بكر، فخلا به فقال له: «بأي يدٍ أو رجل تقدم على معصيتي؟».

فقال عبد الرحمان: أرجو أن يكون ذلك خيراً لي.

فقال معاوية: والله هممتُ أن أقتلك.

فقال عبد الرحمان: لو فعلتَ لأتبعك الله في الدنيا لعنةً، ولأدخلك في الآخرة النار. ثم خرج من عنده(١).

قال ابن قتيبة: وبقي معاوية يومَه ذلك يُعطي الخواص ويعصي مذمّة الناس.

معاوية يدعو الحسين وابن عباس للاجتماع

فلما كان صبيحة اليوم الثاني، أمر بفراش فوضع له وسُوّيتْ مقاعدُ الخاصة حولَه وتلقاءَه من أهله. ثم خرج وعليه حلةً يمانية وعمامةً دكناء، وقد أسبل طرفيها بين كتفيه، وقد تغلّى وتعطّر(٢) فقعد على سريره، وأجلس كتّابه منه بحيث يسمعون ما يأمر به، وأمر حاجبَه أن لا يأذن لأحد من الناس، وإن قرب.

ثم أرسل إلى الحسين بن علي، وعبد الله بن عباس، فسبق ابنُ عباسَ فلما دخل وسلّم أقعده في الفراش عن يساره، فحادثه - مليّاً - ثم قال:

---

(١) وذكر هذا العرض أيضاً: الطبري في تاريخه ج٥ ص٣٠٤ طبع دار المعارف بمصر بحوادث سنة ٥٦هـ. وبناءً على أن القصة وقعت بهذا التأريخ فلا يتم لعبد الرحمان بن أبي بكر ذكر فيها بناء على الأشهر من أن وفاته كانت قبل ذلك التأريخ يتم ذلك - على ما ذكرناه آنفاً - من أن رحلة معاوية الأولى كانت بعد وفاة الحسن بن علي عليه السلام وفي نفس العام، فتأمل.

(٢) تغلى - بالتشديد -: تطيب بالغالية، وهي أخلاط من الطيب.

«يا ابن عباس، لقد وفّر الله حظَكم من مجاورة هذا القبر الشريف ودار الرسول».

فقال ابن عباس: «نعم أصلح الله أميرَ المؤمنين - وحظّنا من القناعة بالبعض، والتجافي عن الكل أوفر».

فجعل معاويةُ يحدّثه ويَحيد به عن طريق المجاوبة، ويعدل إلى ذكر الأعمار على اختلاف الغرائز والطبائع، حتى أقبل الحسينُ بن علي عليه السلام، فلما رآه معاوية جمع له وسادةً كانت عن يمينه.

فدخل الحسين وسلّم، فأشار إليه، فأجلسه عن يمينه مكانَ الوسادة.

فسأله معاوية عن حال بني أخيه الحسن، وأسنانهم، فأخبره وسكت. فابتدأ معاوية فقال:

«أما بعد، فالحمدُ لله وليّ النعم، ومُنزِل النقم، وأشهد أن لا إله إلا الله المتعالي عمّا يقول الملحدون علوّاً كبيرا، وأن محمداً عبدُه المختَص، المبعوث إلى الجنّ والأنس كافةً، ليُنذرَهم بقرآن لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا مِن خلفه، تنزيلٌ من حكيم حميد. فأدى عن الله، وصدَع بأمره وصبَر على الأذى في جنبه، حتى أوضح دينَ الله، وأعزّ أولياءَه، وقمعَ المشركين، وظهر أمرُ الله، وهم كارهون. فمضى - صلوات الله عليه - وقد ترك من الدنيا ما بُذل له، واختار منها الترك لما سُخّر له: زهادةً واختياراً لله وأنفَةً واقتداراً على الصبر، بَغياً لما يدوم ويَبقى ثم خَلَفه رجلان محفوظان وثالث مشكوك، وبين ذلك خوضٌ طُولَ ما عالجناه مشاهدةً ومكافحةً ومعاينةً وسماعاً، وما أعلم منه فوق ما تعلمان.

وقد كان من أمر (زيد) ما سُبقتم إليه وإلى تجويزه، وقد علم الله ما أحاول به في أمر الرعية: من سدّ الخَلل ولمّ الصدع بولاية يزيد، وفيكما فضلُ القرابة وحَظوةُ العلم، وكمالُ المروءَة، وقد أصبتُ من ذلك عند يزيد على المناظرة والمقابلة ما أعياني مثله عندكما وعند غيركما، مع علمه بالسنّة وقراءة القرآن والحلم الذي يرجح بالصمّ الصِلاب، وقد علمتُما أن الرسول المحفوظ بعصمة الرسالة قدّم على الصديق والفاروق ودونهما من أكابر الصحابة وأوائل

المهاجرين، يومَ غزوة السلاسل[١] - مَن لم يقارب القوم، ولم يعاندهم بمرتبةٍ في قرابةٍ موصولة ولا سُنّة مذكورة، فقادهم الرجلُ بأمرة، وجمَع بهم صلاتَهم، وحفظ عليهم فيأهم، وقال ولم يقل معه، وفي رسول الله أسوةٌ حسَنة.

فمهلاً - بني عبد المطلب - فأنا وأنتم شِعبا نفع وجَد، وما زلتُ أرجو الإنصافَ في اجتماعكما، فما يقول القائل إلا بفضل قولكما، فرُدّا على ذي رَحمٍ مستَعتِبٍ ما يَحمد به البصيرةَ في عتابكما، وأستغفر الله لي ولكما».

قال ابن قتيبة: فتيسر ابنُ عباس للكلام، ونصَب يدَه للمخاطبة، فأشار إليه الحسين، وقال: على رسلك، فأنا المراد، ونصيبي في التُهمة أوفر، فأمسك ابنُ عباس.

الحسين يجيب على كلام معاوية

فقام الحسين عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على الرسول صلى الله عليه وآله ثم قال:

«أما بعد يا معاوية، فلن يؤدي القائلُ - وان أطنب في صفة الرسول - من جميع جُزءً وقد فهمتُ ما لبَّستَ به الخَلَف بعد رسول الله من إيجاز الصفة، والتنكُب عن استبلاغ النعت.

وهيهاتَ هيهاتَ يا معاوية، فضحَ الصبحُ فحمةَ الدجى، وبهَرت الشمسُ أنوارَ السُرُج. ولقد فَضّلتَ حتى أفرطتَ، واستأثرتَ حتى أجحفت، ومنعتَ حتى

(١) أرسل النبي صلى الله عليه وآله عمرو بن العاص إلى أرض (بلى وعذرة) يدعوهم إلى الإسلام، فسار حتى إذا كان على ماء بأرض (جذام) يقال له (السلاسل) وبه سميت تلك الغزوة (ذات السلاسل) فلما كان به خاف، فبعث إلى النبي صلى الله عليه وآله يستمدّه، فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وآله أبا عبيدة بن الجراح في المهاجرين الأولين، فيهم أبو بكر وعمر...» - عن تاريخ ابن الأثير بإيجاز -.
ويقصد معاوية بقوله هذا: ابن العاص حيث قدّمه النبي وأمّره على الشيخين وأبي عبيدة، ونظرائهم -.

بَخِلتَ، وجُرتَ حتى جاوزتَ، ما بذلتَ لذي حقٍ مِن أتمّ حقه بنصيبٍ حتى أخذ الشيطانُ حظَه الأوفر. ونصيبَه الأكمل.

وفهمتُ ما ذكرتَه عن (يزيد) من اكتماله وسياسته لأمة محمد ﷺ تريد أن تُوهمَ الناسَ في يزيد، كأنك تصف محجوباً أو تنعت غائباً، أو تخبر عمّا كان مما احتويتَه بعلمٍ خاص. وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه. فخذ ليزيدَ فيما أخذ به: من استقرائه الكلابَ المهارشة عند التَهارُش، والحمَام السُبّق لأترابهن، والقَيناتِ ذواتِ المعازف[1] وضروب الملاهي، تجدْه باصِراً، ودعْ عنك ما تحاول، فما أغناكَ أن تلقى اللهَ من وزر هذا الخلق بأكثَر مما أنت لاقيه، فوالله ما برحتَ تقدح باطلاً في جَور وحنّقاً في ظُلم، حتى ملأتَ الأَسقية، وما بينَك وبين الموت الا غَمضة، فتقدمُ على عملٍ محفوظ في يومٍ مشهود: «ولاتَ حينَ مناص».

ورأيتُك عرَّضتَ بنا بعد هذا الأمر، ومنعتَنا عن آبائنا: تراثاً - لَعَمرُ الله - أورثَنا الرسول ﷺ ولادةً، وجئتَ لنا بها ما حججتُم به القائمَ عند موت الرسول، فأذعن للحجة بذلك، وردّه الايمانُ إلى النَصف، فركبتم الأعاليل وفعلتم الأفاعيل، وقلتم: (كان ويكون) حتى أتاك الأمر - يا معاوية - من طريق كان قصدها لغيرك، فهناك، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

وذكرتَ قيادةَ الرجلِ القومَ بعهد رسول الله ﷺ وتأميرَه له ولِعمرو بنِ العاص - يَومئذٍ - فضيلةٌ بصحبة الرسول وبيعته له، وما صار لِعمور - يومئذ - حتى أنف القوم إمرتَه، وكرهوا تقديمَه، وعَدّوا عليه أفعاله، فقال ﷺ: «لا جرمَ يا معشرَ المهاجرين لا يُعمل عليكم بعدَ اليوم غيري».

فكيف تحتج بالمنسوخ من فعل الرسول ﷺ في أوكد الأحوال وأولادها بالمجتمع عليه من الصواب؟ أم كيف صاحبتَ بصاحبٍ تابعاً، وحولَك مَن لا يُؤمن في صحبته، ولا يُعتمد في دينه وقرابته وتتخطاهم إلى مُسرفٍ مفتون، تريد

---

(١) القينات: جمع مؤنث سالم لقينة - بالفتح - وهي المرأة المغنية.

أن تلبس الناسَ شبهةً يسعد بها الباقي في دنياه، وتشقى بها في آخرتك، ان هذا لهو الخسران المبين وأستغفر الله لي ولكم».

قال ابن قتيبة: فنظر معاوية إلى ابن عباس فقال:

ما هذا يا ابن عباس؟ ولما عندك أدهى وأمر.

فقال ابن عباس: لَعَمرُ الله، إنها لذرية الرسول، وأحَدُ أصحاب الكساء، ومن البيت المطهر، فالْهُ عمّا تريد، فانّ لك في الناس مقَنعاً حتى يحكم الله بأمره، وهو خير الحاكمين.

فقال معاوية: عَودُ الحِلم التَحلّم، وخيرُه التَحلّم عن الأهل انصرفا في حفظ الله.

معاوية يرسل على الثلاثة الآخرين

ثم إن معاوية أرسل إلى عبد الرحمان بنِ أبي بكر، وإلى عبد الله بن عمر، وإلى عبد الله بن الزبير، فجلسوا عنده. فالتفت إلى عبد الله بن عمر، وقال: «يا عبد الله بنَ عمر، قد كنتَ تُحدثنا أنك لا تحب أن تبيت ليلةً ولي في عنقك بيعة جماعة وان لك الدنيا وما فيها. واني أحذّرك أن تشق عصا المسلمين وتسعى في تفريق ملأهم، وأن تسفك دماءَهم. وإن أمر (يزيد) قد كان قضاءً من القضاء، وليس للعباد خِيَرةٌ من أمرهم، وقد وكّد الناسُ بيعتَهم في أعناقهم، وأعطوا على ذلك عهودهم ومواثيقَهم» ثم سكت.

فتكلم عبدُ الله بن عمر، وقال: «أما بعد، يا معاوية، لقد كان قَبلك خلفاءُ، وكان لهم بنون، ليس ابنُك بخيرٍ من أبنائهم، فلم يَروا في أبنائهم ما رأيتَ في ابنك، فلم يُحابُوا في هذا الأمر أَحداً، ولكن اختاروا لهذه الأمة حيث علموهم. وان تُحذّرني أن أشق عصا المسلمين، وأفرق ملأهم وأسفك دماءَهم، ولم أكن لأفعل ذلك ان شاء الله. ولكن ان استقام الناس فسأدخل في صالح ما تدخل فيه أمة محمد ﷺ».

فقال معاوية: يرحمك الله، ليس عندك خلاف.

ثم تكلّم معاوية مع عبد الرحمان بن أبي بكر بمثل ما تكلّم مع ابن عمر. فقال له عبد الرحمان: إنّك - والله - لودَدنا أن نكلك إلى الله فيما جسرتَ عليه من أمر يزيد. والذي نفسي بيده، لتجعَلنّها شورى أو لأعيدها جَذَعة[1]. ثم قام ليخرج، فتعلّق معاوية بطرف ردائه، وقال:

«على رَسلك، اللهم اكفنيه بما شئتَ، لا تَظهرنَّ لأهل الشام، فاني أخشى عليك منهم».

ثم تكلم معاوية مع ابن الزبير بمثل ما تكلم مع صاحبيه، ثم قال له:

«أنت ثعلب رَوّاغ، كلما خرجتَ من جُحرٍ انجحرتَ في آخر، أنت ألّبت هذين الرجلين، وأخرجتهما إلى ما خرجا إليه».

فقال ابن الزبير: أتريد أن نبايع ليزيد؟ أرأيتَ: إن بايعناه أيكما نطيع؟ ان كنت مللَت الخلافة فاخرج منها وبايع ليزيد، فنحن نبايعه.

وكثر الكلام بينهما حتى قال له معاوية - في بعض كلامه -: «والله ما أراك إلا قاتلاً نفسَك ولكأني بك قد تَخبّطت في الحُبالة».

معاوية يبايع ليزيد قهراً

ثم أمرهم بالانصراف، واحتجب عن الناس ثلاثة أيام لا يخرج ثم خرج في اليوم الرابع، وأمر المنادي أن ينادي في الناس (أن يجتمعوا لأمر جامع) فاجتمع الناس في المسجد، وقعد هؤلاء حول المنبر.

فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر فضلَ يزيد وقراءتَه للقرآن، ثم قال:

«يا أهل المدينة، لقد هممتُ ببيعة يزيد، وما تركتُ قريةً ولا مَدَرةً إلا بعثتُ إليها بيعتَه، فبايع الناس جميعاً وسلّموا، وأخّرت المدينة بيعتَه، وقلت بيضتَه

(١) الجذعة - بالتحريك -: أنثى جذع - بفتحتين - وهي من البهائم ما قبل الثني. ويكني بقوله هذا إلى إعادة الأمر جديداً كما بدا من حيث الخلافة وأهليتها.

وأصلَه ومَن لا أخافهم عليه، وكان الذين أبوا البيعةَ منهم مَن كان أجدرَ أن يصله، والله لو علمتُ مكان أحدٍ هو خير للمسلمين من يزيد لبايعته له».

مشادة الحسين لمعاوية في البيعة

فقام الحسين عليه السلام وقال: «والله، لقد تركتَ مَن هو خيرٌ منه أباً وأماً ونفساً».

فقال معاوية: كأنك تُريد نفسَك؟

فقال الحسين: نعم أصلحك الله -.

فقال معاوية: إذاً أخبرك، أما قولك: خيرٌ منه أماً فلَعَمْري أمك خير من أمه، ولو لم يكن إلا أنها امرأة من قريش لكان لنساء قريش أفضلهن، فكيف، وهي ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ ثم فاطمة في دينها وسابقتها، فأمُك - لَعَمرُ الله - خيرٌ من أمه. وأما أبوك فقد حاكم أباه إلى الله، فقُضي لأبيه على أبيك.

فقال الحسين: حسبُك جهلُك، آثرتَ العاجلَ على الآجل.

فقال معاوية: وأما ما ذكرت من أنك خيرٌ من يزيد نفساً، فيزيدُ - والله - خيرٌ لأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم منك.

فقال الحسين: «هذا هو الإِفك والزّور، فإنك لو ذُكرت عنده بسوء لم يَشتمك. ثم التفت معاوية إلى الناس، وقال:

«أيها الناس، قد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبضَ ولم يستخلف أحداً، فرأى المسلمون أن يستخلفوا أبا بكر، وكانت بيعتُه بيعةَ هدى، فعمل بكتاب الله، وسنة نبيه. فلما حضرته الوفاة رأى أن يستخلف عمر، فعمل عمر بكتاب الله وسنة نبيه. فلما حضرته الوفاة رأى أن يجعلها شورى بين ستة نفر، اختارهم من المسلمين فصنع أبو بكر ما لم يصنعه رسول الله، وصنع عمر ما لم يصنعه أبو بكر، كل ذلك يصنعونه نظراً للمسلمين، فلذلك رأيت أن أبايع ليزيد لما وقع الناس فيه من الاختلاف ونظراً لهم بعين الانصاف»[1].

---

(١) الامامة والسياسة لابن قتيبة: ج١ ص١٨٢-١٩٩ الطبعة الثانية بمصر.

قال المؤرخون: وكان معاوية قد كتب إلى عماله بتقريظ يزيد ووصفه وطلب منهم إيفاد الوفود. فكان فيمن أتاه من المدينة محمد بن عمرو بن حزم على رأس وفدٍ وممن أتاه من البصرة الأحنفُ بن قيس على رأس وفدٍ. فكان مما قاله محمد بن عمرو لمعاوية: إن كل راعٍ مسؤول عن رعيته فانظر من تولّي أمر أمة محمد ﷺ وأمر معاوية الأحنفَ بن قيس أن يدخل على يزيد، فدخل عليه فلما خرج من عنده، قال له معاوية كيف رأيت ابن أخيك، قال: رأيت شباباً ونشاطاً وجلداً ومزاحاً.

ثم إن معاوية قال للضحّاك بن قيس الفهري لما اجتمع الوفود عنده إني متكلم فإذا سكت فكن أنت الذي تدعو إلى بيعة يزيد وتحثني عليها. فلما جلس معاوية للناس تكلم، فعظم أمر الإسلام وحرمة الخلافة وحقها، وما أمر الله تعالى به من طاعة ولاة الأمر ثم ذكر يزيد وفضله وعلمه بالسياسة وعرض بيعته.

فعارضه الضحاك - فحمد الله وأثنى عليه - ثم قال: «يا أمير المؤمنين، إنه لا بد للناس من والٍ بعدك، وقد بلونا الجماعة والإلفة فوجدناهما أحقن للدماء، وأصلح للدهماء وآمن للسبيل، وخيراً في العافية، والأيام عوج رواجع، والله كل يوم في شأن. ويزيد ابن أمير المؤمنين في حسن هديه وقصد سيرته على ما علمت، وهو من أفضلنا علماً وحلماً وأبعدنا رأياً، فولّه عهدك، واجعله لنا علماً بعدك، ومفزعاً نلجأ إليه، ونسكن إلى ظله». وتكلم عمرو بن سعيد الأشدق بنحو من ذلك الكلام.

ثم قام يزيد بن المقنع العذري فقال: هذا أمير المؤمنين (وأشار إلى معاوية) فان هلك فهذا (وأشار إلى يزيد) ومن أبى فهذا (وأشار إلى سيفه) فقال معاوية: إجلس فأنت سيّد الخطباء.

وتكلم من حضر من الوفود. فقال معاوية للأحنف بن قيس: ما تقول، يا أبا بحر - فقال: «نخافكم إن صدقنا، ونخاف الله إن كذبنا وأنت يا أمير المؤمنين، أعلم بيزيد في ليله ونهاره وسرّه وعلانيته، ومدخله ومخرجه، فان كنت تعلمه لله تعالى ولهذه الأمة رضىً فلا تشاور فيه، وإن كنت تعلم منه غير ذلك فلا تزود: الدنيا وأنت صائر إلى الآخرة وإنما علينا أن نقول: سمعنا وأطعنا».

قالوا: وكان معاوية يعطي المقارب ويداري المباعد ويلطف به، حتى استوثق

به أكثر الناس وبايعوه. فلما بايعه أهل العراق والشام سار إلى الحجاز باقتضاب عن تاريخي الطبري وابن الأثير بحوادث سنة ٥٣هـ وعن نهاية الإرب للنويري، والعقد الفريد للأندلسي وغيرها من كتب التاريخ -.

الرحلة الثانية لمعاوية لأخذ البيعة من أهل المدينة

وقال ابن الأثير في الكامل[١] «. . . فلما بايعه أهل العراق والشام سار إلى الحجاز في ألف فارس. . . فلما دنا من المدينة لقيه الحسينُ بن علي أولَ الناس فلما نظر إليه قال: «لا مرحباً ولا أهلاً، بَدَنَةٌ يترقرق دمُها والله مُهريقُه».

قال الحسين: مَهلاً، فإني - والله - لستُ بأهلٍ لهذه المقَالة.

قال معاوية: بلى ولشرّ منها.

ثم لقيه ابنُ الزبير، فقال له: لا أهلاً ولا مرحباً (خبٌّ ضَبٌّ تَلَه)[٢] يُدخل رأسه ويضربُ بذنبه، ويُوشك - والله أن يؤخذ بذنبه ويدق ظهره، نحّياه عني. فضربَ وجهَ راحلته.

ثم لقيه عبدُ الرحمان بن أبي بكر[٣] فقال له معاوية: لا أهلاً ولا مرحباً، شيخٌ قد خرف وذهبَ عقله، ثم أمر فضربَ وجهَ راحلته.

---

(١) راجع ذلك منه: ج٣ ص٢٥١ ضمن حوادث سنة ٥٦هـ. والملاحظ أن هذه هي سفرته الثانية للحجاز - بعد سفرته الأولى التي كانت بعد وفاة الحسن بن علي عليه السلام سنة ٥١هـ. ولذلك نراه قد استشرت به الذاتية الأموية من حيث الشدة والغلظة. قال ابن كثير في (تاريخه: ج٨ ص١٧٩): «وفي سنة ست وخمسين دعا معاوية الناس إلى البيعة ليزيد ولده أن يكون ولي عهده من بعده». وذكر النويري في (نهاية الارب ج٢٠ ص٣٥٥) طبع القاهرة: ان معاوية اعتمر في هذه السنة في شهر رجب.

(٢) الخب - بالفتح التشديد - الخداع. والضب - بالفتح والتشديد -: حيوان بري أصغر من التمساح، ويشبهه بكثرة العقد في ذنبه، يضرب به المثل في الحيل والخداع فيقال أحيل - أو اخدع - من ضب. والتلعة - بفتحتين - كثير التلفت والدوران والزيغان.

(٣) في آخر ص ٢٥٢ من الكامل - المصدر الآنف -: «قلت ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر لا يستقيم على قول من يجعل وفاته سنة ٥٣ هـ وإنما يصح على قول من يجعلها بعد ذلك الوقت».

ثم فعل بابن عمر نحو ذلك. فاقبلوا معه لا يلتفت إليهم حتى دخل المدينة، فحضروا بابَه، فلم يؤذن لهم - على منازلتهم - ولم يروا منه ما يحبون، فخرجوا إلى مكة، فأقاموا بها.

وخطب معاوية بالمدينة، فذكر (يزيد) فمدحه وقال:

«مَن أحق منه بالخلافة في فضله وعقله وموضعه، وما أظن قوماً بمنتهين حتى تُصيبَهم بوائقٌ تجتثّ أصولَهم، وقد أنذرتُ ان أغنت النذر» ثم أنشد متمثلاً:

قد كنتُ حذرتُك آلَ المصطلق وقلت: يا عمَروا أطعني وانْطلِق
إنك ان كلفتَني ما لم أطِق ساءَك ما سرّك منيِ من خُلُق

قال ابنُ الأثير - بعدَ ذلك -: ومكث معاوية بالمدينة ما شاء الله، ثم خرج إلى مكة، فلقيه الناس، فقال أولئك النفر[1] نتلقاه، فلعله قد ندم على ما كان منه، فلقوه ببطن مر[2].

فكان أول مَن لقيه الحسينُ بن علي، فقال له معاوية: مرحباً وأهلاً - بابن رسول الله - وسيّد شباب المسلمين. فأمرَ له بدابةٍ فركب وسايره، ثم فعل مع الباقين مثلَ ذلك.

وأقبل يُسايرهم، لا يسير معه غيرهم حتى دخل مكة، فكانوا أولَ داخلٍ وآخر خارج، ولا يَمضي يومٌ إلا ولهم صِلةٌ، ولا يَذكر لهم شيئاً، حتى قضى نُسكه، وحَمل أثقاله وقرّب مسيرَه.

فقال بعض أولئك النفر لبعض: لا تخدعوا، فما صنع بكم هذا لحبكم، وما صنعه إلا لما يريد، فأعدّوا له جواباً.

فاتفقوا على أن يكون المخاطب له ابنُ الزبير

فأحضرهم معاوية، وقال: «قد علمتم سيرتي فيكم وصلتي لأرحامكم وحَملي ما كان منكم، ويزيد أخوكم وابن عمكم، وأردت أن تقدموه باسم

---

(١) أي الخمسة الذين عارضوا في بيعة يزيد، وفي طليعتهم الحسين بن علي عليه السلام.
(٢) - بفتح أوله - ويقال له (مر الظهران) موضع قريب من حدود مكة، على مرحلة منها.

الخلافة، وتكونوا أنتم تَعزلون وتُؤمرّون وتُجبُون المال وتُقسّمونه لا يُعارضكم في شيء من ذلك». فسكتوا، فقال: ألا تُجيبون؟ - مرتين -...

معاوية يهدد المعارضين

ثم قال معاوية - بعد كلام طويل دار بينه وبين ابن الزبير -: «إني قد أحببت أن أتقدم إليكم: أنه قد أعذر من أنذر، إني كنتُ أخطب فيكم، فيقوم إليّ القائم منكم فيكذّبني على رؤوس الناس، فأحمل ذلك وأصفح»(١).

وإني قائمٌ بمقالة، فأقسم بالله لئن ردّ عليّ أحدُكم في مقامي هذا، لا ترجع إليه كلمةٌ غيرها حتى يسبقها السيفُ إلى رأسه، فلا يُبقينّ رجل إلاّ على نفسه».

ثم دعا صاحبَ حرسه بحضرتهم، فقال: أقم على رأس كل رجل من هؤلاء رجلين ومع كل واحد سيف، فان ذهب رجلاً منهم يَرد عليّ كلمةً بتصديق أو تكذيب فليضرباه بسيفهما.

ثم خرج وخرجوا معه، حتى رقى المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إن هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم، لا يُبتز أمر دونهم، ولا يُقضى إلا عن مشورتهم، وإنهم قد رضوَا وبايعوا ليزيد، فبايعوا على اسم الله».

فبايع الناس، وكانوا يتَربّصون بيعةَ هؤلاء النفر.

ثم ركب معاوية رواحله، وانصرف إلى المدينة، فلقي الناسُ أولئك النفر، فقالوا لهم: زعمتم أنكم لا تبايعون، فلِمَ رضيتم وأعطيتُم وبايعتم؟ قالوا: واللهُ، ما فعلنا، فقالوا: ما منعكم أن تَردّوا على الرجل؟ قالوا: كادنا وخفنا القتل.

قال ابنُ الأثير: وبايعه أهلُ المدينة، ثم انصرف إلى الشام، وجفا بني هاشم.

فأتاه ابنُ عباس، فقال له: ما بالك جفوتَنا؟

قال: إن صاحبكم لم يُبايع ليزيد، فلمْ تنكروا ذلك عليه.

---

(١) لعله يشير إلى ما وقع له من هؤلاء النفر في سفرته الأولى - كما تقدم -.

فقال: يا معاوية، إني لخليق أن أنحاز إلى بعض السواحل فأقيمَ به، ثم أنطلق بما تعلم حتى أدع الناس كلهم خوارجَ عليك.

قال: يا أبا العباس، تُعطَون وتُرضَون وتُرادُون[١].

الحسين يعقد مؤتمر المعارضة

ولمّا رأى سيّدُ الشهداء الحسينُ بنُ علي عليه السلام تلك الإندفاعةَ المسعورةَ من معاوية في سبيل تدعيم البيعة لولده يزيد، خرج إلى مكة - قبل موت معاوية بسنتين - فعقد في بيت الله مؤتمراً حاشداً ممن شهد الموسم من وجوه المهاجرين والأنصار والتابعين وعامة المسلمين، واستعرض فيه جميعَ المِحَن والخطوب التي ألمّتْ بالإسلام من جرّاء التصرّفات المنحرفة والتعسّفات الغاشمة من معاوية وبطانته.

قال (سليمُ بنُ قيس الهلالي)[٢] في كتابه:

«لما كان قبلَ موت معاوية بسنتين، حجّ الحسينُ بنُ علي عليه السلام وابنُ عباس

---

(١) راده في الكلام: أي راجعه وفاوضه فيه. ولقد ذكر أيضاً هذه القصة - حرفياً - النويري في كتابه (نهاية الارب ج٢٠ ص٣٥٥-٣٥٩) طبعة القاهرة سنة ١٣٩٥هـ.

(٢) هو من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ومن أصحاب ولديه: الحسن والحسين وعلي بن الحسين عليهم السلام، ولعله أدرك زمان الإمام الباقر عليه السلام - فهو من أعلام القرن الأول الهجري ومن التابعين.

وكتابه - هذا - على ما ذكره النعماني وصاحب الوسائل في الخاتمة وغيرهما - من أكبر الأصول المعتبرة المعتمد عليها عند الامامية، ومن التي قامت القرائن القطعية على ثبوتها، وتواترت على مؤلفيها. وقد أطراه كما أطرى كتابه - عامةُ مشايخ الرواية والرجال، كالنجاشي في رجاله، والشيخ في تهذيبه ورجاله، والبرقي وابن داود في كتابيهما، والكشي في رجاله، وابن شهر اشوب في معالم العلماء، واعتمد على جميع ما ورد فيه الكليني والصدوق، وعلى كثير مما ورد فيه الشيخ المفيد في كتابه (تصحيح الاعتقاد) إلى غير أولئك من الذين ذكروه وذكروا كتابه بالمدح والثناء والتوثيق والإطراء، الأمر الذي تطمئن النفس أنه من أهم الكتب المعتبرة عند الإمامية.

وعبدُ الله بن جعفر، فجمَع الحسينُ عليه السلام بَني هاشم: رجالهم ونساءهم ومواليهم وشيعتهم من حج منهم ومن الأنصار ممن يعرفه الحسين عليه السلام وأهل بيته، ثم لم يترك أحداً حج ذلك العام من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ومن التابعين من الأنصار المعروفين بالصلاح والنسك إلا جمعهم، واجتمع عليه بـ(منى) أكثر من (سبعمائة رجل) وهو في (سرادقه) عامتهم من التابعين، ونحو من مائتي رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله.

فقام عليه السلام فيهم خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«أما بعد، فان هذا الطاغية - يعني معاوية - قد صنع بنا وبشيعتنا ما قد علمتم ورأيتم وشهدتم. واني أريد أن أسألكم عن شيء، فان صدقت فصدقوني، وان كذبت فكذبوني، اسمعوا مقالتي واكتبوا قولي، ثم ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم، فمن ائتمنتموه من الناس ووثقتم به فادعوه إلى ما تعلمون من حقنا، فاني أتخوف أن يُدرس هذا الحق ويغلب: ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [الصف: 8].

وما ترك شيئاً مما أنزل الله فيهم من القرآن إلا تلاه وفسّره، ولا شيئاً مما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله في أبيه وأخيه وأمه وفي نفسه وأهل بيته إلا رواه. وكلّ ذلك يقول الصحابة: «اللهم نعم قد سمعنا وشهدنا». ويقول التابعين: «اللهم نعم قد حدثنا من نصدقه ونأتمنه من الصحابة».

فقال: أنشدكم بالله إلا حدّثتم به من تثقون به وبدينه».

أهل الكوفة يكاتبون الحسين في حياة معاوية

قال أرباب التاريخ: ولما علم أهل الكوفة بموقف الحسين عليه السلام من امتناعه من البيعة ليزيد ومشادته لمعاوية في ذلك الأمر، عاودوا الكرّةَ وأخذوا يكاتبونه ويستنجدون به في خلع بيعة معاوية ومحاربته لانقاذ الأمة من ظلمه وطُغيانه.

وممن كتب إلى الحسين عليه السلام في ذلك: جَعدةُ بن هُبيَرة بن أبي وهب، وكان من أخلص الشيعة للحسين عليه السلام، ومما جاء في كتابه:

«أما بعد فانّ مِن قبلنا من شيعتك، متطلعة أنفسهم إليك، لا يعدلون بك أحداً، وقد كانوا عرفوا رأي الحسن أخيك في الحرب، وعرفوك باللين لأوليائك، والغلظة على أعدائك والشدّة في أمر الله، فان كنتَ تحبّ أن تطلب هذا الأمر فاقدم علينا، فقد وطّنا أنفسَنا على الموت معك والسلام».

فأجابه الحسين عليه السلام بكتاب عمّه إلى جميع أهل الكوفة، جاء فيه - بعد البسملة والثناء:

«أما أخي فاني أرجو أن يكون الله قد وفقه وسدّده، وأما أنا، فليس رأيي - اليوم - ذاك فالصقوا - رحمكم الله - بالأرض، واكمنوا في البيوت، واحترسوا من الظنة، ما دام معاوية حياً، فان يحدث الله به حدثاً - وأنا حي - كتبتُ إليكم برأيي والسلام»[1].

الخدري يواجه الحسين برأيه

قالوا: ولما علم أبو سعيد الخدري بمكاتبة أهل الكوفة إلى الحسين عليه السلام يستقدمونه إلى العراق، ويطلبون منه مناجزةَ معاوية وخلع بيعته، خفّ إليه لنصيحته، فكان مما قال له:

«يا أبا عبد الله، أنا لك ناصح، واني عليكم مشفق، وقد بلغني: إنه قد كاتبك قومٌ من شيعتكم بالكوفة يدعونكم إلى الخروج إليهم، فلا تخرج إليهم، فاني سَمعت أباك يقول بالكوفة: «والله لقد مللتُهم وأبغضتَهم وملّوني وأبغضوني، وما يكون منهم وفاءٌ قط ومن فاز بهم فاز بالسهم الأخيب، والله ما لهم ثباتٌ ولا عزمٌ على أمر، ولا صبرٌ على السيف»[2].

---

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ص٢٠٣، وأنساب الأشراف للبلاذري ج١ ق١.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير: ج٨ ص١٦١، وتاريخ ابن عساكر: ج١٣ ص٦٧ - مخطوط -.

وفاة معاوية ووصيته ليزيد

قالوا: ولما حضرت معاويةَ الوفاةُ - وذلك في شهر رجب سنة ستين من الهجرة - وكان يزيدُ خارجَ دمشق، دعا معاويةُ الضحّاك بن قيس الفهري - وكان صاحب شرطته - ومسلمَ بنَ عقَبَة المرّي، فقال: أبلغا يزيد عني وقولا له[١]:

«. . . أنظر أهلَ الحجاز، فانهم أصلُك وفرعُك، فأكرم مَن قدم عليك منهم، وتعاهَد مَن غاب، وانظر أهلَ العراق[٢] فان سألوك أن تَعزل عنهم كلّ يوم عاملاً

---

(١) والملاحظ: أن ابن الأثير في (الكامل ج٣ ص٢٥٩) طبع بيروت، والطبري - في احدى روايتيه - في (تاريخه: ج٥ ص٣٢٢) أول حوادث سنة ٦٠ هـ، وكذلك الخوارزمي في (مقتله: ج١ الفصل التاسع) وسبط ابن الجوزي في (تذكرة الخواص: ص٢٣٥) طبع النجف، والنويري في (نهاية الارب ج٢٠ ص٣٦٥ ط القاهرة سنة ١٣٩٥هـ). وبعض آخرون غير هؤلاء يرون أن الوصية كانت مشافهةً بحضور يزيد، وليست إبلاغاً له، وأن أول الوصية هكذا: «يا بني، اني كفيتك الشدّ والترحال، ووطأت لك الأمور، وذللتُ لك الأعداء، وأخضعت لك رقابَ العرب، وجمعتُ لك ما لم يجمعه أحد، فانظر أهل الحجاز. . .».

ولكن التحقيق - كما عليه رواية الطبري الأخرى ورواية ابن قتيبة في الامامة والسياسة: ج١ ص٢٠٣ الطبعة الثانية بمصر، فإنه قال في ذلك: «وكان يزيد غائباً واستخلف معاوية الضحاك بن قيس بعده حتى يقدم يزيد. . .». وبعض المؤرخين الاخر: ان هذه الوصية ليست بحضور يزيد. فانه كان حين موت أبيه في إحدى قرى دمشق، بدلالة شعره الذي سنذكره له في تأبين أبيه حينما جاءه البريد بموته.

ثم ان ابن الأثير نفسه - بعد ذكر هذه الوصية بحضور يزيد - يُعقب كلامه بقوله: «وقيل: ان يزيد كان غائباً في مرض أبيه وموته، وان معاوية أحضر الضحاك بن قيس، ومسلمَ بن عقبة المري، فأمرهما أن يؤديا عنه هذه الرسالة إلى يزيد ابنه، وهو الصحيح». وذكر مثل ذلك النويري في مصدر الآنف الذكر.

وأما أول الوصية، فلا مانع من أن تبدأ بقوله: «يا بني، اني كفيتك. . .».

(٢) ذكر الخوارزمي في (مقتله: ج١ الفصل التاسع) بعد هذه الجملة: هكذا: «فانهم لا يحبّونك أبداً ولا ينصحونك: ولكن دارهم ما أمكنك واستطعت».

فافعل، فان عزل عامل واحد أحبّ إليّ[1] من أن تُشهرَ عليك مئةُ ألفِ سيف، ولا تدري على مَن تكون الدائرة. وانظر أهلِ الشام، فليكونوا بطانتك وعيبتك، فاجعلهم الشعار دون الدِثار، فان نابك شيءٌ من عدوك فانتصر بهم، فإذا أصبتهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم، فانهم ان أقاموا بغير بلادهم تغيّرتْ أخلاقُهم[2].

واني لست أخاف عليك أن ينازعك هذا الأمر إلا ثلاثة نفر من قريش: الحسينُ بن علي وعبدُ الله بن عمر، وعبدُ الله بن الزبير[3].

فأما ابن عمر، فإنّه رجلٌ قد وقذته العبادة[4] فإذا لم يبق أحدٌ غيره بايعك.

وأما الحسينُ بنُ علي، فان أهل العراق لن يَدَعوه حتى يُخرجوه، فان خرج عليك فظفرت به، فاصفح عنه، فانّ له رَحِماً ماسّةً، وحقاً عظيماً، وقرابةً من محمّد ﷺ . . .

وأما الذي يَجْثُم لك جثوم الاسد ويراوغك مراوغة الثعلب فان أمكنته فِرصةٌ

---

(١) في (مقتل الخوارزمي) بدل كلمة (أحب): وهو أيسر عليك وأخف».

(٢) في (تاريخ الطبري) بدل ذلك: جملة «أخذوا بغير أخلاقهم».

(٣) يرى ابن الأثير في كامله، والطبري في احدى روايتيه من تاريخه بحوادث سنة ٦٠ هـ وكذلك ابن شهر اشوب في (مناقبه: ج٤ ص٨٧) طبع قم، والنويري في نهايته وبعض المؤرخين غير هؤلاء من الفريقين يرون اشتمال الوصية على ذكر أربعة نفر من قريش، بإضافة عبد الرحمان بن أبي بكر إلى هؤلاء النفر، وذكروا: ان معاوية عقّب على ذكره قوله فيه: «وأما ابن أبي بكر فان رأى أصحابه صنعوا شيئاً صنع مثلهم، ليس له همة إلا في النساء».

ولكن التحقيق: أن وفاة عبد الرحمان بن أبي بكر كانت سنة ٥٣ هـ - على الأصح - أو سنة ٥٨ كما قيل - فلا وجه لذكره في الوصية الصادرة سنة ٦٠ هجرية، فرواية الثلاثة هي الصحيحة - كما عليه الأندلسي في العقد الفريد. وغيره كابن جرير الطبري في روايته الأخرى.

(٤) أي: صرعته وأضعفته وسيطرت على سلوكه.

وثب، فذاك ابنُ الزبير، فان هو فعلها بك وظفرت به فقطّعه إرباً إرباً، واحقن دماء قومك ما استطعت»[(١)].

قال أرباب التاريخ: ولما مات معاوية، خرج الضحّاك بن قيس من عنده، وهو لا يكلّم أحداً، وأكفان معاوية على يده تلوح، وجاء حتى دخل المسجدَ الجامع، فاجتمع الناس حوله، فصعد المنبر، وحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«أيها الناس، إنَ معاويةَ بنَ أبي سفيان كان عَودَ العرب، وحدَّ العرب[(٢)]، قطَع الله ﷻ به الفتنة، وملّكه على العباد، وفتح به البلاد، ألا إنه قد ذاق الموت، وهذه أكفانُه، فنحن مُدرجوه فيها، ومُدخلوه قبَره، ومُخلّون بينه وبين عمله، ثم هو البرزخ إلى يوم القيامة، فمن كان منكم يُريد أن يشهده فليحضر عند الأولى» وصلّى عليه الضحاك لغيبة يزيد.

ثم بعث البريد إلى يزيد - وهو بحوارين - يخبره بوجع معاوية[(٣)].

---

(١) راجع هذه الوصية - باختلاف بسيط في بعض فقراتها - في (تاريخ الطبري: ج٥) طبع القاهرة، و(الكامل لابن الأثير: ج٣) طبع بيروت - في أول حوادث سنة ٦٠ هجرية - و(العقد الفريد للأندلسي: ج٤ ص٣٧٢) الطبعة الثانية في القاهرة، و(مناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص٨٨) طبع إيران. وكذلك ذكرها الصدوق في (المجالس: م٣) وغير هؤلاء من عامة المؤرخين من الفريقين. وفي كتاب (ريحانة الرسول المستل من تاريخ دمشق لابن عساكر: ص١٩٩) طبع بيروت هكذا: «قالوا: ولما حضر معاوية الهلاك دعا يزيد بن معاوية فأوصاه بما أوصاه به، وقال له: أنظر حسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله فانه أحب الناس إلى الناس، فصِلْ رحمه وأرفق به يصلح لك أمره، فان يك منه شيء فإني أرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه وخذل أخاه...».

ولهذه الوصية قسط كبير من الصحة التاريخية، فلا وجه لاستبعاد صدورها من معاوية لأسباب غير واردة، استعرضها بعضُ من كتب عن الحسين عليه السلام من كتّابنا المعاصرين.

(٢) العود - بالفتح فالسكون -: الفحل من الإبل والشاة، ويكنى به عن كبير القوم. والحد: الفاصل بين شيئين والبأس.

(٣) هكذا في عامة كتب التاريخ، ولكن في (مقتل الخوارزمي ج١ الفصل التاسع) يذكر: أنه كتب إلى يزيد كتاباً يخبره بموت معاوية، ونص الكتاب - كما ذكره - هكذا:

(الحمد لله الذي لبس رداء البقاء، وكتب على عباده الفناء، فقال - ﷻ - «كل من عليها فان، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام».

=

فقال يزيد في ذلك:

جاءَ البريدُ بقرطاسٍ يَخبّ به ... فأوجس القلبُ من قرطاسه فَزعا
قلنا لك الويل ماذا في كتابكُمُ ... قالوا الخليفة أمسى مثبتاً وَجِعاً
فمادت الأرض أو كادت تَميدُ بنا ... كأنّ أغبرَ من أركانها انقطعا
مَن لم تَزل نفسُه توفي على شَرفٍ ... توشك مقاليدُ تلك النفس أن تقَعا
لما انتهينا وبابُ الدار مَنصفقٌ ... وصوتُ (رملةَ) ريع القلب فانصدعا
ثم ارعوى القلب شيئاً بعد طَيرته ... والنفسُ تعلم أن قد أثبَتت جَزَعا
أودى ابنُ هندٍ وأودى المجدُ يتبعُه ... كانا جميعاً فماتا قاطنينَ معا(١)

يتولى يزيد الخلافة ويخطب في الناس

قالوا: ثم قدم يزيد من يومه ذلك، فوصل (دمشق) بعد دفن أبيه بثلاثة أيام. وخرج الضحّاك في جماعة لاستقباله وهم يبكون فلما وافاهم يزيد أخذ يبكي معهم، فجاءَ به الضحاك - أولاً - إلى قبر أبيه، فصلّى عند القبر، ثم دخل البلد، وقام خطيباً في الناس فقال:

= لعبد الله بن يزيد أمير المؤمنين، من الضحاك بن قيس. أما بعد، فكتابي إلى أمير المؤمنين كتاب تهنئة ومصيبة. فأما التهنئة فالخلافة التي جاءتك عفواً، وأما المصيبة فبموت أمير المؤمنين معاوية، فانّا لله وانا إليه راجعون، فإذا قرأت كتابي هذا فالعجل العجل لتأخذ الناس ببيعة أخرى مجددة».

ثم كتب بأسفل الكتاب هذين البيتين:

مضى ابن أبي سفيان فرداً لشأنه ... وخلفت فانظر بعده كيف تصنع
أقمنا على المنهاج واركب محجةً ... سداداً فأنت المرتجى حين نفزع

فلما ورد الكتاب على يزيد وقرأه، وثب باكياً، وأمر باسراج دوابه، وسار يريد دمشق، صار إليها بعد ثلاثة أيام من مدفن معاوية...».

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٣٢٨ حوادث سنة ٦٠هجرية، والكامل لابن الأثير ج٣ ص٢٦١ حوادث سنة ٦٠هـ. والعقد الفريد للأندلسي: ج٤ ص٣٧٣ الطبعة الثانية بمصر، ومقتل الخوارزمي: ج١ الفصل التاسع - باختلاف بسيط بينها -:

«أيها الناس كان معاوية عبداً من عباد الله، أنعم الله عليه، ثم قبضه إليه، وهو خير ممن كان بعده، ودون من كان قبله، ولا أزكّيه على الله عزّوجلّ، فانه أعلم به مني، إن عفا عنه فبرحمته، وان عاقبه فبذنبه. وقد وُلّيتُ هذا الأمر من بعده، ولستُ أقصر عن طلب حق، ولا أعتذر عن تفريط باطل، وإذا أراد الله شيئاً كان، ولقد كان معاوية يغزو بكم في البحر، وإني لستُ حاملاً أحداً من المسلمين في البحر، وكان يُشتيكم بأرض الروم، ولستُ مشتياً أحداً بأرض الروم، وكان يُخرج عطاءكم أثلاثاً وأنا أجمعه لكم كله»[1].

فلم يُقدم أحدٌ على تعزيته حتى دخل عليه عبدُ الله بنُ همّام السلولي، فقال:

إصبر يَزيدُ فقد فارقتَ ذامقةٍ   واذكر حَباءَ الذي بالملك حاباكا
لا رزء أعظمُ في الأقوام قد علموا   مما رُزِئتَ ولا عُقبى كعقباكا
أصبحتَ راعيَ أهل الأرض كلِهمُ   فأنتَ ترعاهمُ واللهُ يَرعاكا

فانفتح بذلك للخطباء، فقال له رجل من ثقيف: «السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمةُ الله وبركاته. إنك قد فُجعتَ بخير الآباء، وأعطيت جميع الأشياء، فاصبرْ على الرزية، واحمُدِ الله على حسن العطية، فلا أحد أعطي كما أعطيتَ ولا رُزئَ كما رُزِئتَ»[2].

يزيد يهدد أهل العراق بخطابه

ثم دَخل يزيد دارَه، ولم يَخرج إلى الناس ثلاثةَ أيام.

وخرَج بعدَ ذلك - وقد تعمّم بعمةٍ سوداء، وتقلّد بسيف، وخطب في أهل الشام خطاباً أعلن فيه سياسةَ حكمه، فقال:

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ج٨ ص١٤٣، ومقتل الخوارزمي: ج١ الفصل التاسع.
(٢) العقد الفريد للأندلسي: ج٤ ص٣٧٤ الطبعة الثانية بالقاهرة، والبيان والتبيين للجاحظ: ج٣ ص١٠٩، والكامل للمبرد: ج٣ ص٣٠٠، والعمدة لابن رشيق: ج٢ ص١٤٨، وعيون الأخبار للدينوري: ج٣ ص٢٢٩ طبع دار الكتب بالقاهرة.

«يا أهلَ الشام فانّ الخير لم يَزل فيكم، وستكون بيني وبين أهل العراق مَلحمةٌ وحربٌ شديدٌ، وقد رأيتُ في منامي كأنّ نهراً يجري بيني وبينهم دماً عبيطاً، وجعلتُ أجهد في منامي أن أجوز في ذلك النهر فلم أقدر على ذلك، حتى جاءني عبيدُ الله بن زياد، فجازه بين يدي وأنا أنظر إليه».

فقال له الحاضرون من أهل الشام: «يا أمير المؤمنين إمضِ بنا حيث شئتَ، وأقدم بنا على من أحببت، فنحن بين يديك، معك سيوفُنا التي عرَفها أهلُ العراق في صفين»، فجزّاهم يَزيداً خيراً، وفرَّق فيهم أموالاً كثيرة»[١].

لم أدرِ أينَ رجالُ المسلمينَ مضوا ... وكيف صار يَزيدٌ بينهم مَلِكا
وقد تحكّم بالإيمان طاغيةٌ ... يُمسي ويُصبح بالفحشاء منهمكا
هل كيف يَسلمُ من شركٍ ووالدُه ... ما نَزّهتْ حملَه هندٌ عن الشُركَا
لئن جَرتْ لفظةُ التوحيد في فمه ... فسيفُه بسوى التوحيد ما فتكا
قد أصبح الدينُ منه شاكياً سقَماً ... وما إلى أحدٍ غيرِ الحسين شكا
فما رأى السبطُ للدين الحنيف شِفاً ... إلا إذا دمُه في نَصرِه سُفِكا
وما سمعنا عليلاً لا علاجَ له ... إلا بنفس مُداويهِ إذا هَلكا
وصان سترَ الهدى عن كل خائنةٍ ... سترُ الفواطم يومَ الطف إذ هُتكا
بقتله فاح للإسلام طيبُ هدىً ... فكلّما ذكرتهُ المسلمونَ ذَكا
نفسي الفداءُ لفادٍ شرعَ والده ... بنفسه وبأهليه وما مَلكا
قد آثر الدينَ أن يُحمى فقَحّمها ... حيث استقام القنا الخطيُّ واشتَبكا
في فتيةٍ كصقور الجوّ تحملها ... أمثالُها تنقضُ الأشراكَ والشبَكا
الصائدون سِباعَ الصيد إن عَندَت ... وما سوى سُمرهمْ مَدوّا لها شَرَكا
ضاق الفضاءُ على حربٍ بحربهمُ ... حتى رأوا كلَ رحبٍ ضَيّقاً ضَنِكا
يا ويحَ دهرٍ جنى بالطف بينَ بني ... محمدٍ وبني سفيانَ معتَركا
حاشا بني أحمدٍ، ما القومُ كفؤهمُ ... شَجاعةً لا ولا جُوداً ولا نُسكا
شلّ الاله يَدي شمر غداةَ على ... صدر ابن فاطمةٍ بالسيف قد بَركا

---

(١) الفتوح لابن أعثم الكوفي: ج٥ ص٦، ومقتل الخوارزمي: ج١ ص١٧٩ طبع النجف.

فكان ما طبّق الأدوارَ قاطبةً ... مِن يومه للتلاقي مأتماً وبُكا
في كلّ عام لنا بالعشرِ واعيةً ... تُطبّق الدُورَ والأرجاءَ والسِككا
وكلُ مسلمةٍ تَرمي بزينتها ... حتى السماء رمتْ عن وجهها الحُسكا[1]
فان تجد ضاحكاً منّا فلا عجبٌ ... فرُبّما بَسُمَ المغبونُ أو ضَحِكا

يا ميتاً ترك الألبابَ حائرةً ... وبالعراء ثلاثاً جسمُه تُركا
تأتي الوحوشُ له ليلاً مُسلمةً ... والقومُ تُجري نهاراً فوقَه الرَمكا[2]
لم ينقطع - قطُّ - من إرسال حكمته ... حتى بها رأسهُ فوقَ السِنان حكى
وآلهفتاه لزين العابدين لقىً ... من طول علته والسقم قد نُهكا
كانتْ عيادتُه منهم سياطَهُم ... وفي كعوب القنا قالوا البقاءُ لكا
جرّوه فانتهبوا النطعَ المعدَّ لهُ ... وأوطؤوا جسمَه السعدانَ والحسكا[3]

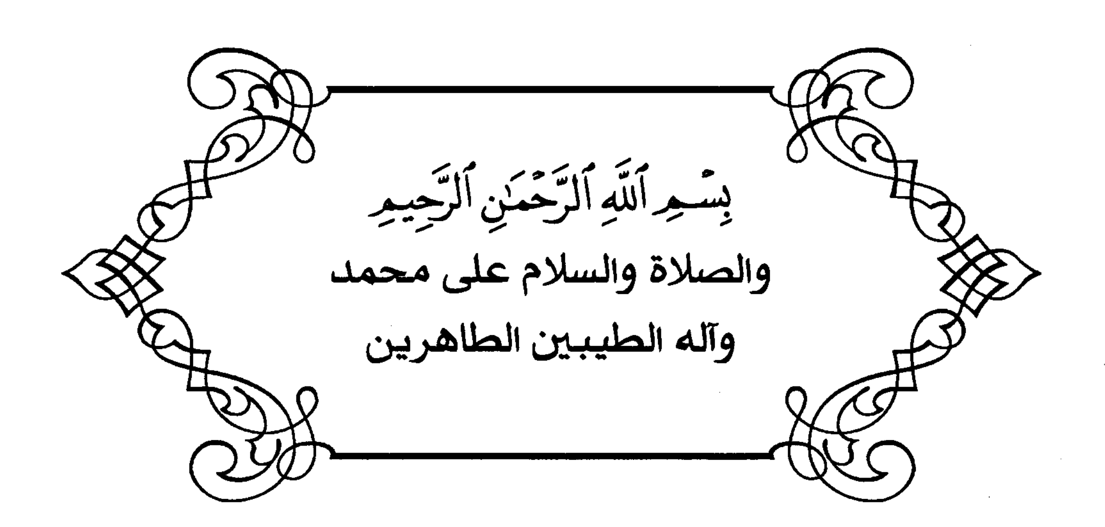
ألا لعنة الله على القوم الظالمين



(١) الحبك - بضمتين - والحبائك - جمع الحبيك والحبيكة، وهو زرد الحديد.
(٢) الرمك - بفتحتين: جمع الرمكة - بالتحريك -: وهو الفرس.
(٣) من قصيدة عصماء جزلة الأسلوب للشاعر العلوي العلامة الأديب السيد جعفر الحلي الحسيني، المتولد في الحلة سنة ١٢٧٧ هـ والمتوفى في النجف سنة ١٣١٥ هـ ومطلعها:
لله أي دم في كربلا سفكا ... لم يجز في الأرض حتى أوقف الفلكا
وله ديوان ضخم يحتوي على مختلف فنون الشعر ومواضيعه، طبع عدة مرات في النجف وفي صيدا بأمر وشرح وتعليق آية الله المغفور له الامام الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، واسمه (سحر بابل وسجع البلابل).

المَجلس الثّالِثُ

يحتوي - بعد المقدمة - على: عرض ما جرى للحسين عليه السلام في المدينة بعد استدعائه لبيعة يزيد وامتناعه من ذلك، وخروجه من المدينة إلى مكة، والحوادث التي جرت له في مكة من مكاتبات ولقاءات.


بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
والصلاة والسلام على محمد
وآله الطيبين الطاهرين

قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه المجيد:

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون: 101 - 103].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التحريم: 8].

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ [النساء: 17-18].

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: 286].

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: 186].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: 30].

(صَدَق الله العليّ العظيم)

ومن خطبة لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام في تعظيم القرآن

والوعظ والإرشاد - كما في نهج البلاغة -

«أيّها الناس، انتَفعوا ببيان الله، واتّعظوا بمواعظ الله، واقْبلوا نصيحة الله، فانّ الله قد أعذرَ إليكم بالجَليّة[١] وأخذ عليكم الحجةَ، وبَيّن لكم محابَّهُ من الأعمال، ومكارهَه منها، لتَتّبعوا هذه، وتجتَنبوا هذه، فانَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول: إنّ الجنةَ حُفّتْ بالمكاره، وإنّ النارَ حُفَّتْ بالشَهَوات.

واعْلموا: أنه ما مِن طاعة الله شيء إلاّ يأتي على كُره، وما مِن مَعصية الله شيء إلاّ يأتي عن شَهوة، فرحمَ اللهُ رجلاً نزَع شهوتَه وقمع هوى نفسه[٢] فانّ هذه الدنيا أبعدُ شيء مَنزعاً، وإنها لا تزال تنزع إلى معصية في هوىً.

واعْلموا - عبادَ الله - إن المؤمنَ لا يُمسي ولا يُصبح إلاّ ونفسُه ظَنون عنده، فلا يَزال زارياً عليها [٣] ومستَزيداً لها، فكونوا كالسابقين قَبلكم والماضين أمامَكم، قَوّضوُا من الدنيا تَقويضَ الرجل، وطَووها طيَّ المنَازل.

واعلموا: أن هذا القرآن هو الناصحُ الذي لا يَغُش، والهادي الذي لا يُضلّ والمحدِّث الذي لا يكذب، وما جالسَ هذا القرآن أحدٌ إلا قام عنه في زيادةٍ أو نُقصانٍ: زيادةٍ في هدىً أو نُقصانٍ في عَمىً.

واعْلموا: إنه ليس على أحدٍ بعدَ القرآن من فاقةٍ، ولا لأحدٍ قبل القرآن من غنىً، فاستشفعوه من أدوائكم، واستعينوا به على لأوائكم[٤] فانّ فيه شفاءً من أكبر الداء، وهو الكفر والنفاق والغيّ والضلال، فاسألوا الله به، وتَوجهوا إليه بحبّه، ولا تسألوا به خَلقه، إنه ما توجّه العبادُ إلى الله تعالى بمثله.

---

(١) أي الأعذار الجلية الواضحة.

(٢) قمعه قمعاً: أي قهره وصرفه عمّا يريد.

(٣) زرى زرياً عليه: أي عاتبه وعابه، وزارياً عليها، أي: عائباً لها.

(٤) اللأواء - على فعلا - اللآي، وهي الشدة والمحنة.

واعلموا: إنه شافع مِشفَّع، وقائل مُصدَّق، وأنه من شَفَع له القرآن يومَ القيامة شُفِّع فيه، ومن مَحَل (١) به القرآن يومَ القيامة صُدِّق عليه، فانه ينادي منادٍ يومَ القيامة: ألا إنّ كلَ حارثٍ مُبتَلىً في حَرثه وعاقبة عمله غيرُ حَرَثة القرآن، فكونوا من حَرَثته وأتباعه، واستَدلّوُهُ على ربّكم واستنَصحُوه على أنفسكم واتهموا عليه آراءكم، واستَغِشوا فيه أهواءَكم(٢).

ألعَملَ العَمل، ثم النهايةَ النهايةَ، والإستقامةَ الاستقامة، ثمّ الصبرَ الصبرَ، ثم الورعَ الوَرع. إنّ لكم نهايةٌ، فانتهوا إلى نهايتكم، وإنّ لكم عَلَماً، فاهتَدوا بعَلَمكم، وإنّ للاسلام غايةً، فانتهوا إلى غايته، وأخرجُوا إلى الله ممّا افترَض عليكم من حقه(٣) وبيّن لكم من وظائفه، أنا شاهدٌ لكم، وحَجيج يومَ القيامة عنكم(٤).

ألا وإنّ القدرَ السابقَ قد وقع، والقضاءَ الماضي قد تَورّدَ، واني متكلم بِعِدة الله وحُجّته، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: 30]. وقد قلتُم: ربُنا الله فاستَقيمُوا على كتابه، وعلى منهاج أمره، وعلى الطريقة الصالحة من عبادته، ثم لا تَمرُقوا منها، ولا تَبتدعوا فيها، ولا تُخالفوا عنها، فان أهلَ المروق منقطعٌ به عند الله يومَ القيامة.

ثم إيّاكم وتَهزيعَ الأخلاق وتَصريفَها(٥) واجعلوا اللسانَ واحداً، وليَخزُنِ الرجلُ لسانَه، فانّ هذا اللسانَ جَموحٌ بصاحبه(٦) واللهِ ما أرى عبداً يَتّقي تَقوىً تنفعه حتى يَخزنَ لسانَه، وإنّ لسانَ المؤمن من وَراءِ قلبه، وإنّ قلبَ المنافق من وَراءِ لسانِه، لأن المؤمنَ إذا أرادَ أن يَتكلّم بكلام تدبّره في نفسه: فان كان خيراً

---

(١) أي شكاه وسعى به.

(٢) أي ظنّوا فيها الغش لترجعوا إلى القرآن وتستنصحوه.

(٣) أي: أدّوا حق الله وفرائضه.

(٤) فعيل من: حجه إذا أقنعه بحجته.

(٥) تهزيع الشيء: تكسيره. وتصريفه: تقليبه وبعثرته.

(٦) الجموح - فعول -: مبالغة من: جمح الفرس بفارسه: إذا غلب عليه وتمرّد عن إرادته.

أبداه، وإن كان شراً واراه. وإنّ المنافق يتكلّم بما أتى على لسانه لا يَدري: ماذا له وماذا عليه. ولقد قال رسول الله ﷺ: «لا يَستقيم إيمانُ عبدٍ حتى يستقيمَ قلبُه، ولا يَستقيمُ قلبُه حتى يَستقيمَ لسانُه» فمَن استطاع منكم أن يَلقى الله سبحانَه - وهو نقيّ الراحة من دماء المسلمين وأموالهم، سليمُ اللسان من أعراضهم - فليفعَل.

واعْلموا - عبادَ الله - إنّ المؤمنَ يَستحلّ العامَ ما استحلّ عاماً أوّل، ويُحرّم العامَ ما حرّمه عاماً أوّل، وإنّما أحدَث الناسُ، لا يَحلّ لكم شيئاً مما حُرّم عليكم، ولكنّ الحَلال ما حلّل الله والحَرامَ ما حرَّم الله، فقد جَرّبتموا الأمورَ وضَرّستُموها[1] وَوُعِظْتُم بمن كان قَبلكم، وضُرِبَتْ لكم الأمثالُ، ودُعيتم إلى الأمر الواضح، فلا يَصمّ عن ذلك إلاّ أصمّ، ولا يَعمى عن ذلك إلاّ أعمى.

ومَن لم ينفعه الله بالبلاء والتجارب لم يَنتفع بشيءٍ من العِظَةِ، وأتاه النقصُ من أمامِه حتى يَعرفَ ما أنكر، ويُنكرَ ما عَرَف.

وإنّما الناسُ رجلان: مُتّبَعٌ شِرعةً، ومُبتَدِعٌ بِدعةً، ليس معه من الله برهانُ سنّةٍ ولا ضياءُ حجّة.

وإنّ الله سبحانَه لم يَعظْ أحداً بمثل هذا القرآن، فانّه حَبلُ الله المتين وسببُه الأمين، وفيه رَبيع القلب وينابيع العلم، وما للقلب جَلاءٌ غيره، مع أنّه قد ذهب المتذكّرون، وبقي الناسُون أو المتناسُون، فإذا رأيتم خيراً فأعينوا عليه، وإذا رأيتم شرّاً فاذهبوا عنه، فانّ رسول الله ﷺ كان يقول: «يا ابن آدم إعمل الخيرَ ودَع الشرّ، فإذا أنت جَوادٌ قاصد».

ألا وإنّ الظلمَ ثلاثة: فظُلمٌ لا يُغفر، وظُلمٌ لا يُترك، وظُلمٌ مغفورٌ لا يُطلب. فأمّا الظلمُ الذي لا يُغفر فالشركُ بالله، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النّساء: الآية 48]. وأمّا الظلمُ الذي يُغفر فظلمُ العبد نفسَه عن بعض الهَنات[2].

وأما الظلمُ الذي لا يُترك فظلمُ العباد بعضَهم بعضاً: القصاصُ هناك شديدٌ، ليس هو جَرحاً بالمُدى، ولا ضرَباً بالسياط، ولكنّه يُستَصغرُ ذلك معه.

---

(١) ضرّسته الحرب - بالتشديد - جرّبته ومرّنته.

(٢) الهنات: جمع هنة - محرّكة - وهي الشيء الحقير والأمر اليسير.

فإيّاكم والتلوّنَ في دين الله، فانّ جَماعةً فيما تكرهون من الحق خيرٌ من فُرقةٍ فيما تُحبّون من الباطل. وإنّ الله سبحانه لم يُعطِ أحداً بفرقةٍ خيراً ممّن مضى ولا ممّن بقي.

أيّها الناس، طوبى لمن شغَله عيبُه عن عُيوب الناس، وطوبى لمن لَزِمَ بيتَه، وأكل قُوتَه، واشتغَل بطاعة ربّه، وبكى على خطيئته. فكان من نفسه في شُغلٍ، والناسُ منه في راحةٍ، فرَحِمَ الله امرءً استقبل توبتَه واستقال خطيئتَه، وبادر منيّتَه».

ومن خطبة له عليه السلام في التزهيد في الدنيا

- كما في نهج البلاغة -

أمّا بَعدُ، فانّ الدنيا قد أدبَرتْ، وآذنتْ بوَداعٍ[١] وإنّ الآخرةَ قد أقبلتْ وأشرَفت باطّلاعٍ، ألا وإنّ اليومَ المِضمار[٢] وغداً السباق، والسَبَقَةُ الجنة[٣] والغايةُ النار. أفلا تائبٌ من خطيئته قبلَ مَنيّته، ألا عاملٌ لنفسه قبلَ يوم بُؤسه[٤]، ألا وإنكم في أيام أملٍ من ورائه أجَلٌ، فمَن عمل في أيام أمله قبل حضور أجله فقد نفعه عملُه، ولم يضرّه أجلُه، ومن قصَّر في أيام أمله قبل حضور أجله، فقد خسر عمله، وضرّه أجلُه. ألا فاعملوا في الرغبة كما تعملون في الرَّهبة. ألا وإنّي لم أرَ كالجنة نام طالبُها، ولا كالنّار نام هاربُها. ألا وإنّه مَن لا ينفعه الحقُ يضرّه الباطل، ومَن لا يستقيم به الهدى يجرّ به الضلال إلى الردى، ألا وإنكم قد أُمِرتُم بالظَعن[٥] ودُلِلْتُم على الزاد. وإن أخوفَ ما أخاف عليكم اثنتان: إتّباعُ الهوى، وطولُ الأمل، فتزوّدُوا في الدنيا من الدنيا ما تُحرزون[٦] به أنفسكم غداً».

---

(١) آذن ايذاناً - بالمد - بالشيء: أعلن به قبل حدوثه.

(٢) المضمار - بالكسر -: الموضع والموعد الذي تضمر ويجمع فيه الخيول لتنطلق من الميدان.

(٣) السبقة - بفتحتين -: الغاية المنشودة المحبوبة للمتسابقين.

(٤) يوم البؤس: يوم الجزاء مع الفقر من الأعمال الصالحة.

(٥) الظعن - بالفتح والسكون أو بفتحتين -: الرحيل، ويكنى به عن الرحيل من الدنيا.

(٦) أي تحفظونها من الهلاك الأبدي.

ومن خطبة له في تصنيف الناس - كما في النهج -

«أيّها الناس، إنّا أصبحنا في دَهر عَنود، وزَمن كَنود [١] يُعدُّ فيه المحسنُ مسيئاً، ويَزداد الظالمُ فيه عُتوّاً، لا ننتفع بما عَلمنا، ولا نَسأل عما جَهلنا، ولا نتخوّف قارعةً حتى تحلّ بنا.

والناسُ على أربعة أصناف: (منهم) مَن لا يَمنعه الفساد في الأرض إلاّ مهانةُ نفسه، وكلالةُ حَدّه، ونَضيضُ وَفره [٢].

ومنهم المصلتُ لسيفه، والمعلنُ بشرّه، والمجلبُ بخَيله ورَجله، قد أشرَطَ نفسَه [٣] وأوبقَ دَينه لحُطام يَنتهزه، أو مقْنَبٍ يقوده [٤] أو منبرٍ يَفرعُه [٥] ولبئس المتجر أن ترى الدنيا لنفسك ثمناً، ومما لك عند الله عِوضاً.

ومنهم: مَن يطلب الدنيا بعمل الآخرة، ولا يَطلب الآخرةَ بعمل الدنيا، قد طامَن من شخصه، وقاربَ من خَطوه، وشَمّر من ثوبه، وزَخرف من نفسه للأمانة، واتّخذ ستر الله ذريعةً إلى المعصية.

ومنهم: مَن أبعده عن طَلب المُلك ضُؤولةُ نفسه، وانقطاعُ سببه، فقصرته الحالُ على حاله، فتحلّى باسم القناعة، وَتزيّن بلباس أهل الزّهادة، وليس من ذلك في مَراحٍ ولا مَغدى.

وبقي رجالٌ غضّ أبصارَهم ذكرُ المَرجع، وأراق دموعَهم خوفُ المحشَر، فهم بينَ شَريد نادّ [٦] وخائفٍ مَقموع، وساكتٍ مكعوم [٧] وداعٍ مُخلص، وثكلانَ موجَع، قد أخملتُهم التَقية، وشَمَلتهم الذلّة، فهم في بَحرٍ أُجاج، أفواهُهم

---

(١) العنود - بالفتح -: الجائر، والكنود - بالفتح: - الكافر الجاحد.

(٢) الكلالة - بالكسر -: الإعياء. والحد: السيف. والنَضيض: القليل، والوفر: المال.

(٣) أي أعدّ نفسه وقدمها امام الناس.

(٤) المقنب - بالكسر - طائفة من الخيل تناهز الأربعة.

(٥) فرع المنبر يفرعه: أي علا أعواده.

(٦) الناد: الهارب من الجماعة إلى الوحدة والعزلة.

(٧) المقموع: المقهور المضطهد، والمكعوم: المشدود الفم.

ضامِزَةٌ[١] وقلوبُهم قَرِحةٌ، قد وعظُوا حتى مُلّوا، وقُهِرُوا حتى ذَلّوا، وقُتّلوا حتى قَلّوا...».

يزيد يكتب إلى الوليد بأخذ البيعة من الحسين

ذكرَ أربابُ السِيَر والتاريخ: إنه لما هَلَك معاويةُ بنُ أبي سفيان مُنتَصفَ رجب سنة ستين للهجرة، وتَخلّف بعدَه يَزيدُ، كان الوالي على المدينة - في ذلك الوقت - الوليدُ بنُ عُتبة بنُ أبي سفيان[٢].

فكتب إليه يزيدُ كتاباً مع مَولًى له يُقال له: (ابن أبي زُرَيق) يأمره فيه بأخذ البيعة على أهلها كافّة[٣].

---

(١) الضامز - بالضاد والزاي -: الساكت غير المتكلم من الناس، وبالراء: الهزيل الدقيق القليل اللحم.

(٢) وكان قد استخلفه معاوية على إثر عزله لمروان بن الحكم في سنة (٥٧ أو ٥٨) أو بعد عزله لسعيد بن العاص على رأي بعض المؤرخين حيث كان والياً على المدينة من قبل إلى حين ذلك التاريخ. ويرى ابن قتيبة في (الامامة والسياسة): أن العامل على المدينة - يومئذ - خالد بن الحكم، وهو الذي كتب إليه يزيد ذلك الكتاب المشار إليه، والأظهر إنه اشتباه، فان عامة المؤرخين - ومنهم النويري في نهاية الإرب ج٢٠ ص٣٧٦ طبع القاهرة سنة ١٣٩٥ هـ - يُصرّحون بأن عمّال معاوية عند وفاته: على المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وعلى مكة عمرو بن سعيد الأشدق، وعلى البصرة عبيد الله بن زياد، وعلى الكوفة النعمان بن بشير....

(٣) ونص الكتاب - كما في مقتل الخوارزمي: ج١ ص١٨٠ طبع النجف - هكذا: «أما بعد، فان معاوية كان عبداً من عباد الله، أكرمه واستخلصه، ومكّن له، ثم قبضه إلى روحه وريحانه ورحمته وثوابه، فعاش بقدَر ومات بأجَل، وقد كان عهد إليّ وأوصاني بالحذر من آل أبي تراب لجرأتهم على سفك الدماء. وقد علمت - يا وليد - ان الله تبارك وتعالى منتقم للمظلوم عثمان بآل أبي سفيان، لأنهم أنصار الحق طلاّب العدل، فإذا ورد عليك كتابي هذا فخذ البيعة لي على جميع أهل المدينة والسلام». وقد ذكر الطبري في (تاريخه: ج٥ ضمن حوادث سنة ٦١هـ) أوائل الكتاب، وأشار إليه كثير من المؤرخين من الفريقين، ومن أولئك ابن عساكر - كما في ترجمة ريحانة الرسول المستلّ من تاريخ دمشق: ص١٩٩ - ط بيروت بتحقيق المحمودي. ويسمي حامل الكتاب عبد الله بن عمرو بن أنس العامري.

وكتب في طيّه صَحيفةً صغيرةً - كأنها أذنُ فارة - جاءَ فيها: «أما بعد، فخُذ الحسينَ بن علي وعبدَ الله بنَ عمر، وعبدَ الرحمان بنَ أبي بكر، وعبدَ الله بنَ الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليس فيه رخصة، فمن يأبى عليك منهم فاضربْ عنقَه، وابعثْ إليّ برأسه والسلام»[1].

فخَرج ابنُ أبي زُريق بالكتاب من الشام - وكان معه عبدُ الله بن أبي سرح - يَجدّ السيرَ حتى انتهى إلى (يثرب) ودخل على الوليد، وسلّمه الكتاب[2].

فلما قرأ الوليدُ الكتابَ بعث إلى مروانِ بنِ الحكم ليلاً، فأحضره عنده، وقرأ عليه كتاب يزيد، ونعى إليه معاوية، واستشاره في أخذ البيعة من هؤلاء النفر[3].

---

(١) هكذا في (مقتل الخوارزمي ج١ ص١٧٨) طبع النجف، و(مناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص٨٨) طبع قم، وأشار إليه وذكر جملته الأخيرة ابن طاووس في (اللهوف: ج١٠) طبع النجف. وفي تاريخي: الطبري، وابن الأثير - بحوادث سنة ٦١ هـ - وكذلك (أنساب البلاذري: ج٣ ص١٥٥) طبع بيروت وكذلك نهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٣٧٧ ط القاهرة - لا ذكر لعبد الرحمان بن أبي بكر في الكتاب، ولا للجملة الأخيرة منه أما اليعقوبي في (تاريخه: ج٢ ص٢١٥) فلم يذكر غير الحسين عليه السلام وعبد الله بن الزبير. والظاهر: ان ابن أبي بكر لا دور له في هذه القصة، فقد كان متوفياً - على الأصح - قبل هذا التاريخ - وأما ابن عمر فالمتيقن عندنا - كما عليه عامة المؤرخين من الفريقين - وورد اسمه في الكتاب المذكور.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي: ج١ ص٢٦٩، وتاريخ خليفة خياط: ج١ ص٢٢٢، وفي (تاريخ النهج لابن أبي الحديد: ج٢ ص١١٥) طبع القاهرة «فصادفه عبد الله بن الزبير في بعض الطريق، فأخذ بيده، وجعل يسأله عن معاوية، وهو لا يجيبه، فقال ابن الزبير: أمات معاوية، فلم يكلمه بشيء، فتيقن ابن الزبير بموت معاوية، وقفل مسرعاً إلى الحسين، وأخبره الخبر...».
وفي (مقتل الخوارزمي: ج١ ص١٨٠) طبع النجف: «ان الوليد لما وصله كتاب يزيد جزع وفزع، وأخذ يقول في نفسه: انا لله وانا إليه راجعون، يا ويح الوليد مما أدخله في هذه الامارة، ما لي وللحسين بن فاطمة؟».

(٣) في لهوف ابن طاووس: ج١٠ طبع النجف: «فأحضر الوليد مروان واستشاره في أمر الحسين، فقال: انه لا يقبل، ولو كنت مكانك لضربت عنقه، فقال الوليد: ليتني لم أك شيئاً مذكوراً...».

فقال له مروان: «الرأي: أن تحضرَهم في هذه الساعة، وتأخذَ منهم البيعة»[1].

الوليد يطلب الحسين وأصحابه

فوجه الوليد في طلبهم - في غَلَسٍ من الليل - وكانوا مجتمعين في حرَم الرسول ﷺ فذُعِرَ ابنُ الزبير لهذه المفاجأة، والتفت إلى الحسين عليه السلام قائلاً: «ما تراه بعث إلينا في هذه الساعة التي لم يكن يجلس فيها».

فقال الحسين عليه السلام: «أظن أن معاوية قد مات[2] ولم نُطلَبُ إلا لبيعة يزيد، فبعث إلينا ليأخذَنا بالبيعة قبل أن يَفشُوا في الناس الخبَر»[3].

---

(١) في (مقتل الخوارزمي: ج١ ص١٨١) طبع النجف - وكذلك في نهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٣٧٧ ط القاهرة بعد هذه الجملة من كلام مروان: «فان فعلوا قبلتَ ذلك وكففتَ عنهم، وان أبوا قدمتهم وضربتَ أعناقهم قل أن يعلموا بموت معاوية، وفيه - كما في فتوح ابن أعثم الكوفي: ج٥ ص١٢ وبعض المصادر الخر - بعد هذه الجملة قوله: «فانهم ان علموا ذلك وثب كل رجل منهم، فأظهر الخلاف ودعا إلى نفسه، فعند ذلك أخاف أن يأتيك من قبلهم ما لا قيل لك به، إلا عبد الله بن عمر، فانه لا ينازع في هذا الأمر أحداً، مع أني أعلم أن الحسين بن علي خاصة لا يجيبك إلى بيعة يزيد، ولا يرى له عليه طاعة، والله لو كنتُ موضعك لم أراجع الحسين بكلمة واحدة حتى أضرب عنقه، كائناً في ذلك ما كان».

قال الخوارزمي - في المصدر الآنف -: «فأطرق الوليد برأسه إلى الأرض، ثم قال: يا ليت الوليد لم يولد ولم يكن شيئاً مذكوراً، فقال له مروان: أيّها الأمير، لا تجزع ما قلت، فان آل أبي تراب هم الأعداء من قديم الزمان ولا يزالون هم الذين قتلوا الخليفة عثمان بن عفان وهم الذين ساروا إلى أمير المؤمنين معاوية، فحاربوه. فنهره الوليد، وقال له: مهلاً ويحك يا مروان عن كلامك هذا، وأحسن القول في ابن فاطمة، فانه بقية النبوة...».

(٢) في الفتوح لابن أعثم الكوفي: ج٥ ص١٤، ومثير الأحزان لابن نما: ص١٠، ومقتل الخوارزمي: ج١ ص١٨٢ طبع النجف - بعد هذه الجملة من كلام الحسين هكذا: «وذلك اني رأيت البارحة في منامي كأن منبر معاوية منكوس، والنار تشتعل في داره، فتأولت ذلك في نفسي أن معاوية قد مات».

(٣) تاريخ الطبري: ج٥ ص٣٣٩ طبع دار المعارف بالقاهرة، والكامل لابن الأثير: ج٣ ص٢٦٤ طبع بيروت. ونهاية الارب للنويري ج٢٠ ص٣٧٨ط القاهرة.

قال ابن الزبير: وأنا ما أظنّ غيرَ ذلك، فكيف نصنع؟

فقال عبد الرحمان بن أبي بكر وعبد الله بن عمر: ندخل دورنا ونغلق أبوابنا.

وقال ابن الزبير: والله، ما أبايع يزيدَ أبداً.

فقال الحسين عليه السلام: «أن لا بدّ لي من الدخول على الوليد في هذه الساعة لأنظر ما يقول»[١].

قال له ابن الزبير: فاني أخاف عليك إذا دخلتَ عليه.

قال الحسين: «لا آتيه إلاّ وأنا قادرٌ على الامتناع، أجمع فتياني الساعة، ثم أمشي إليه وأجلسهم على الباب وأدخل عليه»[٢].

فدعا ثلاثين نَفراً من مَواليه وغلمانه، وأمرهم بحمل السلاح وقال لهم: «إنّ الوليد في استدعاني في هذا الوقت، ولست آمن من أن يكّلفني أمراً لا أجيبه إليه، وهو غير مأمون، فكونوا معي فإذا دخلتُ عليه فاجْلسوا على الباب، فإذا دعوتكم أو سمعتم صوتي قد علا، فادْخلوا عليّ بأجمعكم لتمنعوه عني»[٣].

الحسين يدخل على الوليد

فصار الحسين عليه السلام إلى الوليد، ودخل عليه - في تلك الساعة من الليل - فوجد عنده مروانَ بنَ الحكم - وكانت بين الوليد ومروان بعض القطيعة -.

---

(١) مناقب ابن شهراشوب: ج٤ ص ٨٨ طبع قم.
(٢) الكامل لابن الأثير: ج٣ ص٢٦٤ طبع بيروت، وتاريخ الإسلام للذهبي: ج١ ص٢٦٩.
(٣) إرشاد المفيد: ص٢٠٦ طبع حجري، وفي مناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص.٨٨ إضافة «فلا تقتلوا أحداً، ولا تثيروا إلي الفتنة». وفي تاريخ الطبري: ج٥، والكامل لابن الأثير: ج٣ بحوادث سنة ٦٠ هـ - وكذلك في نهاية النويري ج٢٠ ص٣٧٨ إضافة: «والاّ فلا تبرحوا حتى أخرج إليكم».

فقال الحسين لهما: «الصلةُ خيرٌ من القطيعة، والصلحُ خيرٌ من الفساد، وقد آن لكما أن تجتمعا، أصلح الله ذاتَ بينكما [١] ثم جَلَس».

فأقرأه الوليدُ الكتابَ، ونعى إليه معاويةَ، فاسترجع الحسين عليه السلام ثم دعاه - كما أمره يزيد - لأخذ البيعة منه.

فقال الحسين عليه السلام: إني لا أراك تقنع ببيعتي ليزيد سراً، حتى أبايعه جهراً، فإذا خرجتَ إلى الناس غداً ودعوتَهم للبيعة ودعوتنا معهم كان الأمر واحداً.

فقال الوليد: أجلْ. قال الحسين: فتُصبح وتَرى رأيَك في ذلك.

فقال الوليد - وكان يُحبّ العافية -: إنصرف على اسم الله راشداً، حتى تأتينا مع جماعة الناس.

فالتفت مروان إلى الوليد، وقال: «أيها الأمير، لئن فارقك الساعة ولم يُبايع، لا قدرتَ منه على مثلها أبداً، حتى تكثر القتلى بينكم وبينه، إحبس الرجل، ولا يخرجْ من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه»[١].

فوثب الحسين - عند ذلك - وقال: أنتَ - يا ابنَ الزرقاء - تقتلني أم هو؟ كذبت - والله - وأثمت»[٢].

ثم أقبل عليه السلام على الوليد، فقال: «أيّها الأمير، إنّا أهل بيت النبوّة، ومعدِنُ الرسالة، ومختَلفُ الملائكة، ومَهبطُ الرحمة، بنا فتَح الله، وبنا ختَم الله ويزيد رجلٌ فاسقٌ فاجرٌ، شاربُ الخمر، قاتلُ النفس المحترَمة، معلنٌ بالفسق

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥، وابن الأثير ج٣ بحوادث سنة ٦٠ هـ، وبنفس المضمون في (مقتل الخوارزمي ج١ الفصل التاسع)، ونهاية النويري - بالمصدر الآنف -.
وفي مناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص٨٨: «فقام مروان وجرد سيفه وقال: مُر سيّافك أن يضرب عنقه قبل أن يخرج من الدار ودمه في عنقي».

(٢) تاريخ الطبري: ج٥ وابن الأثير: ج٣ بحوادث سنة ٦٠ هـ، ولهوف ابن طاووس: ص١٠ طبع النجف. وإرشاد المفيد ص٢٠٦ طبع إيران، ومقتل الخوارزمي: ج١ الفصل التاسع، ونهاية النويري ج٢٠ ص٣٧٩ ط القاهرة. وفي بعض تلك المصادر كلمة (لؤمت) بدل (أثمت).

والفجور، ومثلي لا يُبايع مثلَه ولكن نُصبحُ وتُصبحون، وننظر وتَنظرون، أيّنا أحق بالبيعة والخلافة».

الحسين يخرج من مجلس الوليد

ثم خرج يمشي ومعه مواليه حتى أتى منزله.

فقال مروان للوليد: «عصيتَني لا والله، لا يُمكنّك مثلَها من نفسه أبداً».

فقال له الوليد: «ويحَ غيرك يا مروان، إنك قد اخترتَ لي التي فيها هلاك ديني ودنياي، والله ما أحبّ أنّ لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها، وأني قتلت حسيناً، يا سبحانَ الله! أأقتل الحسين: إن قال: لا أبايع؟ والله إني لأظنّ أن أمرَءاً يُحاسبُ بدم الحسين لخفيفُ الميزان عند الله يوم القيامة»[1].

قال مروان: فان كان هذا رأيَك فقد أصبتَ فيما صنعتَ. - يقول هذا وهو غيرُ حامدٍ له على رأيه[2].

قال المفيد في (إرشاده)[3]: «وأقامَ الحسينُ في منزله تلك الليلة[4]. وهي ليلة السبت لثلاثٍ بقينَ من رجب سنة ستين من الهجرة. واشتغل الوليدُ بن عتبة

---

(١) الفتوح لابن أعثم الكوفي: ج٥ ص١٨، ومثير الأحزان لابن نما الحلي، ومقتل الخوارزمي: ج١ الفصل التاسع، ولهوف ابن طاووس: ص١٠ طبع النجف، ونهاية الأرب للنويري: ج٢٠ ص٣٧٩ط القاهرة.

وفي مقتل الخوارزمي: ج١ الفصل التاسع - ومثله في اللهوف ص١١ - إضافة: «لا ينظر الله إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم».

(٢) تاريخ الطبري: ج٥، طبع دار المعارف القاهرة، وابن الأثير: ج٣ طبع بيروت بحوادث سنة ٦٠هـ. ومثله في (الارشاد: ص٢٠٧) طبع إيران، وكذلك نهاية الأرب للنويري - بالمصدر الآنف.

(٣) ذكر ذلك في أول الفصل: ص٢٠٧ طبع حجري.

(٤) أي الليلة التي واجه الحسين الوليد فيها.

بمراسلة ابن الزبير في البيعة ليزيد وامتناعه عليهم، وخرَج ابنُ الزبير من ليلته عن المدينة متوجهاً إلى مكة، فلما أصبح الوليد سرَّح في أثره الرجالَ، فطلبوه فلم يُدركوه، فرجعوا.

فلما كان آخرُ نهار يوم السبت بعث الرجالَ إلى الحسين عليه السلام ليحضرَ فيبايعَ الوليد ليزيد بن معاوية. فقال لهم الحسين: أصبحوا ثم تَرون ونرى، فكفّوا تلك الليلة عنه ولم يُلحّوا عليه...»[١].

الحسين يلتقي بمروان في الطريق

قالوا: فلما أصبَح الحسين[٢] خرج من منزله يستمع الأخبار، فلقيه مَروانُ ابن الحكم، فقال له: يا أبا عبد الله، إني لك ناصح، فأطعني تُرشَد.

فقال الحسين: وما ذاك، قل حتى أسمع؟.

قال مروان: اني آمرك ببيعة يزيد، فانه خير لك في دينك ودنياك.

فقال الحسين: إنا لله وإنا إليه راجعون، وعلى الإسلام السلام إذ قد بُليَت الأمةُ براعٍ مثل يزيد، ولقد سمعتُ جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ان الخلافة مُحرَّمةٌ على آل أبي سفيان[٣] فإذا رأيتم معاوية على منبري فابقروا بطنَه، ولقد رآه أهلُ المدينة على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يَفعلوا به ما أُمِروا، فابتلاهم الله بابنه يزيد»[٤].

---

(١) قال النويري - بالمصدر الآنف و.. فكفوا عنه فسار من ليلته - أي ليلة الأحد - نحو مكة».

(٢) أي من ليلته تلك بعد أن خرج من الوليد ممتنعاً من البيعة.

(٣) اللهوف لابن طاووس: ص١١ طبع النجف.

(٤) مقتل الحسين للخوارزمي: ج١ ص١٨٥ طبع النجف.

وطال الحديث بينَه وبينَ مَروان حتى انصرف مروانُ وهو غضبان[(١)]. فمضى ودخل على الوليد، فأخبره بما جرى بينَه وبينَ الحسين[(٢)].

الحسين يودّع قبر جده رسول الله

قالوا: وخرَج الحسين - بعد هذه المحادثة - بليله من منزله إلى قبر رسول الله، فأهوى على القبر، وهو يقول:

---

(١) اللهوف لابن طاووس ص١١ طبع النجف.
ومن الحديث الذي طال بينهما: أن قال له الحسين عليه السلام: ويحك يا مروان، أتأمرني ببيعة يزيد، وهو رجل فاسق لقد قلت شططاً من القول وزللاً، ولا ألومك فانك اللعين الذي لعنك رسول الله وأنت في صلب أبيك الحكم بن العاص، ومَن لعنه رسول الله، فلا يُنكر منه أن يدعو لبيعة يزيد.
فقال مروان للحسين: والله لا تفارقني حتى تبايع يزيدَ صاغراً فإنكم آل أبي تراب قد مُلئتُم شحناء، وأشربتُم بغضَ آل أبي سفيان، وحقيقٌ عليهم أن يَبغضوكم.
فقال الحسين: إليك عني فانك رجس، واني من أهل بيت الطهارة، قد أنزل الله فينا: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 33].
فنكس مروان رأسه ولم ينطق بشيء. ثم قال له الحسين: ابشر يا ابن الزرقاء بكل ما تكره من رسول الله يوم تقدم على ربك، فيسألك جدي عن حقي وحق يزيد...» - عن مقتل الخوارزمي: ج١ ص١٨٥ طبع النجف.

(٢) الفتوح لابن أعثم الكوفي: ج٥ ص٢٤ وفيه: ٢٧، وفي مقتل الخوارزمي أيضاً: ج١ ص١٨٥: إن الوليد كتب إلى يزيد بامتناع الحسين وعبد الله بن الزبير عن البيعة، فكتب إليه يزيد - على الفور - كتاباً جاء فيه: «أما بعد فإذا ورد عليك كتابي هذا، فخذ البيعة ثانياً على أهل المدينة بتوكيد منك عليهم، وذر عبد الله ابن الزبير، فانه لن يفوت أبداً ما دام حياً، وليكن مع جوابك إليّ رأس الحسين بن علي، فان فعلت ذلك فقد جعلت لك أعنّة الخيل، ولك عندي الجائزة العظمى والحظ الأوفر والنعمة والسلام».
وقد ورد هذا الكتاب على الوليد بعد مغادرة الحسين المدينة إلى مكة فقال الوليد للرسول الذي جاء بالكتاب: «لا والله لا أقتل ابن بنت رسول الله، ولو أعطاني يزيد الدنيا بحذافيرها وما فيها».

«السلامُ عليك يا جَدّاه، أنا الحسينُ ابنُ فاطمة، فرخُك وابنُ فَرختك، وسبطُك الذي خلّفتَني في أمّتك، فاشهَد عليهم يا نبيّ الله أنّهم قد خَذلوني وضيّعوني، ولم يَحفظوني، وهذه شكواي إليك حتى ألقاك».

ثم صفّ قدميه، فلم يزَل راكعاً وساجداً حتى الصباح.

وأرسل الوليدُ إلى منزل الحسين تلك الليلة ليتعرَّف خبرَه، وحيث لم يُصبه في منزله اعتقد أنه خارج المدينة، فحمد الله على عدم ابتلائه بدمه، ورجع الحسينُ إلى منزله عند الصباح.

ولما كانت الليلةُ الثانية جاء الحسين أيضاً إلى قبر جدّه رسول الله ﷺ فصلّى عند القبر ركعاتٍ، ثم قال:

«اللهمَّ إنّ هذا قبرُ نبيّك محمّد، وأنا ابنُ بنت نبيّك، وقد حضَرني من الأمر ما قد عَلِمتَ، اللهمّ، إنّي أحبّ المعروفَ وأنكر المنكر، وأنا أسألك يا ذا الجلال والإكرام بحقّ القبر ومَن فيه إلاّ اخترتَ لي ما هو لك رضاً ولرسولك رضاً»[1].

وجعَل يبكي حتى إذا كان قريب الصبح وضع رأسَه على القبر، فأغفى، فإذا هو برسول الله ﷺ قد أقبل في كتيبة من الملائكة عن يمنيه وشماله وبين يديه، فضمّ الحسينَ إلى صدره، وقبّل ما بين عينيه وقال:

«حَبيبيْ يا حسين، كأني أراك عن قريبٍ مرمّلاً بدمائكَ مذبوحاً بأرض كربٍ وبلاء من عصابةٍ من أمتي، وأنتَ مع ذلك عطشانٌ لا تُسقى، وظمآنٌ لا تُروى، وهمْ مع ذلك يَرجُون شفاعتي يومَ القيامة، وما لهم عند الله من خَلاق. حبيبي يا حسين، إنَّ أباك وأمك وأخاك قدموا عليّ، وهم مشتاقون إليك، وإنّ لك في الجِنان لدرجاتٍ لن تَنالَها إلاّ بالشهادة».

فجعل الحسينُ عليه السلام في منامه ينظر إلى جدّه، ويتضرّع إليه ويقول:

«يا جَدّاه، لا حاجةَ لي في الرجوع إلى الدنيا، فخذني إليك وأدخلني معك في قبرك».

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي: ج١ ص١٨٦ فصل ٩ طبع النجف.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا بُني لا بدّ لك من الرجوع إلى الدنيا حتى تُرزقَ الشهادة وما قد كتبَ الله لك فيها من الثواب العظيم، فانك وأباك وأخاك وعمَّك وعمَّ أبيك تُحشَرون يومَ القيامة في زُمرةٍ واحدة حتى تدخلوا الجنّة».

فانتبه الحسينُ من نَومه فَزِعاً مَرعُوباً[١]، وقصّ رؤياه على أهل بيته وبني عبد المطلب، فلم يكن في ذلك اليوم - لا في شرق الأرض ولا في غَربها - قومٌ أشدّ غماً من أهل بيت رسول الله ولا أكثرَ باكياً وباكيةً منهم[٢].

الحسين يودع قبر أمه وأخيه

قال بعضُ أرباب المقاتل: وتوجّه الحسينُ عليه السلام بعدَ ذلك إلى قبر أمّه فاطمة الزهراء عليها السلام في جَوف الليل فصلّى عند قبرها وودّعها.

ثم قام من قبرها وصار إلى قبر أخيه الحسن بن علي عليه السلام فصلّى عنده، وودّعه حتى إذا كان قريب الصبح عاد إلى منزله[٣].

الهاشميات يبكين الحسين

قالوا: وأقبلتْ نساءُ بني عبد المطلب لمّا بلَغهنّ: أنّ الحُسين يُريد الشُخوصَ مَن المدينة، واجتمَعنَ للنياحة والبكاء، حتى مشى فيهنّ الحسين، وقال: أنشِدُكنّ الله أن تُبدينَ هذا الأمرَ مَعصيةً لله ولرسوله.

---

(١) الأيقاد للشاه عبد العظيم: ص٤٠ طبع بغداد.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي: ج١ ص١٨٧، ومقتل العوالم لعبد الله البحراني: ص٥٤، والفتوح: ج٥ ص٢٨، وينابيع المودة للقندوزي: باب٦١.

(٣) الفتوح لابن أعثم الكوفي: ج٥ ص٢٩، ومقتل الخوارزمي: ج١ ص.١٨٧ طبع النجف.

قُلنَ: فلِمَن نَستبقي النياحةَ والبكاءَ؟ فهو - عندنا - كيومِ مات فيه رسول الله وعليٌّ وفاطمةُ والحسن، جعَلنا الله فداك، يا حبيبَ الأبرارِ من أهل القبور(١).

وأقبلتْ عليه بعضَ عمّاتِه، وهي تبكي وتقول: أشهد الله يا حسين، لقد سمعتُ البارحةَ هاتفاً يقول:

وإنّ قتيلَ الطفّ من آل هاشمٍ أذلّ رقاباً من قُريشٍ فذَلّت(٢)

---

(١) كامل الزيارات لابن قولويه: باب ٢٩ ص٩٦.

(٢) في المصدر نفسه من الكامل: ذكر هذا البيت من نوح الجن، وأضاف له بيتاً آخر، وهو:

حبيب رسول الله لم يك فاحشاً أبانت مصيبتك الأنوف وجلّت

وورد ذكر هذا البيت ضمن أبيات أربعة أو خمسة أو ستة أو سبعة أو ثمانية في كثير من المصادر التأريخية والأدبية المعتبرة، كشرح ديوان الحماسة لأبي تمام: ج٣ ص١٤، ومروج الذهبي للمسعودي: ج٢ ص٩٢، ومناقب ابن شهر اشوب: ج٢ ص٢٨٨، وتذكرة الخواص لابن الجوزي ص١٢٤، ومعجم البلدان للحموي: ج٦ ص٥٢، ومقالات الإسلاميين للأشعري: ج١ ص١٤٢، والكامل لابن الأثير: ج٤ ص٣٧، وسير أعلام النبلاء للذهبي: ج٣ ص٢١٥، ومقاتل الطالبيين لابي الفرج: ص٨٩، والبداية والنهاية لابن كثير: ج٨ ص٢١١، ومقتل الخوارزمي، ج٢ ص١٤٩، والأبيات هكذا: مع الاختلاف البسيط:

مررتُ على أبيات آل محمّدٍ فلم أر أمثالها يوم حَلّت

ألم تر أن الشمس أضحتْ مريضةً لقتل حسين والبلاد اقشعرّت

وكانوا رجاءً ثم أضحوا رزيّةً لقد عظمتْ تلك الرزايا وجلّت

فلا يُبعد الله الديارَ وأهلَها وان أصبحتْ منهم برغم تخلّت

وان قتيل الطفّ من آل هاشم أذلّ رقابَ المسلمين فذلّت

وقد أعولتْ تبكي السماءُ لفقده وأنجُمنا ناحتْ عليه وصلّت

واختلف أرباب التاريخ والمقاتل والأدب - لو استثنينا ما قاله ابن قولويه: من أن البيتين من نوح الجن - في نسبة الأبيات الخمسة أو الستة أو السبعة:

فقيل: إنها من إنشاء عمير بن مالك بن حنظل أبي الرمح أو الرميح، أو أبي رمج أو ريج الخزاعي المتوفى بعد سنة (١٠٠ هجرية) ذكر ذلك ابن حجر في (الاصابة: ج٤ ص٧٤) وشرح التبريزي على (الحماسة): ج٣ ص١٣، وابن عبد البر في (الاستيعاب). =

الحسين مع أخيه ابن الحنفية

ودخل عليه أخوه محمد بن الحنفية[1] حين علم أنه عازم على الخروج من المدينة، وقال له:

= وقيل - كما في معجم البلدان: ج٦ ص٥٢ -: إنها لأبي دهبل الجمحي، وهو وهب بن زمعة بن أسد. ووافقه على ذلك الزبيدي في (تاج العروس) بمادة (الطفّ) ولكن هذا الآخر ذكر بيتاً واحداً بهذا الشكل: «ألا ان قتلى الطف من آل هاشم...».

ولكن الصحيح: أن الأبيات لسليمان بن قتة - بالقاف والتاء العدوي التيمي المتوفي سنة ١٢٦هـ بدمشق - كما في أعيان الشيعة للأمين - فقد ذكر في (ج٣٥ ص٣٦٣) فقال: «وينبغي أن يكون أول من رثى الحسين عليه السلام سليمان بن قتّة العدَوي مولى بني تيم بن مرة...».

وفي تهذيب (كامل المبرد): ج٢ ص٢٣٥): «ان الستة أو الخمسة لسليمان بن قتّة، - بالقاف والتاء - التميمي». ومثل ذلك في (طبقات القُرّاء لابن الجزري: ج١ ص٣١٤).

وفي (الحماسة البصرية لصدر الدين بن أبي الفرج بن الحسين البصري: ج١ ص٢٠٠ رقم١٠): «قال سليمان بن قتة العدوي مولى عمر بن عبد التميمي: «مررت على أبيات آل محمد....

وكتب المعلّق: أنها أبيات خمسة، ولم يذكرها.

وفي (تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ص٢٧٢) طبع النجف: «وذكر الشعبي وحكاه ابن سعد أيضاً، قال: مرّ سليمان بن قتة بكربلاء، فنظر إلى مصارع القوم، فبكى حتى كاد أن يموت ثم قال: «وان قتيل الطف من آل هاشم...» إلى أبيات أربعة - وفي كتاب ريحانة الرسول المستل من تأريخ دمشق: ص٣٠١ ط بيروت: بسنده: «أنبأنا الزبير بن بكار قال: وقال سليمان بن قتة يرثي الحسين: وان قتيل الطف من آل هاشم».

ولقد كنّاه أبو الفرج في (مقاتل الطالبين: ص٨٩) طبع النجف، وابن طاووس في (اللهوف: ص٨٧) طبع النجف وابن نما في (مثير الأحزان) وبعض غيرهم يا بن قتيبة - بالتصغير - وكنّاه غير هؤلاء من بعض المؤرخين بابن قبة، أو قنة - بالباء أو النون في الوسط. والصحيح ما ذكرنا أنه سليمان بن قتة.

(١) هو محمد بن الامام علي بن أبي طالب عليه السلام.

وأمه خولة بنت جعفر بن قيس، وهي من سبي بني حنيفة، تزوج بها عليّ بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله فولدت له محمداً، واشتهر بالانتساب إلى أمه للتمييز. ولد في المدينة سنة (٢١هـ). وتوفي فيها سنة ٨١ هجرية. كان آية في العلم والكرم والشجاعة. فقد روى=

«يا أخي، أنت أحبّ الناس إليّ، وأعزّهم عليّ، ولستُ أدّخر النصيحة لأحدٍ من الخلق إلا لك، وليس أحدٌ أحقّ بها منك، لأنك مزاج مائي ونفسي وروحي وبَصري وكبيرُ أهل بيتي، ومَن وجَبتْ طاعتُه في عنُقي، لأن الله قد شرَّفك عليّ، وجعلك من سادات أهل الجنة.

تَنَحَّ ببيعتك عن يزيد وعن الأمصار ما استَطعتَ، ثمّ ابعثْ رُسلَك إلى الناس، وادعهُم إلى نفسك، فان بايعُوك حمدتَ الله على ذلك، وان اجتمعوا على غيرك لم يُنقِص الله بذلك دينَك ولا عقلَك، ولا تَذهبْ مروءتُك ولا فضلُك.

اني أخافُ عليك أن تَدخل مِصراً من هذه الأمصار، فيختلف الناس فيما بينهم: فطائفةٌ معك، وأخرى عليك، فيقتَتلون، فتكونَ لأول الأسنة عرضاً فإذا خيرُ هذه الأمة كلها نفساً وأباً وأماً، أضيعُها دماً وأذلّها أهلاً».

فقال الحسين: فأين أنزل يا أخي؟

قال: تنزل مكة، فان اطمأنّتْ بك الدار فذاك، وان تكن الأخرى خرجتَ إلى بلاد اليمن، فانهم أنصارُ جدّك وأبيك، وهم أرأفُ الناس وأرقُّهم قلوباً، وأوسعُ

=ابن أبي الحديد في (شرح النهج): أنه لما قبض علي بن أبي طالب أتى محمد أخويه الحسنين، فقال لهما: أعطياني ميراثي من أبي، فقالا: قد علمت أن أباك لم يترك صفراء ولا بيضاء فقال: قد علمت ذلك، وليس ميراث المال أطلب، إنما أطلب ميراث العلم. فدفعا إليه صحيفة، لو أطلعاه على أكبر مهما لهلك».

وكان يقول - وقد سئل عمن أدبه - أدّبني ربي في نفسي، فما استحسنته من أولى الألباب والبصيرة تبعتهم به فاستعملته وما استبحت من الجهال اجتنبته وتركته مستنفراً فأوصلني ذلك إلى كنوز العلم» وأما أخبار كرمه وشجاعته وبسالته في الحروب فبلغت حد الاستفاضة وحسب مواقفه البطولية المشرفة يوم صفين حين كان يحمل اللواء الأعظم بين يديه أبيه أمير المؤمنين عليه السلام كان يعترف بإمامة أخويه الحسنين وبعدهما أقر بإمامة علي بن الحسين زين العابدين وما أثر عن الكيسانية من القول بإمامته وأنه المهدي المنتظر فذلك من بدعهم، وهو لم يدع ذلك لنفسه ولا دعا أحد إلى ذلك.

أما سبب تخلفه عن نصرة أخيه الحسين عليه السلام فلأنه كان مريضاً - كما قيل - أو لأن الحسين عليه السلام رخصه في البقاء في المدينة ليكون - عيناً - كما ورد ذلك في نص وصيته له عليه السلام».

الناس بلاداً. فان اطمأنّتْ بك الدار، وإلاّ لحقتَ بالرّمال وشعوب الجبال، وجُزتَ من بلَدٍ إلى بلَد، حتى تنظر ما يؤول إليه أمرُ الناس، ويحكم الله وهو خير الحاكمين، فانك أصوبُ ما تكون رأياً وأحزمُ عملاً حين تَستقبل الأمورَ استقبالاً، ولا تكون الأمور أبداً أشكلَ عليك منها حين تستدبرُها استدباراً».

فقال الحسين: يا أخي، لو لم يكن في الدنيا ملجأٌ ولا مأوىً، لما بايعتُ يزيدَ بنَ معاوية.

فقطَع محمدُ ابنُ الحنفية كلامَه، وبكى، وبكى الحسينُ معه ساعةً، ثم قال له:

«يا أخي، جزاك الله عني خيراً، فقد نصحتَ وأشفقتَ وأشرتَ بالصّواب، وأرجو أن يكون رأيُك سَديداً موفقاً إن شاءَ الله[١].

وأنا عازمٌ على الخروج إلى مكة، وقد تهيأتُ لذلك أنا واخوتي وبنو أخي وشيعتي، أمرُهم أمري ورأيُهم رأيي.

وأما أنتَ - يا أخي - فلا عليك أن تُقيمَ في المدينة، فتكونَ لي عيناً عليهم لا تُخفي عليّ شيئاً من أمورهم».

وصية الحسين لأخيه محمد

ثم دعا الحسين عليه السلام بدواةٍ وبَياض، وكتب وصيةً لأخيه محمّد قال فيها:

«بسم الله الرحمان الرحيم، هذا ما أوصى به الحسينُ بنُ علي بنِ أبي طالب إلى أخيه محمّد المعروف بابن الحنفية: أنّ الحسين يشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له، وأن محمّداً عبدُه ورسولُه، جاءَ بالحقّ من عنده، وأنّ الجنةَ حقٌّ والنار حقٌّ، وأنّ الساعة آتيةٌ لا ريبَ فيها، وأنّ الله يَبعث مَن في القبُور.

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٣٤٢، والكامل لابن الأثير: ج٣ ص٢٦٥ - بحوادث سنة ٦٠ هجرية، ونهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٣٨١ ط القاهرة - باختلاف بسيط بنها في بعض الفقرات.

وإني لم أخرجْ أشِراً ولا بَطِراً، ولا مُفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجتُ لطلب الإصلاح في امة جدي محمّد ﷺ، أريد أن آمرَ بالمعروف وأنْهَ عن المنكر، وأسيرَ بسيرة جدي محمّد ﷺ وأبي علي بن أبي طالب، فمَن قَبلني بقبول الحقّ فالله أولى بالحقّ، ومَن ردّ عليّ هذا أصبرْ حتى يَقضي الله بيني وبين القوم بالحقّ، وهو خيرُ الحاكمين.

وهذه وصيتي إليك - يا أخي - وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلتُ - وإليه أنيب».

ثم طوى الكتابَ وختَمه بخاتمه الشريف، ودفعه إلى أخيه محمّد وودّعه محمّد، وخَرج باكياً حزيناً[١].

دخول جملة من الرجالات عليه للإشارة

قالوا: ودخل عليه جملةٌ من الرجالات: الهاشميين وغيرهم، وأشار عليه بعضُهم بالمسالَمة والصّلح مع يزيد بن معاوية، وحذّره من القتل والقِتال[٢].

---

(١) مناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص٨٨، ومقتل العوالم للبحراني: ص. ٥٤ وفي مقتل الخوارزمي ج١ ص١٨٩ طبع النجف - بعد كلمة (أنيب) إضافة هذه الجملة: «والسلام عليك وعلى من اتبع الهدى ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

(٢) فمن أولئك النفر: عمر الأطرف ابنُ أمير المؤمنين عليه السلام وهو شقيق العباس الأصغر، وأمهما الصهباء (أم حبيب بن عبّاد بن ربيعة) من بني تغلب، توفي في المدينة بعد واقعة الطف بست سنين - تقريباً - عن عمر يتجاوز الثمانين عاماً.

فقد دخل على أخيه الحسين عليه السلام - حينما بلغه خروجُه من المدينة - وقال له: جُعلت فداك - يا أبا عبد الله - حدثني أخوك أبو محمد الحسن عن أبيه - عليه السلام ثم سكت، وسبقته الدمعة. فبادره الحسين وقال: حدثك أني مقتول؟ قال عمر: حُوشيتَ - يا ابن رسول الله - قال الحسين: سألتك بحق أبيك: بقتلي أخبرك؟ قال عمر: نعم، فلولا ناوأتَ وبايعت فقال الحسين عليه السلام: حدثني أبي: ان رسول الله ﷺ أخبره بقتله وقتلي، وان تربتي تكون بقرب تربته، فتظن أنك علمتَ ما لم أعلمه؟ وإني لا أعطي =

إباؤه عن الصلح والمسالمة

ولكن أبيَّ الضيم، وسيّد أهل الإباء، الذي علَّم الناسَ الحميّة، والموت تحتَ ظِلال الأسنّة، إختياراً على الدنيّة، كيف ترضى نفسُه - التي هي نفسُ أبيه - الإنقيادَ والمسالَمةَ لابن آكلة الأكباد، اللعين بن اللعين على لسان رسول رب العالَمين.

وكيف يَستسلم إلى الدنيّة - وهو القائل: «موتٌ في عز خيرٌ من حياة في ذل» وهو القائل - يومَ الطف حين عُرض عليه النزول على حكم يزيد وابن زياد -:

= الدنيةَ من نفسي أبداً، ولتَلقينّ فاطمة أباها شاكية ما لقيتُ ذريتُها من أمته، ولا يدخل الجنة أحدٌ آذاها في ذريتها. - عن اللهوف لابن طاووس: ص١٢ طبع النجف -.

ومن أولئك النفر: عبد الله بن عمر، فقد جاء إلى الحسين عليه السلام بعد أن علم بخروجه من المدينة، وخرج خلفه مسرعاً، فأدركه في بعض المنازل، فسأله عن مقصده؟ فقال الحسين: إنه العراق، فقال ابن عمر: ارجع إلى حرم جدك. فأبى الحسين عليه، فلما رأى ابنُ عمر إباءه، قال: يا أبا عبد الله، اكشف لي عن الموضع الذي كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقبّله منك؟ فكشف الحسين له عن سُرّته، فقبّلها ابن عمر ثلاثاً وبكى، وقال: أستودعك الله يا أبا عبد الله، فانك مقتول في وجهك هذا - عن الشيخ الصدوق في أماليه مجلس ٣٠ -. وفي كتاب (ريحانة الرسول صلى الله عليه وآله المستل من تاريخ دمشق لابن عساكر: ص١٩٣) طبع بيروت: «سمعت الشعبي يحدث عن ابن عمّه: أنه كان بماءٍ له. فبلغه أن الحسين بن علي قد توجه إلى العراق، فلحقه على مسيرة ثلاث ليالٍ، فقال له: أين تريد؟ فقال: العراق - وإذا معه طوامير كتب فقال: هذه كتبهم وبيعتهم، فقال: لا تأتهم، فأبى، قال: إني محدثك حديثا: إن جبرئيل أتى النبي صلى الله عليه وآله فخيره بين الدنيا والآخرة، فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا. وإنكم بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله والله لا يليها أحد منكم أبداً وما حرفها الله عنكم إلا للذي هو خير لكم. فأبى أن يرجع قال: فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال: أستودعك الله من قتيل». ومن أولئك النفر أيضاً: جابر بن عبد الله الأنصاري، وأبو سعيد الخدري، وأبو واقد الليثي، وغيرهم من بعض الصحابة والتابعين، أشاروا عليه بعدم خروجه إلى العراق، فلم يطع أحداً منهم، وصمّم على المسير إلى العراق - عن تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص٢٠٦ الطبعة الثانية بمصر - وكتاب (ريحانة الرسول المستلّ من تاريخ دمشق لابن عساكر: ص١٩٧-٢٠٠) ط بيروت بتحقيق المحمودي.

«ألا وإنّ الدعيَّ ابنَ الدعيّ قد ركز بين اثنتين: بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذِلّة، يأبى الله لنا ذلك ورسولُه والمؤمنون وحجورٌ طابت وطهرت وأنوفٌ حميّة ونفوسٌ أبيّة من أن تؤثر طاعةَ اللئام على مصارع الكرام».

طمعتْ أن تسومه القومُ ضيماً   وأبى اللهُ والحسامُ الصَنيعُ
كيف يلوي على الدنيّة جيداً   لسوى الله ما لواه الخضوعُ
فأبى أن يعيشَ إلا عزيزاً   أو تَجلّى الكفاح وهو صريعُ
فتلقّى الجموعَ فرداً ولكن   كلُّ عضوٍ في الروع منه جُموع[1]

دخول أم سلمة عليه

قالوا: ودخلت عليه أم سلمة - وهي باكيةٌ - فقالت له:

يا حسين لا تُحزنّي بخروجك إلى العراق، فاني سمعتُ جدّك رسول الله ﷺ يقول: «يُقتَل ولدي الحسين بأرض العراق في أرضٍ يقال لها كربلا» وعندي تربة في (قارورة) دفعها إليّ النبيّ.

فقال لها الحسين: يا أمّاه، وأنا - والله - أعرف ذلك، وأعلم أني مقتولٌ مذبوحٌ ظلماً وعُدواناً، وقد شاءَ الله أن يَرى حُرَمي ورهطي ونسائي مُشَرّدين، وأطفالي مذبوحينَ مأسورينَ مقيّدينَ، وهم يستغيثون فلا يَجدون ناصراً ولا مُعيناً.

---

(١) من قصيدة عصماء في رثاء الحسين بن علي - عليه السلام - لشاعر أهل البيت الجزل الأسلوب العالي المضامين، العلامة الأديب السيد حيدر ابن السيد سليمان ابن السيد داود الحلي. ولد في الحلة سنة ١٢٤٦هـ وتوفي فيها - سنة ١٣٠٤هـ ونقل جثمانه الطاهر إلى النجف الأشرف، فدفن فيه بجوار جده أمير المؤمنين عليه السلام.
له عدة مؤلفات تأريخية وأدبية، ولعلّ أهمها كتابه المطبوع المعروف بـ(العقد المفصل في قبيلة المجد المؤثل) طبع بجزءين عدة مرات.
وله ديوان مطبوع. أغلبه في مدح ورثاء أهل البيت (عليهم السلام) اسمه (الدر اليتيم) وهو يحتوي على زهاء عشرين قصيدة جزلة في خصوص رثاء الحسين عليه السلام وهي حولياته المعروفة بين الناس، ومنها هذه القصيدة العينية التي يستهلّها بقوله:
قد عهدنا الربوع وهي ربيع   أين لا أين أنسها المجموع

قالت أم سلمة: وآعجباه، فأنّى تذهب وأنت مقتول؟

قال الحسين: يا أمّاه، ان لم أذهب اليومَ ذهبتُ غداً، وإن لم أذهب في غدٍ ذهبتُ بعدَ غدٍ، وما مِن الموت - والله - بُدّ، وإني لأعرف اليومَ الذي أُقتلُ فيه. والساعةَ التي أُقتلُ فيها، والحفرةَ التي أدفنُ فيها، كما أعرفكِ وأنظر إليها كما أنظر إليكِ، وإن أحببتِ - يا أمّاه - أن أريَكِ مضجَعي، ومكانَ أصحابي؟.

فطلبتْ منه ذلك. فأراها ما طَلبتْ، ثم أعطاها من تلك التُربة، وأمرَها أن تَحتفظَ بها في (قارورة) مع (قارورة) جَدّه رسول الله، فإذا رأتهما تفوران دماً تَيقّنَتْ قتلَه.

وفي اليوم العاشر من المحرّم بعدَ الظهر بساعةٍ، نظرتْ أم سَلَمة إلى القارورتين فإذا هما تفوران دماً[١].

خروج الحسين إلى مكة

قالوا: وخرج الحسين عليه السلام هو وبنوه وإخوته وبن أخيه وجُلّ أهل بيته إلا محمّد ابن الحنفية، وعبد الله بن جعفر، وعمر الأطرف، وعبد الله بن عباس، فخرج - وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: 21].

وكان خروجُه ليلةَ الأحد ليومين بقيا من رجَب سنةَ ستين من الهجرة[٢].

ولزم الطريقَ الأعظم، فقيل له: لو تنكّبتَ الطريقَ - كما فعل ابن الزبير كيلا يَلحقَك الطَلب - ؟.

---

(١) مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني: ص٢٤٤، ومقتل العوالم: لعبد الله البحراني: ص٤٧.

(٢) خطط المقريزي: ج٢ ص٢٨٥، وتاريخ الطبري: ج٥ ص٣٤١ طبع دار المعارف بمصر. وإرشاد المفيد: ص٢٠٧ طبع حجر، وغيرها من عامة كتب التاريخ والمقاتل، غير أن الخوارزمي ابن شهر اشوب وبعض غيرهما يذكرون أن خروجه كان لثلاث مضين من شعبان، والظاهر إنه التباس الخروج من المدينة بالدخول إلى مكة، فان ذلك التاريخ كان لدخوله مكة - على الأصح -.

قال: لا والله، لا أفارقه حتى يقضي الله ما هو قاضٍ[١].

خرَجَ الحسينُ من المدينة خائفاً كخروج موسى خائفاً يَتكتّم
لم يَدرِ أين يُريح بُدنَ ركابه فكأنّما المأوى عليه مُحرّم
مثل ابنِ فاطمةٍ يَبيتُ مَشرّداً ويزيدُ في لذّاته مُتنعّم
ويُضيّق الدنيا على ابنِ محمدٍ حتى تَقاذَفَهُ الفضاءُ الأعظم[٢]

ولقيَه عند خروجه من المدينة في موضع يقال له (الشريفة) عبدُ الله بن مطيع العدَوي، فقال له: جُعلتُ فداك أينَ تُريد؟

قال الحسين: أما الآنَ، فمكة، وأمّا بعد ذلك فأستخيرُ الله تعالى في أمري.

قال عبدُ الله: خارَ اللهُ لك، وجَعَلنا فداك، فإذا أتيتَ (مكة) فإيّاك أن تَقربَ من الكوفة، فانها بَلدةٌ مشؤومة، قتِل فيها أبوك، وخُذِلَ أخوك، واغتيل بطعنةٍ كادتْ تأتي على نفسه، فألزَم الحَرَم، فأنت سيّدُ العرب، لا يَعدلُ بك أهلُ الحجاز أحداً، ويتداعى إليكَ الناس من كل جانب، ولا تُفارقِ الحَرَم - فداك عَمّي وخالي - فوالله لئن هلكت لَنُستَرقنَّ بعدَك»[٣].

---

(١) إرشاد المفيد: ص.٢٠٨ وفي تاريخ الطبري: ج٥ ص٣٥١ طبع دار المعارف بمصر هكذا: «ما هو أحبّ إليه». وفي مقتل الخوارزمي: ج١ ص١٨٩ طبع النجف: «فقال له ابن عمه مسلم بن عقيل: يا ابن رسول الله لو عدلنا عن الطريق، وسلكنا غير الجادة - كما فعل ابن الزبير - كان عندي خير رأي، فإني أخاف أن يحلقنا الطلب؟ فقال له الحسين: لا والله يا ابن عم، لا فارقتُ هذا الطريق أبداً أو أنظر إلى أبيات مكة، ويقضي الله في ذلك ما يحب ويرضى».

(٢) من قصيدة عصماء للعلامة الأديب السيد جعفر الحلي - كما في ديوانه -. ومطلعها:
وجه الصباح عليّ ليلٌ مظلم وربيع أيامي عليّ محرّم

(٣) نهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٣٨٤ ط القاهرة.
وتاريخ الطبري ج٥ ص٣٥١ طبع دار المعارف بمصر، وتذكرة الخواص: ص٢٤٣ طبع النجف، وأنساب الأشراف للبلاذري: ج٣ ص١٥٦ طبع بيروت. وفي ص٢٠٠ من كتاب ريحانة الرسول المستل من تاريخ دمشق لابن عساكر طبع بيروت - كلامه الأخير هكذا: «إي فداك أبي وأمّي، متعنا بنفسك ولا تسر إلى العراق، فوالله لئن قتلك هؤلاء القومى ليتخذونا خولاً وعبيداً».

دخول الحسين مكة

وأخذ الحسين عليه السلام يجد السير حتى إذا تراءت له جبال مكة، أخذ يقرأ قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [القصص: 22][١].

وكان دخوله مكة ليلة الجمعة - أو يومَها - لثلاثٍ مَضَين من شعبان[٢]، فنزل في دار العبّاس بنِ عبد المطلب[٣]. وقيل: في شِعبِ علي[٤].

فلم يَجدْ بُدًّا من الخُروج	خوفاً من الطَغامِ والعُلوج[٥]
فسار ظاعناً من المدينة	لكيْ يَصونَ نفسَه ودينَه
بأي شَرعٍ سبطُ طه يُخرَجُ	يَفرّ من دياره ويُزعجُ
وطيبةٌ طابتْ بهم أرجاؤها	وشَرفتْ بجدّهم بطحاؤها
قد أخرجوه من جوار جدّه	مشرّداً بأهله ووُلده
إلى حمى الله التجا ليحتمي	وهو أمانُ مكةٍ والحرَم

---

(١) المنتظم لابن الجوزي: ج٥، الفتوح لابن أعثم الكوفي: ج٥ ص٣٤ ووسيلة المآل: ص. ١٨٥ وفي ص١٥٥ من كتاب ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله من تاريخ دمشق لابن عساكر طبع بيروت بتحقيق الشيخ المحمودي - بعد عرض القصة وإباء الحسين عليه السلام على ابن مطيع - هكذا: «. . . فقال له ابن مطيع: إن بئري هذه قد رشحتها، وهذا اليوم أوان ما خرج إليها في الدلو شيء من ماء، فلو دعوت الله لنا فيها بالبركة، فقال: هات من مائها؟ فأتى من مائها في الدلو، فشرب منه الحسين ثم تمضمض ثم ردّه في البئر، فأعذب ماؤها وأمهى - أي كثر -».

(٢) إرشاد المفيد: ص٢٠٨ طبع حجر، ولهوف ابن طاووس ص١٣ والخوارزمي وغيرهم من عامة المؤرخين، وأرباب المقاتل - من الفريقين -.

(٣) ترجمة ريحانة الرسول المستل من تاريخ دمشق لابن عساكر: ص٢٠٠، طبع بيروت.

(٤) الأخبار الطوال للدينوري: ص٢٠٩.

(٥) الطغام - بالفتح: أوغاد الناس وسقطتهم. والواحد والجمع فيه سواء. والعُلوج - بالضم - واعلاج جمعان (للعجل) بالكسر فالسكون - وهو القوي الضخم من كفّار العجم، أو مطلق الكفار، ويطلق على الحمار - أيضاً -.

ما البيتُ ما الكعبةُ ما أركانُه هُمْ قبلةُ البيت وهمْ أمانُه
ما الركنُ ما الحطيمُ ما المشاعرُ هُم باطنُ الأمر وذاك الظاهر
فكلّها - لو عَلموا - أشباحُ وهمْ لها دون الورى أرواح[١]

فأقام بمكة شعبانَ وشهرَ رمضان وشوالاً وذا القعدة[٢] وثمان ليالٍ من ذي الحجة[٣].

اقبال الناس على الحسين في مكة

وأقبل أهلُ مكة ومَن كان بها من المعتمرين وأهل الآفاق يختلفون إليه ويغدون عليه[٤] وابنُ الزبير بها ملازمٌ جانبَ الكعبة يصلّي عندها ويطوف، ويأتي الحسينَ في مَن يأتيه اليومين المتواليين ويأتيه بين كل يومين مرةً، ولا يزال يشير على الحسين بالرأي وبالخروج إلى العراق[٥] وكان ثقيلاً عليه دخولُ الحسين (مكة) لكونه أجلّ منه، وأطوَع للناس، فلا يُبايَع له ما دام الحسينُ فيها[٦].

---

(١) من (المقبولة الحسينية) للمغفور له آية الله الحجة الشيخ هادي بن الشيخ عباس بن الشيخ علي بن الشيخ الأكبر الشيخ جعفر النجفي صاحب (كشف الغطاء) قدس الله أسرارهم.
(٢) اللهوف لابن طاووس: ص١٣ طبع النجف.
(٣) فقد خرج من مكة يوم التروية الثامن من ذي الحجة بإجماع المؤرخين من الفريقين - لو استثنينا بعض الشذوذ القائل بأنه يوم التاسع، أو العاشر منه.
(٤) الكامل لابن الأثير: ج٣ ص٢٦٦ طبع بيروت، والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ص١٧٠، ووسيلة المآل في عد مناقب الآل: ص١٨٥، والبداية والنهاية لابن كثير: ج٨ وغيرها.
(٥) ومن ذلك قوله للحسين عليه السلام: «ما يمنعك من شيعتك وشيعة أبيك، فوالله لو أن لي مثلهم ما توجهت إلا إليهم» - عن تاريخ الإسلام للذهبي: ج٢ ص٢٦٨ -.
(٦) الكامل لابن الأثير: ج٣ ص٢٦٦ طبع بيروت، وإرشاد المفيد: ص٢٠٨ طبع إيران، وفي (أنساب البلاذري: ج٣ ص١٥٦) ونهاية الارب للنويري ج٢٠ ص٣٨٥ إشارة إلى ذلك.

يزيد يراسل ابن عباس في شأن الحسين وجواب ابن عباس له

وكتَب والي مكة - يومئذ - عمروُ بن سعيد الأشدق إلى يزيد بن معاوية بنزول الحسين وأبنائه وأهل بيته (مكة) واجتماع الناس إليه والتفافهم حولَه، وأنّ في ذلك الخطر على خلافته، فاضطرب يزيد حينما وصله الكتاب، وكتب - على الفَور - إلى عبد الله بن عباس كتاباً جاء فيه[١].

«أما بعدُ، فانّ ابن عمّك حسيناً وعدوّ الله ابنَ الزبير التويا ببيعتي ولحقا بمكة، مرصِدين للفتنة، معرّضين أنفسَهما للهلكة.

فأما ابن الزبير، فانه صَريع الفناء، وقتيل الأعداء غداً.

وأما الحسين، فقد أحببتُ الإعذار إليكم - أهلَ البيت - ممّا كان منه، وقد بلغني أنّ رجالاً من شيعته من أهل العراق يكاتبُونه ويكاتبُهم، ويُمنّونه الخلافة ويمنّيهم الإمرة، وقد تَعلمون ما بيني وبينكم من الوُصلة وعظيم الحُرمة، ونتائج الأرحام، وقد قطع ذلك الحسين وبتَر.

وأنت زعيم أهل بيت: وسيّد بلادك، فالقَه فاردُده عن السعي في الفتنة، فان قبل منك وأناب فله عندي الأمانة والكرامة الواسعة...» - إلى آخر كتابه وكتب في أسفل الكتاب هذه الأبيات:

يا أيّها الراكب الغادي مَطيَّته ... على عُذافرةٍ في سَيرها قُحُم[٢]

أبلغ قريشاً على نأي المزار بها ... بيني وبين حسينٍ اللهُ والرَحِمُ

وموقفٌ بفناء البيت أنشدُه ... عهدُ الاله وما تُوفى به الذِمم

---

(١) لم تكن هذه المراسلة بين يزيد وابن عباس في (مقتل المرحوم الوالد) (قدّس سره) أضفناها للمناسبة.

(٢) العذافرة - بالضم -: الناقة الشديدة السريعة الخطو. وقحم الطريق والسير - بالضم - مصاعبه ومتاعبه.

هـنّـيـتُـم قـومَـكـم فـخـراً بـأمـكُـم أمٌّ لـعَـمـري حَـصـانٌ عِـفـةٌ كَـرم
هـي الـتـي لا يُـدانـي فـضـلَـهـا أحـدٌ بنت الرسول وكلّ الناس قد علموا
وفـضـلـهـا لـكـمُ فـضـلٌ وغـيـركـمُ من قومِكم لهُمُ في فضلها قسمُ
إنـي لأعـلـم أو ظـنـاً كـعـالـمـه والـظـن يـصـدق أحـيـانـاً فـيـنـتـظـم
أن سـوف يـتـركـكـم مـا تـدّعـون بـه قـتـلى تـهـاداكـم العِـقـبـان الـرَخـم[١]
يا قومَنا لا تشبّوا الحربَ إن سكنت وأمسكوا بحبال السلم واعتصموا
قد غرَّت الحربُ مَن قد كان قبلكُم مـن الـقـرون وقـد بـادت بـهـا الأمـم
فـأنـصـفـوا قـومَـكـم لا تـهـلـكـوا بـذخـاً فـربّ ذي بـذَخ زلّـتْ بـه الـقـدم

فأجابه ابن عباس بكتاب جاء فيه:

«أما بعدُ، فقد ورد كتابُك تذكر فيه لحاقَ الحسين وابنَ الزبير بمكة. فأما ابن الزبير فرجلٌ منقطعٌ عنّا برأيه وهواه، يكاتمنا - مع ذلك - أضغاناً يُسرّها في صدره، يُوري علينا وَري الزناد، لا فكّ الله أسيرَها، فارءَ في أمره ما أنت رآءٍ.

وأما الحسين، فانه لما نزل (مكة)، وترك حرمَ جدّه ومنازل آبائه سألتُه عن مَقدمه، فأخبرني أنّ عُمّالاً لك بالمدينة أساؤوا إليه، وعجّلوا عليه بالكلام الفاحش، فأقبل إلى حرَم الله مستَجيراً به، وسألقاه فيما أشرتَ إليه، ولن أدع النصيحةَ فيما يجمع الله به الكلمة، ويُطفىء به النائرة، ويخمد به الفتنة، ويحقن به دماءَ الأمة.

فاتّق الله في السرّ والعَلانية، ولا تبيتَنَّ ليلةً، وأنت تُريد لمسلم غائلةً ولا ترصده بمظلمة، ولا تحفر له (مِهراة)[٢] فكم من حافر لغيره حفراً وقع فيه، وكم من مؤمل أملاً لم يؤت أمله. وخذ حظّك من تلاوة القرآن، ونشر السنّة، وعليك بالصيّام

(١) العقبان - بالكسر -: جمع (عقاب) بالضم - وهو من جوارح الطيور تسميها العرب بالكاسر. والرخم - بفتحتين -: طائر أبقع يشبه النسر في الخلقة وواحدة (رخمة) بفتحتين.

(٢) المهراة - بالكسر-: الحفرة الواسعة.

والقيام، لا تُشغلك عنهما ملاهي الدنيا وأباطيلها، فانّ كلّ ما اشتغلت به عن الله يضرّ ويفنى، وكل ما اشتغلتَ به من أسباب الآخرة ينفع ويبقى والسلام»[١].

الحسين يكتب من مكة إلى بني هاشم

ولما نزل الحسين عليه السلام - مكةَ كتب كتاباً موجزاً إلى أخيه محمّد ابن الحنفية وعموم بني هاشم الّذين هم بالمدينة، جاء فيه:

«أما بعدُ، فانَّ مَن لحق بي منكم استُشهد، ومَن لم يلحق بي لم يبلغ الفتح والسلام»[٢].

الحسين يكتب إلى أشراف البصرة

وكتب عليه السلام - من مكة إلى جماعة من أشراف البصرة ورؤساء الأخماس[٣] مع مولىً له، اسمه سليمان، وكنيته (أبو رزين):

«بسم الله الرّحمان الرّحيم، من الحسين بن علي بن أبي طالب،

أما بعدُ، فانّ الله اصطفى محمّداً من جميع خلقه، وأكرمه بنبوّته، واختاره لرسالته، ثم قبَضه إليه مكرّماً، وقد نصح لعباده وبلّغ ما أرسل به، وكنّا أهلَه

---

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: (ص٢٣٨-٢٣٩) طبع النجف، وفي ترجمة ريحانة الرسول المستل من تاريخ دمشق لابن عساكر ص٢٠٤ طبع بيروت إشارة إلى كتب يزيد وأبياته، وإلى فقرات من جواب ابن عباس.

(٢) كامل الزيارات لابن قولويه: ص٧٥ طبع إيران، واللهوف لابن طاووس: ص٢٧ طبع النجف. وفي تاريخ ابن عساكر: ج١٣ ص٧١ من مصورات مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام في النجف: «فالتحق به أبناء عمومته وإخوته على أثر الكتاب».

(٣) الأخماس: جمع خميس، وهو الجيش، لتألفه من خمس فرق، الجناحين والقلب، والمقدمة، والمؤخرة.

وأولياءَه وأوصياءَه، وورثته، وأحقَ الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومُنا بذلك فرضينا وكرهنا الفُرقةَ، وأحببنا العافيةَ، ونحن نعلم أنّا أحقّ بذلك الحقّ المستَحق علينا ممّن تَولاّه.

وقد بعثتُ إليكم بهذا الكتاب، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه، فإن السنّة قد أميتتْ، وإنّ البدعة قد أحييتْ، وإنْ تَسمعوا قولي، وتُطيعوا أمري أهدِكمْ إلى سبيل الرشاد، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[١].

وممّن كتَب إليه الحسين عليه السلام من أهل البصرة: الأحنف بن قيس سيّد بني تميم، والمنذر بن الجارود العبدي، ويزيد بن مسعود النهشلي[٢].

فأخذ الرسول كتاب الحسين عليه السلام وجعل يَجدّ السير في مكة إلى أن وصل إلى البصرة فسلم صورة الكتب إلى أصحابها.

نتيجة الكتاب لدى المراسلين الثلاثة

فأما الأحنف بن قيس - زعيم بني تميم - فكتب إلى الحسين عليه السلام:

«أما بعد، فاصبرْ، إنّ وعدَ الله حق، ولا يَستخفنّك الّذين لا يُوقنون»[٣].

وأمّا المنذر، فجاءَ بالكتاب والرسول إلى ابن زياد - وكان يومئذ والياً على البصرة - وكان ابن زياد صهرَ المنذر على ابنته (بحريّة) فخاف أن يكون الكتاب دَسيساً من قبل عبيد الله. فأخذ ابنُ زياد الرسولَ - بعد أن أقرأه الكتاب - فقتَله،

---

(١) تاريخ الطبري: ص٥ ص٣٥٧ طبع دار المعارف بمصر.

(٢) والكتاب المذكور بنسخة واحدة إلى أشخاص ستة من وجهاء البصرة، وهم - غير هؤلاء الثلاثة -: مالك بن مسمع البكري، وقيس بن الهيثم، وعمرو بن عبيد الله بن معمر، وكلهم أخفوا الكتاب ولم يجيبوا عليه إلاّ أولئك الثلاثة. - كما عن تاريخ الطبري: ج٥ ص٣٥٧ طبع دار المعارف بمصر.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي: ج٣ ص٢٠٠، ومثير الأحزان لابن نما: ص١٣.

وصلبه[(١)] عشيةَ اليوم الذي غادر في صبيحتها البصرة إلى الكوفة بأمرٍ من يزيد بن معاوية[(٢)].

وأما يزيدُ بنُ مسعود النَهشلي، فانّه لما جاءه كتاب الحسين عليه السلام جمع بني تميم وبني حنظلة وبني سعد في مؤتَمرٍ واحدٍ، فلمّا حضروا خطبَهم، فقال:

«يا بَني تميم، كيف ترون مَوضعي فيكم، وحسبي منكم»؟.

فقالوا: بَخ بَخ، أنت والله فِقرةُ الظهر، ورأسُ الفخر، حَللتَ في الشَرف وسَطا، وتقدّمت فيه فُرُطا.

قال: فاني قد جمعتكُم لأمرٍ أريد أن أشاورَكم فيه، وأستعين بكم عليه.

فقالوا: إنا - والله - نَمنحُك النَّصيحةَ، ونحمد لك الرأي، فقل حتى نسمعَ؟.

فقال: إنّ معاوية قد مات، فأهون به - والله - هالكاً ومفقوداً، ألا وإنه قد انكسر باب الجور والإثم وتضعضعتْ أركان الظلم، وقد كان أحدث بيعةً عقد بها أمراً ظنّ أنه قد أحكمه، وهيهات الذي أراد، اجتهد - والله - ففَشِل، يَدّعي الخلافة على المسلمين ويتأمّر عليهم، مع قِصَر حِلم، وقلة علم، لا يعرف من الحق مَوطأ قدميه، فأقسم بالله قسماً مبروراً، لَجهادهُ على الدين أفضل من جهاد المشركين.

وهذا الحسينُ بن علي وابنُ رسول الله ذو الشَرف الأصيل، والرأي الأثيل، له فضلٌ لا يُوصف، وعلمٌ لا يَنزف، وهو أولى بهذا الأمر، لسابقته وسنّه وقِدمه

---

(١) كتب عنه بعض الأكابر من الرجاليين: أنه كان جليل القدر من ذوي المراتب العالية في الكمال والمعرفة، ومن رجالات الشيعة في البصرة.

(٢) وذلك حينما علم بدخول مسلم بن عقيل الكوفة وتوسع أمره فيها، فضم الكوفة مع البصرة إلى عبيد الله بن زياد. وبعد أن قتل ابن زياد الرسول صعد المنبر في البصرة، فحمد الله وأثنى عليه. ثم قال: «أما بعد فوالله ما تقرن بي الصعبة، ولا يقعقع لي بالشأن...» إلى آخر خطبته التهديدية التي سنذكرها مع قصة مسلم ودخوله الكوفة - راجع ذلك في تاريخ الطبري: ج٥ ص٣٥٨ طبع دار المعارف بمصر.

وقَرابته، يعطف على الصغير ويُحسن إلى الكبير، فأكرِمْ به راعيَ رعية، وإمامَ قوم وجَبتْ لله به الحجة، وبُلّغت به الموعظة، فلا تَعشُوا عن نُور الحق، ولا تسكّعواً في وَهدة الباطل. وقد كان صخرُ بن قيس انخذل بكم يومَ الجمل، فاغسلوها بخروجكم إلى ابن رسول الله ونصرته، فوالله، لا يُقصّر أحدٌ عن نصرته إلا أورثه اللهُ الذلَّ في وُلده، والقِلَّة في عشيرته.

وهذا أنا ذا قد لبستُ للحرب لامتَها، وادّرعتُ لها بدرعها، مَن لم يُقتلْ يمتْ، ومَن يَهربْ لم يَفتْ، فأحسِنُوا - رحمكم الله - ردّ الجواب.

فتكلّمتْ بنو حَنظلة، فقالوا: يا أبا خالد، نحنُ نَبلُ كِنانتك وفُرسانُ عشيرتك، إن رميتَ بنا أصبتَ، وان غزوت بنا فتحتَ، لا تخوضُ - والله - غَمرةً الا خُضناها، ولا تلقى - والله - شدةً إلاّ لقيناها، ننصرُك بأسيافنا، ونقيك بأبداننا إذا شئتَ.

وتكلّمتْ بنو عامر بن تميم، فقالوا: يا أبا خالد، نحن بنو أبيك وحلفاؤك، ولا نرضى إن غضبتَ، ولا نقطن إن ضعنتَ والأمر إليك، فادعُنا نجبْك، ومُرنا نطعْك، والأمر لك إن شئتَ.

وتكلّمتْ بنو سعد بن زيد، فقالوا: يا أبا خالد، إن أبغضَ الأشياء إلينا خلافُك، والخروجُ عن رأيك، وقد كان صخرُ بنُ قيس أمرنا بترك القتال (يومَ الجمل) فحمدنا أمرَنا، وبقي عزّنا فينا، فأمهلنا نراجع المشورةَ، ونأتيك برأينا».

فقال ابنُ مسعود: والله، يا بني سعد، لئن فعلتُموها لا رفَع اللهُ السيفَ عنكم أبداً، ولا زال سيفُكم فيكم.

ثم كتب إلى الحسين عليه السلام كتاباً مع الحجاج بن بدر السعدي، وكان - هذا الآخر - قد تهيّأ للمسير إلى الحسين، جاء فيه:

«بسم الله الرحمان الرحيم، أما بعدُ، فقد وصَل إليّ كتابُك وفهمتُ ما ندبتَني إليه ودعوتَني له من الأخذ بحظّي من طاعتك والفوز بنصيبي من نُصرتك، وإنّ الله لم يُخلِ الأرضَ - قط - من عامل عليها بخير، أو دليل على سبيل نجاة، وأنتم حجة الله على خلقه، ووديعته في أرضه، تفرّعتم من زَيتونة أحمدية، هو أصلُها، وأنتم فرعُها، فاقدمْ سَعُدتَ بأسعد طائر، فقد ذلّلتُ لك أعناقَ بني تميم، وتركتُهم

أشدّ تتابعاً في طاعتك من الإبل الظِماء لورود الماء يومَ خَمسها، وقد ذلّلتُ لك رقابَ بني سعد، وغسلتُ دَرن صدورها بماء سحابة مُزنٍ حين استهلّ برقُها فلمع».

فلما قرأ الحسين الكتاب، قال: «مالك، آمنك الله يومَ الخوف وأعزّك وأرواك يومَ العطش الأكبر»[1].

ويظهر من كلام الحسين - هذا -: إن كتاب ابن مسعود وصله وهو في ساحة كربلاء، وبأمسّ الحاجة إلى مَن ينصره ويذبّ عن حَريمه.

قالوا: ولما تجهّز ابنُ مسعود للخروج إلى الحسين عليه السلام بلغه قتلُه قبلَ أن يسير، فخرج من انقطاعه عنه، وكثر أسفه عليه[2].

وبقي الحجّاج الذي جاءَ بالكتاب مع الحسين عليه السلام حتى قُتِل بين يديه.

التحاق نفر من أهل البصرة بالحسين

قالوا: وانتدب لنصر الحسين عليه السلام من أهل البصرة خمسة نفَر، وهم: يزيد بن نبيط العبدي، وابناه: عبد الله وعبيد الله[3] وصحبَه مولاه عامر، وسيف ابن مالك، والأدهم بن أميّة.

(١) اللهوف لابن طاووس: ص١٨ طبع النجف، ومثير الأحزان لابن نما: ص١٣.
(٢) اللهوف لابن طاووس، ومثير الأحزان لابن نما.
(٣) وكانت الشيعة في البصرة تجتمع في منزل امرأة من عبد القيس يقال لها (مارية بنت سعد) أياماً، وكانت تتشيع، وكان منزلها لهم مألفاً يتحدّثون فيه، فعزم يزيد بن نبيط على الخروج إلى الحسين عليه السلام وهو من عبد القيس - وكان له بنون عشرة، فقال: أيكم يخرج معي؟ فانتدب معه ابنان له: عبد الله وعبيد الله. فقال لأصحابه في بيت تلك المرأة: إني قد أزمعت على الخروج، وأنا خارج، فقالوا له: إنا نخاف عليك أصحاب ابن زياد، فقال: إني والله لو قد استوت أخفافها بالجدد لهان علي طلب من طلبي.
ثم خرجوا فقدموا على الحسين بمكة، ثم ساروا معه فقتلوا معه - عن الطبري: ج٥ ص٣٥٤ وابن الأثير ج٣ ص٢٦٧ - بحوادث سنة ٦٠ هجرية.

وهؤلاء خفّوا بالخروج قبل أن يتجهز ابنُ مسعود، فأخذوا يجدّون السيرَ حتى وافَوا الحسينَ بمكة، وضمّوا رحالَهم إلى رحله حتى وردوا كربلاء، وقتلوا معه بأجمعهم في مكانٍ واحد.

شيعة الكوفة يكاتبون الحسين

قالوا: ولما بلغ أهلَ الكوفة نزولُ الحسين بمكة وامتناعُه عن البيعة ليزيد، اجتمعت الشيعةُ في دار سليمان بن صُرَد الخزاعي وكان من زعماء الشيعة في الكوفة، فقام فيهم خطيباً، فقال:

«إنّ معاوية قد هلَك، وإنّ حسيناً قد تَقبّض على القوم ببيعته، وقد خرج إلى مكة، وأنتم شيعته وشيعة أبيه، فان كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهِدوا عدوّه، فاكتبوا إليه، وإن خفتم الوَهن والفشَل، فلا تَغرّوا الرجل من نفسه».

فقالوا - بأجمعهم -: لا بل نقاتل عدوّه، ونقتل أنفسنا دونه[1].

قال: فاكتبوا إليه. فكتَبوا إليه في أواخر شعبان كتاباً جاء فيه:

«بسم الله الرحمان الرحيم، للحسين بن علي من سُليمان بن صرد، والمسيب بن نجبة ورفاعة بن شداد، وحبيب بن مظاهر، وعبد الله بن وال، وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة:

سلام عليك، أما بعد، فانّا نحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو. . أما بعدُ، فالحمدُ لله الذي قصَم عدوّك وعدوّ أبيك الجبّار العنيد الغَشوم الظَلوم الذي انتزى على هذه الأمّة، فابتزّها أمرها، وغصبَها فيأها، وتأمّر عليها بغير رضاً منها، ثم

(١) إرشاد المفيد: ص٢١٠ طبع إيران، وتذكرة الخواص لابن الجوزي: ص٢٤٣ طبع النجف. وتاريخ الطبري: ج٥ ص٣٥٣ طبع دار المعارف بمصر.
وفي مقتل الخوارزمي: ج١ الفصل العاشر، ولهوف ابن طاووس ص١٤ طبع النجف، وبعض غيرهما: أول الخطبة هكذا: «يا معشر الشيعة إنكم قد علمتم بأن معاوية قد هلك. . .».

قتَل خيارَها، واستبقى شِرارَها، وجعل مال الله دُولةً بين جبابرتها وعُتاتها، فبُعداً له كما بعدتْ ثَمود.

ثم إنّه ليس علينا إمامٌ غيرُك، فأَقبلْ لعلّ الله أن يَجمعنا بك على الحقّ، والنُعمان بنُ بشير في (قصر الإمارة) ولسنا نجتمع معه في جُمُعة ولا جَماعة، ولا نخرج معه في عيد، ولو قد بلغنا أنك أقبلتَ إلينا أخرجناه حتى نُلحقَه بالشام إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[١].

وسيّروا الكتابَ مع عبد الله بن سبيَع الهمداني وعبد الله بن وال التَيمي، وأمروهما بالنجاء، فخرجا حتى قدما على الحسين عليه السلام بمكةَ لعشرٍ خَلون من شهر رمضان[٢].

ولبثوا يومين أو ثلاثاً بعد تسريحهم الكتاب، ثم أنفذوا جماعةً منهم: قيس ابن مُسهر الصيداوي، وعبد الرحمان بن عبد الله الأرحبي، وعمارة بن عبد الله السلولي إلى الحسين عليه السلام ومعهم نحوٌ من (مائة وخمسين صحيفة) من الرجل والإثنين والثلاثة والأربعة، يسألونه فيها القدوم عليهم[٣].

وتوافدتْ عليه - بعد ذلك - كتبُ أهل الكوفة، وتكاثرت، حتى ورد عليه في

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٣٥٢ طبع دار المعارف بمصر، والإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج٢ ص٤ الطبعة الثانية بمصر، وأنساب الأشراف للبلاذري: ج٣ ص١٥٨ ط بيروت، والكامل لابن الأثير: ج٣ ص٣٦٦ طبع بيروت، ومقتل الخوارزمي الفصل العاشر.

(٢) تاريخ الطبري: ج٥ ص٣٥٢، والفتوح لابن أعثم الكوفي: ج٥ ص٤٤، وإرشاد المفيد: ص٢٠٩، وفيه اسم (مسمع الهمداني) بلد سبيع الهمداني. ومناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص٨٩ طبع قم، ونهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٣٨٦ طبع القاهرة، وفيه كلمة (سبع) بدل (سبيع) و(وائل بدل وال).

(٣) اللهوف لابن طاووس: ص١٥ ط النجف، ومناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص٩٠ طبع قم. وتاريخ الطبري: ج٥ ص٣٥٢، وأنساب الأشراف للبلاذري: ج٣، ص١٥٨، وإرشاد المفيد: ص.٢٠٩ وتذكرة الخواص: ص٢٤٤ طبع النجف. وفي بعض هذه المصادر المذكورة - كإرشاد المفيد - ورد بدل (عبد الرحمان الأرحبي): «عبد الله وعبد الرحمان ابنا شدّاد الأرحبي». وفي (الأنساب): «نحو من خمسين صحيفة» بدل مائة وخمسين) ولعلنا نرجّح ما في الأصل.

يوم واحد (ستمائة كتاب)، واجتمع عنده في نِوَبٍ متفرقة (اثنا عشر ألف كتاب) وهو - مع ذلك - يتأنّى ولا يجيبهم.

وآخر كتاب ورد عليه مع هاني بن هاني السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي، وفيه:

«بسم الله الرحمان الرحيم، إلى الحسين بن علي من شيعته وشيعة أبيه أمير المؤمنين، أما بعدُ، فانّ الناس ينتظرونك ولا رأيَ لهم في غيرك، فالعجلَ العجلَ يا ابنَ رسول الله، فقد اخضرّ الجَناب، وأينعت الأثمار، وأعشبت الأرض، وأورقت الأشجار، فأقدم إذا شئت - فانّما تقدم على جُندٍ لك مُجنّد. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته، وعلى أبيك من قبل».

فقال الحسين لهاني وسعيد: خبّراني: مَن اجتمع على هذا الكتاب؟.

فقالا: يا ابنَ رسول الله، اجتمع عليه شبَث بن ربعي، وحجار بن أبجر، ويزيد بن الحارث، ويزيد بن رويم، وعروة بن قيس، وعمرو بن الحجاج، ومحمد بن عطارد.

الحسين يبعث مسلم بن عقيل سفيراً عنه إلى الكوفة

فعندها قام الحسين عليه السلام ودخل البيت، وصلّى ركعتين بين الركن والمقام، وسأل اللهَ الخيرةَ في ذلك، ثم طلب مسلمَ بن عقيل، وأطلعه على الحال، وأمره بالمسير إلى أهل الكوفة، وكتب معه جوابَ كتبهم يعدهم بالقبول[١]. وبعث معه قيسَ بن مسهر الصيداوي وعمارة بن عبد الله السلولي، وعبد الله وعبد الرحمان ابن شدّاد الأرحبي، وأمره بالتقوى وكتمان أمره واللطف، فان رأى الناسَ مجتمعين مستوسقين عجّل إليه بذلك[٢].

(١) اللهوف لابن طاووس: ص١٥-١٦ طبع النجف.
(٢) إرشاد المفيد: ص٢١٠ طبع إيران. وتذكرة الخواص: ص٢٤٤ طبع النجف، والأخبار الطوال للدينوري: ص٢١٠، وتاريخ الطبري: ج٥ ص٣٥٤، طبع دار المعارف بمصر، ونهاية الأرب للنويري ج٢٠ ص٣٨٧ القاهرة.

محاولة اغتيال الحسين في بيت الله

قالوا: وبلغ الحسين عليه السلام: أن يزيد بن معاوية أنفذ عَمرو بن سعيد بن العاص الأشدق الفاتك الجبّار في عسكر عظيم، وأمّره على الحاج، وولاّه أمرَ الموسم، وأوصاه بقبض الحسين سرًّا، وان لم يتمكن منه يقتله غيلةً، وأمره أن يُناجز الحسين القتال، إن هو ناجزه، ودسّ مع الحاج ثلاثين رجلاً من شياطين بني أمية، وأمرهم باغتيال الحسين، ولو كان متعلّقاً بأستار الكعبة[١].

خطبة الحسين قبل خروجه من مكة

وقبل أن يخرج قام خطيباً في الناس - بعد أن صلّى بين الركن والمقام ركعتين - فقال:

«الحمدُ لله، وما شاءَ الله، ولا حولَ ولا قوّةَ إلاّ بالله، وصلّى الله على رسوله. خُطّ الموتُ على وُلد آدم مَخطَّ القِلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياقُ يعقوب إلى يوسف، وخيرَ لي مَصرعٌ أن لاقيه. كأنّي بأوصالي تُقطّعها عُسلانُ الفَلَوات بين النواويس وكربلا، فيملأن منّي أكراشاً جُوفاً، وأجربةً سُغباً، لا محيص عن يوم خُطّ بالقَلم، رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويُوفّينا أجورَ الصّابرين، لن تشَذّ عن رسول الله لُحمتُه، بل هي مجموعة له في حَضيرة القُدس، تَقرّ بهم عينُه، ويُنجز لهم وعده.

ألا ومَن كان فينا باذلاً مهجَته. موطّناً على لقاء الله نفسَه، فليرحل معنا، فإنّي راحلٌ مصبحاً إن شاء الله تعالى»[٢].

---

(١) مثير الأحزان لابن نما: ص٨٩، واللهوف لابن طاووس: ص٢٦ طبع النجف، وينابيع المودة للقندوزي: باب (٦١).

(٢) كشف الغمة للاربلي: ج٢ ص٢٤١ طبع قم، واللهوف لابن طاووس: ص٢٥ طبع النجف.

بعض الرجالات يحاولون صرف الحسين عن العراق

قالوا: وجاء عمر بن عبد الرحمان بن الحارث بن هشام المخزومي إلى الحسين عليه السلام لما عَلِمَ بعزمه على الخروج إلى العراق، فقال له:

إنّي أتيتك - يا ابنَ عمّ - لحاجةٍ أريد ذكرَها نصيحةً لك، فان كنتَ ترى أنك تستنصحني قلتُها، وأديت ما علي من الحق، وإلاّ كففت عمّا أريد أن أقول؟.

فقال الحسين: قل، فوالله، ما أستغشّك، وما أظنّك بشيء من الهوى.

قال: قد بلغني أنّك تريد العراق، وإني مُشفقٌ عليك من مسيرك: إنّك تأتي بلداً فيه عمّاله وأمراؤه، ومعهم بيوتُ الأموال، وإنّما الناس عبيد الدينار والدرهم، فلا آمن عليك أن يقاتلك مَن وعَدك نصرَه، ومَن أنت أحبّ إليه ممّن يقاتلك معه.

فقال له الحسين عليه السلام: جزاك الله خيراً يا ابن عم - فقد علمتُ أنك مشيتَ بنصح، وتكلمتَ بعقل، ومهما يقضِ من أمرٍ يكنْ، أخذتُ برأيك أو تركتُه، فأنت عندي أحمد مشير وأنصح ناصح[1].

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٣٨٢ طبع دار المعارف بمصر، والكامل لابن الأثير: ج٣ ص٢٨٥ طبع دار الكتاب العربي بيروت. وفي جمهرة خطب العرب: ج٢ ص٣٧، ومروج الذهب للمسعودي: ج٣ ص.٦٦ وكتاب ترجمة ريحانة الرسول لابن عساكر: ج٢٠٢ طبع بيروت - قريب من نفس النص -، ومثله في (نهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤٠٦) ط القاهرة. - باختلاف بسيط بينها - والملاحظ: أن هذا اللقاء لم يكن في (مقتل المرحوم الوالد).

وفي كتاب ريحانة الرسول المستلّ من تاريخ دمشق لابن عساكر: ص٢٠٢ طبع بيروت بتحقيق المحمودي: ان المسور بن مخرمة القرشي كتب إلى الحسين عليه السلام من المدينة كتاباً جاء فيه:

«إياك أن تغتر بكتب أهل العراق، ويقول لك ابن الزبير: إلحق بهم، فانهم ناصروك، إياك أن تبرح الحرم، فان أهل العراق ان كانت لهم بك حاجة فسيضربون آباط الإبل حتى يوافوك، فتخرج إليهم في قوة وعدة» ولما قرأ الحسين عليه السلام كتابه جزاه خيراً: وقال للرسول: «قل له أستخير الله في ذلك».

وجاءه عبد الله بن عباس، فأشار عليه بالإمساك عن المسير إلى العراق، وقال له - فيما قال -:

جُعلتُ فداك - يا ابنَ عم - إنّ الناس قد أرجَفوا بأنّك سائر إلى العراق، فبيِّنْ لي: ما أنت صانع؟.

فقال له الحسين: قد أزمعتُ السير في أحد أيامي هذه إن شاء الله تعالى.

فقال له ابن عباس: إنّي أعيذك بالله من ذلك: أتسير إلى قوم قتلوا أميرَهم وضبطوا بلادَهم ونفوا عدوّهم؟.

فإن كانوا فعلوا ذلك فسر إليهم، ففي مسيرك إليهم - لعَمري - الرشاد والسداد، وان كانوا إنّما دَعوك إليهم، وأميرُهم عليهم قاهرٌ لهم وعمّالُه تجبي بلادهم، فانّما دعوك إلى الحرب والقتال، ولا آمن عليك أن يغرّوك ويكذبوك ويخالفوك ويخذلوك، وأن يستنفروا إليك، فيكونوا أشدّ الناس عليك.

فردّه الحسين عليه السلام ردّ رحمةٍ وحَنان، وقال له: «فاني أستخير الله وأنظر ما يكون»[(١)].

فخرج ابن عباس من عنده، وأتاه ابن الزبير، فحدّثه ساعةً، ثم قال:

ما أدري: ما تَركُنا هؤلاء القوم وكفُّنا عنهم، ونحن أبناء المهاجرين ووُلاة هذا الأمر دونهم، خبّرني ما تريد أن تصنع؟.

فقال الحسين عليه السلام: والله لقد حدّثتُ نفسي بإتيان الكوفة، ولقد كتب إليّ شيعتي بها وأشراف أهلها، وأستخير الله.

فقال له ابن الزبير: أما لو كان لي بها مثل شيعتك ما عدلت بها.

ثم خشي أن يتّهمه، فقال: أما أنّك لو أقمتَ بالحجاز، ثم أردتَ هذا الأمر ها هنا لما خالفنا عليك وساعدناك وبايعناك ونصحنا لك[(٢)].

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٣٨٣ طبع دار المعارف بمصر، ومقتل الخوارزمي: ج١ ص٢١٦ طبع النجف، وجمهرة خطب العرب لأحمد زكي صفوت: ج٢ ص. ٣٥ وكامل ابن الأثير: ج٣ ص٢٧٥ طبع بيروت، نهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤٠٧.

(٢) في تاريخ الطبري، وجمهرة خطب العرب، بدل هذه الجملة هكذا: «ما خولف عليك ان شاء الله».

فقال له الحسين عليه السلام: إنَّ أبي حدّثني أنّ لها كبشاً به تُستحلّ حرمتُها فما أحبّ أن أكون ذلك الكبش.

قال ابن الزبير: فأقِمْ إن شئت، وتُولّيني أنا الأمر فتُطاع، ولا تُعصى. قال الحسين: ولا أريد هذا أيضاً.

ثم إنهما أخفيا كلامَهما، فالتفت الحسين إلى مَن هناك، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا ندري - جعلنا الله فداك - قال: إنه يقول: أقم في هذا المسجد أجمع لك الناس.

ثم قال له الحسين: والله لئن أقتل خارجاً منها بشبرٍ أحبّ إليّ من أن أقتل فيها، ولئن أقتل خارجاً منها بشبرين أحبّ إليّ من أن أقتل خارجاً منها بشبر، وأيمُ الله لو كنتُ في (جُحر) هامةٍ من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا بي حاجتَهم، والله ليَعتدُنّ عليّ كما اعتدت اليهود في السبت.

فقام ابن الزبير، فخرج من عنده، فقال الحسين: إنّ هذا ليس شيء من الدنيا أحبّ إليه من أن أخرج من الحجاز، وقد علم أن الناس لا يَعدلونه بي فودّ أني خرجتُ حتى يخلو له[1].

وجاءَ ابن عباس إلى الحسين عليه السلام، مرةً أخرى بعد خروج ابن الزبير منه، وقال له فيما قال:

«يا ابنَ عم، إني أتصبّر ولا أصبر، إني أتخوّف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال، إنّ أهل العراق قومٌ غُدُر فلا تَقربنّهم، أقمّ في هذا البلد، فإنّك سيّد أهل الحجاز، فان كان أهل العراق يريدونك - كما زعموا - فاكتبْ إليهم، فلينفوا عاملِهَم وعدوَّهم، ثم اقدِم عليهم. فان أبيتَ إلاّ أن تخرج، فسِرْ إلى

---

(١) نهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤٠٧ طبع القاهرة، والكامل لابن الأثير: ج٣ ص٢٧٦ طبع دار الكتاب العربي بيروت، وتاريخ الطبري: ج٥ ص٣٨٣ طبع دار المعارف بمصر، وجمهرة خطب العرب: ج٢ ص٣٥ - باختلاف بسيط بينها. والملاحظ: ان هذه المقابلة بين الحسين وابن الزبير لم تكن في (مقتل المرحوم الوالد). أضفناها للمناسبة.

اليمن، فانّ بها حصوناً وشِعاباً، وهي ارض عَريضة طويلة، ولأبيك بها شيعة فتكتب إلى الناس، وتبثّ دعاتَك فإني لأرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تُحبّ في عافية.

فقال له الحسين: يا ابنَ عم، إني لأعلم أنك ناصح مشفق، ولكن قد أزمعتُ وأجمعتُ على المسير، وهذه كتب أهل الكوفة ورسلهم وقد وجبَتْ عليَّ إجابتُهم، وقام لهم العذر عند الله سبحانه.

ثم قال له الحسين عليه السلام: يا ابنَ عم، ما تقول في قوم أخرجوا ابن بنت رسول الله عن وطنه وداره وقراره، وتركوه خائفاً مرعوباً، لا يستقرّ في قرار، ولا يأوي إلى جوار، يُريدون بذلك قتلَه وسفك دمه، وهو لم يُشرِكْ بالله شيئاً، ولا اتّخذ دونه وليّاً ولم يرتكب منكراً ولا إثماً؟

فقال ابن عباس: ما أقول فيهم الا أنهم كفروا بالله ورسوله، ثم قال:

جُعلتُ فداك يا حسين -: إن كان لا بدّ من المسير إلى الكوفة، فلا تَسرْ بأهلك ونسائك، وصبيتك، فوالله إني لخائف أن تقتل، وهم يَنظرونَ إليك[1].

---

(١) ثم قال له ابن عباس: لقد أقررت عين ابن الزبير بخروجك من الحجاز وتخليتك إياه، وهو اليوم لا ينظر إليه أحد معك، والله الذي لا إله إلا هو لو أعلم اني ان أخذت بشعرك وناصيتك حتى يجتمع علينا الناس أطعتني، لفعلت ذلك، ثم خرج ابن عباس من عنده - وهو يقول: واحسيناه - فمرّ بعبد الله بن الزبير، فقال: قرت عينك يا ابن الزبير، ثم قال:

يا لك من قبرة بمعمر خلا لك الجو فبيضي واصفري

ونقّري ما شئت أن تنقري

هذا الحسين يخرج إلى العراق، ويخليك والحجاز» عن تاريخ الطبري: ج٥ ص٣٨٤ طبع دار المعارف بمصر، والكامل لابن الأثير ج٣ ص٢٧٦، وجمهرة خطب العرب ج٢ ص٣٦، ومروج الذهب للمسعودي ج٣ ص٦٥ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص٢٠٧ وترجمة ريحانة الرسول من تاريخ دمشق لابن عساكر: ص٢٠٤ طبع بيروت، ونهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤٠٨. وفي مقتل الخوارزمي: ج١ ص٢١٧ يذكر زيادة على هذا الرجز أشطراً أخر والمشهور أن صاحب هذا الرجز طرفة ابن العبدي الشاعر الجاهلي المعروف - كما عن حياة الحيوان للدميري، ومجمع الأمثال للميداني والصحاح للجوهري وغيرها - وسبب قوله هذا: أنه - وهو صبي صغير - سافر مع =

فقال الحسين: يا ابن العم، إني رأيت، رسول الله ﷺ في منامي وقد أمرني بأمر لا أقدر على خلافه، وانه أمرني بأخذهنّ معي.

يا ابن العم، وإنهن ودائع رسول الله، ولا آمن عليهن أحداً، وهنّ لا يفارقنني.

فسمع ابنُ عباس بكاءً من ورائه، وقائلةً تقول:

يا ابن عباس، تشير على شيخنا وسيّدنا أن يخلّفنا ها هنا ويمضي وحده؟ لا والله، بل نحيا معه، ونموت معه، وهل أبقى الزمان لنا غيره؟

فبكى ابنُ عباس بكاءً شديداً، وقال: يَعزّ عليّ والله - فراقك - يا ابنَ العم-.

ثم قال الحسين: يا ابن عباس، إنّ القوم لم يتركوني، وإنّهم يطلبونني أينما كنتُ حتى أبايَعهم كرهاً أو يقتلونني، والله لو كنتُ في ثَقب هامّةٍ من هَوامّ الأرض لاستخرجوني منها وقتلوني، والله إنهم ليعتدنّ عليّ كما اعتدت اليهود في يوم السبت، واني ماضٍ في أمر رسول الله حيث أمرني، وإنا لله وإنا إليه راجعون.
فخرج ابن عباس وهو يقول: واحسيناه[١].

قالوا: ثم إنّ محمد بن الحنفية لما بلغه أن أخاه الحسين عازم على الخروج من مكة إلى العراق، كان بين يديه طستٌ فيه ماء وهو يتوضأ، فجعل يبكي بكاءً

= عمه، فنزلا على ماءٍ عليه قبّرات، فنصب طرفة لها فخاً ليصطادا، فنفرت القبّرات، وبقي ينتظر عودتها إلى الفخ عامة يومه فلم يفلح، فانتزع فخه وارتحل مع عمه وحانت منه التفاتة إلى خلفه فإذا هو يرى القبّرات يلتقطن ما نثر لها من الحب، فقال هذا الرجز المذكور...

(١) وفي (اللهوف لابن طاووس: ص١٤ طبع النجف) بعد ذلك قوله:
«ثم جاءه عبد الله بن عمر، فأشار إليه أن يصلح أهل الضلال، وحذّره من القتل والقتال.
فقال له الحسين عليه السلام: يا أبا عبد الرحمان، أما علمت أن من هوان الدنيا على الله أن رأس يحيى بن زكريا أهدى إلى بغي من بغايا بني إسرائيل، أما تعلم ان بني إسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر إلى طلول الشمس سبعين نبياً، ثم يجلسون في أسواقهم يبيعون ويشترون، كأن لم يصنعوا شيئا، فلم يُعجل الله عليهم، بل أمهلهم وأخذهم بعد ذلك أخذ عزيز ذي انتقام. اتق الله يا أبا عبد الله الرحمان ولا تدعنّ نصرتي».

شديداً حتى سُمِع وَكْفُ دموعه في الطست مثل المطر، ثم إنه صلّى المغرب، وصار إلى أخيه الحسين في الليلة التي أراد الحسين الخروج في صبيحتها من مكة.

فقال له: يا أخي، ان أهل الكوفة مَن قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خِفتُ أن يكون حالك كحال من مضى، فان رأيتَ أن تُقيم، فانّك أعزّ مَن في الحرم وأمنعه.

فقال الحسين: يا أخي، قد خِفتُ أن يغتالني يَزيدُ بن معاوية في الحَرم، فأكونَ الذي تُستباح به حرمةُ هذا البيت.

قال ابنُ الحنفية: فان خِفتَ ذلك فصِرْ إلى اليمن أو بعض نواحي البرّ، فإنك أمنع الناس به، ولا يقدر عليك أحد.

فقال الحسين: أنظر فيما قلت(١).

فلما كان وقتُ السحر ارتحل الحسين عليه السلام فبلغ ذلك ابنَ الحنفية فأتاه، فأخذ بزمام ناقته، وقد ركبها، فقال له:

يا أخي، ألم تُعدني النظرَ فيما سألتك؟

قال الحسين: بلى.

قال ابنُ الحنفية: فما حداك على الخروج عاجلاً؟

قال: أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعدما فارقتُك، فقال: يا حسين أخرج، فان الله قد شاء أن يراك قتيلاً.

فقال ابنُ الحنفية: إنا لله وإنا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النسوة معك، وأنت تخرج على مثل هذا الحال؟

فقال الحسين: إن الله شاء أن يراهنّ سبايا.

---

(١) في مقتل الخوارزمي وبعض المقاتل غيره: ان ابن الحنفية جاء إلى الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكة لما بلغه عزمه على السفر إلى العراق.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي: ج١ ص٣٤٢.

ثم سلّم عليه ابنُ الحنفية ومضى[١].

توجه الحسين من مكة إلى العراق

قالوا: ولما أراد الحسين عليه السلام الخروج من مكة طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة، وأحلّ من إحرامه، وجعَلها عُمرةً مفردةً، لأنه لم يتمكن من إتمام الحج، مخافةَ أن يُقبضَ عليه في مكة، فتُستباح به حرمة البيت الحرام[٢].

وخرج عليه السلام ومعه إخوته وأبناؤه وأبناءُ أخيه وعمّه وعمومُ أهل بيته وشيعته ومَواليه، متوجّهين إلى العراق[٣].

---

(١) اللهوف لابن طاووس: ص٢٦-٢٧ طبع النجف، والدّر المسلوك: ج١ ص١٠٢.

(٢) تاريخ الطبري: ج٤ ص٢٨٥ طبع دار المعارف بالقاهرة، وإرشاد المفيد ص٢٢٨ طبع إيران، ومقتل الخوارزمي: ج١ أول الفصل الحادي عشر، وقال فيه: «واتصل الخبر بالوليد بن عتبة أمير المدينة بأن الحسين بن علي توجه إلى العراق. فكتب إلى عبيد الله بن زياد: أما بعد، فان الحسين بن علي قد توجه إلى العراق، وهو ابن فاطمة البتول وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فاحذر يا ابن زياد أن تأتي إليه بسوء فتهيج على نفسك في هذه الدنيا ما لا يسده شيء، ولا تنساه الخاصة والعامة أبداً ما دامت الدنيا. فلم يلتفت عدو الله إلى كتاب الوليد».

وفي كتاب (ريحانة الرسول المستل من تاريخ دمشق لابن عساكر: ص٢٠٥ ط بيروت: أن عمرو بن سعيد الأشدق والي مكة - يومئذٍ - كتب إلى عبيد الله بن زياد كتاباً جاء فيه: «أما بعد، فقد توجّه إليك الحسين، وفي مثلها تعتق أو تكون عبداً تسترق كما تسترق العبيد».

(٣) ولقد كثر الاختلاف بين المؤرخين وأرباب المقاتل في حصر عدد الخارجين مع الحسين عليه السلام من مكة من أهل بيته وشيعته ومواليه، فبين مُقلٍّ وبين مُكثرٍ، ولعلّ أقل الروايات: أنهما كانوا زهاء تسعين رجلاً، غير النساء والصبيان، فقد ذكر البستاني في (دائرة المعارف: ج٧ ص٤٨) والخوارزمي في (مقتله ج١ الفصل الحادي عشر) وبعض غيرهما: «انه خرج عليه السلام من مكة ومعه اثنان وثمانون رجلاً من أهل بيته وخاصته ومواليه». وقال ابن عساكر في «تاريخه: ج١٣ ص٧١ مخطوط مصوّر»: «وخرج الحسين متوجهاً إلى العراق في أهل بيته وستين شيخاً من أهل الكوفة». ولو ضممنا =

وكان خروجه من مكة - في يوم خروج مسلم بن عقيل في الكوفة - يومَ الثلاثاء الثامن من ذي الحجة، سنة ستين من الهجرة[1].

بأبي وبي مَن همْ أجلّ عِصابةً ... سارتْ تؤمُ بها العُلى سرَواتُها
عَطِري الثياب سَروا فقل في روضَةٍ ... غبّ السحاب سَرتْ بها نسَماتُها
ركبٌ حجازيّون عرّقت العُلى ... فيهم ومِسكُ ثنائهم شاماتُها
ومُطوِّحين ولا غِناءَ لهم سِوى ... هزَج التِلاوة رُتّلتْ آياتُها
وإلى اللقاء تشَوّقاً أعطافُها ... مَهزوُزةٌ فكأنّها قنَوَاتُها
خفّتْ بهمْ نحوَ المنايا هِمةٌ ... ثقّلتْ على جيش العِدى وَطأتُها
وبعزمها مِن مِثل ما بأكفّها ... قِطعُ الحديد تأجّجتْ لهبَاتُها
فكأنّ مِن عَزَماتها أسيافَها ... طُبعتْ ومن أسيافها عزماتُها
وملوكُ بأسٍ في الحروب قبابُها ... قُبّ البطون ودَستُها صهَوَاتُها
يَسطُون في الجَمّ الغفير ضيَاغماً ... لكنّما شجَرُ القنا أجَمَاتُها
حتى إذا نزَلوا العراقَ فأشرقتْ ... أكنافُها وزهتْ بهمْ عَرصَاتُها

= هذا الكلام إلى كلام الذهبي في (تاريخ الإسلام: ج١ ص٣٤٣) حيث يقول: «فسار من مكة وخف معه من بني عبد المطلب تسعة عشر رجلاً ونساء وصبيان...». يظهر لنا من ذلك ونحوه: أن هذا العدد من رجال أهل بيته وشيعته ومواليه المتجاوز (المائة) هو العدد الذي انطلق معه من الحرمين: المدينة ومكة. وقد التحق بركابه في أثناء الطريق جمع غفير يتجاوز المئات، ولكنه عليه السلام فرّقهم بخطابه الحاسم قبيل وصوله إلى أرض كربلا - كما سنذكر - فلم يبق معه - كما يقول المؤرخون - إلا الذين خرجوا معه من المدينة.

(١) بهذا الشكل من التحديد الثلاثي ومقارنته مع يوم خروج مسلم بن عقيل في الكوفة - يكاد يجمع عليه المؤرخون وأرباب المقاتل، كالطبري في (تاريخه: ج٥ ص٣٨١) طبع دار المعارف بالقاهرة، وإرشاد المفيد: ص٢٢٨ طبع إيران، و(مقتل المخوارزمي: ج١ ص٢٢٠) طبع النجف و(تذكرة الخواص لابن الجوزي: ص٢٤٤) طبع النجف، ومروج الذهب للمسعودي ج٣ ص٧٠ ونهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤٠٥ ط القاهرة. وغيرهم كثير من عامة المؤرخين من الفريقين. غير أن ابن قولويه في (الكامل) يذكر خروجه يوم التاسع من ذي الحجة - في روايةٍ - والسيوطي في (تاريخ الخلفاء) يذكر خروجه يوم العاشر منه. والصحيح هو الأشهر.

ضربَوا الخيامَ بكربلا وعليهمُ قد خيّمتْ ببلائها كرُباتُها
وأتتْ بنو حَربٍ تروم ودونَ ما رامتْ تخرّ من السما طبقاتُها
رامت بأن تعنو لها سفهاً وهل تعنُو لشرّ عبيدها ساداتُها
وتسومها: إما الخضوع أو الردى عزاً، وهل غير الإباء سِماتُها
فأبوا وهل من عزّةٍ أو ذِلةٍ إلاّ وهمْ آباؤها وأباتُها
وتقحّموا ليلَ الحرُوب فأشرقتْ بوجوههم وسيُوفهم ظُلماتُها
وبدتْ علوجُ أميةٍ فتعرّضت للأسد في يوم الهياج شِياتُها
تعدو لها فتميتُها رُعباً وذي يومَ اللقا بعُداتِها عاداتُها
فتخّر بعدَ قلوبها أذقانُها وتفرّ قبلَ جسومها هاماتُها
وبأسرتي مِن آل أحمدَ فتيةً صينتْ ببذل نفوسها فتيَانُها
يتضاحكون إلى المنُون كأنّ في راحاتها قد أترعتْ راحاتُها
وترى الصهيلَ مع الصليل كأنه فيهم قِيانَ رُجعّت نغمَاتُها
وكأنّما سُمرُ الرّماح معاطف فتمايلتْ لعناقها قاماتُها
وكأنّما بيضُ الظُبى بعض الدُمى ضَمّت لَمى رشَفاتِها شَفَراتُها
وكأنّما حُمرُ النصُول أناملٌ قد خَضّبتها (عندَماً) كاساتُها
ومذ الوغى شبّتْ لظىً وتقاعستْ دونَ الشدائد نُكّصاً شَدّاتُها
وغدت تعوم من الحديد بلجةٍ قد أنبتتْ شجرَ القنا حافاتُها
خَلَعوا لها جُننَ الدروع ولاح من نيرانها لجنانهم جَنّاتُها
بأكفّها عُوجُ الأسنّة ركّعٌ ولها الفوارسُ سجّدٌ هاماتُها
حتى إذا وافتْ حقوقَ وفائها وعلتْ بفردوس العُلى درَجاتُها
شاءَ الآله فنُكّستُ أعلامُها وجرى القضاء فنُكّستُ راياتُها
وهوتْ كما انهالتْ على وجه الثرى من صُمّ شاهقة الذُرى هضبَاتُها
وغدتْ تُقسّم بالظُبى أشلاؤها لكن تَزيد طَلاقةً قسَمَاتُها
ثم انثنى ثقلُ النبّوة مفرداً فهوتْ عليه طَغامُها وطُغاتُها
غير انَ يحمِل عزمةً حملت إلى حربٍ جيوشَ أمية حمَلاتُها
يحمي مخَيمه فقل: أسد الشَرى ديست على أشبالها غاباتُها
خطَب العِدى فوقَ العوادي خطبةً للسانه وسنانِه كَلماتُها

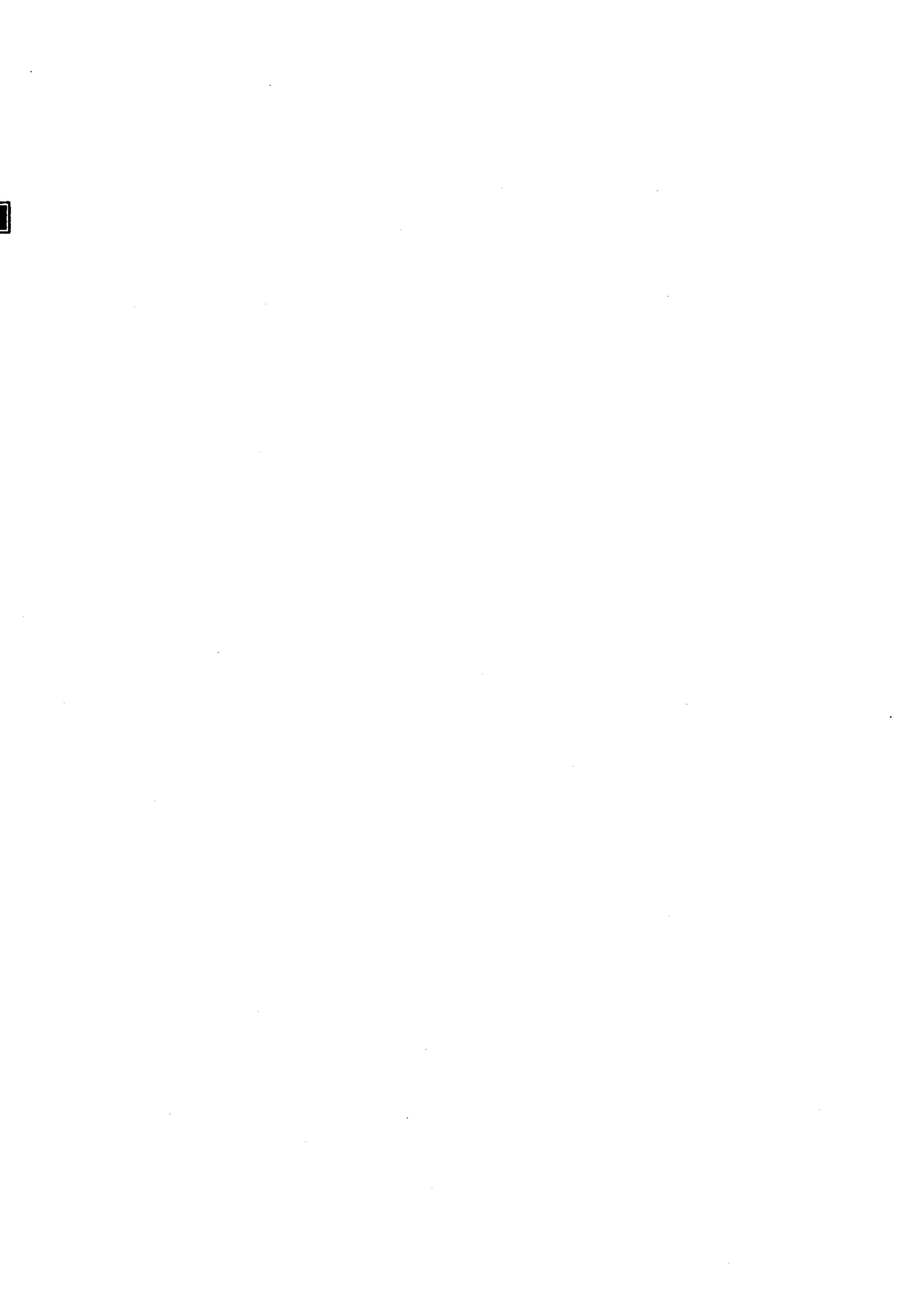
وعظَ اللسانُ ومذ عَتوا عن أمره طعنَ السنانُ فلم تَفتهُ عُتاتُها
نَشر الرؤوس بسيفه ونُظِمْنَ في سِلك القَنا لقلوبهم حبّاتُها
يروي الثرى بدمائهم وحشاه من ظماءٍ تَطايَرُ شعلةً قطَعَاتُها
لو قُلّبتْ مِن فَوق غُلّة قلبه صُمُّ الصَفا ذابت عليه صفَاتُها
تبكي السماء له دماً أفلا بكتْ ماءً لغُلّة قلبه قَطَراتُها
وآحرّ قلبي يا ابنَ بنت محمّدٍ لك والعِبدى بك أُنجحَتْ طَلباتُها
منَعتكَ من نَيل الفرات فلا هنا للناس بعدَك نِيلُها وفُراتُها
وعلى الثنايا منك يَلعبُ عودُها وبرأسك السّامي تُشال قَناتُها
وبهمْ تروح الغاديات وتَغتدي وجُسومُكم فوقَ الثَرى حَلبَاتُها
ونساؤكم أسرى سَرتْ بسُراتِكمْ تدعو وعنها اليومَ أينَ سُراتُها
هاتيك في حَرّ الهجير جسومُها صرعى وتلك على القَنا هاماتُها
بأبي وبي من هم محاسنُ في الثَرى للحشر تَنشرُ فخرَهم حسناتَها
أقوتْ معَالمُ أنسِهم والوحشُ كم راحتْ ومِن أسيافهم أقواتُها
يا هَل ترى مُضَراً درتْ ما قد رأتْ في كربلا أبناؤُها وبنَاتُها
خَفِرتْ لها أبناءُ حربٍ ذمةً هُتكت لها ما بينهم خفَراتُها
جارتْ على تلك المنيعات الَّتي تهوى النجوم لو أنها جاراتُها
حتى غدتْ بين الأراذل مَغْنَماً تنتاشُها أجلافُها وجُفاتُها
فلضربها أعضادُها، ولِسَلبها أبرادُها، ولِنَهبها أبياتُها
وثواكلٍ لما دُفِعنَ عن البكا والنوح ردّدت الشجى لهوَاتُها
زفَراتُها لو لم تكن مشفوعةً بالدمع أضرمت السما جَذوَاتُها
وعلى الأيانُق من بَنات محمّدٍ في الشمس تُصلي حرَّها أخواتُها
أبدى العدوّ لها وجوهاً لم يبن حتى لأنفاس الصَبا صفَحاتُها
ومَروعةٍ في السبي تشكو بَثها فتُجابُ ضرباً بالسّياط شَكاتُها
أحمُاةَ دينِ الله كيف بناتُكم ساروا بها والشامتونَ حُماتُها
تطوي الفلاة بها وما ضاقتْ على حَربٍ بشُعثِ خيُولكم فلَواتُها
وخيامُكم تلك التي أوتادُها شُهبُ السماء وعرَشُها داراتُها
بالنار أضرَمها العدوُّ وأنتمُ أربابُها، وحريمُكم ربّاتُها

فرّت تَعادى في الفلاة نوائحاً حسرى تُقطّع قلبَها حسَراتُها
حتى إذا وقفتْ على جُثثٍ لكم طالتْ عليها للظُّبى وقفاتُها
قدحتْ لكم زَندَ العتاب فلم تجدْ غيرَ السياط لجنبها هفَواتُها
وسرتْ على حالٍ يحقّ لشجَوها الأفلاك لو وقفتْ لها حرَكاتُها
حنّتْ ولولا زجر (زجرٍ) ما حدَتْ أضعانُها بسوى الحنين حُداتُها
يا لَوعةً قعدتْ وقامتْ في الحشا خرسآءُ تَنطق بالشَّجى نفثاتُها[1].

ألا لعنة الله على القوم الظالمين

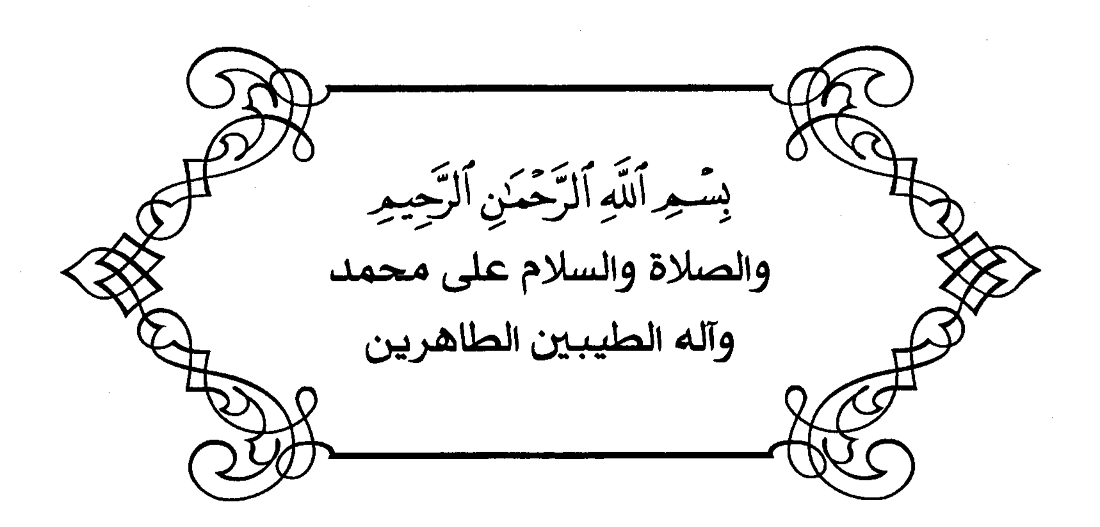


(١) المعظم من قصيدة عصمآء جزلة للمغفور له آية الله الإمام المجاهد الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء. ولد في النجف الأشرف سنة ١٢٩٤هـ ونشأ في نواديه العلمية والأدبية منشأ علمياً عالياً، فأكمل سطوحه في الفقه والأصول وغيرهما على أيدي المتخصصين في تلك العلوم الإسلامية. وتسنّم مراقي البحث الخارجي في الفقه وأصوله، فحضر لدى فطاحل العلماء ومراجع الأمة - يومئذٍ - كآية الله الطباطبائي اليزدي صاحب (العروة) والمحقق آية الله الآخوند صاحب (الكفاية)، والمحقق العيلم آية الله الأغا رضا الهمداني، وأمثالهم من جهابذة العلم ونوابغ الدهر.
واستقلّ رحمه الله بعد هؤلاء العظام بالتدريس والزعامة الدينية والمرجعية الشاملة. وذلك قرابة سنة ١٣٤٠هـ، فكان بجدارة مفخرة الشيعة وإمام المسلمين.
سافر كثيراً إلى مختلف البلاد الإسلامية لتدعيم كلمة التوحيد وإعلاء شأن المسلمين.
وكانت منيّته في (كرند) من بلاد إيران (١٨ ذي القعدة سنة ١٣٧٣هـ) ونُقل جثمانه الطاهر من هناك إلى مثواه الأخير في مقبرة خاصة أعدّها لنفسه في وادي السلام من النجف الأشرف. ألّف وكتب كثيراً في مختلف العلوم والآداب حتى ناهزت مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة (٣٠ كتاباً) ومن مخطوطاته القيّمة: ديوان شعره الضخم الحافل بمختلف المواضيع الأدبية ومدح ورثاء أهل البيت عليهم السلام وهذه القصيدة إحدى محتويات ديوانه القيّم.



المَجلِسُ الرّابع

يحتوي - بعد المقدمة - على: خروج الحسين عليه السلام بأهل بيته وأصحابه من مكة وتوجّهه إلى الكوفة، ونزوله كربلاء، وعرض الحوادث التي جرت له - في أثناء الطريق -.


بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
والصلاة والسلام على محمد
وآله الطيبين الطاهرين

قال الله تبارك وتعالى في كتابه المجيد

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة: الآية 90] : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: 90-91].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: 11].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحجرات: 12].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ٢٧٩﴾ [البقرة: 278-279].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١﴾ [الصف: 10-11].

﴿صدق الله العليّ العظيم﴾

ومن وصية للإمام أمير المؤمنين عليه السلام لولده الحسن عليه السلام

كتبها إليه بـ(حاضرين)[١] عند انصرافه من صفين - كما في نهج البلاغة -

«أيْ بُني أوصيك بتقوى الله، ولزومِ أمره، وعِمارةِ قلبِك بذكره، والاعتصامِ بحبله، وأيّ سبب أوثق من سببٍ بينكَ وبين الله، إن أنت أخذت به.

أحيِ قلبَك بالموعظة، وأمِتهُ بالزَهادة، وقوّه باليقين ونوّره بالحكمة، وذَلّله بذكرِ الموت، وقَرّره بالفناء، وبَصّره فجائعَ الدنيا، وحَذّره صولةَ الدهر، وفُحشَ تَقلّب الليالي والأيام، واْعرِضْ عليه أخبارَ الماضين، وذكّره بما أصاب مَن كان قبلك من الأولين، وسِرْ في ديارهم وآثارهم، فانظر فيما فَعلوا، وعمّا انتقلوا، وأينَ حلّوا ونزَلوا، فانّك تجدهم قد انتقَلوا عن الأحبّة، وحلّوا ديار الغُربة وكأنّك عن قليلٍ قد صِرتَ كأحدهم، فأصلح مَثواك، ولا تَبِعْ آخرتَك بدنياك، ودَع القولَ فيما لا تَعرف، والخطابَ فيما لم تُكلّف، وأمسك عن طريقٍ إذا خفتَ ضلالتَه، فان الكفّ عندَ حَيرة الضلال خيرٌ من ركوب الأهوال، وأمرْ بالمعروف تكنْ من أهله، وأنكر المنكر بيدك ولسانك، وباينْ مَن فَعله بجُهدك، وجاهِدْ في الله حقّ جهاده، ولا تأخذْك في الله لومةُ لائم، وخُضِ الغَمرات للحق حيث كان، وتَفقّهْ في الدين، وَعوّد نفسَك التَصبّر على المكروه، ونعم الخُلُق التصبّر في الحق، وألجئ نفسَك في أمورك كلّها إلى إلهك، فانّك تُلجؤها إلى كهف حَريز، ومانع عزيز، وأَخلِصْ في المسألة لربّك، فان بيده العطاء والحرمان، وأكثِر الاستخارة[٢].

يا بُنيّ، إنّما مَثَلُ مَن خَبر الدنيا كمَثَل قَوم سَفر[٣] نبابهم منزلٌ جَديب[٤] فأمّوا

---

(١) حاضرين: اسم بلدة في نواحي صفين.
(٢) الاستخارة: إجالة الرأي في الأمر قبل فعله لاختيار أفضل وجوهه وأنجحها.
(٣) السفر - بفتح فسكون -: المسافرون.
(٤) نبا المنزل بأهله: لم يوافقهم المقام فيه.

مَنزلاً خَصيباً وجَناباً مَريعاً، فاحتَملوا وَعثاءَ الطريق، وفراقَ الصديق، وخشُونَةَ السفَر، وجشُوبةَ المطعَم، ليأتوا سعةَ دارهم ومنزلَ قَرارهم، فليس يَجدون لشيءٍ من ذلك ألماً، ولا يَرون نفقةً فيه مَغرماً، ولا شيءٌ أحبّ إليهم ممّا قَرّبهم من منزلهم، وأدناهم من محلّتهم.

ومَثَلُ مَن اغترّ بها كمَثَل قوم كانوا بمنزلٍ خَصيب، فنبا بهم إلى منزلٍ جَديب، فليس شيءٌ أكرهُ إليهم ولا أفظَع عندَهم من مفارقة ما كانوا فيه إلى ما يَهجمُونَ عليه ويَصيرُونَ إليه.

يا بُنيْ، إجعلْ نفسَك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، فأَحببْ لغيرك ما تُحبّ لنفسك، واكرهْ له ما تكره لها، ولا تَظلِم كما لا تُحبّ أن تُظلَم، وأحسِنْ كما تُحبّ أن يُحسَن إليك، واستَقبحْ من نفسك ما تَستقبحه من غيرك، وارضَ من الناس بما ترضَاه لهم من نفسك، ولا تَقلْ ما لا تعلم، وان قَلّ ما تعلم، ولا تقلْ ما لا تحبّ أن يُقال لك.

واعْلمْ: أن الإِعجاب ضدّ الصّواب، وآفةُ الألباب، فاسْعَ في كَدحك[1] ولا تكن خازناً لغيرك، وإذا أنت هُديتَ لقصدك، فكن أخشعَ ما تكون لربّك.

واعْلَم، أنّ أمامَك طَريقاً ذا مسافة بعيدة ومشقّةٍ شَديدة، وأنّه لا غنىً بك فيه عن حُسن الإِرتياد، وقَدر بلاغك مع الزاد مع خِفّة الظَّهر، فلا تحَمِلنَّ على ظَهرك فوق طاقتك، فيكون ثقلُ ذلك وَبالاً عليك، وإذا وجَدتَ من أهل الفاقة مَن يحمل لك زادَك إلى يوم القيامة، فيُوافيك فيه غداً حيث تحتاج إليه، فاغتنمْه وحمّله إيّاه، وأكثِرْ من تزويده - وأنت قادرٌ عليه - فلعلّك تَطلبه فلا تجده، واغتَنِمْ مَن استقرضك في حال غِناك ليجعل قضاءَه لك في يوم عُسرتك.

واعلمْ: أنْ أمامَك عَقبةً كؤوداً[2] المخفّ فيها أحسنُ حالاً من المثقَل، والمُبطئ عليها أقبحُ حالاً من المسرع، وأنّ مهبَطك بها - لا محالةَ -: إمّا على

---

(١) الكدح: أشد السعي.
(٢) العقبة الكؤود: الصعبة المنال والمرتقى.

جَنّة أو على نار، فارْتَد لنفسك قبلَ نزولك [١] ووطّئ المنزلَ قبل حلولك، فليس بعدَ الموت مُستَعتَب، ولا إلى الدنيا مُنصرَف.

واعْلمْ يا بُنيّ: أنك إنّما خُلقتَ للآخرة، لا للدنيا، وللفناء، لا للبقاء، وللموت، لا للحياة، وأنك في منزلة قُلْعة [٢] ودار بُلغة، وطريق إلى الآخرة، وانّك طريدُ الموت الذي لا يَنجو منه هاربُه، ولا يفوتُه طالبُه، ولا بدّ أنّه مُدركه، فكنْ منه على حذرٍ أن يدركك، وأنت على حال سيّئة، قد كنتَ تُحدّث نفسك منها بالتوبة، فيحول بينك وبين ذلك، فإذا أنت قد أهلكتَ نفسك.

يا بُنيّ، أكثِرْ من ذكر الموت، وذكرِ ما تَهجم عليه، وتُفضي بعد الموت إليه، حتى يأتيَك وقد أخذتَ منه حذرَك، وشددتَ له أزرَك، ولا يأتيك بغتة فيبْهَرك[٣]، وإيّاك أن تغترّ بما ترى من إخلاد أهل الدنيا إليها[٤]، وتكالبهم عليها، فقد نَبأك الله عنها، ونَعتْ لك نفسَها، وتكشّفتْ لك عن مساوئها، فانّما أهلُها كلابٌ عاوية، وسباعٌ ضارية، يَهرّ بعضُها على بعض[٥]، ويأكل عزيزُها ذليلَها، ويقهَر كبيرُها صغيرَها، نعَمٌ مُعقَلة[٦]، وأخرى مُهمَلة، قد أضَلت عقولَها، وركبتْ مجهولَها، سُروحُ عاهة بوادٍ وعْث[٧] ليس لها راع يُقيمُها، ولا مُيسمٌ يُسيمها[٨] سلكتْ بهم الدنيا طريقَ العمى، وأخذتْ بأبصارهم عن منار الهدى، فتاهوا في

---

(١) أي: ابعث رائداً لك من طيبات الأعمال يكتشف ويوطد لك منزلك.

(٢) قُلعة - بضم فسكون أو بضم ففتح أو بضمتين -: أي لا يملك لنازله، ولا يدري متى ينتقل عنه. والبُلغة - بالضم فالسكون -: كفاية العيش.

(٣) فيبهرك: أي يغلبك ويقهرك على أمرك.

(٤) الاخلاد: السكون إلى الشيء، والتكالب: التواثب.

(٥) السباع الضارية: المولعة بالافتراس. ويهرّ - من الهرير -: وهو المقت والكره والهجوم بعضهم على بعض كما يفعل الكلب العقور.

(٦) أي الابل المشدّدة بالعقال.

(٧) السروح - بالضم -: جمع سرح - بالفتح - وهو المال السائم من الابل ونحوه. والعاهة: الآفة. والوعث - بسكون العين -: الرخو الذي يصعب السير فيه.

(٨) أهام الدابة: سرّحها إلى المراعي.

حَيرتها، وغرقوا في نعمتها، واتّخذوها رباً، فلعبتْ بهم ولعبوا بها، ونسُوا ما وراءَها.

رُويْداً، يُسفر الظلام، كأَنْ قد وردت الأظعان، يُوشك من أسرع أن يلحق.

واعْلم - يا بُنيّ - أنّ مَن كانت مطيتُه الليل والنهار، فانه يُسار به، وان كان واقفاً، ويَقطع المسافَة وان كان مقيماً وادعاً.

واعْلم - يقيناً - أنك لن تبلغ أملَك، ولن تعدوَ أجلكَ، وأنك في سبيل مَن قد كان قبلك، فخفِّضْ في الطَّلب، وأَجمِلْ في المكتَسب، فانّه رُبّ طلبٍ قد جرّ إلى حَرَب[1] فليس كلُّ طالب بمرزوق، ولا كلُّ مُجملٍ بمحروم، وأَكرم نفسَك عن كل دَنيّة، وإن ساقتك إلى الرغائب، فانك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضاً. ولا تكن عبدَ غيرك، وقد جعلك الله حراً، وما خيرُ خير لا ينال إلا بشر، ويسر لا ينال إلا بعسر.

وإيّاك أن تُجوفَ بك[2] مطايا الطمع فتوردَك مناهلَ الهَلكة، وإن استطعتَ أن لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافْعل، فانّك مُدركٌ قَسمك وآخذٌ سهمَك، وإنّ اليسير من الله سبحانه أعظم وأكرم من الكثير من خلقه، وان كان كلٌّ منه.

وتلافيك ما فرّط من صمتك أيسر من إدراكك ما فات من منطقك، وحفظُ ما في الوعاء بشدّ الوكاء[3] وحفظُ ما في يديك أحبّ إليّ من طلَب ما في يَدي غيرك، ومرارةُ اليأس خيرٌ من الطلَب إلى الناس، والحرفةُ مع العفة خيرٌ من الغنى مع الفجور، والمرءُ أحفظ لسرّه، ورُبّ ساعٍ فيما يَضرّه، مَن أكثر أهجَر[4] ومَن تفكّر أبصَر، قارِنْ أهلَ الخير تكنْ منهم، وبايِنْ أهلَ الشرّ تَبنْ عنهم، بئس الطعامُ الحَرام، وظلمُ الضعيف أفحشُ الظلم، إذا كان الرفقُ خُرقاً كان الخُرق رفقاً[5] ربّما كان الدواءُ داءً، والداءُ دواءً، وربّما نصَح غيرُ الناصح، وغشّ المستنصَح،

---

(١) الحرب - بالتحريك -: سلب المال أو مطلق النعم.

(٢) توجف: أي تسرع.

(٣) وكاء القربة - بالكسر -: رباطها.

(٤) أهجر هجراً - بالضم - هذى في كلامه وأكثر فيه.

(٥) الخرق - بالضم - العنف والشدة.

وإيّاك والإتّكال على المُنى فإنها بَضائع الموتى، والعقلُ حفظ التجارب، وخيرُ ما جرّبت ما وعَظك، بادرِ الفرصةَ قبل أن تكونَ غُصّة، ليس كلُّ طالبٍ يُصيب، ولا كلُ غائب يؤوب، ومن الفساد إضاعة الزاد، ومفسدة المعاد، ولكل أمر عاقبة، سوف يأتيك ما قُدّر لك، التاجرُ مُخاطر، وربّ يسير أنمى من كثير، لا خيرَ في مُعين مُهين، ولا في صديق ظَنين. ساهلِ الدهرَ ما ذلّ لك قعوده[١] ولا تُخاطر بشيء رجاءَ أكثرَ منه، وإيّاك أن تجمح بك مطيّةُ اللجاج[٢]. . .».

امتناع الحسين على السلطة في خروجه من مكة

ذكر أربابُ السير والمقاتل: أنّ الحسين عليه السلام لما خرج من مكة مع أهل بيته وأصحابه في طريقه إلى العراق، اعترضه يحيى بن سعيد بن العاص مع جماعة من بني أمية ومواليهم، أرسلهم أخوه عَمرو بن سعيد - أمير الحجاز يومئذٍ من قبل يزيد - ليعترضوا الحسين ويمنعوه عن الخروج من مكة.

فاعترضوه خارجَ حدود الحرَم، فقالوا له: أين تذهب إنصرفْ.

فأبى عليهم الحسين وأصحابُه ومضى في طريقه، وتدافع الفريقان، وتضاربوا بالسّياط. فامتنع الحيسن وأصحابه عليهم امتناعاً قوياً.

فقالوا له: يا حسين، ألا تتّقي الله؟ تخرج من الجماعة، وتُفرّق بين هذه الأمة؟..

فقال عليه السلام: «لي عمَليْ ولَكم عمَلُكم أنتمْ بَريئُون ممّا أعمَلُ وأنا بَريءٌ مما تَعمَلُونَ». ومضى في طريقه متوجهاً نحو العراق[٣].

---

(١) القعود - بالفتح من الابل -: ما يقتعده الراعي في كل حاجته.

(٢) اللجاج - بالفتح -: الخصومة.

(٣) تاريخ الطبري: ج٥ ص٣٨٥ طبع دار المعارف بالقاهرة. والكامل لابن الأثير: ج٣ ص٢٧٦ طبع بيروت، والبداية والنهاية لابن كثير: ج٨ ص١٦٦، ومقتل الخوارزمي: ج١ ص٢٢٠ طبع النجف، وأنساب الأشراف للبلاذري: ج٣ ص١٦٤ طبع بيروت، وغيرها كثير.

ورجع يحيى وجماعته إلى مكة خائبين، فأخبروا عمروَ بنَ سعيد بذلك(١).

محاولة عبد الله بن جعفر لارجاع الحسين إلى مكة

واتّصل الخبرُ بالمدينة وبلغهم أنّ الحسينَ عازمٌ على الخروج من مكة، فألحقه عبدُ الله بنُ جعفر بن أبي طالب بولديه: عون ومحمّد، وكتب معهما كتاباً يُقسم عليه فيه بالرجوع إلى مكة، جاء فيه:

«بسم الله الرحمان الرحيم، للحسين بن علي من عبد الله بن جعفر، أمّا بعدُ، فانّي أنشدك اللهَ أن تخرج من مكة، وأسألك الله لمّا انصرفتَ عن هذا الوجه حين تنظر كتابي هذا، فانّي خائف عليك من هذا الأمر الذي أزمعتَ عليه أن يكون فيه هلاكك استئصال أهل بيتك، فإنّك إن هلكتَ خفتُ أن يُطفأ نورُ الله، فأنت عَلَم المهتدين ورجاءُ المؤمنين، فلا تَعجلْ بالمسير إلى العراق، فانّي آخذٌ لك الأمان من يزيد ومن جميع بني أمية لنفسك ولمالك ولأولادك وأهلك، وإنّي على أثر الكتاب والسلام».

---

(١) فكتب عمرو بن سعيد وبعض شياطين بني أمية إلى يزيد يُعلمونه بخروج الحسين إلى العراق، فكتب يزيد عند ذلك إلى واليه على الكوفة - عبيد الله بن زياد - عدة كتب متوالية:
جاء في بعضها: «أما بعد، فقد بلغني أن حسيناً قد سار إلى الكوفة، وقد ابتلى به زمانك من بين الأزمان، وبلدك من بين البلدان، وابتليت به أنت من بين العمال، وعندها تعتق أو تعود عبداً تسترق كما تسترق العبيد» - تاريخ الإسلام للذهبي: ج١ ص٣٤٤، وأنساب الأشراف للبلاذري: ج٣ ص١٦٠ طبع بيروت، وريحانة الرسول المستلّ من تاريخ دمشق: ص٢٠٨ ط بيروت، ومجمع الزوائد للهيثمي ج٩ ص١٩٣ طبع دار الكتاب العربي بيروت.
وجاء في آخر: «أما بعد، عليك بالحسين بن علي، لا يفوت، بادره قبل أن يصل إلى العراق» - المناقب والمثالب للقاضي نعمان المصري -. ويشير إليه ابن عساكر في المصدر الآنف -.

فأجابه الحسين عليه السلام بكتاب جاءَ فيه: «بسم الله الرحمان الرحيم، أمّا بعدُ، فانّ كتابك ورد عليّ فقرأتُه وفهمتُ ما فيه، إعلم إني رأيتُ جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي، فأخبرني بأمرٍ أنا ماضٍ له، كان لي الأمرُ أو علي، فوالله - يا ابن عم - لو كنتُ في ثَقْبِ هامةٍ من هَوامِّ الأرض لاَستَخرجوني منها حتى يَقتلوني، والله ليعتدُنَّ عليّ، كما اعتدت اليهودُ في يوم السبت والسلام»[1].

وصار عبد الله بن جعفر إلى أمير مكة عَمرو بن سعيد الأشدق فسأله أن يكتب أماناً للحسين وأهل بيته، فكتب عَمرو الكتابَ وسَرّحه مع أخيه يحيى وعبد الله بن جعفر قال فيه:

محاولة عمر وابن سعيد ارجاع الحسين إلى مكة

«بسم الله الرحمان الرحيم، من عمرو بن سعيد إلى الحسين بن علي، أمّا بعدُ، فانّي أسأل اللهَ أن يَصرفَك عمّا يُوبقُك وأن يَهدِيك لما يُرشدك، بلغني أنّك تَوجّهتُ إلى العراق، وإنّي أعيذُك بالله من الشِّقاق، فاني أخاف فيه الهلاك، وقد بعثتُ إليك عبدَ الله بنَ جعفر ويحيى بن سعيد، فأقبل إليّ معهما، فانّ لك عندنا الأمانَ والصِّلة والبرّ وحُسنَ الجِوار، لك الله عليّ بذلك شَهيد وكفيل ومُراعٍ ووكيل والسلام عليك».

فلحقه عبدُ الله ويحيى مسرِعَين وسلّماه الكتاب، وجهدا به في الرجوع، فأبى الحسين عليهما، وقال: «إنّي رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وأمرني بأمرٍ أنا ماضٍ له».

فسأله عبدُ الله عن الرؤيا، فقال عليه السلام: ما حدّثتُ بها أحداً، وما أنا مُحدّثٌ بها حتى ألقى ربي.

---

(١) مقتل الخوارزمي: ج١ ص٢١٨ طبع النجف. وبمضمونه في تأريخ الطبري: ج٥ ص٣٨٨، طبع دار المعارف بالقاهرة، وإرشاد المفيد - باختلاف بسيط -. وذكر الفقرات الأخيرة من الكتاب ابنُ كثير في (البداية والنهاية: ج٨ ص١٦٩) طبع القاهرة.

فلما أيس عبد الله منه أمر ابنيه عوناً ومحمداً بالمسير معه والجهاد دونه، ورجع هو ويحيى إلى مكة.

وكتب الحسين عليه السلام في ذلك الحين جواباً لكتاب عمرو بن سعيد قال فيه:

«بسم الله الرحمان الرحيم، أمّا بعدُ، فانّه لم يشاقِق اللهَ ورسولَه مَن دعا إلى الله عزّ وجلّ وعمل صالحاً وقال: إنني من المسلمين. وقد دعوتَ إلى الآمان والبرّ والصّلة، فخيرُ الأمان أمان الله، ولن يُؤمن اللهُ يومَ القيامةَ مَن لم يَخفْه في الدنيا، فنسأل الله مخافةً في الدنيا توجب لنا أمانهُ يوم القيامة، فان كنتَ نويتَ بالكتاب صِلتي وبِري فجُزيتَ خيراً في الدنيا والآخرة والسلام[1]».

إلى (التنعيم)[2]

وواصل الحسين عليه السلام سيره بعد خروجه من مكة، حتى إذا قارب (التنَعيم) لقي (عيراً)[3] قد أقبلتْ من اليمن، تحمل ورسا[4] وحُللاً كثيرة، أرسلها والي اليمن بُجيرُ بن ريسان الحميري إلى يزيد[5]، فأخذها الحسين واستأجر من أهلها جمالاً لرحله ولأصحابه، وقال لأصحاب الإبل: من أحبّ منكم الإنصراف فلينَصرفْ، ومَن أحبّ أن ينَطلق معنا إلى العراق، وفَّيناه كِراه، وأحسنّا صبحتَه،

---

(١) تجد نص الكتابين في: تاريخ الطبري: ج٥ ص٣٨٨ طبع دار المعارف بالقاهرة، والكامل لابن الأثير: ج٣ ص٢٧٦ طبع بيروت. والبداية والنهاية لابن كثير: ج٨ ص١٦٣، وسير أعلام النبلاء: ج٢ ص٣٤٣، ومقتل الخوارزمي: ج١ الفصل العاشر، وإرشاد المفيد، ونهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤١١-٤١٢ ط القاهرة.

(٢) التنعيم - بالفتح فالسكون -: موضعٌ على فرسخين من مكة، وقيل: على أربعة فراسخ، وقيل: ثلاثة أميال: وسمي بذلك لأن جبلاً عن يمينه يقال له (نعيم). وآخر عن شماله يقال له (ناعم) والوادي بينهما: (نعمان) ومنه يحرم المكيون بالعمرة - عن معجم البلدان -.

(٣) العِير - بالكسر - قافلة الحمير، ثم كثر استعمالها لكل قافلة، والمراد هنا قافلة الجمال.

(٤) الورس - بالفتح فالسكون - نبات أصفر كالسمسم، يزرع باليمن، ويصبغ به.

(٥) نهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤١٠ (بحير) بالحاء غير المعجمة.

ومَن أحبّ أن يفارقَنا في بعض الطريق أعطيناه مِن كِراه على قدر ما قطع من الطريق، فمضى معه قوم(١) وامتنع آخرون(٢).

إلى (الصفاح)(٣)

وسار عليه السلام - من (التنعيم) مُجدّاً لا يَلوي على شيء حتى إذا وصل (الصفّاح) لقيه الفرزدق الشاعر(٤) - وهو واردٌ إلى مكة بقصد الحجّ - ومع الحسين أسيافُه وأتراسُه.

---

(١) في (أنساب الأشراف للبلاذري: ج٣ ص١٦٤) طبع بيروت: «يقال: انه لم يبلغ كربلا منهم إلا ثلاثة نفر، فزادهم عشرة عشرة دنانير، وأعطاهم جملاً جملاً، وصرفهم».

(٢) ذكر ذلك عامة المؤرخين وأرباب المقاتل من الفريقين - كالطبري في (تاريخه ج٥ ص٣٨٥) طبع دار المعارف بالقاهرة، وابن الأثير في (كامله: ج٣ ص٢٧٦) طبع بيروت، والخوارزمي في (مقتله: ج١ ص٢٢٠) طبع النجف، والنويري في نهايته: ج٢٠ ص٤١٠ طبع القاهرة. والبلاذري في (أنسابه ج٣ ص١٦٤) طبع بيروت، وابن كثير في(البداية والنهاية: ج٨ ص١٦٦) وابن طاووس في (لهوفه: ص٢٨) طبع النجف، وابن نما في (مثير الأحزان: ص٢١) والسيّد بحر العلوم في (رجاله: ج٤ ص٤٨) طبع النجف، حيث فرّق هناك بين رواية أخذ الحسين عليه السلام تلك الهدايا المحمولة إلى يزيد، وبين رواية أخذه نفسه نظيرها من الهدايا المحمولة إلى معاوية في أيامه. بتبشيع واستبعاد أخذ هدايا معاوية وتكذيب الرواية، بخلاف أخذ هدايا يزيد، بتعليل أن حال الحسين عليه السلام مع معاوية كانت حال مسالمة وموادعة، وحاله مع يزيد كانت حال مباينة وحرب، والأحكام تابعة لموضوعاتها وأحوالها في الاتفاق والاختلاف...

فلا وجه للخلط بين المقامين والحالين وعدم التفريق بينهما واختيار عدم المانع من ذلك إطلاقاً على حد تعبير بعض الأساتذة من كتابنا المعاصرين في كتابه عن حياة الحسين عليه السلام - وقانا الله زلل التسرّع في الآراء.

(٣) الصفاح - بالكسر - موضع بين حنين وأنصاب الحرم من طريق نجد والعراق يقع على يسرة الداخل إلى مكة، وقد نظم الفرزدق الشاعر لقاءه هذا مع الحسين فقال: (لقيت الحسين بأرض الصفاح، عليه اليلامق والدرق) معجم البلدان للحموي -.

(٤) همام بن غالب الأسمدي التميمي الشهير بالفرزدق. من أعاظم النبلاء من أهالي البصرة. وكان عظيم الأثر في اللغة والتاريخ والأدب، ضليعاً بأخبار الناس، حتى قيل: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، ولذهب نصف أخبار الناس. =

قال الفرزدق: فقلت: لمن هذا القطار؟ فقيل: للحسين بن علي.

قال: فأتيتُه وسَلمتُ عليه وقلت له:

أعطاك الله سؤلَك وأملك فيما تحب، بأبي أنت وأمي - يا بن رسول الله - ما أعجلك عن الحج؟

فقال عليه السلام: لو لم أعجل لأُخِذتُ.

ثم قال لي: مَن أنت، ومِن أينَ أقبلت؟

قلت: امرؤٌ من العرب أقبلتُ من الكوفة. فلا والله ما فتّشني عن أكثرَ من ذلك. ثم قال: أخبرني عن الناس خلفَك؟

فقلت: الخبيرَ سألت: قلوبُ الناس معك، وسيوفُهم عليك، والقضاءُ ينزل من السماء، واللهُ يفعل ما يشاء.

فقال: صدقتَ، لله الأمر، والله يفعل ما يشاء، وكلّ يوم ربُّنا في شأن، ان نزل القضاء بما نحبّ فنحمد الله على نعمائه، وهو المستعان على أداء الشكر، وان حال القضاء دون الرجاء فلم يَتعدّ مَن كان الحقُّ نيتَه، والتقوى سريرتَه[1].

= كثيراً ما يُشبه بزهير بن أبي سلمى، وكلاهما من شعراء الطبقة الأولى: ذلك في الجاهلية، والفرزدق في الإسلام، وكان شريف قومه ومبرز قبيلته. ومن شرفه وعظمته: أنه كان لا ينشد في محضر الخلفاء والأمراء إلا قاعداً، وكان من الموالين المحبين لأهل البيت عليهم السلام. له ديوان كبير، طبع بجزئين كبيرين عدة مرات مع الشروح والتعليقات. توفي في بادية البصرة سنة (١١٠ هـ) عن عمر يناهز المائة. ذكرت أخباره في عامة كتب التاريخ والأدب والتراجم، كمعاهد التنصيص، وخزانة الأدب، وتاريخ ابن خلكان، ومعجم الشعراء، والشعر والشعراء، والأغاني، وأمالي السيد المرتضى، ومعجم الأدباء، وغيرها كثير. وقصة المصادفة: أن الفرزدق كان يحج بأمه ويسوق بعيرها، فلقي الحسين خارجاً من مكة.

(١) نهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤١٠ طبع القاهرة، وتاريخ الطبري: ج٥ ص٣٨٦ طبع دار المعارف بمصر، والكامل لابن الأثير: ج٣ ص٢٧٦ طبع دار الكتاب العربي بيروت، والبداية والنهاية لابن كثير: ج٨ ص١٦٦، والصواعق المحرقة لابن حجر: ص١١٨، والصراط السوي: ج٨٦، ومقتل الخوارزمي: ج١ الفصل الحادي عشر، وأنساب البلاذري: ج٣ ص١٦٥ طبع بيروت. ويذكر البلاذري - في رواية أخرى - لقاء الفرزدق في (ذات عرق).

فقلت له: أجل، بلّغك الله ما تحبّ، وكفاك ما تَحذر. وسألتُه عن أشياء من نذور ومناسك. فأخبرني بها، وحرّك راحلته، وقال: السلام عليك، ثم افترقنا[١].

إلى (ذات عرق)[٢]

وسار عليه السلام - نحو العراق، حتى إذا وصل إلى (ذات عرق) لقيه بِشرُ بنُ غالب الأسدي وارداً من العراق.

فسأله الحسين عليه السلام عن أهلها وقال: كيف خَلّفتُ أهل العراق؟

قال بشر: يا ابنَ رسول الله، خَلْتَ القلوبَ معك، والسيوف مع بني أمية.

فقال عليه السلام: صدق أخو بني أسد، إنّ الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد[٣].

إلى (الحاجر) [٤]

الحسين يكتب إلى أهل الكوفة

وما زال - سلام الله عليه - يجدّ السير، حتى انتهى إلى (الحاجر من بطن ذي الرمَّة) فاستقرَ فيه. وكتب بهذا المكان إلى أهل الكوفة جواباً عن كتاب ابن عمّه

---

(١) تاريخ الطبري - المصدر الآنف - وإرشاد المفيد: ص٢٠١ طبع إيران حجري.

(٢) موضع يبعد عن مكة بمرحلتين أو ليلتين، وهو آخر وادي العقيق، وهو ميقات أهل الشرق - ومنه العراق - عند السنة. وروايات الإمامية تحكي توقيت النبي صلى الله عليه وآله للعراقيين من وادي العقيق.

(٣) اللهوف لابن طاووس: ص٢٩ طبع النجف، ومثير الأحزان لابن نما: ص. ٢١ وكثير من المؤرخين وأرباب المقاتل يلتبس عليهم الفرزدق وبشر، للاشتراك في اسم الأب والنسبة، والظاهر أنهما اثنان لا واحد، وان لقاءهما في مكانين لا في واحد.

(٤) الحاجر: ما يمسك الماء من شفة الوادي. وبطن الرمة - بالتشديد -: منزل لأهل البصرة إذا أرادوا المدينة، وفيه تجتمع أهل الكوفة والبصرة، وهو واد معروف بعالية نجد - معجم البلدان -.

مسلم بن عقيل الذي كان يحثه على الإسراع بالمجيء لانثيال الناس في العراق لمبايعته. - ولم يكن له عليه السلام علمٌ بخبر مسلم بن عقيل - وعمّم الكتاب إلى أهل الكوفة، وخصّ من بينهم: سليمانَ بن صرُد الخزاعي، والمسيّب بن نَجبَة، ورفاعةَ بن شدّاد، ونظراءَهم من وجوه الشيعة في الكوفة. وأرسل الكتاب مع قيس بن مسهر الصيداوي رحمه الله [(١)] يقول فيه:

«بسم الله الرحمان الرحيم، من الحسين بن علي بن أبي طالب إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين، سلامٌ عليكم، فانني أحمدَ إليكم الله الذي لا إله إلاّ هو، أمّا بعدُ، فانّ كتابَ مسلم بن عقيل جائني يخبرني فيه بحسن رأيكم واجتماع ملئكم على نصرنا والطلب بحقنا، فسألتُ الله أن يُحسن لنا الصنيع، وأن يثيبكم على ذلك أعظمَ الأجر، وقد شخصتُ إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمانٍ مضَينَ من ذي الحجة يومَ التَروية.

فإذا قدم عليكم رسولي فانكمشوا في أمركم وجِدّوا. فاني قادمٌ عليكم في أيامي هذه إن شاء الله تعالى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[(٢)].

فأقبَل قيس بالكتاب مسرعاً، وكان ابن زياد - لما بلغه خروج الحسين من

---

(١) وقد كان قيس - هذا - رجلاً شريفاً في بني صيدا شجاعاً مخلصاً في حب أهل البيت عليهم السلام وهو ممن حمل - مع جماعةٍ - نفياً وخمسين صحيفة من جانب أهل الكوفة إلى الحسين عليه السلام حاثين فيها على الانتقال إليهم، وأتى بالجواب منه عليه السلام إليهم (ما مقاني) منه (قدّس سره) -.
وقيل: أرسل عليه السلام هذا الكتاب مع عبد الله بن يقطر - لدتِه من الصغر - كما احتمله الشيخ المفيد في إرشاده - وقيل: أرسل نسختين من الكتاب مع كلٍ من هذين الرجلين العظيمين - ولعله الأصح عندنا -.

(٢) تاريخ الطبري: ج٥ ص٣٩٥ طبع دار المعارف بمصر، والبداية والنهاية لابن كثير: ج٨ ص١٦٨، وينابيع المودة للنقدوري: باب٦١، وأنساب الأشراف للبلاذري: ج٣ ص١٦٧ طبع بيروت، وإرشاد المفيد ص٢٠٢، طبع إيران، ونهاية الارب للنويري: جزء ٢٠ ص٤١٢ ط القاهرة.

مكة - قد بعث الحصينَ بن نَمير التميمي[١] صاحبَ شرطته حتى نزل القادسية، ونَظّم الخيل ما بين القادسية إلى خَفّان، وما بين القادسية إلى القُطقُطانة[٢].

ابن زياد يقتل رسول الحسين

فلما انتهى قيسٌ إلى ذلك المكان اعترضه الحصينُ بنْ نمير التميمي مع شرطته، فقبض عليه ليفتّشه، فأخرج قيسٌ الكتابَ فخرّقه. فحمله الحصين إلى ابن زياد، ومعه الكتاب المخرّق.

فلما مثل قيسٌ أمامَ ابن زياد، قال له: من أنت؟

قال قيس: أنا رجل من شيعة أمير المؤمنين وابنه الحسين عليه السلام.

قال ابن زياد: لماذا خرّقت الكتاب؟.

قال قيس: لئلاّ تعلمَ ما فيه.

قال ابن زياد: ممّنَ الكتاب، وإلى مَن؟

قال قيس: من الحسين إلى جماعةٍ من أهل الكوفة لا أعرف أسماءَهم. فغضب ابنُ زياد، وقال له: والله لا تُفارقني حتى تُخبرني بأسمائهم أو تصعدَ المنبر فتسبّ الحسين وأباه وأخاه.

فقال قيس: أما القوم، فلا أخبرك بأسمائهم، وأما السبّ فأفعل، وكان قصده أن يُبلّغ رسالة الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة.

---

(١) هكذا في عامة كتب التاريخ والسير، إلا أن البلاذري في (أنسابه: ج٣ ص١٦٦) يسميه بالحصين بن أسامة التميمي، ولعلّه اشتباه.

(٢) القادسية بينها وبين الكوفة (٥ فرسخاً) وبينها وبين العذيب (٤ أميال) وخفّان - بالتشديد - موضع قريب من الكوفة فوق القادسية بقليل، يسلكه الحاج أحياناً. والقُطقُطانة - بالضم فالسكون -: موضع قرب الكوفة من جهة البر، قال أبو عبد الله السكوني: القطقطانة بالطف بينها وبين الرهيمة - مغرباً - نيف وعشرون ميلاً، - معجم البلدان للحموي -.

فصعَدَ المنبر، فحمد الله وأثنى ليه، وصلّى على النبي وآله، وأكثر من الترّحم على عليٍّ والحسن والحسين، ولعَن عبيدَ الله بن زياد وأباه، وعُتاةَ بني أمية، ثم قال:

«أيها الناس، إنّ الحسينَ بن علي خيرُ خلق الله، وابنُ فاطمة بنت رسول الله، وأنا رسوله إليكم، وقد خلّفتُه بالحاجر، فأجيبُوه».

فأمر ابنُ زياد، فرُمي من أعلى القصر - وهو حيٌّ - فتكسرت عظامه، وتقطّع، ومات رضوان الله عليه[١].

فبلغ الحسينَ قتلُه في بعض الطريق، فاسترجَع واستعَبر، ولم يَملك دمعتَه، وقرأ قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 23] ثم قال: اللهم اجعَل لنا ولشِيعتِنا عندَكَ منزلاً كريماً، واجمعْ بينَنا وبينَهم في مُستَقرّ رحَمتِك ورَغائبِ مذخور ثوابك إنّك على كلّ شيء قدير[٢].

إلى بعض مياه العرب

وسارَ الحسين عليه السلام من الحاجر حتى انتهى إلى ماءٍ من مياه العرب، فإذا عليه عبدُ الله بن مطيع العَدَوي[٣] - وهو نازلٌ به - فلما رأى الحسينَ قادم إليه واحتَمله وأنزله، وقال: بأبي أنت وأمي - يا ابنَ رسول الله - ما أقدمك؟

---

(١) نهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤١٣ ط القاهرة وأنساب الأشراف للبلاذري: ج٣ ص١٦٧ طبع بيروت، وتاريخ الطبري: ج٥ ص٣٩٥ طبع دار المعارف بالقاهرة، ومناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص٩٥ طبع قم، وينابيع المودة للقندوزي: باب (٦١)، واللهوف لابن طاووس ص٣٢ طبع النجف. وفي (روضة الواعظين للفتال: ص١٧٨) طبع النجف، ومثله في (إرشاد المفيد: ص٢٠٣) طبع إيران، وبعض المقاتل: انه كان به رمق فأتاه رجل يقال له عبد الملك بن عمير اللخمي، فذبحه، فقيل له في ذلك وعيب عليه، فقال: أردت أن أريحه.

(٢) الفتوح لابن أعثم الكوفي: ج٥ ص١٤٧، ومقتل الخوارزمي: ج١ ص٢٣٦ طبع النجف.

(٣) سبق أن ذكرنا - في المجلس الثالث -: ان هذا الرجل التقى بالحسين عليه السلام حين خروجه من المدينة. قاصداً مكة في موضع يقال له (الشريفة) وأبدى له رأيه في عدم مغادرته مكة إلى العراق، وهذا هو الالتقاء الثاني بالحسين عليه السلام في عين مائه.

قال الحسين: كان من موت معاوية ما قد بَلَغَك، فكتب إليّ أهلُ العراق يدعونني إليهم.

فقال عبد الله: أذكّرك الله - يا ابنَ رسول الله - وحرمةَ الإسلام أن تُنتَهك، أنشدك الله في حُرمة رسول الله، أنشدك الله في حرمة قريش، أنشدك الله في حُرمة العرب!! فوالله لئن طَلبتَ ما في أيدي بني أمية ليقتلنَّك، ولئن قتلوك لا يهابوا بعدك أحداً أبداً، والله إنها لحرمة الإسلام تُنتَهك، وحرمةُ قريش، وحرمةُ العرب، فلا تفعلْ ولا تأتِ الكوفة، ولا تُعرِّضْ نفسكَ لبني أميّة.

فلم يلتفت إليه الحسين عليه السلام، وأبى إلا أن يَمضي قُدُماً[1].

ابن زياد يرصد الحدود على الحسين

وكان عبيد الله بن زياد وقد وضع المسالحَ والمراصدَ، وأخذ الحدودَ ما بين (واقصة)[2] إلى طريق الشام، ومنه إلى طريق البصرة فلا يدعون أحداً يلج، ولا أحداً يخرج.

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٣٩٦ طبع دار المعارف بالقاهرة، والكامل لابن الأثير: ج٣ ص٢٧٧ طبع بيروت، ووسيلة المآل: ص١٨٩، وإرشاد المفيد: ص٢٠٣ طبع إيران، ونهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤١٤ ط القاهرة.
وربما ذكر بعض المؤرخين وأرباب المقاتل للقصة صوراً أخرى، فابن عساكر في (تاريخه: ج١٣ ص٦٨) المخطوط يذكر: أن عبد الله قال للحسين عليه السلام: «فداك أبي وأمي، متعنا بنفسك ولا تَسرْ إلى العراق، فوالله لئن قتلك هؤلاء القوم ليتخذونا خولاً وعبيداً». وابن عبد ربه الأندلسي في (العقد الفريد - كتاب العسجدة الثانية في الخلفاء) يذكر القصة هكذا: «ومرّ حسين حتى أتى على عبد الله بن مطيع وهو على بئرٍ له، فنزل عليه، فقال للحسين: يا أبا عبد الله، لا سقانا الله بعدك ماءً طيباً، أين تريد؟ قال: العراق، قال: سبحان الله، لم؟ قال: مات معاوية وجاءني أكثر من حمل صحف. قال: لا تفعل يا أبا عبد الله، فوالله، ما حفظوا أباك وكان خيراً منك، فكيف يحفظونك؟ ووالله لئن قتلت، لا بقيت حرمة بعدك، الا استُحلت». وفي بعض المصادر الأخر صور أخرى للقصة متقاربة المضمون.

(٢) واقصة - بالكسر -: منزل بطريق مكة بعد القرعاء نحو مكة وقبل العقبة، وهي دون (زبالة) بمرحلتين - عن المعجم للحموي -.

فأقبل الحسين عليه السلام حتى لقي الأعراب، فسألهم عن خبر الكوفة فقالوا: لا ندري، غير أنا لا نستطيع أن نلج ولا نخرج، فسار تِلقاءَ وجهه[١].

الحسين ينعى نفسه

وروي عن علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام أنه قال: خرجَنا مع أبي الحسين، فما نزل منزلاً، وما ارتحل منه إلاّ وذكر يحيى بن زكريا وقَتْله. وقال - يوماً -: ومن هوان الدنيا على الله عز وجل: أن رأس يحيى بن زكريا أهدي إلى بغيٍّ من بغايا بني إسرائيل[٢] - وفي روايةٍ: وسيُهدى رأسي إلى يزيدَ بنِ معاوية[٣].

إلى (الخزيمية)[٤]

وسار عليه السلام - حتى نزَل (الخُزَيمية) فأقام فيها يوماً وليلةً، فلما أصبَح أقبلت إليه أختُه العقيلة زينب، وقالت: إني سمعتُ البارحة هاتفاً يقول:

ألا يا عينُ فاحتَفلي بجُهدٍ فمنَ يبكي على الشهدآء بعدي
على قومٍ تسوقهمِ المنايا بمقدارٍ إلى إنجازِ وعدِ

فقال الحسين: يا أختاه، كلّ الذي قضى الله فهو كائن[٥].

(١) روضة الواعظين للفتال: ص١٧٨ طبع النجف، وإرشاد المفيد: ص٢٠٣ طبع إيران.
(٢) اللهوف لابن طاووس: ص١٤ طبع النجف.
(٣) نظم درر السمطين: ص٢١٥.
(٤) - بالضم فالفتح -: تصغير خزيمة، وهي منسوبة إلى خزيمة بن حازم، منزل يقع قبل (زرود) للوارد من مكة إلى الكوفة - بقليل - معجم البلدان للحموي -.
(٥) مقتل ابن نما: ص٢٣، ومناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص٩٥ طبع قم ومقتل الخوارزمي: ج١ ص٢٢٥ طبع النجف.

إلى (زرود)[(١)]

(زهير يزدلف إلى الحسين)

وانتهى السيرُ بالحسين عليه السلام إلى (زَرود) فأقام فيها ليلتَه، وقد نَزل بالقرب منه زُهَيرُ بن القين البجلي، وكان شريفاً في قومه، نازلاً فيهم بالكوفة، شجاعاً مِقداماً، له في المغازي مواقفُ مشهورة ومواطنُ مأثورة. كان أولاً منحرفاً عن أهل البيت عليهم السلام عثماني العقيدة. وقد حجّ في تلك السنة، ولما رجع من مكة جمعه الطريق مع الحسين عليه السلام، وكان مع زهيرٍ جماعةٌ من فزارة وبجَيلة. وكان يكره أن يُساير الحسينَ في الطريق أو يُنازلَهَ في منزلٍ واحدٍ، فإذا سار الحسين تخَلّف زهير، وإذا نَزل الحسين في منزلٍ تقدّم زهير، فنزل في آخر.

فنزل الحسين - يوماً في منزل لم يجد زهيرُ بُدّاً من أن ينزل معه، فنزل الحسينُ وأصحابه في جانب، ونزل زهيرٌ وأصحابه في جانب آخر.

فبينا أصحابُ زهير جلوسٌ على طعام لهم إذ أقبَل رسولُ الحسين عليه السلام وسلّم ودخل، والتفت إلى زُهير قائلاً: إنّ أبا عبد الله الحسين بعثني إليك لتأتيَه. فطرح كلُ إنسانٍ ما في يده كأنّ على رؤوسهم الطير كراهيةَ أن يذهب زهيرٌ إلى الحسين.

فأطرق زهيرٌ برأسه إلى الأرض مليّاً، فقالت له زوجته (دِلهم بنت عمرو)[(٢)]. وكانت واقفةً على رأسه تُروّح له: سبحانَ الله أيبعث إليك ابنُ رسول الله، ثم لا تأتيه، فلو أتيتَه فسمعتَ من كلامه ثم انصرفت؟.

فأتاه زهيرٌ - على كُرهٍ - فما لبث أن جاء مستبشراً قد أشرق وجهُه، فأمر بفسطاطه ورَحله وثِقله، فحُوّل إلى جهة الحسين عليه السلام. ثم قال لامرأته: إلحَقي بأهلك، فانيّ لا أحبّ أن يُصيبَكِ بسببي إلا خيراً، وقد عزمتُ على صحبة

---

(١) زَرود - بالفتح فالضم -: مشتق من الزرَد، وهو البلع، ولعلها سمّيت بذلك لابتلاعها المياه التي تمطرها السحائب، لانها رمال بين الثعلبية والخزيمية، ودون الخزيمية بميل، وفيها بركة وحوض - عن معجم البلدان -.

(٢) في أنساب الأشراف للبلاذري: ج٣ ص١٦٧ «ديلم» بدل دِلهم.

الحسين لأفديَه بروحي وأقيه بنفسي. فأعطاها مالَها وسلّمها إلى بعض بني عمومتها ليُوصلها إلى أهلها.

فقامتْ إليه، وبكت في وجهه وودّعته وقالت: خارَ الله لك، أسألك أن تَذكرني عند جدّ الحسين يومَ القيامة.

وقال زهير لأصحابه: مَن أحبّ منك أن يتَبعني، وإلاّ فهو آخر العهد مني[١] سأحدثكم بحديثٍ: إنا غزَونا (بَلنجر)[٢] ففتحَ الله علينا، وأصبَنا غنائم ففرحنا، فقال لنا سلمان رضي الله عنه: أفرحتم بما فتح الله عليكم، وأصبتم من الغنائم؟ فقلنا: نعم، فقال لنا: إذا أدركتُم شبابَ آل محمّد صلى الله عليه وآله فكونوا أشدَّ فرحاً بقتالكم معه ممّا أصبتم من الغنائم في هذا اليوم. فأمّا أنا فإني أستودعكم الله.

وصار مع الحسين، حتى نال الشهادة بين يديه في كربلا رضي الله عنه [٣].

---

(١) اللهوف لابن طاووس: ص٣٠ طبع النجف، وأنساب الأشراف: ج٣ ص١٦٨ طبع بيروت.

(٢) بلنجر - بالباء واللام المضمومتين والنون الساكنة - مدينة في الخزر عند باب الأبواب، فتحت في زمن عثمان بن عفان على يد سلمان بن ربيعة الباهلي، وهو قائد الجيش. وكان من ضمن الجيش سلمان الفارسي.
فقول زهير (فقال لنا سلمان) بالاطلاق: يحتمل أن يكون القائل هو الباهلي على أساس: أنه قائد الجيش الفاتح - كما عليه الطبري وجماعة - ويحتمل أن يكون القائل الفارسي باعتباره كان في ضمن الجيش - كما عليه ابن الأثير والخوارزمي والفتال والمفيد وغيرهم، ولعله الأصح من حيث اطلاع سلمان الفارسي بالخصوص على بعض المغيبات التي يخبر بها عن النبي صلى الله عليه وآله وهذا الخبر من المغيبات التي تناسب (الفارسي) لا (الباهلي) والله العالم.

(٣) تاريخ الطبري: ج٥ ص٣٩٧ طبع دار المعارف بالقاهرة، والكامل لابن الأثير: ج٣ ص٢٧٨ طبع بيروت، ومقتل الخوارزمي: ج١ الفصل الحادي عشر، وروضة الواعظين للفتال: ص٢٧٨ طبع النجف، وأنساب البلاذري: ج٣ ص١٦٨ طبع بيروت، وإرشاد المفيد: ص٢٠٥ طبع إيران، وغيرها - باختلاف بسيط بينها -.

استخبار الحسين بقتل مسلم بن عقيل

وفي هذا المكان (زَرود) أُخبِرَ عليه السلام - بقتل ابن عمّه مسلم بن عقيل وهاني بن عروة [١] فاستَرجع كثيراً، وتَرحّم عليهما مِراراً، وبكى، وبكى معه الهاشميون، وكثر الصراخ والعويل من جانب النساء[٢].

إلى (الثعلبية)[٣]

وسار عليه السلام - حتى نزل (الثَعلبية) ممسياً. فلما أصبحَ إذا برجلٍ من أهل الكوفة، يكنىّ (أبا هرّة الأزدي) قد أتاه، فسَلّم عليه، ثم قال له: يا ابنَ رسول الله، ما الذي أخرجك عن حرَم الله وحرَم جدك محمّد صلى الله عليه وآله؟.

فقال الحسين: «يا أبا هرّة، انّ بني أمية أخذوا مالي فصبرت، وشتَموا عِرضي فصبَرت، وطلبوا دمي فهربت. يا أيا هرّة، لتَقتلني الفئةُ الباغية، وليُلبسنَّهم الله

---

(١) وفي (أنساب البلاذري: ج٣ ص١٦٨) طبع بيروت: أن الذي أخبره بخبرهما رجل يقال له: (بكر بن المعنفة بن رود).

(٢) هكذا في تاريخ الطبري، وإرشاد المفيد ونهاية النويري وعامة المؤرخين وغيرهم. ولكن ابن الأثير في (الكامل) بالمصدر الآنف - يرى أن استخبار الحسين عليه السلام بقتل ابن عقيل كان في (الثعلبية)، وابن طاووس في (لهوفه) يرى أن ذلك كان في (زبالة). ولكن الأصح ما عليه الأصل وعامة المؤرخين وأرباب المقاتل: انه كان في (زرود) كما ظهر ذلك من البلاذري في (أنسابه المصدر الانف) بحكم ذكره لهذا الخبر بعد ذكره لخبر إلتقاء زهير بن القين بالحسين عليه السلام الذي كان في (زرود) قطعاً.

(٣) الثعلبية - بالفتح فالسكون -: نسبة إلى رجل من بني أسد اسمه (ثعلبة) نزل في هذا الموضع، واستنبط عين ماء فيه، وهي في طريق مكة، بعد (الشقوق) وقبل (الخزيمية) للذاهب من الكوفة - معجم البلدان للحموي -.

تعالى ذُلاً شاملاً وسيفاً قاطعاً، وليُسلِطنّ الله عليهم مَن يُذلّهم، حتى يكونوا أذلّ من قومِ سبأ، إذ ملكتْهم امرأةٌ منهم، فحكَمتْ في أموالهم ودمائهم»[١].

إلى (الشقوق)[٢]

وسار عليه السلام - من الثعلبية، حتى إذا وصل إلى موضع يقال له: (الشُقوق) إلتقى فيه برجلٍ مقبلٍ من الكوفة. فسأله الحسين عليه السلام عن أهل الكوفة؟ فأخبره الرجل: أنهم مجتمعُون عليه، فقال عليه السلام: إن الأمر لله يفعل ما يشاء، وربُّنا تبارك وتعالى هو كلّ يومٍ في شأن، ثم أنشد:

فان تكنِ الدنيا تُعدّ نفيسةً   فدارُ ثواب الله أعلى وأنبلُ
وإن تكنِ الأموالُ للتَّرك جمعُها   فما بالُ مَتروكٍ به المرءُ يَبخلُ
وإن تكنِ الأرزاقُ قِسماً مقدراً   فقلةُ حرصِ المرءِ في الكسب أَجملُ
وإن تكنِ الأبدانُ للموت أنشِئتْ   فقتلُ امرىءٍ بالسيف في الله أفضل[٣]

---

(١) اللهوف لابن طاووس: ص٢٩ طبع النجف، ومقتل الخوارزمي: ج١ الفصل الحادي عشر، وأعيان الشيعة: ج٤ ص١٨٤، وفي (أمالي الصدوق م٣٠) يذكر هذا اللقاء بعد (الثعلبية) في موضع يقال له (الرهيمة)، وما في الأصل أصح. ويذكر الصدوق أيضاً - في المصدر نفسه -: انه عليه السلام التقى في (الثعلبية) برجل سأله عن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾ [الإسراء: 71] فقال عليه السلام: هما امامان: امام هدى دعا إلى هدى فأجابوا إليه، وإمام ضلالة دعا إلى ضلالة فأجابوا إليه: هؤلاء في الجنة، وهؤلاء في النار، وهو قوله تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: 7].

(٢) الشقوق - بالضم -: منزل لبني أسد قبل (زبالة) للوارد من مكة - عن معجم البلدان -.

(٣) مناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص٩٥ طبع قم.

إلى (زبالة)(١)

وحينما انتهى به السير إلى (زُبالة) أتاه نعيُ عبد الله بن يقطر(٢) رسوله الذي أرسله عليه السلام من الطريق إلى أهل الكوفة ويحمل كتابَه إلى مسلم بن عقيل. فلما كان قريباً من القادسية، قبض عليه الحُصين بن نمير مع شرَطته، وسرّحوه إلى عبيد الله بن زياد، فلما مَثُل بين يديه أمر به أن يَصعد المنبر ويلعن الكذّابَ بنَ الكذّاب - على حدّ تعبيره -

فصعَد عبدُ الله المنبر وقال: «أيها الناس، أنا رسول الحسين بن فاطمة بنت رسول الله إليكم لتنصروه وتؤازروه على ابن مرجانة وابن سميّة الدعيّ وابن الدعيّ لعنه الله».

فأمر به عبيد الله فألقي من أعلى القصر فتكسّرت عظامه فمات رحمه الله (٣).

---

(١) زبالة - بالضم -: منزل في طريق مكة بعد الشقوق للوارد من مكة إلى الكوفة بينه وبينه (١٧ ميلا) فيه حصن وجامع لبني أسد، وسمي الموضع باسم (زبالة) بنت مسعر، امرأة من العمالقة - عن معجم البلدان للحموي -.

(٢) وكان عبد الله - هذا - صحابياً جليلاً، وتابعياً شديد الموالاة لأهل البيت عليهم السلام - لم يكن - كما هو المشهور على الألسنة وفي كتب التاريخ - رضيعاً للحسين عليه السلام، فانه عليه السلام لم يرتضع من ثدي امرأة غير أمه. ولكنه كان لِدة الحسين، ولدةُ المرء من وُلد مع في زمن واحد، لأن (يقطر) كان خادماً عند رسول الله صلى الله عليه وآله كانت زوجته (ميمونة) في بيت الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فَولدت عبد الله قبل ولادة الحسين بثلاثة أيام، وكانت حاضنة للحسين، ولذلك فعبد الله أخو الحسين من حيث الحضانة، ولدِته من حيث الولادة - بإيجاز عن أسد الغابة للجزري -.
والملاحظ: أن هذا الرجل هو الرسول الآخر للحسين إلى أهل الكوفة، وكان الأول قيس بن مسهر الصيداوي، وكلاهما استشهدا في سبيل الحسين عليه السلام في طلائع الثورة.

(٣) في أنساب الأشراف للبلاذري: ج٣ ص١٦٩ طبع بيروت، وفي تاريخ الطبري: ج٥ ص٣٩٨ طبع دار المعارف بمصر بعد ذلك هكذا: «وبقي به رمق، فأتاه رجل يقال له عبد الملك بن عمير اللخمي فذبحه، فلما عيب ذلك عليه قال: إنما أردت أن أريحه، ومثل =

قالوا: ولما بلغ الحسينَ قتلُه، وكان قد أخبر - مِن قبلُ - بقتل ابن عمّه مسلم ابن عقيل، جمع الناسَ وخطبَهم[١] وقال فيما قال:

«بسم الله الرحمان الرحيم، أمّا بعدُ. فانه قد أتانا خبرٌ فظيع: قتل مسلم بن عقيل، وهاني بن عروة، وعبد الله بن يقطر، وقد خذلنا شيعتُنا، فمن أحبّ منكم الإِنصراف فلينصرف ليس عليه حرج منّا ولا ذِمام».

قال الراوي: فتفرّق الناس عنه يميناً وشمالاً، حتى بقي في أصحابه الذي جاؤا معه من المدينة، ونفرٍ يسير ممن انضموا إليه، وكان قد انضمّ إليه جمعٌ غفير من الأعراب في الطريق لظنّهم أنه سيأتي إلى بَلد قد استقامتْ له طاعة أهله، فكره عليه السلام - أن يَتّبعه إلاّ الذين أقدموا على ما أقدم عليه من الشهادة والمواساة على الموت[٢].

= ذلك في مقتل الحسين للخوارزمي: ج١ الفصل الحادي عشر، ومثل ذلك في نهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤١٥ ط القاهرة.

والملاحظ: أن نفس الكيفية في شهادة هذا الرجل العظيم وردت في شهادة رسول الحسين الآخر إلى الكوفة. قيس بن مسهر الصيداوي - كما سبق ذكره - وذكرنا أنهما رسولا الحسين عليه السلام يحمل كل منهما نسخة من كتابه إلى مسلم بن عقيل.

(١) والملاحظ: أن عامة من ذكر هذا الكلام من الحسين عليه السلام كالطبري والمفيد وغيرهما قال: «فأخرج للناس كتاباً فقرأه عليهم...» وذلك قد يجتمع مع الخطاب بمضمون الكتاب الذي ورد عليه بذلك الخبر الفظيع.

(٢) تاريخ الطبري: ج٥ ص٣٩٨ طبع دار المعارف بالقاهرة، وأعيان الشيعة للأمين قسم ١ من ج٤ ص١٨٧، والكامل لابن الأثير: ج٣ ص٢٧٨ طبع بيروت، وتاريخ أبي الفداء: ج١ ص٣٠١، وتاريخ الإسلام للذهبي: ج٢٠ ص٣٤٥، وإرشاد المفيد ص٢١٥، وروضة الواعظين للفتال: ص١٧٩، ونهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص. ٤١٥ وفي (البداية والنهاية لابن كثير ج٨ ص١٦٨) و(أنساب البلاذري: ج٣ ص١٦٩ طبع بيروت) ومثلها الفصول المهمة لابن الصباغ: ص١٧١) طبع النجف، ككثير من المصادر الآنفة: «انه بقي في أصحابه الذين جاؤا معه من مكة أو من الحجاز». وجاء في روضة الأعيان في أخبار مشاهير الزمان ص٢٦٧: «أن الإمام عليه السلام لما اذن للناس بالتفرق عنه، تفرقوا عنه، ولم يبق معه إلا اثنان وأربعون رجلاً من أهل بيته» وهذا العدد لو استثنينا أصحابه عليه السلام لقرب من الصواب - كما ستعرف -.

إلى (بطن العقبة)(١)

ثم سار عليه السلام من زبالة حتى مرّ ببطن العقبة، فنزل فيها(٢) فلقيه شيخٌ من بني عِكرمة يقال له (عمرو بنْ لوذان)، قال له: أين تُريد؟

قال الحسين: الكوفة.

فقال له الشيخ: أنشدك الله لمّا انصرفت، فوالله ما تَقدم إلاّ على الأسنة وحدّ السيُّوف وان هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفَوك مؤنة القتال ووطئوا لك الأشياءَ، فقدمتَ عليهم كان ذلك رأياً، فاما على هذه الحالة التي تذكر، فاني لا أرى لك أن تَفعل.

فقال الحسين: يا عبدَ الله، ليس يخفى عليَّ الرأي، ولكنّ الله لا يُغلب على أمره(٣) ثم قال: والله لا يَدعونني حتى يستَخرجوا هذه العَلقَة من جوفي، فإذا فعلوا ذلك سلّط الله عليهم مَن يُذلّهم حتى يكونوا أذلّ فِرَقِ الأمم»(٤).

---

(١) بطن العقبة - والعقبة بالتحريك -: منزل في طريق مكة بعد واقصة وقبل القاع لمن يريد مكة من الكوفة، وفي هذا المكان ماء لبني عكرمة من بكر بن وائل - المعجم للحموي -.

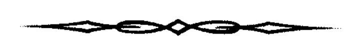
(٢) وفي هذا المكان أيضاً قال لأصحابه، ما أراني إلا مقتولاً. قالوا: وما ذاك يا أبا عبد الله؟ قال: «رؤياً رأيتها في المنام» قالوا: وما هي؟ قال: رأيت كلاباً تنهشني، أشدّها علي كلب أبقع» - كامل الزيارات لابن قولويه: ص٧٥ باب٢٣ -.

(٣) تاريخ الطبري: ج٥ ص٣٩٩ طبع دار المعارف بالقاهرة، والكامل لابن الأثير: ج٣ ص٢٧٨ طبع بيروت. والفصول المهمة لابن الصباغ: ص١٦٧ طبع النجف، ونهاية الارب للنويري ج٢٠ ص٤١٦ ط القاهرة.

(٤) أعيان الشيعة للأمين: ج٤ قسم ١ ص١٨٨ وإرشاد المفيد، ص٢٠٦ طبع إيران، ونفس المهموم للقمي: ص٩٨ طبع إيران.

إلى (شَراف)(١)

ثم سار عليه السلام من بطن العَقَبة حتى نزل (شَراف) فأقام فيها إلى الليل فلما كان وقت السحر أمرَ فتيانَه أن يستقوا من الماء ويُكثروا.



التقاؤه بالحر الرياحي

ثم سار صدر يومه حتى انتصف النهار، إذ كبّر رجلٌ من أصحابه.

فقال الحسين: الله أكبر،ممّ كبرت؟ قال: رأيتُ النخل.

فقال له جماعةٌ من أصحابه: والله ما رأينا في هذا المكان نخلةً - قط -(٢).

فقال الحسين: فما ترونه؟.

قالوا: نراه أسنةَ الرماح وآذانَ الخيل.

قال الحسين: أنا - والله - أرى ذلك. ثم قال لأصحابه:

أمَا لنا مَلجأٌ نلجأ إليه، ونجعله في ظهورنا، ونستقبل القومَ بوجهٍ واحد؟.

فقيل له: هذا (ذو حُسَم)(٣) إلى جنبك، فمل إليه عن يسارك، فان سبقتَ إليه فهو كما تريد؟

فأخذ الحسين إليه ذاتَ اليسار، وسَبق إليه، وضرب أبنيتَه وأنزل عائلتَه.

قال الراوي: فما كان بأسرعَ من أن طلعتْ علينا هَوادي الخيل(٤) فتبينّاها

---

(١) شراف - بالفتح - منسوب إلى رجل بهذا الاسم، استنبط في هذا المكان عين ماء عذب، ثم حدثت فيه آبار كثيرة، بينه وبين واقصة القرعاء ميلان في طريق الكوفة - عن المعجم للحموي -.

(٢) في نهاية الارب - بالمصدر الآنف -: أن الذي قال له ذلك: عبد الله بن سليم والمذري بن المشمعل الأسديان.

(٣) ذو حُسَم - بالمهملتين وبضم الحاء -: اسم جبل على مرحلتين من الكوفة - كما عن هامش إرشاد المفيد -.

(٤) هوادي الخيل: أي أعناقها. والمفرد (هادي) وهو العنق من الخيل أو الإبل.

وعدلنا، فلما رأونا عدلنا عن الطريق عدلوا إلينا، كأنّ أسنّتَهم اليَعاسيب[1] وكأن راياتِهم أجنحةُ الطير.

وجاءَ القوم زُهاءَ ألف فارس مع رئيسهم الحرّ بنِ يزيد الرياحي[2] وكان قد بعثه ابنُ زيادٍ من الكوفة ليحبس الحسينَ عن الرجوع إلى المدينة أينَما وجدَه، ويُقدَم به الكوفة.

فجاؤوا حتى وقَفوا أمامَ الحسين عليه السلام في وقت الظَّهيرة، وكان الوقتُ شديدَ الحر، والحسينُ وأصحابهُ معتمُون، متقلّدُوا أسيافهم.

فلما رأى الحسينُ عليه السلام ما بالقوم من العطش أمرَ فتيانَه أن يُسقوا القومَ ويُرشّفوا الخيلَ تَرشيفاً[3]. ففعلوا، وأقبلوا يَملؤون القِصاعَ والطِساسَ[4] من الماء ثم يُدنونَها مِن الفَرس، فإذا عُبَّ[5] فيها ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عُزلتْ عنه، وسُقي الآخر، حتى سقَوهم وخيولَهم عن آخرهم.

قال عليُ بنُ الطعّان المحاربي: كنتُ مع الحرّ - يومَئذٍ - فجئتُ في آخر مَن جاءَ من أصحابه، فلما رأى الحسينُ ما بي وبفرسي من العطش، قال: أَنِخ الراوية

---

(١) الأسنة: جمع سِنان - بالكسر - وهو نصل الرماح، واليعاسيب: جمع يعسوب وهو ذكر النحل أو أميرها، إذا طار يفرش جناحه.

(٢) في جمهرة أنساب العرب لابن حزم: ص٢١٥: «الحر بن يزيد بن ناجية بن قعنب بن عتاب بن هرمي بن رياح بن يربوع من بني تميم». وفي: ص٢١٣ منه قال: «... ولقد تاب وأناب يوم الطف وقتل شهيداً بين يدي الحسين هو وولده فنال بذلك السعادة الأبدية بعد الشقاء الموقت».
والملاحظ: أنه ليس لذكر ولده تصريح ولا تلميح من عامة المصادر التاريخية المعتبرة - حسب استقرائنا -.

(٣) رشّف الماء - بالتشديد - بشفتيه: بالغ في مصّه، والمراد هنا: السقي قليلاً قليلاً.

(٤) القصاع - بالكسر -: جمع قصعة - بالفتح - وهي الصحة والاناء الكبير والطاس بالكسر -: جمع طسة وطست - بالفتح - وهو لغة في الطشت.

(٥) العب - بالتشديد -: شرب الماء بجميع الفم، لا بالشفة.

- والراوية عندنا السقاء[1] - فلم أدرِ ما يقول؟ ثم قال: يا ابنَ الأخ، أنخِ الجمَلِ، فأنختُه.

فقال: اشربْ. فجعلتُ كلّما شربتُ سال الماءُ من السقاء، فقال الحسين: أخنثِ السقاء - أع أعطفهُ - فلم أدرِ كيف أفعلْ؟

فقام الحسين بنفسه فخنثَه، فشربتُ وسقيتُ فرسي.

ولم يزل الحرُ مواقفاً للحسين عليه السلام حتى حضرتْ صلاةُ الظهر، فأمر الحسينُ الحجّاجَ بن مسروق الجُعفي[2] أن يُؤذِّنَ بالناس، فأذّن الحجّاج. فلما حضرت الإِقامةُ خرَج الحسينُ عليه السلام في ازار ورداءٍ ونعلين متكأً على قائم سيفه، فاستقبل القومَ وحمِدَ الله وأثنى عليه ثم قال: «أيّها الناس، إنّها معذرة إلى الله عز وجل وإليكم، إني لم آتكم حتى أتتني كتُبكم، وقدمتْ عليّ رسُلكم: (أن أقدم علينا فانه ليس لنا إمام لعلّ الله أن يجمَعنا بك على الهدى والحق).

فان كنتم على ذلك، فقد جئتُكم، فأعطوني ما أطمئنّ به من عهودكم ومواثيقكم. وان كنتم لمقدَمي كارهين انصرفتُ عنكم إلى المكان الذي جئتُ منه إليكم».

فسكتوا - جميعاً -. فقال الحسين للمؤذّن: أَقمْ، فأقام لصلاة الظهر، فقال الحسينُ للحرّ: أتصلّي بأصحابك؟

قال الحرّ: بل تصلي أنتَ ونُصلي بصلاتك.

فصلّى بهم الحسين عليه السلام وبعد فراغه دخل الخيمةَ، فاجتمع إليه أصحابُه، وانصرف الحرّ إلى مكانه الذي كان فيه، ودخل خيمةً قد ضُربتْ له، واجتَمع إليه

---

(١) وهي في لغة أهل الحجاز -: الجمل الذي يستقى عليه الماء، والحسين عليه السلام تكلم بلغته لغة أهل الحجاز.

(٢) الحجاج بن مسروق الجعفي من أنصار الحسين عليه السلام ومن ملازميه منذ خروجه من مكة إلى كربلاء، فقد خرج هو الآخر من الكوفة، فلحق بالحسين عليه السلام في مكة، وظلّ ملازماً له طيلة الطريق، واختص بلقب (مؤذن الحسين) إلى أن استشهد بين يديه يوم عاشوراء.

بعضُ أصحابه، وعاد الباقون إلى صفوفهم وأخذ كلّ رجلٍ منهم بعنانِ دابّته وجلس في ظلّها من شدّة الحَر.

ولما كان وقتُ العصر، أمرَ الحسينُ عليه السلام أن يُتَهيأ للرحيل، ثمّ أمرَ المؤذن فنادى لصلاةِ العصر، وأذّن وأقام، فاستقدم الحسينُ، فصلّى بهم صلاةَ العصر، فلما فرغ انصرف بوجهه الشريف نحو القوم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«أما بعدُ، أيّها الناس، إنكم إن تتّقوا اللهَ، وتَعرفوا الحقَ لأهله يكن أرضى لله، ونحنُ - أهلَ بيت محمّد صلى الله عليه وآله - أولى بولاية هذا الأمر من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم، والسائرين فيكم بالجور والعُدوان.

وان أبيتُم إلاّ الكراهيةَ لنا والجهل بحقّنا، وكان رأيُكم - الآنَ - على غير ما أتتْني به كتُبكم وقدمتْ به عليّ رسُلكم، انصرفتُ عنكم».

فقال الحرّ: ما أدري ما هذه الكتب والرسل التي تَذكر؟

فأمرَ الحسينُ عقبةَ بنَ سمعان، فأخرج خُرجَين مملوئين كتباً، فنُشرتْ بين يديه.

قال الحرّ: إني لستُ من هؤلاء الذي كتَبوا إليك، وإني أُمرتُ أن لا أفارقَك - إذا لقيتُك - حتى أُقدمَك الكوفَة على ابن زياد.

فقال الحسين: الموتُ أدنى إليكَ من ذلك.

ثم أمرَ أصحابَه بالركوب، وانتظَر هو حتى ركبتْ نساؤه ثم قال لأصحابه: انصرفوا، فحال القوم بينَهم وبينَ الانصراف.

فقال الحسين للحرّ: ثكلتك أمُك ما تريد منا؟.

فقال الحرّ: أما لو غيرُك من العرب يقولها لي - وهو على مثل هذه الحال التي أنتَ عليها - ما تركتُ ذكرَ أمّه بالثكل، كائناً مَن كان، ولكن، مالي إلى ذكر أمك من سبيل إلا بأحسن ما نقدر عليه.

فقال له الحسين: فما تريد؟.

قال الحرَ: أريد أن أنطلقَ بك إلى الأمير عبيد الله بن زياد.

قال الحسين: إذاً والله لا أتّبعك.

قال الحرّ: إذاً والله لا أدعُك.

فترادّا القولَ - مراراً - فلما كثر الكلامُ بينهما، قال الحرّ للحسين:

إني لم أؤمَر بقتلك، وإنّما أمُرتُ أن لا أفارقَك حتى أُقدمَك الكوفة، فإذا أبيتَ فخُذ طريقاً نَصفَاً بيني وبينك، لا يُدخلُك الكوفة، ولا يَردّك إلى المدينة، حتى أكتبَ إلى الأمير ابن زياد[1] فلعلّ الله أن يأتي بأمرٍ يَرزقني فيه العافية من أن أبتلي بشيء من أمرك، فخذْ ها هنا، فتياسْر عن طريق (العُذيَب والقادسيّة)[2].

فسارَ الحسين عليه السلام وأصحابُه على غير الجادّة، والحر يُسايره في أصحابه، وهو يقول له:

«يا حسين، إني أذكّرك الله في نفسك، فإني أشهد لئن قاتلت لتُقاتَلن، ولئن قُوتِلتَ لتَهلكنّ فيما أرى».

فقال الحسين: أفَبالموت تُخوّفني؟ وهل يَعدو بكم الخَطب أن تقتلوني؟. وسأقول لك كما قال أخو الأوس لابن عمّه حين لقيه وهو يريد نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله، فخوّفه ابنُ عمّه، وقال له: أين تذهب فانك مقتول، فقال:

سأمضي وما بالموت عارٌ على الفتى ... إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلما

وواسى الرجال الصالحين بنفسه ... وخالفَ مثبوراً وفارق مجرما

فان عشتُ لم أندمْ وان متّ لم أُلمْ ... كفى بك ذلاً أن تَعيش وتُرغما

فلما سمع الحرُ ذلك منه، تنحّى عنه، وأخذ يسير بأصحابه في ناحيةٍ، والحسينُ عليه السلام في ناحية[3].

---

(١) في نهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤١٨ طبع القاهرة - بعد هذه الجملة - هكذا: «وتكتب أنت إلى يزيد بن معاوية إن أردت أن تكتب إليه، أو إلى عبيد الله إن شئت».

(٢) في تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٠٣ طبع دار المعارف بالقاهرة: ههنا إضافة جملة «وبينه وبين العذيب ثمانية وثلاثون ميلا»، وهكذا في (أنساب البلاذري: ج٣ ص١٧٠-١٧١) طبع بيروت.

(٣) تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٠٣، وكامل ابن الأثير: ج٣ ص٢٨٠، وروضة الواعظين للفتال ص١٨٠، ومناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص٩٦ طبع قم، وإرشاد المفيد: ص٢٠٨، ومقتل الخوارزمي: ج١ الفصل الحادي عشر، وأنساب الأشراف للبلاذري: ج٣ ص١٧١ طبع بيروت.

إلى (البيضة)[1]

وأخذَ يسير عليه السلام والحرُّ يُسايره حتى إذا وصل إلى موضع يقال له (البيضة) خطب أصحابه وأصحاب الحرّ، فقال - بعد حمد الله والثناء عليه -:

«أيّها الناس إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «مَن رأى سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرام الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسول الله يَعمل في عباد الله بالإِثم والعُدوان، فلم يُغيّر عليه بفعلٍ ولا قولٍ، كان حقاً على الله أن يُدخلَه مدخَلَه.

ألا وإنّ هؤلاء القوم قد لَزموا طاعةَ الشيطان، وتركوا طاعةَ الرحمان، وأظهروا الفسادَ، وعطّلوا الحُدودَ، واستأثروا بالفَيء، وأحلّوا حرامَ الله، وحرّموا حلالَه.

وأنا أحقُ بهذا الأمر ممّن غَيّر، وقد أتتْني كتْبكم وقدمتْ عليّ رسلكُم ببيعتكم أنكم لا تُسلموني ولا تَخذلوني.

فان تَمّت عليّ بيعتكم تُصيبوا رشدَكم. وأنا الحسينُ بن علي وابنُ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهاليكم وأولادكم، ولكم فيّ أسْوة.

وان لم تَفعلوا ونقضتُم عهدي وخلَعتم بيعتي من أعناقكم، فلعَمري ما هي لكم بنُكر، لقد فعلتمُوها بأبي وأخي وابن عمّي مسلم بن عقيل، والمغرورُ مَن اغترّ بكم، فحظّكم أخطأتم، ونصيكم ضيّعتم: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ [الفتح: 10] وسيُغني الله عنكم والسلام»[2].

---

(١) البيضة: أرض واسعة ما بين واقصة إلى عذيب الهجانات، فيها ماء لبني يربوع بن حنظلة - المعجم للحموي -.

(٢) نهاية الارب للنويري ج٢٠ ص٤١٩ ط القاهرة وتاريخ الطبري: ج٥ ص٤٠٣ طبع دار المعارف بالقاهرة، والكامل لابن الأثير: ج٣ ص٢٨٠ طبع بيروت، وأنساب الأشراف للبلاذري: ج٣ ص١٧١ طبع بيروت. وفي (مقتل الخوارزمي: ج١ الفصل الحادي عشر) يذكر هذا الكلام من الحسين عليه السلام بصورة كتاب منه إلى أهل الكوفة أرسله مع قيس الصيداوي، ويستعرض قصة إلقاء القبض على الصيداوي من قبل ابن زياد قبيل الكوفة وقتله. ولعل الأصح والأشهر بين المؤرخين كما في الأصل.

إلى (عذيب الهجانات)(١)

(جماعة من الكوفيين يلتحقون بالحسين)

قالوا: ولم يَزل الحُر يُساير الحسينَ عليه السلام في الطريق على غير الجادَة، حتى انتهوا إلى (عُذيب الهجّانات)، فإذا هم بأربعة نفر على رواحلهم(٢) قد أقبلوا من الكوفة لنصر الحسين عليه السلام ومعهم غلام لنافع بن هلال الجملي(٣) وهو يجنَب فرساً لنافع - وكان خروجُه من الكوفة قبلَ هؤلاء النَفر، وأوصى غلامَه أن يتبعه بفرسه.

ومع هؤلاء النَفر دليلُهم الطرمّاح بنُ عَدي الطائي، وكان قد امتار لأهل مَيرة(٤) من الكوفة فخرج على غير الجادة، فالتقى بهؤلاء النَفر في عَرض الطريق، حتى إذا قاربُوا الحسين ورأوه من بعيدٍ حدا بهم الطرماحُ فقال:

يا ناقتي لا تَذعَري من زَجر واسْرِ بنا قبلَ طلوع الفجر

---

(١) العذيب - بالضم فالفتح -: وادٍ لبني تميم، بينه وبين القادسية (٦ أميال) وأضيف إلى (الهجانات) بالتشديد - لان هجائن النعمان بن المنذر ملك الحيرة كانت ترعى في هذا الوادي - عن معجم الحموي -.

(٢) وهم: نافع بن هلال المرادي - وعمرو بن خالد الصيداوي، وسعد مولاه، ومجمع بن عبد الله العائذي من مذحج - هكذا في أنساب البلاذري: ج٣ ص١٧٢ طبع بيروت - وفي أعيان السيد الأمين: ج٤ ص١٩٢ وضع (جنادة بن الحارث السلماني) بدل (نافع) وعامر بن محمد العائذي بدل (سعد مولى خالد). والمرجح عندنا أنهم خمسة جنادة وعمرو، ومولاه، ومجمع العائذي وابنه - ولعل نافعاً هذا هو الجملي المشهور، لا أنهما اثنان. والله العالم - وسنحقق ذلك في (المجلس التاسع) من الكتاب عند ذكر أصحاب الحسين عليه السلام.

(٣) قال أهل السير: كان نافع هذا سيداً شريفاً سرياً شجاعاً قارئاً كاتباً، من حمَلة الحديث ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وممن حضر حروبه الثلاثة في العراق. وخرج من الكوفة إلى الحسين عليه السلام فلقيه في الطريق. ولازمه إلى أن رزق الشهادة بين يديه في كربلاء (منه قدس سره).

(٤) الميرة - بالكسر فالسكون - ما يمتازه الرجل لأهله من الطعام، جمعه مير - بالكسر فالفتح -.

بـخـيـر ركـبـانٍ وخـيـرِ سَـفـر حـتـى تَـحـلّـي بـكـريـم الـنـجـر
الـمـاجـدِ الـحـرّ رحـيـب الـصـدر أتـى بـه الله لـخـيـر أمـر
ثـمـتَ أبـقـاهُ بـقـاءَ الـدهـر[١]

فلما وصلوا إلى الحرّ أراد حبسَهم، أو ردّهم إلى الكوفة، وقال للحسين: هؤلاء ليسُوا ممّن أقبل معك.

فصاح به الحسين وقال: لأمنعهم ممّا أمنع منه نفسي، إنّما هؤلاء أنصاري وأعواني، وهم بمنزلة مَن جاء معي، وقد كنتَ أعطيتَني ألاّ تعرّض لي بشيء حتى يأتيك كتابٌ من ابن زياد، فان بقيتَ على ما كان بيني وبينك، وإلاّ ناجزتك».

فكفّ الحرُ عنهم، فالتَحقوا بالحسين وأصحابه.

ثم قال لهم الحسين: أخبروني خبرَ الناس وراءَكم؟

فقال له مجمع بن عبد الله العائذي - وهو أحد النفر الأربعة الذين جاؤه -:

«أما أشراف الناس فقد أُعظِمتْ رشوتُهم ومُلِئتْ غَرائرُهم[٢] ليُستَمالَ ودُّهم وتُستَخلصَ نصائحُهم، فهمْ إلبٌ[٣] واحدٌ عليك، وما كتَبوا إليك إلا ليَجعلوك سُوقاً ومكسَباً. وأمّا سائر الناس فأفئدتُهم تهوي إليك، وسيُوفهم غداً مشهورةٌ عليك»[٤].

---

(١) نهاية الارب للنويري ج٢٠ ص٤٢٠ طبع القاهرة. وتاريخ الطبري: ج٥ ص٤٠٥ طبع دار المعارف بالقاهرة، وأنساب البلاذري: ج٣ ص١٧٢ طبع بيروت. وفي مقتل الخوارزمي: ج١ الفصل الحادي عشر يذكر هذا الحداء بأبيات أكثر مما في الأصل بمناسبة طلب الحر من الحسين التياسر عن الجادة هكذا: «فأقبل الحسين على أصحابه فقال: هل فيكم أحد يخبر الطريق على غير الجادة، فقال الطرماح بن عدي الطائي: (أنا يا بن رسول الله أخبر الطريق، فقال الحسين: فسر إذاً بين أيدينا، فسار الطرماح واتبعه الحسين وأصحابه، وجعل الطرماح يرتجز ويقول...».

(٢) الغرائر: جمع غرارة - بالفتح - وهي الكيس من الشعر أو الصوف.

(٣) إلب - بالكسر فالسكون -: اجتماع القوم على عداوة إنسان.

(٤) أنساب الأشراف للبلاذري: ج٣ ص١٧٢ طبع بيروت.

ثم قال لهم الحسين: أخبِرُوني، فهل لكم علمٌ برسولي إليكم قيس بن مسهر الصيداوي؟.

قالوا: نعم، أخذه الحصينُ بن نمير، فبَعث به إلى ابن زياد، فأمره ابنُ زياد أن يَلعنَك ويلعنَ أباك، فصلّى عليك وعلى أبيك ولعنَ ابنَ زياد وأباه، ودعا إلى نُصرتك، وأخبَرهم بقدومك. فأمر به ابنُ زياد فألقي من طَمار القصر(١).

فعند ذلك ترقرقتْ عينا الحسين، ولم يَملكْ دمعتَه ثم قال: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 23] اللهم اجعل لنا ولهم الجنةَ نُزلاً، واجمَع بينَنا وبينَهم في مستقرّ رَحمتِك ورغائب مذخور ثَوابك»(٢).

رأي الطرماح في نصر الحسين

وقال له الطِّرماح: يا ابنَ رسول الله، اذكرك الله في نفسك، لا يغرّنك أهل الكوفة، فوالله لئن دخلتَها لتُقتَلُنّ، وإني أخاف أن لا تَصل إليها، والله ما أرى معَك كثيرَ أحد، ولو لم يُقاتلك إلاّ هؤلاء الذين أراهم ملازميك لكفى، ولقد رأيتُ قبلَ خروجي إليك بيوم ظَهرَ الكوفة، وفيه من الناس ما لم ترَ عيناي في صعيدٍ واحدٍ جمعاً أكثرَ منه، فسألتُ عنهم؟ فقيل: اجتَمعوا ليُعرَضُوا ثمّ يُسرَّحون إلى الحسين. فأنشدك الله إن قدرتَ على ألاّ تَقدمَ عليهم شبراً إلا فعلتَ. فان أردتَ أن تنزل بلداً يَمنعك الله به حتى ترى رأيَك، ويَستبين لكَ ما أنتَ صانع، فسِرْ حتى أنزلك جَبلنا الذي يدعى (أجا) فهو جبلٌ امتنَعنا به من ملوك غسّان وحِمْير والنعمان بن المنذر ومن الأسود والأحمر، والله ما إن دخل علينا ذلّ - قط - فأسيرَ معك حتى أنزلك القرية، ثم نبعث إلى الرجال ممّن بـ(أجا وسلمى) من طي، فوالله لا يأتي عليك عشرةُ أيام حتى يأتيك (طَي) رجالاً وركباناً ثم أقمْ فينا ما بدا لك. فان هاجك هَيجٌ فأنا زعيمٌ لك بعشرين ألف طائي يَضربون بين يديك بأسيافهم، فوالله لا يُوصَل إليك أبداً، وفيهم عينٌ تَطرف.

---

(١) طمار - بالفتح - كقطام -: المكان المرتفع.

(٢) نهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤٢١ ط القاهرة.

فجزّاه الحسينُ وقومَه خيراً وقال له: «إنّ بينَنا وبينَ هؤلاء القوم قولاً لسنا نقدر معه على الإنصراف، ولا ندري: علامَ تتصرّف بنا وبهم الأمور في عاقبة، فان يدفع الله عنا، فقديماً مّا أنعم علينا وكفى، وان يكن ما لا بدّ منه ففوزٌ وشَهادة».

وسايرَ الطّرماحُ الحسينَ، ثم ودّعه ووعَده أن يُوصِلَ (المِيرةَ) إلى أهله، ويعود إلى نصره، فلما عاد بلغه خبرُ قتله في (عذيب الهجّانات) فرجعَ إلى أهله[1].

إلى (قصر بني مقاتل)[2]

(التقاء الحسين بعبيد الله بن الحر)

ولم يَزل الحسين عليه السلام - يجدّ السير - والحرُّ يسايُره - حتى انتهى إلى (قصر بني مقاتل) فرأى فسطاطاً مضروباً، ورمحاً مركوزاً، وفرساً واقفاً.

فقال عليه السلام: لمن هذا الفسطاط؟ فقيل: هو لعبيد الله بن الحرّ الجُعفي. فبعث إليه الحجّاجَ بنَ مسروق الجعفي. فسأله عبيدُ الله عمّا جاءَ به؟.

فقال: هديةٌ إليك وكرامة - إن قبلتَها - هذا الحسينُ بن علي يدعوك إلى نُصرته، فان قاتلتَ بين يديه أجِرتَ، وان قُتِلتَ استُشهدت.

فقال عبيد الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، والله ما خرجتُ من الكوفة إلاّ كراهيةَ، أن يدخلها الحسين، وأنا فيها لكثرة من رأيته خارجاً لمحاربته وخذلان

---

(١) نهاية الارب للنويري ج٢٠ ص٤٢٢ ط القاهرة.
وتاريخ الطبري: ج٥ ص٤٠٦ طبع دار المعارف بالقاهرة، والكامل لابن الأثير: ج٣ ص٢٨١ طبع بيروت، ومقاتل الطالبيين ص١١٩، ومروج الذهب للمسعودي: ج٢ ص٧٢، وأنساب الأشراف للبلاذري: ج٤ ص١٧٣ طبع بيروت - باختلاف بسيط منها -.

(٢) وينسب القصر إلى مقاتل بن حسان بن ثعلبة التميمي، ويقع بين عين التمر والشام، والقُطقطانة والقريات على مقربة من كربلاء - عن المعجم للحموي -.

شيعته، فعلمتُ أنه مقتول، ولا أقدر على نصره، والله ما أريد أن أراه ولا يَراني[1].

فأعاد الحجّاج كلامَه إلى الحسين عليه السلام فقام - صلواتُ الله عليه - بنفسه ومشى إليه في جماعةٍ من أهل بيته وصحبه، فدخل عليه الفسطاط، فوسّع له ابنُ الحرّ عن صدر المجلس.

يقول ابنُ الحرّ: ما رأيتُ أحداً - قط - أحسنَ من الحسين، ولا أملأ العين منه، ولا رققتُ على أحدٍ رقتي عليه، حين رأيتُه يمشي والصبيانُ حولَه، ونظرتُ إلى لحيته، فرأتُها كأنها جناح غراب. فقلت له: أسواد أم خضاب؟ قال: يا ابن الحر، عجّل عليّ الشيب، فعرفت أنه خضاب[2].

ولما استقرّ المجلس بأبي عبد الله الحسين، حَمِدَ الله وأثنى عليه، ثم قال:

«يا ابنَ الحرّ، إنّ أهلَ مصركم هذا كتبوا إليّ: أنهم مجتمعُون على نُصرتي، وسألوني القدومَ عليهم، وليس الأمر على ما زَعموا[3] وان عليك ذنوباً كثيرة، فهل لك من توبة تمحو بها ذنوبَك»[4].

قال بن الحر: وما هي يا ابن رسول الله؟ فقال الحسين: تنصر ابن بنت نبيّك وتقاتل معه. قال ابن الحرّ: والله، إنّي لأعلم أنّ من شايعك كان السعيدَ في الآخرة، ولكن ما عسى أغني عنك، ولم أخلّف لك بالكوفة ناصراً، فأنشدك الله أن تَحملني على هذه الخِطة، فان نفسي لا تسمح بالموت، ولكن فرسي هذه

---

(١) الأخبار الطوال للدينوري، ص٢٤٦، وإرشاد المفيد: ص٢٠٩.

(٢) خزانة الأدب للبغدادي: ج١ ص٢٩٨ طبع بولاق، وأنساب الأشراف للبلاذري: ج٥ ص٢٩١ ضمن ترجمة عبيد الله هذا.

(٣) نفس المهموم للشيخ عباس القمي: ص١٠٤.

(٤) لعلّ الإمام عليه السلام يشير إلى كون عبيد الله عثمانيّ العقيدة - يومئذ - وخروجه إلى معاوية، ومحاربته علياً عليه السلام. يوم صفين، كما ذكر ذلك الطبري في تاريخه: ج٧ طبعة أولى، وابن حزم في جمهرة أنساب العرب: ص٣٨٥ وغيرهما. وقد ذكر له الطبري وابن الأثير قصصاً كثيرة في تمرده على الشريعة بنهبه الأموال والخراج وقطعه الطرق، وموبقاته الأخر.

(الحلْقة) فاركبْها، فوالله ما طلَبتُ عليها شيئاً - قط إلا لحقتُه، ولا طلبني أحدٌ وأنا عليها إلاّ سبَقتُه، فخذْها فهي لك، فاركبْها حتى تَلحقَ بمأمنك. وأنا لك بالعِيالات حتى أردها إليك.

قال الحسين عليه السلام: «أما إذا رغبت بنفسك عنّا فلا حاجةَ لنا في فرسك ولا فيك: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف: 51] ولكن فرّ فلا لنا ولا علينا. فوالله لا يَسمع واعيتَنا أحدٌ ثم لا يَنصرنا إلا أكبّه الله على وجهه في نارِ جهنم».

قال ابنُ الحر: أما هذا فلا يكون أبداً إن شاء الله. ثم قام الحسين عليه السلام من عنده حتى دخل رحله(١).

---

(١) هذه القصة مستفيضة النقل بين عامة أرباب التاريخ والسير، كالطبري في تاريخه: ج٥ ص٤٠٧) طبع دار المعارف بالقاهرة، وابن الأثير في (كامله: ج٣ ص٢٨٢) طبع بيروت، والبغدادي في (خزانة الأدب: ج١ ص٢٩٨) طبع بولاق، والخوارزمي في (مقتله: ج١ الفصل الحادي عشر) والبلاذري في (أنسابه: ج٣ ص١٧٤) طبع بيروت، والدينوري في (الأخبار الطوال: ص٢٤٩) والصدوق في (أماليه: مجلس ٣٠) والمفيد في (إرشاده: ص٢٠٩) طبع إيران، وابن أعثم في (الفتوح: ج٥ ص١٣٠) والسيّد بحر العلوم في (رجاله: ج٣ ص٦٩-٧٤) طبع النجف، وغيرهم كثير باختلاف بسيط في النقل.

ولقد ذكر عامة المؤرخين وأرباب الرجال: أن عبيد الله بن الحر - هذا ندم بعد ذلك على ما فاته من نصر الحسين عليه السلام فأنشأ يقول:

فيا لكِ حسرةً ما دمتُ حياً ... تردّد بين صَدري والتـرَاقي
حسين حسين يَطلب بذلَ نصري ... على أهل الضلالة والشقاق
غداةَ يقول لي بالقصر قولاً ... أتتركنا وتزمع بالفراق
فلو فَلق التلهّفُ قلبَ حرٍّ ... لهمّ اليومَ قلبي بانفلاق
ولو واسيتُه يوماً بنفسي ... لنلتُ كرامةً يومَ التلاقي
مع ابن المصطفى نفسي فداه ... تولّى ثم ودّع بانطلاق
لقد فاز الأُولى نصروا حسيناً ... وخاب الآخرون ذوو النفاق

راجع: المصدر الآنف من (رجال السيد بحر العلوم) ففيه تفصيل ترجمة الرجل المذكور...

إلى (قرى الطف)

ولما كان آخر الليل أمر الحسين عليه السلام فتيانه بالاستقاء من الماء ثم ارتحل من (قصر بني مقاتل).

قال عقبةُ بن سَمعان: فسرْنا معه ساعةً فخفَق عليه السلام برأسه خفقة ثم انتبه، وهو يقول: «انا لله وانا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين» - فعل ذلك مرتين أو ثلاثاً.

فأقبل إليه ابنُه علي بن الحسين الأكبر، فقال له: يا أبه، ممّ حمدتَ الله واسترجعتَ؟.

قال الحسين: يا بُني، إني خفقتُ برأسي خفقة، فعنّ لي فارس على فرس، وهو يقول: «القوم يَسيرون والمنايا تسير إليهم» فعلمتُ أنها أنفسنا نُعيتْ إلينا.

قال له ابنه: يا أبتِ - لا أراك الله سوءاً - ألسنا على الحق؟.

قال الحسين: بلى والذي إليه مرجع العباد.

فقال: يا أبت، إذاً لا نُبالي أن نموتَ محقّين.

فقال له الحسين: جزاك الله من وَلدٍ خيرَ ما جزى ولداً عن والده(١).

كتاب ابن زياد إلى الحر بالتضييق إلى الحسين

قالوا: ولما طلَع الفجر نزل الحسينُ وأهل بيته وأصحابُه، فصلّى بهم صلاةَ الغداة، ثم عجّل في الركوب، وأخذ يتياسر - والحرُ يسايره، ويحاول ردّه إلى الكوفة، والحسين عليه السلام يمتنع عليه امتناعاً شديداً - فلم يَزالوا يَتياسرون كذلك حتى انتهوا إلى (نينوى) فإذا راكبٌ على نَجيب له وعليه السلاح متنكبٌ قوساً مقبلٌ

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٠٨ طبع دار المعارف بالقاهرة، والكامل لابن الأثير ج٣ ص٢٨٢، طبع بيروت، وروضة الواعظين للفتال: ص١٨٠، طبع النجف، وإرشاد المفيد: ص٢٠٩ طبع إيران، ونهاية الارب للنويري ج٢٠ ص٤٢٣ ط القاهرة بالمصدر الآنف.

من الكوفة، فوقفوا جميعاً ينتظرونه، فلما انتهى إليهم عرفوه فإذا هو مالك بن النسر الكندي[١] جاء وسلّم على الحرّ وأصحابه، ولم يسلّم على الحسين وأصحابه، ودفع إلى الحرّ كتاباً من عبيد الله بن زياد، فإذا فيه: «أما بعد، فجَعجع[٢] بالحسين حينَ يبلغك كتابي هذا، ويقدم عليك رسولي، ولا تُنزله إلا بالعراء في غير خُضرةٍ وعلى غير ماء، وقد أمرتُ رسولي أن يَلزمَك ولا يُفارقك حتى يأتيني بإنفاذك أمري والسلام».

فقرأ الحرّ كتابَ ابن زياد على الحسين وأصحابه.

فقالوا: دَعنا ننزل (نينوى أو الغاضريّات أو شَفيّة)[٣].

فقال: لا أستطيع، إن الرجلَ عينٌ عليّ.

فالتفت زهيرُ بن القين إلى الحسين وقال: يا ابن رسول الله، ان قتالَ هؤلاء - الساعةَ - أهونُ علينا من قتالَ مَن يأتينا مِن بعدهم، فلعَمري ليأتينا ما لا قِبَل لنا به.

فقال الحسين: ما كنتُ لأبدأهم بقتال حتى يبدأوني[٤].

فقال زهير: سِرْ بنا - يا ابن رسول الله - إلى هذه القرية، فانّها حَصينة، وهي على شاطئ الفرات، فان منعونا قاتلناهم.

قال الحسين: ما اسمها؟ قال زهير: تسمى (العقر)[٥].

---

(١) في تاريخ الطبري وإرشاد المفيد، وغيرهما: «فنظر إليه، أبو الشعثاء يزيد بن المهاجر الكندي فعرفه، فقال له:
ثكلتك أمك، ماذا جئت به؟ قال: أطعت إمامي ووفيت ببيعتي. فقال له أبو الشعثاء: عصيت ربك وأطعت إمامك في هلاك نفسك وكسبت العار والنار، وبئس الإمام إمامك قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ [القصص: 41].

(٢) أي: أخرجه وأزعجه وأحبسه وضيق عليه. أو: أنزله في مكان خشن فاحل.

(٣) وهذه الثلاثة: قرى معمورة من قرى الطف، يسكنها بنو أسد، ولم يذكر البلاذري في (أنسابه ج٣ ص١٧٦) طبع بيروت، القرية الثالثة.

(٤) إرشاد المفيد: ص ٢١٠ طبع إيران.

(٥) العقر - بالضم -: قرية قريبة من تلك القرى الثلاثة، كانت بها منازل بخت نصر، و(يوم العقر) يوم مشهود عند العرب.

قال الحسين: اللهم إني أعوذ بك من (العُقر).

قال زهير: فسِرْ بنا يا ابنَ رسول الله - حتى نَنزلَ (كربلا) فانها على شاطئ الفرات. فنكونَ هناك، فان قاتلونا قاتلناهم واستَعنّا الله عليهم.

فعند ذلك دمعتْ عينا الحسين، وقال: «اللهم إني أعوذ بك من الكرب والبلاء».

نزول الحسين في كربلاء

ثم سار عليه السلام - والحرُّ يُسايره ويُمانعه - حتى إذا وصلوا (كربلاء).

قال الحسين لأصحابه: أهذه كربلاء؟ قالوا: نعم يا ابن رسول الله.

قال: «هذا موضعُ كربٍ وبلاء» إنزلوا، ها هنا محطّ رحالنا، ومَناخ ركابنا، ومَقتل رجالنا، ومَسفك دمائنا، وهنا محلّ قبُورنا، بهذا حدثني جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[1].

فنزل الحسين عليه السلام وضرب أبنيتَه وأخبيتَه وضرب أصحابُه أخبيتَهم شرقيّ خيام الحسين عليه السلام، وضرب بنو هاشم أَخبيتهم في الجانب الغربيّ منها، وأحاطت خيامُ الجميع بخيمة الحسين عليه السلام.

وكان نزولُه عليه السلام كربلاء، يومَ الخميس، الثاني من المحرّم، سنة إحدى وستين للهجرة[2].

---

(١) اللهوف لابن طاووس: ص٣٣ طبع النجف. ومناقب ابن شهر آشوب ج٤ ص٩٧ طبع قم.

(٢) نهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤٢٤ ط القاهرة.
وتاريخ الطبري: ج٥ ص٤٠٩ طبع دار المعارف بالقاهرة، والكامل لابن الأثير: ج٣ ص٢٨٢ طبع بيروت، وروضة الواعظين للفتال: ص١٨١ طبع النجف، ومقتل الخوارزمي ج١ الفصل الحادي عشر، وأنساب الأشراف: ج٣ ص١٧٦ طبع بيروت. وإرشاد المفيد ص٢١٠ وعامة المؤرخين من الفريقين.

ثم أقبل على أصحابه وخطبهم، فقال:

«الناس عبيدُ الدنيا والدِينُ لعقٌ على ألسنتِهم، يَحوطونَه ما درَّتْ معائشُهم، فإذا مُحّصوا بالبلاء قَلّ الديّانُونْ».

ثم جمع عليه السلام وُلدَه وإخوتَه وأبناءَ إخوته وعمومَ أهل بيته، ونظر إليهم وبكى ثم قال: «اللهم إنا عِترةُ نبيّك محمّد صلى الله عليه وآله وقد أخرجنا وطُردنا وأُزعجنَا عن حرم جَدّنا وتعدّتْ بنو أميةَ علينا، اللهم فخذْ لنا بحقنا، وانصرْنا على القوم الظالمين»[1].

ومقوِّضين تَحمّلوا وعلى ... مسْراهمْ المعروفُ مرتَحِلُ
ركبوا إلى العزّ الردى وحدا ... للموت فيهم سائقٌ عَجِلُ
وبهم ترامتْ للعُلى شَرَفاً ... إبلُ المنايا السُود، لا الإبلُ
نَزَلوا بأكناف الطفُوف ضُحىً ... وإلى الجنان عشيةً رحَلوا
من دونهم وقَفوا ... وبحبّهم أرواحَهم بذلوا
وعلى الظَما وردُوا بأفئدةٍ ... حرّى كأنّ لها الظُبى نَهَلُ
في موكبٍ تكبو الأسودُ به ... ويَزلّ من زلزاله الجبَلُ
فاض النَجيعُ وخيلُهم سُفُنٌ ... وحمى الوطيسُ وسمرُهم ظُلَلُ
وعجاجةٍ كالليل يَصدعُها ... عن قُضبهم ووجوههم شُعَلُ
بَخلوا على الدنيا بأنفسهم ... وعلى الردى جادُوا بما بَخلوا
ولآل حربٍ ثارَ بعدَهُم ... من آل طه الفارسُ البَطلُ
جاءَت وقائدُها العمى وإلى ... حرب الحسين يَقودُها الجَهل
بجحافلٍ بالطفّ أولُها ... وأخيرُها بالشام مُتّصلُ
ملؤا القِفار على ابن فاطمةٍ ... جُندٌ وملءُ قلوبهمْ ذُحَلُ
نَصروا يزيدَ وأحمداً خذَلوا ... الله من نَصروا ومَن خَذلوا
حتى اغتدى بالتُرب بينَهمُ ... نَهب الصوارم، وهو مُنجدلُ

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي: ج١ الفصل الحادي عشر، والبحار للمجلسي: ج٤٤ ص٣٨٣ طبع طهران الجديد.

تُروى الأسنة من دماه وما لأوام غُلةِ صدره بَلَل
عجباً لهم أمنوا العذابَ وقد علموا هناك عظيمَ ما عملوا
أيموتُ سرّ الكون بينَهمُ والكون ليس يَحلّه الأجَلُ
وشَوامخُ العلياء مِن مضرٍ أودى بهنّ الفادحُ الجَلَل
فهوتْ لهنّ على الثرى هُضُبٌ وسَمتْ لهنّ على القَنا قُلَل
والأرضُ راكدةُ الجوانب لا يَندكّ منها السَهلُ والجبَلُ
ورؤوسُ أوتاد البلاد ضُحىً ناءتْ بها العسّالة الذُبل
لا كالأهلة بل شموسُ عُلىً بسماء مجدٍ أفقُها الأسَلُ
أسرى على هُزل الجِمال وقد عزّ الحمى ودموعُها بَلَل
لا من بني عدنان يلحظها ندبٌ ولا من هاشمٍ بَطل(١)

ألا لعنة الله على القوم الظالمين

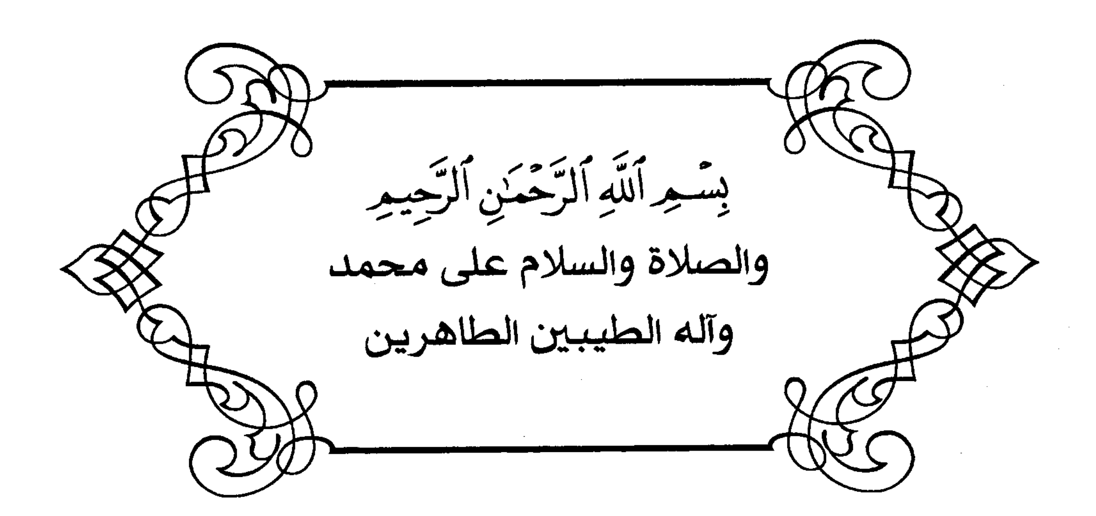


(١) من قصيدة عصماء للحاج حمادي الكواز الحلي المتوفى سنة ١٢٨٣هـ عن عمر لم يتجاوز الأربعين عاماً. قيل: إنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، ومع ذلك فهو نابغة الأدب، وفارس حلبات الشعر، وزند الذكاء الواقد. توفي في الحلة، ونقل جثمانه الطاهر إلى النجف الأشرف، فدفن فيها.
وله ديوان شعر حافل بصنوف الشعر وفنون الأدب ومراثي الأئمة الأطهار، كانت نسخته الخطية في مكتبات السادة الأماجد آل القزويني في قضاء الهندية.



المَجلِسُ الخامِسْ

يحتوي - بعد المقدمة - على: قصة ارسال الحسين عليه السلام سفيره المفضل وابن عمه مسلم بن عقيل إلى الكوفة، وخروج مسلم من الكوفة وشهادته وشهادة هاني فيها.


بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
والصلاة والسلام على محمد
وآله الطيبين الطاهرين

قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه المجيد:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات: 13].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [النور: 21].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقين: 9].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: 51].

﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [آل عمران: 28].

﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [آخر سورة المجادلة].

(صدق الله العلي العظيم)

من حكم ومواعظ الإمام الحسن الزكي عليه السلام

- كما في تحف العقول لابن شعبة وغيره -

«مَن نصَح لله وأخذ قولَه دليلاً هُدي للتي هي أقوم، ووفّقه الله للرشاد، وسدّده للحسنى، فانّ جارَ الله آمنٌ محفوظ، وعدوّه خائف مخذول، فاحتَرسوا من الله بكثرة الذكّر، واخشَوا اللهَ بالتقوى وتَقرّبوا إلى الله بالطاعة، فانه قريبٌ مُجيبٌ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: 186].

فاستَجيبُوا للهِ وآمِنُوا به، فإنه لا يَنبغي لِمَن عَرف عَظَمةَ الله أن يتَعاظم، فان رِفعةَ الذين يَعلمُونَ عظَمةَ الله أن يتَواضَعوا، والذينَ يَعرفونَ ما جَلالُ الله أن يتَذلّلوا له، وسَلامةَ الذين يَعلَمُونَ ما قُدرةُ الله أن يستَسلموا له، ولا يُنكروا أنفسَهم بعدَ المعرفة ولا يَضلّوا بَعدَ الهدى.

واْعلمُوا علماً يقيناً: أنكم لن تَعرفوا التُقى حتى تَعرفوا صفةَ الهُدى، ولن تَمسكوا بميثاق الكتاب حتى تعَرفوا الذي نَبذَه، ولن تَتلوا الكتابَ حقَّ تلاوته حتى تَعرفوا الذي حَرّفه، فإذا عرَفتمْ ذلك عَرفتُم البِدَع والتكلّف، ورأيتُم الفِريةَ على الله والتَحريف، ورأيتُم كيف يهوي مَن يهوي، ولا يُجهلنّكم الذينَ لا يَعلمُون، والتَمِسوا ذلك عندَ أهله، فانّهم خاصّةً نورٌ يُستضاءُ به، وأئمةٌ يُقتدى بهم، بهم عيشُ العلم، وموتُ الجهل، وهم الذين أخبرَكم حلمُهم عن جهلِهم، وحكمَ منطقُهم عن صَمتِهم، وظاهرُهم عن باطِنهم، لا يُخالفون الحقّ، ولا يَختلفون فيه، وقد خَلتْ لهم من الله سنّة، ومضى فيهم من الله حُكمٌ، إنّ في ذلك لَذكرى للذاكرين، واْعقِلوه إذا سمعتُموه عَقلَ رِعاية، ولا تَعقلوه عَقل رِواية، فان رُواةَ الكتاب كثير، ورُعاتَه قليل، والله المستَعان.

ومن كلام له عليه السلام كما في تحف العقول

«لا تُجاهدِ الطَّلبَ جِهادَ الغالب، ولا تَتّكل على القَدر اتّكالَ المستَلِم، فان ابتغاءَ الفضل من السُّنة، والإِجمالَ في الطَّلَب من العِفة، وليست العفةُ بدافعةٍ

رزقاً، ولا الحرصُ بجالبٍ فَضلاً، فانّ الرزقَ مقسومٌ، واستِعمال الحرص استعمالُ المآثم.

وقال عليه السلام: «إتقُوا الله - عبادَ الله - وجِدّوا في الطَّلَب، وتِجاهَ الهَرب وبادرُوا العمَل قبلَ مُقطِعات النَقِمات، وهادِمِ اللذات، فانّ الدنيا لا يَدوم نعيمُها، ولا تُؤمَن فجيعُها، ولا تُتوقّى في مَساويْها، غُرورٌ حائِل، وسَنادٌ مائِل، فاتّعِظوا - عبادَ الله - بالعِبَر، واعتَبِروا بالأثَر، وازدَجِروا بالنَعيم، واتّعِظوا بالمواعظ، فكفى بالله معتَصماً ونَصيراً، وكفى بالكتاب حَجيجاً وخَصيماً، وكفى بالجنةِ ثواباً، وكفى بالنار عقاباً ووَبالاً».

ومن كلام له عليه السلام

- كما في إرشاد القلوب: ص٢٣٩ -

«إنّ العقلَ حِرزٌ، والحلمَ زينةٌ، والوفاءَ مروّةٌ، والعجَلةَ سَفهٌ، والسَفَهَ ضَعفٌ، ومجالسةَ أهل الدنيا شَينٌ، ومخالطةَ أهل الفسُوق ريبةٌ. ومَن استخفّ بإخوانه فَسدتْ مروّتُه، ولا يَهلك إلا المرتابُون، ويَنجو المهتَدُون الذّينَ لم يتّهموا اللهَ في آجالهم طرفةَ عين، وَلا في أرزاقِهم، فمروّتُهم كاملةٌ، وحياؤهم كاملٌ، يَصبرون حتى يؤتى لهم برزقٍ، ولا يَبيعون شيئاً من دِينهم ومُروّتهم بشيءٍ من الدنيا، ولا يَطلبون شيئاً منها بمعاصي الله، ومِن عَقلِ المرء ومروّته أن يُسرعَ إلى قضاء حوائج إخوانه، وان لم يُنزلوها به، والعقلُ أفضلُ ما وَهبَ الله تعالى للعبد، إذ به نجاتُه في الدنيا من آفاتها، وسلامتُه في الآخرة من عذابها».

ومن وصيته عليه السلام لجنادة الأنصاري
وقد عاده في مرضه الذي توفي به وطلب منه الموعظة

- كما في أعيان الشيعة: ج٤ ص٨٥ -

«استَعدَّ لسفَرك، وحصّل زادَك قبلَ حلول أجلَك، وأعلمْ أنّك تَطلبُ الدنيا والموتُ يطلبُك. ولا تَحمِل همَّ يومك الذي لم يأتِ على يومك الذي أنت فيه.

وأعلمْ أنك لا تكسبُ من المال شيئاً فوق قوتك إلاّ كنتَ فيه خازناً لغيرك. واعلمْ أن الدنيا في حلالها حساب، وفي حرامها عقاب، وفي الشُبهات عتاب، فأنزل الدنيا بمنزلة الميتة، فخذ منها ما يكفيك: فان كان حلالاً كنتَ قد زهدتَ فيها، وان كان حراماً لم يكن فيه وِزرٌ، فأخذتَ كما أخذتَ من الميتة، وان كان العتابُ فالعتابُ يسير.

واعمَلْ لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمَل لآخرتك كأنك تموت غداً.

وإذا أردتَ عزاً بلا عشيرة، وهيبةً بلا سلطان، فاخرج من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعته. وإذا نازعتْك إلى صُحبة الرجال حاجةٌ فاصحَب مَن إذا صحبتَه زانك، وإذا خدَمته صانك، وإذا أردتَ معونةً أعانك، وان قلتَ صدّق قولك، وان مددتَ يدَك بفضلٍ مدَّها، وان بدتْ منك ثلمةٌ سدّها، وإن رأى منك حسَنةً عدّها، وان سألتَه أعطاك، وان سكتّ عنه ابتداك، وان نزلتْ بك إحدى الملمّات واساك، مَن لا تأتيك منه البوائق، ولا تختلف عليك منه الطرائق، ولا يخذلُك عند الحقائق، وان تنازعتما مُتقسّماً آثَرك».

ومن كلام الإمام الشهيد
الحسين بن علي عليه السلام في المواعظ

- كما في تحف العقول -

«أوصيكمْ - عباد الله - بتقوى الله، وأحذّركم آثامه، وأرفعُ لكم أعلامَه، فكأنّ المَخوف قد أفد بمَهول ورُوده، ونكيرِ حلوله، وبشع مذاقِه، فاعتَلق مُهجَكم، وحال بين العمل وبينكم، فبادِرُوا بصحة الأجسام في مدةِ الأعمار، كأنكم ببغَتات طوارقه، فتَنقلكم مِن ظهر الأرض إلى بَطنِها، ومِن عُلوّها إلى أسفَلها، ومن أُنسها إلى وَحشتها، ومن رَوحها وضوَئها إلى ظُلمتها، ومِن سعتها إلى ضيقها، حيث لا يُزار حَميمٌ، ولا يُعاد سقيمٌ، ولا يُجاب صريخٌ، أعاننا الله وإيّاكم على أهوال ذلك اليوم، ونجّانا وإيّاكم من عقابه، وأوجبَ لنا ولكم الجَزيلَ من ثَوابه.

عبادَ الله، فلو كان ذلك قِصرَ مَرماكم ومَدى مَطعنكم كان حسْبُ العامل شُغلاً، يستفرغ عليه أحزانَه، ويُذهله عن دنياه، ويُكثر نصبَه لطلب الخلاص منه، فكيف وهو بعد ذلك مُرتَهنٌ باكتسابه، مستَوقفٌ على حسابه، ولا وزيرَ له يمنعُه، ولا ظهيرَ عنه يدفعُه، ويَومئذٍ لا يَنفع نفساً إيمانُها، لم تكن آمنتْ من قبلُ أو كسبتْ في إيمانها خيراً ﴿قُلِ انتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: 158].

أوصيكم بتقوى الله، فانّ الله قد ضَمِنَ لمن اتّقاه أن يُحوّله عمّا يكره إلى ما يُحبّ، ويَرزقه من حيث لا يَحتسب، فإيّاك أن تكونَ ممّن يخاف على العباد من ذنوبهم، ويأمن العقوبةَ من ذنبه، فان الله تبارك وتعالى لا يُخدَع عن جنّته، ولا يُنال ما عنده إلا بطاعته».

- ومن خطبة له عليه السلام

- كما في كشف الغمة للاربلي -

أيّها الناس، نافِسُوا في المكارم، وسارِعُوا في المغانِم، ولا تَحتَسبُوا بمعروفٍ لم تَعجّلوه، واكسبُوا الحمدَ بالنُجح، ولا تكسِبوا بالمطْل ذماً، فمهما يكنْ لأحدٍ عند أحدٍ صَنيعةٌ رأى أنه لا يقوم بشكرها فالله له بمكافأته، فانه أجزلُ عطاءً وأعظمُ أجراً.

واعلَمُوا أنّ حوائج الناس إليكم مِن نَعِم الله عليكم، فلا تَملّوا النِعمَ فتحورَ نِقَماً. وأعلموا أن المعروف مكسبٌ حمداً، ومُعقبٌ أجراً، فلو رأيتُم المعروفَ رجلاً لرأيتمُوه حسَناً جميلاً يسرّ الناظرين، ولو رأيتم اللؤمَ رأيتموه سمْجاً مشوّهاً، تنفر منه القلوب، وتُغضّ دونَه الأبصار.

أيّها الناسُ، مَن جاد ساد، ومَن بَخِل رَذُل، وإن أجودَ الناس مَن أعطى مَن لا يَرجوه، وأعفّ الناس مَن عفا عن قدرةٍ، وأوصل الناس مَن وصَل مَن قطعه، والأصوُل على مغارسها بفروعها تَسموْ، فمَن تَعجّل لأخيه خيراً وجده إذا قدم عليه غداً، ومَن أراد اللهَ بالصنيعة إلى أخيه كافأه الله بها في وقت حاجته، وصرَف عنه من بلاء الدنيا والآخرة أكثرَ من ذلك. ومَن نفّس عن أخيه كربةً من كرب الدنيا

نفَّس الله عنه كربة من كرب الآخرة. ومن أحسن أحسن الله إليه، والله يحب المحسنين».

ومن كلام له عليه السلام

- كما في تحف العقول وغيره -

«دراسةُ العِلم لِقاحُ المعرفة، وطولُ التَّجارب زيادةٌ في العقل، والشرفُ التقوى، والقنوعُ راحةُ الأبدان، ومَن أحبّك نهاك، ومَن أبغضك أغراك.

إيّاك وما تَعتذر منه، فانّ المؤمنَ لا يُسيء ولا يعتَذر، والمنافق كلّ يومٍ يُسيء ويَعتذر.

إيّاك وَظلْمَ مَن لا يَجدُ عليك ناصراً إلا الله عز وجل .

مَن حاوَل أمراً بمعصية الله كان أفوتَ لما يَرجو، وأسرعَ لما يحذر.

لا تَتكلّف ما لا تُطيق، ولا تتعرّض لما لا تُدرِك، ولا تَعدْ بما لا تَقدر عليه، ولا تُنفقْ إلا بقَدر ما تَستفيد، ولا تَطلبْ من الجزاء إلا بقَدر ما صنعتَ، ولا تَفرحْ إلاّ بما نِلتَ من طاعة الله. ولا تَتناولْ إلاّ ما رأيتَ نفسكَ أهلاً له. كُفَّ عن الغيبة فإنّها أدامُ كلاب النار».

ومن كلام له عليه السلام لابن عباس

- كما في بحار المجلسي المجلد العاشر -

«لا تَتكلمنَّ فيما لا يُعنيك حتى ترى للكلام موضعاً، فربّ مُتكلم قد تكلّم بالحق فعِيبَ، ولا تمارينّ حَليماً ولا سَفيهاً، فانّ الحليمَ يَغلبُك، والسفيهَ يؤذيك. ولا تَقولنّ في أخيك المؤمن إذا توارى عنك إلاّ ما تُحبّ أن يقول فيك إذا تواريتَ عنه.

واعمَل عمَلَ رجلٍ يعلم أنه مأخوذٌ بالإجرام مُجزىً بالإحسان والسلام».

ومن كلام له عليه السلام

- كما في نور الأبصار للشبلنجي -

«الحلمُ زينة، والوفاءُ مروّة، والصِلةُ نِعمة، والاستكثارُ صَلَف، والعجلَة سفَهٌ، والسَفهُ ضعفٌ، والغُلوّ وَرطةٌ، ومجالسةُ أهلِ الدناءَة شَرّ، ومجالسةُ أهل الفسُوق رِيبة. والصدق عزّ، والكذبُ عجز، والسرّ أمانة، والجِوارُ قرابة، والمعونةُ صدَقة، والعمل تَجربة، والخلُق الحسَن عبادة، والصمْتُ زَين، والشّح فقر، والسخاءُ غنىً، والرفق لُبّ».

مسلم سفير الحسين إلى الكوفة

قال أرباب التاريخ والسِيَر: لما توافدت كتبُ أهل الكوفة على الحسين بن علي عليه السلام - وهو في مكة - قام وصلّى بين الركن والمقام، وسأل اللهَ الخيرَة، ثم طلب ابنَ عمّه مسلمَ بن عقيل، وأطلعه على الحال[1].

---

(١) مسلم بن عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب. . . إلى آخر سلسلة نسبه الوضّاح التي هي سلسلة النبوة وأمشاج الإمامة، المتواصلة الحلقات إلى الجد الأعلى شيخ الأنبياء والمرسلين إبراهيم خليل الرحمان.

وكان أبوه عقيل - الذي هو أكبر من علي بعشرين عاماً تقريباً - عارفاً بأنساب العرب، ضليعاً بأخبارها، معروفاً بالفطنة والذكاء والقيافة والعرافة، وكان يُفرش له بساط في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فيدلي على حضّاره من معارفه وأخباره ما يخفى على الكثير.

وقد أظهر إسلامه بعد عام الفتح، وشهد عامةَ مشاهد النبي صلى الله عليه وآله: حنيناً وما بعدها. توفي في المدينة قبل سنة ٦٠ للهجرة، ودفن في داره، ودفن معه - بعد ذلك - ابنُ أخيه عبد الله بن جعفر.

وكان النبي صلى الله عليه وآله يحبه كثيراً ويظهر ذلك للناس، فقد روى الصدوق في(أماليه م٢٧) بسنده المعتبر عن ابن عباس عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «انه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله، انك لتحب عقيلاً؟ قال رسول الله: أي والله، اني لأحبه حبين: حباً له، وحباً لحب أبي طالب له، وان ولده لمقتول في محبة ولدك،=

. . . .

= فتدمع عليه عيون المؤمنين، وتُصلي عليه الملائكة المقربون - قال -: ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وآله حتى جرت دموعه على صدره، ثم قال: إلى الله أشكو ما تلقى عترتي من بعدي».

وأمه أم ولد تدعى (عليه أو حليلة) أصلها من أشراف (النبط) وهم من سكنة العراق قديماً، ولقد ذكر ابن قتيبة في (المعارف) والمجلسي في (بحاره): أن أم مسلم نبطية من آل (فرزندا).

وإخوته - لأمهاتٍ شتى - زهاء خمسة عشر شخصاً، كما عن ناسخ التورايخ، ومقاتل الطالبيين، وأنساب الأشراف، وطبقات ابن سعد، وبحر الأنساب، والحدائق الوردية، وتذكرة الخواص، وغيرها: ستة منهم - على الظاهر - كانوا من شهداء الطف بين يدي الحسين عليه السلام وهم: عبد الله الأكبر، وعبد الرحمان الأكبر، وجعفر الأكبر، ومحمد، وعبد الله الأصغر، وعلي وعون - كما قيل -.

وأخواته - لأمهات شتى - زهاء ثمانية: فاطمة، زينب، رملة، أم عبد الله، أم القاسم أم هاني، أم لقمان، أسماء الشاعرة.

وُلد مسلم بن عقيل عليه السلام في المدينة في دار أبيه - التي أصبحت بعد ذلك - مقبرة لعموم آل أبي طالب.

ولم يضبط المؤرخون سنة ولادته على التحقيق. ولكن الذي يؤثر عنهم: أنه يوم استشهد (سنة ستين للهجرة) كان عمره (٣٤ أو ٣٨ سنة) على اختلاف بني الروايات - ولعل الثاني أظهر عندنا، لأنه كان في واقعة (صفين) سنة ٣٧هـ أميراً على فيلق حربي من قبل عمه أمير المؤمنين عليه السلام - كما يقول التاريخ - فالمناسب لمن هذه منزلته أن لا يقل عمره عن العشرين عاماً.

وتربى عليه السلام في بيت عمه أمير المؤمنين عليه السلام - باب مدينة علم الرسول صلى الله عليه وآله - وحضر معه حروبه الثلاثة: الجمل، وصفين، والنهروان.

وترعرع ونشأ في صحبة ابني عمه الإمامين: الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، فنهل من علومهم، واقتبس من أنوارهم: الشيء الكثير، الأمر الذي أهّله لأن يحتلّ ذلك المقام العظيم، فيكون: «ثقة الحسين عليه السلام والمفضل من أهل بيته» وسفيره الذي يعتمد عليه إلى العراق - بلاد الشقاق والنفاق - والكوفة مشتبك القبائل، والآراء والمذاهب والأهواء.

تزوّج - أولاً - برقية الكبرى بنت عمه أمير المؤمنين عليه السلام شقيقة عمر الأطرف من أمهما الصهباء أم حبيب التغلبية - وتزوج - ثانياً - بعد مفارقة الأولى - برقية الصغرى =

. . . .

= أخت رقية الكبرى من أبيها، وأمها أم ولد، وهي أم عبد الله بن مسلم شهيد الطف وقد حضرت رقية - هذه - واقعة الطف، وكانت مع أخوات الحسين عليه السلام.

له من الأولاد خمسة أو ستة - على الظاهر -: بنت وهي حميدة - كما قيل - وبنون أربعة أو خمسة، وكلهم استشهدوا في سبيل المبدأ والعقيدة.

فعبد الله ومحمد الأكبر المختلف من اسمه: أنه جعفر أو عبد الرحمان - من شهداء الطف - كما عن مقاتل الطالبيين والمحبّر للنسابة وغيرهما - وذكر البلاذري في (أنسابه) من شهداء الطف مسلم بن مسلم وعلي بن مسلم ولعله اشتباه.

وأما ولداه الآخران: إبراهيم ومحمد الأصغر - على ما أسماهما الصدوق - فكانا مع الحسين عليه السلام وأهل بيته يوم الطف، وعمر أحدهما سبع سنين، وعمر الآخر ثمانية.

فبعد قتل الحسين عليه السلام وعموم أهل بيته وأصحابه وهجوم الخيل على مخيمه وإحراقه بالنار فرّا على وجوههما في البيداء - كغيرهما من الأطفال والنساء - فظفر بهما الأعداء، فأخذا أسيرين إلى عبيد الله بن زياد، فأمر ابن زياد بسجنهما والتضييق عليهما.

ولما طال المكث عليهما في السجن قرابة سنة أو أكثر، رأيا أن يُعلما السجّان بنسبهما وحسبهما وصلتهما بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام وجعفر الطيار رضي الله عنه فلما أعلماه بجليّة الأمر - ولم يكن يعرفهما من قبلُ - انكبّ على قدميهما بالتقبيل والخضوع وهو يقول: نفسي لكما الفداء يا عترة المصطفى، وفتح لهما باب السجن وأوقفهما على الطريق وقال لهما: سيرا يا حبيبيّ في الليل واكمنا في النهار. فخرجا من السجن يجدّان السيرَ حتى إذا جنّهما الليل انتهيا إلى باب عجوز، فوقفا عندها، وسألاها أن تضيفهما سوادَ هذا الليل، فضيفتهما بعد أن سألتهما عن قصتهما فأخبراها بواقع أمرهما.

فلما كان في بعض الليل، أقبل (ختَن العجوز) واسمه الحارث بن عروة - إلى داره، وكان من مردة ابن زياد وممن شهد حرب الحسين عليه السلام فأخذ يحدّثها عن قصة غلامين هربا من سجن ابن زياد، فنادى الأمير في معسكره: إن من جاء برأس واحد فله ألف درهم ومن جاء برأسيهما فله ألفان. وأخذ يقول لها: وقد تعبتُ طوال هذا النهار ولم يصل في يدي شيء.

فقالت له العجوز: إحذر أن يكون محمد صلى الله عليه وآله خصمك في يوم القيامة، فتحسس الخبيث من كلامَها هذا أنّ عندها علماً بهما.

ولما كان بعضُ الليل سمع غطيطَ الغلامين يتحدثان ففتش عنهما حتى وقف على رأسهما وسألهما: مَن أنتما؟ قالا: ان صدقناك فلنا الأمان؟. قال: نعم. أمان الله ورسوله وذمة الله ورسوله. =

وكتب معه - جَواباً لكتب أهل الكوفة - كتاباً جاء فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسينِ بن علي إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين، أمّا بَد، فان هانئاً وسعيداً قَدِما عليّ بكتُبكم وكانا آخرَ مَن قدم عليّ من رسلُكم، وقد فهمتُ كلّ الذي اقتَصصْتُم وذكرتُم ومقالةَ جلكم: أنه ليس علينا إمام فأقبِلْ لعلّ الله يَجمعنا بك على الهدى والحق.

= فقالا له: يا شيخ، نحن من عترة نبيك محمد صلى الله عليه وآله هربنا من سجن ابن زياد من القتل. قال لهما: من الموت هربتما وعلى الموت وقعتما. وأوثقهما كتافاً إلى الصباح. وعند الصباح أخذهما - مكتوفين - إلى شاطئ الفرات ليقتلهما.

فقالا له: يا شيخ، بعنا في السوق وانتفع بأثماننا.

قال: بل أقتلكما وآخذ الجائزة برأسيكما.

قالا له: اذهب بنا إلى ابن زياد ليحكم فينا بأمره، فأبى، قالا: أما ترحم صغر سننا؟. فلم ينفع ذلك فيه. فلما أيسا من الحياة طلبا منه أن يتركهما يصليان لربهما ركعات، فقال: صليا ما شئتما إن نفعتكما الصلاة.

فصليا ورفعا طرفيهما إلى السماء قائلين: «يا حي يا حليم يا أحكم الحاكمين احكم بيننا وبينه بالحق». ثم قتلهما واحتزّ رأسيهما ورمى بجسديهما في الفرات. وقدم بالرأسين على ابن زياد.

فقال له ابن زياد: الويل لك، أين ظَفرت بهما؟ وقص عليه قصتيهما، إلى أن وصل إلى الدعاء.

قال ابن زياد: فان أحكم الحاكمين قد حكم بينكم، من للفاسق؟ فانتدب له رجل من أهل الشام، فقال له ابن زياد: انطلق به إلى الموضع الذي قتل فيه الغلامين واضرب عنقه، ولا تترك أن يختلط دمه بدمهما وعجّل إلي برأسه.

ففعل الرجل ذلك، وجاء برأسه، ونصب على قناة، فجعل الصبيان يرمونه بالنبل والحجارة، ويقولون «هذا قاتل ذرية رسول الله»، - باقتضاب عن أمالي الصدوق: مجلس ١٩، وروضة الشهداء لمولانا حسين كاشفي - فارسي -.

والظاهر أن المرقدين المعروفين - اليومَ - بقرب بلد المسيّب المنسوبين إلى (طفلي مسلم). هو مكان قتلهما، لا موضع دفن جسديهما الطاهرين، فان جسديهما قد رميا في الفرات كما تقول الرواية.

وقد بعثتُ إليكم أخي وابنَ عمي وثقتي من أهل بيتي[(١)] (مسلمَ بن عقيل بن أبي طالب) وأمرتُه أن يكتب إليّ بحالكم وأمركم ورأيكم، فان كتب إلي: أنه قد أجمع رأيُ ملأكم وذوي الحجى والفضل منكم على مثل ما قدمتْ به رسلكم وقرأت في كتبكم، فاني أقدم عليكم وشيكاً ان شاء الله تعالى، فلعَمري، ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب والقائم بالقسط والدائن بدين الله، الحابس نفسَه على ذات الله والسلام»[(٢)] ثم دفع الكتاب إلى مسلم، وقال له: «اني موجّهك إلى أهل الكوفة وسيَقضي الله من أمرك ما يُحبّ ويَرضى، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء فامضِ ببركة الله وعونه حتى تدخل الكوفة، فإذا دخلتها فانزل عند أوثق أهلها، وادعُ الناسَ إلى طاعتي، فان رأيتَهم مجتمعين على بيعتي فعجّل عليّ بالخبر حتى أعمل على حسب ذلك إن شاء الله تعالى». ثم عانقه الحسين وودّعه وبكيا جميعاً[(٣)].

وبعث معه: قيسَ بنَ مسهر الصيداوي وعمارة بن عبيد الله السلولي وعبدَ

---

(١) في منتخب الطريحي وبعض المصادر الأخر هما زيادة جملة: «والمفضّل عندي فاسمعوا له وأطيعوا».

(٢) تاريخ الطبري: ج٥ ص٣٥٣ طبع دار المعارف بالقاهرة، وابن الأثير: ج٣ ص٢٦٧ طبع بيروت، وروضة الواعظين: ص١٧٣ طبع النجف، وبحار المجلسي: ج٤٤ ص٣٣٤ طبع طهران الجديد، وإرشاد المفيد: ص١٨٦، وأعيان الشيعة للأمين: قسم ١ ج٤ ص١٦٠، والأخبار الطوال لابن قتيبة: ص٢١٠، وابن شهر اشوب في المناقب: ج٤ ص٩٠ طبع قم، ومقتل الخوارزمي: ج١ الفصل العاشر، وتذكرة الخواص لابن الجوزي: ص٢٤٤ طبع النجف، ونهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٣٨٧ ط القاهرة.
والملاحظ: ان عامة هذه المصادر - لو استثنينا الخوارزمي وابن الجوزي وبعضاً غيرهما - تذكر: أن الحسين عليه السلام أرسل الكتاب المذكور مع هاني بن هاني السبيعي، وسعيد بن عبد الله الحنفي - ولكن الخوارزمي وابن الجوزي يذكران أنه أرسله مع ابن عمه مسلم. ولا يبعد - جمعاً بين الروايتين - أنه عليه السلام أرسله بنسختين مع كلٍّ من الرسولين، فان المتيقن أن مسلماً كان يحمل كتاباً من الحسين قرأه على أهل الكوفة.

(٣) مقتل الحسين للخوارزمي: ج١ الفصل العاشر.

الرحمن بنَ عبد الله الأرحبي الأزدي، وأمره بالتقوى وكتمانَ أمره واللطف، فان رأى الناسَ مجتَمعين مستوسقين عجّل إليه بذلك[(١)].

مسلم يتوجه إلى الكوفة

فسارَ مسلمُ بالكتاب مع أصحابه الثلاثة مغادراً (مكة) ليلة النصف من شهر رمضان[(٢)] وعرّج في طريقه على المدينة، فصلّى في مسجد رسول الله، وودّع مَن أحبّ من أهله وأصحابه، واستأجر دليلين من قيس، فأقبلا يتنكبان به الطريق، فضَلاًّ وجارا عن القصد، فأصابهما عطشٌ شديدٌ، فعجزا عن السَّير فأومآ له إلى سَنَن الطريق بعد أن لاح لهما ذلك، فسلك مسلمُ وأصحابُه ذلك السَنَن، ومات الدليلان عطشاً[(٣)].

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري: ج٣ ص١٥٩ طبع بيروت. وتاريخ الطبري: ج٥ ص٣٥٤ طبع دار المعارف بمصر، وتذكرة الخواص لابن الجوزي: ص٢٤٤ طبع النجف، وروضة الواعظين للفتال: ص١٧٣ طبع النجف. وبحار المجلسي (م١٠ ج٤٤ ص٣٣٥) طبع طهران الجديد، وإرشاد المفيد: ص١٦٨ طبع إيران. وفي هذا الأخير: «وعبد الله وعبد الرحمان ابني شداد الأرحبي».

(٢) مروج الذهب للمسعودي: ج٣ ص٦٤ الطبعة الثانية في القاهرة.

(٣) تاريخ الطبري: ج٥ ص٣٥٤ طبع دار المعارف بمصر، والكامل لابن الأثير: ج٣ ص٢٦٧ طبع دار الكتاب العربي بيروت. ومقتل الخوارزمي: ج١ الفصل العاشر، وبحار المجلسي - المصدر الآنف الذكر - وإرشاد المفيد، وأخبار الطوال: ص٢٣٢ وغيرها.
وعامة هذه المصادر الآنفة الذكر وغيرها تذكر هنا: ان مسلم بن عقيل كتب بعد ذلك من الموضع المسمى بالمضيق إلى الحسين عليه السلام مع قيس بن مسهر الصيداوي كتاباً جاء فيه: «أما بعد، فاني أقبلت من المدينة مع دليلين لي فجارا عن الطريق فضلا، واشتد علينا العطش، فلم يلبثا أن ماتا، وأقبلنا حتى انتهيا إلى الماء، فلم ننج الا بحشاشة أنفسنا، وذلك الماء بمكان يدعى (المضيق من بطن الخبث) وقد تطيرت من وجهي هذا فان رأيت أعفيتني عنه وبعثت غيري والسلام».

فكتب إليه الحسين عليه السلام: «أما بعد فقد خشيتُ أن لا يكون حملك على الكتاب إلي في الاستعفاء من الوجه الذي وجهتك له إلا الجبن، فامض لوجهك الذي وجهتك له والسلام عليك».

فلما قرأ مسلم الكتاب قال: «أما هذا فلست أتخوفه على نفسي» ثم أقبل على وجهه.

ثم واصل مسلمُ السَّيرَ قُدُماً، حتى وصل الكوفة، لخمسٍ خَلَونَ من شوّال سنة ستين للهجرة[1]. فنزَل في دار المختار بن أبي عبيد الثقفي، وكان من زعماء الشيعة في الكوفة[2].

وأقبلت الشيعةُ تختلف إليه من كل مكان، فكلّما اجتَمع إليه جماعةٌ منهم قرأ عليهم كتابَ الحسين، فيبكون ويعدونه من أنفسهم النُصرة[3] حتى بايعه منهم ثمانية عشر ألفاً[4].

---

(١) مروج الذهب للمسعودي: ج٣ ص٦٤ الطبعة الثانية في القاهرة.

(٢) هكذا عند عامة المؤرخين وأرباب المقاتل - وهو الأصح - وان قيل: انه أول ما نزل في بيت هاني بن عروة، وقيل في بيت مسلم بن عوسجة، ولكنهما قولان خاليان عن التحقيق. ولعلّ مسلماً إنما اختار النزول في بيت المختار، لأنه كان صهراً للنعمان بن بشير - والي الكوفة يومئذ - على ابنته. وذلك مما يوجب الاطمئنان وغض النظر عن تحركاته - على الأقل -.

(٣) وهنا قال الطبري في (تاريخه: ج٥ ص٣٥٥) طبع دار المعارف بمصر: «فقام عابس بن أبي شبيب الشاكري، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فاني لا أخبرك عن الناس ولا أعلم ما في أنفسهم وما أغرك منهم، والله أحدثك عما أنا موطن نفسي عليه، والله لأجيبنكم إذا دعوتم، ولاقاتلن معكم عدوكم، ولأضربن بسيفي دونكم حتى ألقى الله، لا أريد بذلك إلا ما عند الله».

ثم قام حبيب بن مظاهر الفقعسي فقال: «رحمك الله قد قضيت ما في نفسك بواجزٍ من قولك - ثم قال -: وأنا والله الذي لا إله إلا هو على مثل ما هذا عليه».

قال الخوارزمي في (مقتله: ج١ الفصل العاشر)، وتتابعت الشيعة على مثل كلام هذين الرجلين، ثم بذلوا الأموال فلم يقبل مسلم منهم شيئاً».

(٤) هكذا في تاريخ الطبري: ج٥ ص٣٦٨ طبع دار المعارف بمصر، وتذكرة الخواص: ص٢٤١ طبع النجف، وإرشاد المفيد ص٢٠٥ وعامة المؤرخين وأرباب المقاتل. وفي مناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص٩١: «بلغ من بايعه خمساً وعشرين ألفاً». وفي دائرة المعارف لوجدي: ج٣ ص٤٤٤: «فبايعه نحو ثلاثين ألفاً». وفي تاريخ أبي الفداء: ج١ ص٣٠٠: «ثمانية وعشرين ألفاً»، وفي مثير الأحزان لابن نما: «أربعون ألفاً». وفيه - في رواية - «مائة ألف». وفي بعض (المقاتل): ثمانون ألفاً.

مسلم يكتب إلى الحسين باجتماع الناس لبيعته

فعند ذلك كتب مسلم كتاباً إلى الحسين عليه السلام قبل مقتله بسبع وعشرين ليلة[١] جاء فيه: «بسم الله الرحمان الرحيم، فان الرائد لا يكذب أهله[٢] وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً، فعجّل الإقبالَ حين يأتيك كتابي والسلام» وسرَّح الكتابَ مع عابس بن أبي شبيب الشاكري. فأدرك الرسول الحسين - وهو بمكة فسلّمه الكتاب، وبقي معه حتى استُشهد بين يديه في كربلاء.

النعمان لا يشتد أمام ثورة مسلم

ولما بلغ النعمانَ بن بشير - والي الكوفة يومئذ - من قبل يزيد - دخولُ مسلم الكوفةَ واتّساعُ أمره خطَب الناسَ في قصر الإمارة فقال:

«أما بعد، فاتقوا الله - عبادَ الله - ولا تُسارِعوا إلى الفتنة والفُرقة، فانّ فيهما تَهلك الرجال وتُسفك الدماء، وتُغصب الأموال.

إني لا أقاتِل من لم يُقاتلني، ولا أثب على مَن لا يثب عليّ، ولا أنبّه نائمَكم، ولا أشاتمكم، ولا أتحرّش بكم، ولا آخذ بالقَرف[٣] ولا الظِنّة ولا التُهمة، ولكنكم إن أبديتُم صفحتكم لي ونكثتم بيعتَكم وخالفتم إمامكم، فوالله الذي لا إله غيره لأضربنّكم بسيفي ما ثبت قائمُه في يدي، ولو لم يكن لي منكم ناصر. أما اني أرجو أن يكون مَن يعرف الحقَ منكم أكثر ممّن يُرديه الباطل».

(١) كما عن الطبري في المصدر الآنف الذكر - وفي أنساب الأشراف للبلاذري: ج٣ ص١٦٧: «قبل مقتله ببضع وعشرين ليلة»، وليس بينهما كثير خلاف.

(٢) في الأنساب للبلاذري: ج٣ ص١٦٧، طبع بيروت، هنا إضافة هذه الجملة إلى الكتاب «وان جميع أهل الكوفة معك».
وفي تاريخ الطبري: ج٥ ص٣٧٥ طبع دار المعارف: إضافة هذه الجملة: «فان الناس كلهم معك ليس لهم في آل معاوية رأي ولا هوىً».

(٣) القرف - بالفتح فالسكون -: الإتهام والرمي.

فقام إليه عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرمي حليف بني أمية فقال: «إنه لا يُصلح ما ترى إلا الغَشَم[١] إن هذا الذي أنت عليه فيما بينَك وبين عدوّك رأيُ المستضعفين».

فقال النعمان: «لئن أكونَ من المستضعَفين في طاعة الله أحبّ إليّ من أن أكونَ من الأعزّين في معصيةِ الله». ثم نزَل عن المنبر[٢].

فساءَ ذلك مَن له هوىً في بني أمية كعبد الله بن مسلم الحضرمي، ومحمد بن الأشعث، وعمارة بن الوليد بن عقبة، وعمر بن سعد، وأضرابهم.

فكتبوا إلى يزيد يخبرونه باتّساع أمر مسلم، وانثيال الناس للبيعة على يده، وضعف النعمان بن بشير أو تضاعفه، ويَستثيرونه أن يبعث بدل النعمان رجلاً قوياً يُنفّذ أمرَه، ويعمل على ما يريد[٣].

يزيد بعزل النعمان وينصب ابن زياد بدله

فلما اجتمعتْ كتبُ هؤلاء النفر عند يزيد، دعا (سَرجُون الرومي) [٤] فأقرأه

(١) الغشم - بالفتح فالسكون -: الظلم والحرب.

(٢) تاريخ الطبري - المصدر الآنف - وكامل ابن الأثير ج٣ ص٢٦٧ طبع بيروت، وإرشاد المفيد: ص١٨٧ ومقتل الحسين للخوارزمي: ج١ الفصل العاشر، وبحار المجلسي (م١٠ ج٤٤ ص٣٣٦) طبع طهران الجديد. وأشار إلى ذلك البلاذري في (أنسابه: ج٢ ص٧٧)، طبع بيروت، وذكره النويري في نهايته ج٢٠ ص٣٨٨.

(٣) ونص كتاب عبد الله بن مسلم إلى يزيد هكذا: «أما بعد، فان مسلم بن عقيل قد قدم الكوفة، وبايعته الشيعة للحسين بن علي بن أبي طالب، فان يكن لك في الكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قوياً يُنفذ أمرك، ويعمل مثل عملك في عدوك، فان النعمان بن بشير رجل ضعيف أو هو يتضعف». ثم كتب إليه عمارة بن عقبة وعمر بن سعد مثل ذلك - عن إرشاد المفيد: ص١٨٧ طبع إيران، ويشير إليه البلاذري في الأنساب: ج٢ ص٧٨، طبع بيروت، والنويري في نهايته: ج٢٠ ص٣٨٨ طبع القاهرة.

(٤) قال محمد كرد علي في كتابه (الإسلام والحضارة العربية: ج٢ ص١٥٨): «كان سرجون بن منصور من نصارى الشام، استخدمه معاوية في مصالح الدولة، وكان أبوه منصور على المال في الشام من عهد هرقل قبل الفتح، ساعد المسلمين على قتال الروم...».
ويذكر عامة المؤرخين - في هذه القصة -: ان هذا الرجل كان من أخص موالي معاوية ومن مستودعي أسراره، ومن مستشاريه في الملمات.

الكتبَ واستشاره في من يُولّيه الكوفية - بدلَ النُّعمان - وكان يزيدُ عاتباً على ابن زياد فأشار عليه (سَرجُون) بعبيد الله بن زياد. فأخذ يزيدُ برأيه، وضمَّ الكوفة إلى البصرة له، وكتب إليه بعهده مع مسلم بن عَمرو الباهلي، وأمره بطلب مسلم عقيل وقتله أو نفيه[1].

فلما ورَد كتابُ يزيد وعهده إلى عبيد الله[2] وقرأهما، أمر بالجهاز، تهيأ للمسير إلى الكوفة - في الليلة التي قتل فيها رسولَ الحسين إلى أهل الكوفة قيس

---

(١) مناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص٩١ طبع قم - وفي (مقتل الخوارزمي ج١ الفصل العاشر) يذكر نص كتاب يزيد إلى ابن زياد بصورة أخرى هكذا: «من عبد الله يزيد أمير المؤمنين إلى عبيد الله بن زياد، سلام عليك. أما بعد فان الممدوح مسبوب يوماً، وان المسبوب ممدوح يوماً، ولك ما لك وعليك ما عليك، وقد انتميت ونميت إلى كل منصب كما قال الأول:

رفعت فما زلت السحاب تفوقه فما لك الا مقعد الشمس مقعد

وقد ابتلى بالحسين زمانك من بين الأزمان، وابتلى به بلدك من بين البلدان، وابتليت به من بين العمال، وفي هذه تعتق أو تكون عبداً تعبد كما تعبد العبيد. وقد أخبرني شيعتي من أهل الكوفة: أن مسلم بن عقيل بالكوفة يجمع الجموع، ويشق عصا المسلمين، وقد اجتمع إليه خلق كثير من شيعة أبي تراب، فإذا أتاك كتابي هذا فسر حين تقرأه حتى تقدم الكوفة، فتكفيني أمرها، فقد ضممتها إليك، وجعلتها زيادة في عملك، وانظر ان تطلب مسلم بن عقيل كطلب الحرد، فإذا ظفرت به فخذ بيعته أو اقتله ان لم يبايع، واعلم أنه لا عذر لك عندي، وما أمرتك به فالعجل العجل، والوحى الوحى والسلام».

وفي تاريخ الطبري: بحوادث سنة ٦٠هـ ومثله إرشاد المفيد: ص١٨٧ ذكرٌ للفصل الأخير من الكتاب - باختلاف بسيط - ويذكر البلاذري في أنسابه: ج٣ ص١٦٠ طبع بيروت بعض فقرات الكتاب.

(٢) ليس لتاريخ ولادته سنة مضبوطة عند المؤرخين، غير أن ما ذكره الطبري في (تاريخه: ج٥ ص٢٩٧)، في حوادث سنة (٥٤) هجرية طبع دار المعارف بمصر هكذا: «ان معاوية ولاه خراسان فسار إليها في آخر سنة ثلاث وخمسين وهو ابن خمس وعشرين سنة من الشام...» يحدد سنة ولادته فيما بين (٢٨ أو ٢٩) فيكون عمره يوم ولايته الكوفة أكثر من ثلاثين عاماً.

ابن مسهر الصيداوي - وجمَع الناس وخطَبهم، وهدّدهم في خطابه معلناً عن سفره إلى الكوفة[١].

ابن زياد يتوجه إلى الكوفة مسرعاً

وتَعجّل ابنُ زياد السفرَ إلى الكوفة في صباح تلك الليلة وصحب معه مسلمَ بن عمرو الباهلي، والمنذرَ بن الجارود العبدي وشريكَ بن عبد الله الحارثي الهمداني[٢] وحشمَه وغلمانَه وجماعةً آخرين انتخبهم من أهل البصرة[٣]، فلم يزل يسير حتى إذا بلغ قريباً من الكوفة نزل ولبس ثياباً بيضاً ودعا بعمامةٍ سوداء فاعتجَر بها متلثماً ثم تقلّد سيفَه، وتوشّح قوسَه، وتنكب كنانتَه، وأخذ بيده قضيباً، واستوى على بغلةٍ له شهباء وركب أصحابُه، وسار حتى دخل الكوفة من

(١) ونص خطابه هكذا: «يا أهل البصرة، إنَّ أمير المؤمنين يزيد ولاني الكوفة. وأنا غاد إليها الغداة، فوالله اني لا تقرن بي الصعبة، ولا يقعقع لي بالشنآن، واني لنكل بمن عاداني وسم لمن حاربني، قد أنصف القارة من راماها، وقد استخلفت عليكم أخي عثمان بن زياد بن أبي سفيان، فإياكم والخلاف والإرجاف، فوالله الذي لا إله غيره لئن بلغني عن رجل منكم خلاف لأقتلنه وعريفه ووليه، ولآخذن الأقصى بالأدنى حتى تسمعوا لي، فلا يكون فيكم مخالف ولا مشاق، أنا ابن زياد، أشبهه من بين من وطأ الحصى، ولم ينتزعني شبه خال ولا عم» - كما ذكر ذلك الطبري وابن الأثير في تأريخهما - ضمن حوادث سنة ٦٠ هجرية - والخوارزمي في (مقتله: ج١ الفصل العاشر) ونهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٣٨٩ طبع القاهرة، وعامة المؤرخين غير هؤلاء -.

(٢) قال الخوارزمي في (مقتله ج٢ ص٢٠٢ طبع النجف) عنه «وكان من خيار الشيعة وعبادها غير أنه كان يكتم ذلك إلا عن من يثق به من اخوانه»، أقول: لعله إنما صحب ابن زياد إلى الكوفة بقصد أن يكون عيناً عليه لا عوناً له - كما تعطى ذلك قصة مرضه في الكوفة وعيادة ابن زياد له -.

(٣) عن مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ص٦٨، طبع النجف. وقال الطبري في تاريخ: ج٥ ص٣٥٩ طبع دار المعارف بمصر: «انتخب من أهل البصرة خمسمائة»، وقال مثله النويري في (نهايته: ج٢٠ ص٣٨٩) طبع القاهرة.

طريق البادية - ظهر النجف - وذلك في ليلة مُقمِرة، والناس يتوقّعون قدومَ الحسين، فجعلوا ينظرون إليه وإلى أصحابه، وهو يسلّم عليهم، وهم لا يشكّون في أنه الحسين بن علي، فأخذ لا يَمرّ على جماعة من الناس الا سلّموا عليه، وقالوا: مرحباً بك يا ابنَ رسول الله، قدمتَ خيرَ مقدَم، فرأى مِنْ تَباشيرهم بالحسين ما ساءَه.

فعند ذلك صاح مسلمُ بنُ عمرو الباهلي بالناس: «تأخروا ليس هذا من تَظنُّون، هذا الأمير عبيدُ الله بنُ زياد» فتفرّق الناسُ عنه الا بضعة عشر رجلاً جاءُوا معه حتى قربوا من قصر الإمارة - وقد تحصّن فيه النعمانُ بنُ بشير - وهو الآخر يظنّ أن الحسين بن علي عليه السلام قد أقبل فقال: «أنشدك الله إلا تَنحَّيتَ، والله ما أنا بمسلّم إليك أمانتي ومالي في قتالك من إرب».

فدنا منه عبيدُ الله، وقال له: «إفتَحْ لا فتحتَ فقد طال ليلُك» فسمع صوته جماعة من خلفه، فصاحوا: «انه ابن مرْجانة ورب الكعبة»(١).

ففتح له النعمان بابَ القصر، فدخله ابنُ زياد، وضرب الباب في وجوه الناس، وعزل النعمان عن منصبه وتولّى هو ولاية الكوفة وتفرق الناس(٢).

ابن زياد يخطب ويهدد

ثم أمرَ ابنُ زياد أخذ ينادى في الناس: «الصلاة جامعة» فلما اجتمع الناس خرج إليهم فخطبهم، فقال: «أما بعد فان أمير المؤمنين - أصلحه الله - ولاّني مصرَكم وثغرَكم وفيأَكم، وأمرني بانصاف مظلومكم، وإعطاء محرومكم وبالإحسان إلى سامعكم ومطيعكم، وبالشدّة على مُريبكم وعاصيكم، وأنا متّبع فيكم أمرَه، ومنفّذ فيكم عهدَه، فأنا لمحسنكم كالوالد البر ولمطيعكم كالأخ

(١) كانت أمه (مرجانة) مجوسية أو سبية من أهل اصفهان - كما عليه ابن كثير في (البداية والنهاية ج٨)، والعيني في (عمدة القاري ج٧) وبعض غيرهما.

(٢) نهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٣٩٠ ط القاهرة.

الشَّفيق، وسيفي وسوطي على مَن ترك أمري، وخالف عهدي، فليُبقِ امرؤٌ على نفسه، الصدقُ يُنبئ عنك لا الوَعيد»[١].

ثم نزَل، فأخذ العُرفاءَ والناسَ أخذاً شديداً، وقال: «أكتُبوا إلى العرفاء ومَن فيكم من طِلبة أمير المؤمنين، ومَن فيكم من الحرورية، - أي الخوارج - وأهل الريب الذين رأيُهم الخلاف والشقاق، فمن كتَبهم لنا فقد برئ، ومن لم يكتب لنا أحداً فليضمن لنا ما في عَرافته أن لا يخالفنا منهم مخالف، ولا يَبغي علينا منهم باغ، فمَن لم يفعل برئت منه الذمة، وحلال لنا ماله وسفك دمه، وأيما عريف وُجد في عرافته من بغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إلينا صُلِبَ على باب داره، وألغيتْ تلك العرافة من العطاء، وسُيّر إلى موضع بعمان الزارة»[٢].

مسلم ينتقل من دار المختار إلى دار هاني

ولما بلغ مسلمَ بنَ عقيل تهديدُ ابن زياد وتوعّده الناس بالقتل والتنكيل خرج ليلاً من دار المختار، حتى جاء إلى هاني بن عروة المرادي [٣] فسأله الاستجارة والنزولَ عنده، فقال له هاني: انزل على بركة الله، فقد وجَب عليّ ذمامُك[٤].

(١) مقاتل الطالبيين للاصبهاني ص٦٩ طبع النجف، وفيه «فلا يتق امرؤ إلا على نفسه» بدل «فليتق امرؤ...» وفي نهاية النويري - المصدر الآنف - بدون الجملة الأخيرة.

(٢) تاريخ الطبري: ج٥ ص٣٥٩ طبع دار المعارف، والكامل لابن الأثير: ج٣ ص٢٦٩ طبع بيروت. وإرشاد المفيد: ص١٨٨ طبع إيران، ونهاية النويري: ج٢٠ ص٣٩١ ط القاهرة.

(٣) وإنّما اختار ذلك الرجل لشدة وطأته، وكثرة عشيرته في الكوفة وصلابة تشيعه فقد ذكر المؤرخون: أنه كان شديد التشيع ومن أشراف الكوفة وقرائها ومن خواص أمير المؤمنين عليه السلام حضر حروبه الثلاثة وأدرك النبي صلى الله عليه وآله وتشرف بصحبته، وكان له يوم قتله بضع وتسعون سنة، وكان شيخ مراد وزعيمها، إذا ركب ركب معه أربعة آلاف دارع وثمانية آلاف راجل فإذا أجابتها أحلافها من كندة وغيرها كان في ثلاثين ألف دارع.

(٤) في كثير من كتب السير والتأريخ - ومنها الارب للنويري: ج٢٠ ص٣٩١ طبع القاهرة - كان جواب هاني لمسلم هكذا: «لقد كلفتني شططاً، ولولا دخولك داري لأحببت أن تنصرف عني، غير أنه يأخذني من ذلك ذمام».

فأدخله دارَه، وجعلت الشيعةُ تختلف إلى دار هاني بن عروة، ويبايعون الحسين سرّاً، ومسلمُ بن عقيل يكتب أسماءَهم، ويأخذ عليهم العهود: أنهم لا ينكثون ولا يغدرون، حتى بايعه ما ينيف عن عشرين ألفاً[1].

قالوا: ونزَل مع مسلم بن عقيل في دار هاني شَريكُ بن عبد الله الحارثي الهمْداني، وكان من أعاظم شيعة أمير المؤمنين عليه السلام بالبصرة، شهد الجمل وصفين مع علي عليه السلام وكان قد جاء مع ابن زياد من البصرة، فانقطع عنه في الطريق لمرضه، ووصل الكوفة بعده، فنزل في دار هاني بن عروة لصِلاتٍ كانت بينهما من حيث العشيرة والصحبة.

وتزايد مرضهُ في الكوفة، فعلم بذلك ابنُ زياد، فأرسل إليه أن سيعوده في دار هاني. وقبل مجيء ابن زياد تواطأ شريكُ مع مسلم أن يغتال ابن زياد عند مجيئه[2].

ابن زياد يعود شريكه في دار هاني

فلما كان من العَشيّ أقبل ابنُ زياد لعيادة شَريك، فقام مسلمُ ليدخل، وقال له شَريك: لا يفوتنّك إذا جلس. ولكنَّ هانئاً اعترضه قائلاً: «إني لا أحبّ أن يُقتل في داري».

فَجاءَ عبيدُ الله بن زياد، ولما استقرّ به المجلس أخذ يسأل شريكاً عن مرضه، وأطال سؤالَه، وشريكُ يُجيبه بحمد الله، وهو يُدير نظرَه إلى مسلم ويشير إليه بالخروج، ومسلمُ لم يَلتفتْ إليه، فلما طال انتظارُه أخذ يقول: «ما الانتظار

(١) هكذا في مقتل الخوارزمي: ج١ الفصل العاشر منه، وقيل: أكثر من ذلك - كما مر علينا آنفا -.

(٢) ومما قاله شريك لمسلم: «إن هذا الفاجر عائدي العشية، فإذا جلس فاْقتله ثم اقصد القصر، ليس أحد يحول بينك وبينه، فان برئت من وجعي سرتُ إلى من بالبصرة فكفيتك أمرهم». كما في نهاية النويري: ج٢٠ ص٣٩١ ط القاهرة.

بسلمى أن تحيوها اسقونيها وان كانت فيها نفسي» وأخذ يردّد ذلك مرتين أو ثلاثاً[١].

فقال ابن زياد: ما شأنه، أترونه يَهجر؟.

فقال له هانئ: نعم - أصلحك الله - ما زال هذا ديدنه قُبيل الصبح حتى ساعته هذه. ثم قام ابن زياد فانصرف.

فخرجَ مسلمُ من مكانه، فقال له شريك: ما منعَك مِن قتله؟.

قال: خصلتان: أما إحداهما: فكراهةُ هاني أن يُقتل في داره. وأما الأخرى، فحديثٌ حدَّثنيه الناسُ عن النبي ﷺ: «إن الإيمان قيد الفتك ولا يَفتك مؤمن»[٢].

فقال هانئ: أما والله، لو قتلتَه لقَتلتَ فاسقاً فاجراً كافراً غادراً، ولكن كرهتُ أن يُقتل في داري.

ولبث شريكُ بعدَ ذلك ثلاثاً، ثم مات، فصلّى عليه ابن زياد، فلما عَلِمَ بعد ذلك: أنه هو الذي كان يُحرّض مسلماً على قتله قال: «والله لا أصلّي على جنازة عراقي أبداً، ولولا أن قبر زياد فيهم لنبشتُ شريكاً»[٣].

---

(١) مناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص٩١ طبع قم. وفي بعض المصادر التاريخية والمقاتل تروى الأبيات بهذه الصورة:

ما الانتظار بسلمى أن تحيّوها حيّوا سليمى وحيّوا من يحيّيها
كأس المنية بالتعجيل اسقوها

(٢) هكذا في تاريخ الطبري: ج٥ حوادث سنة ٦٠ هجرية. وفي الكامل لابن الأثير: ج٣ بحوادث تلك السنة: حدثه علي عن النبي ﷺ. وفي مقتل الخوارزمي: ج١ الفصل العاشر: «حديث سمعت من عمي علي بن أبي طالب».

(٣) المصادر الآنفة الذكر، والأخبار الطوال للدينوري: ص٢١٤، والفتوح لابن أعثم: ج٥ ص. ٧٢ ومقاتل الطالبيين: ص٧١ طبع النجف، وجلاء العيون للسيد عبد الله شبر، واعلام الورى للطّبري: ص٢٢٥، ونهاية النويري بالمصدر الآنف وغيرها كثير وفي بعض المصادر المذكورة بدون الجملة الأخيرة.

معقل دسيس ابن زياد على مسلم

وأخذت الشيعة بعد ذلك تختلف إلى دار هاني بتكتُّم من ابن زياد واستخفاء، فأراد ابن زياد التطلّع على مسلم ومركز قيادته وجليَّة أمره، فدعا مولاه (معقلاً) وكان ذكياً - وأعطاه مبلغَ ثلاثة آلاف درهم، وأمره بالتجسّس على مسلمٍ والتماس أصحابه وإعطائهم الأموال ليطمئنوا به، ولم يكتموه شيئاً من أخبارهمّ.

فمضى (معقل) لتحقيق مهمّته، فأقبل ودخل المسجد فرأى مسلم بن عوسجة يصلّي فيه، فسأل عنه، فقيل له: هذا يبايع للحسين بن علي عليه السلام فجاءَ وجلس إلى جنبه حتى إذا فرغ من صلاته، سلّم عليه وأظهر له: أنه رجل من أهل الشام، وأنه مولى لذي الكلاع الحِميري، وممّن أنعم الله عليه بحبّ أهل البيت عليهم السلام وحبّ مَن أحبّهم، وتباكى له، وقال له: إنَّ عنده ثلاثة الآف درهم يريد بها لقاءَ رجل من أهل البيت بلغه أنه قدم الكوفة يبايع لابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله. وممّا قال له: «إني أتيتك لتقبض هذا المال مني وتُدخلني على صاحبك فأبايعه، فإني أخٌ من إخوانك وثقةٌ عليك وان شئت أخذت بيعتي له قبل لقائه».

فقال له مسلم بن عوسجة: أحمد الله على لقائك إياي، فقد سرّني ذلك لتنال الذي تُحبّ، ولينصر الله بك أهل بيت نبيّه، ولقد ساءني معرفة الناس إيّاي بهذا الأمر قبل أن يتمّ، مخافة هذا الطاغية وسطوته. قال له (معقل): لا يكون إلاّ خيراً، خُذِ البيعةَ عليّ.

فأخذ مسلمُ بيعتَه قبلَ أن يبرح، وأخذ عليه المواثيقَ المغلّظة ليناصحنّ وليكتمنّ. فأعطاه (معقل) من ذلك ما رضي به. ووعده مسلم بأخذ الإذن له بعد يومين أو ثلاثة. فانصرف (معقل) وأخذ يختلف مع الناس في هذه المدة حتى أخذ له الإذن بالدخول على مسلم بن عقيل في دار هاني بن عروة، فدخل عليه وبايع للحسين عليه السلام على يده وذلك بعد موت شريك الهمداني. وأمر مسلمُ أبا ثمامة الصائدي بقبض المال منه - وكان قد عيّنه مسلم لقبض الأموال من الناس وتجهيزهم بما يحتاجونه من السلاح والعتاد -.

وظلّ (معقل) بعد ذلك يختلف إلى دار هاني كلّ صباح ومساء فهو أول داخل وآخر خارج، فينطلق بجميع الأخبار والأسرار فيقرّها في أذن ابن زياد[(١)].

إلقاء القبض على هاني بن عروة

وكان هاني بن عروة يَغدو ويَروح إلى مجلس ابن زياد قبل نزول مسلمٍ عنده، فلما نزل به مسلمٌ انقطع عن الحضور وتمارض.

فسأل عنه ابن زياد، فقيل: هو شاكٍ، فقال: لو علمتُ بمرضه لعدتُه.

ودعا محمدَ بن الأشعث وأسماءَ بن خارجة الفزاري[(٢)] وعمرو بن الحجاج الزبيدي - وكانت رُويحة بنت عمرو تحت هاني بن عروة، وهي أم يحيى بن هاني[(٣)].

فقال لهم: أخبروني ما يمنع هاني بن عروة من إتياننا؟

قالوا: ما ندري - أصلحك الله - وقد قيل: إنه يشتكي.

قال: قد بلغني أنه بريء وأنه يجلس على باب داره، فألقوهُ فمرُوه أن لا يدع ما عليه من حقّنا، فإني لا أحبّ أن يفسد عندي مثلُه من أشراف العرَب.

---

(١) باقتضاب من: (تاريخ الطبري: ج٥ ص٣٦٢-٣٦٤) طبع دار المعارف بالقاهرة، والكامل لابن الأثير: ج٣ ص٢٦٩ طبع بيروت، ومقتل الخوارزمي (ح١: ص٢٠١-٢٠٢) طبع النجف، وإرشاد المفيد: ص١٩٠ طبع إيران، وبحار المجلسي (م١٠ ح٤٤ ص٣٤٢) طبع طهران الجديد، وروضة الواعظين: ص١٧٤ طبع النجف، ومناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص٩١ طبع قم ومقاتل الطالبيين: ص٧١ طبع النجف، ونور العين في مشهد الحسين لابي اسحاق الاسفراييني: ص١٦، ونهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٣٩٣ ط القاهرة.

(٢) في نهاية الارب للنويري - بالمصدر الأنف - «وابن أسماء بن خارجة» بدل «أسماء».

(٣) هكذا في (إرشاد المفيد، وبحار المجلسي: م١٠ ج٤٤) ومثلها بعض المصادر الأخر، ولكن الطبري في (تاريخه: ج٥ ص٣٦٤) يقول: «كانت روعة أخت عمرو بن الحجاج تحت هاني. . .».

فأتوا حتى وقفوا عليه عشيةً - وهو جالسٌ على باب داره - فقالوا له: ما يمنعك من لقاء الأمير؟ فانه قد ذكرك، وقال: لو أعلم أنه شاكٍ لعدتُه.

فقال لهم: الشكوى تمنعني. فقالوا له: قد بلغه أنك تجلس كلّ عشية على باب دارك، وقد استبطأك، والإبطاء والجفاء لا يحتمله السلطان. ونحن نقسم عليك إلاّ ما ركبتَ معنا.

فعند ذلك استجاب لهم - على كُرهٍ - فدعا بثيابه فلبسها، ثم دعا ببغلته فركبها، وجاءَ معهم، حتى إذا دنا من القصر كأنّ نفسَه أحسّت ببعض الذي كان. فقال لحسّان بن أسماء بن خارجة[1]: يا ابن الأخ، إني - والله - لهذا الرجل لخائف، فما ترىَ؟.

قال: أي عمّ، والله ما أتخوّف عليك شيئاً، ولِمَ تجعلْ على نفسك سبيلاً - وأنت بريء؟ - ولم يكن حسّان يعلم لأي شيء بعث إليه ابن زياد.

ثم دخل القوم على ابن زياد - ومعهم هاني - فلما طلع قال عبيد الله: «أتتك بخائنٍ رجلاه»[2] فلما دنا من ابن زياد وعنده شريح القاضي - التفت نحوه وأنشد:

أريد حياتَه ويُريد قتلي　　عذيرُك من خليلك من مراد[3]

---

(١) ان حسّان هذا لم يكن من الثلاثة الذين أرسلهم ابن زياد للقاء هانئ ولعله كان بصحبة أبيه (أسماء بن خارجة). نعم بناء على ما ارتآه النويري في نهايته - كما سبق آنفاً - فهو من الثلاثة. ويظهر من المؤرخين ان أباه أسماء - ولا هو - لم يكن لهما علم بغدرة ابن زياد.

(٢) بالحاء المهملة: من الحين وهو الهلاك. وفي مجمع الأمثال للميداني: بانه كلام قاله الحرث بن جبلة الغساني لما ظفر بالحرث بن عفيف العبدي حين هجاه»: وقيل: إن قائله عبيد بن الأبرص الأسدي، إذ مرّ بالنعمان بن المنذر في يوم بؤسه، فقال له النعمان: ما جاء بك يا عبيدُ قال: أتتك بخائن رجلاه.

(٣) البيت من قصيدة لعمرو بن معدي كرب الزبيدي قالها في ابن أخته، وكانا متباعدين - كما في اللئالي - وكذلك في (لهوف ابن طاووس: ص٢٠) طبع النجف، وهامش نهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٣٩٤ ط القاهرة.

فقال له هاني: وما ذاك - أيها الأمير -؟

فقال ابن زياد: إيهٍ يا هاني بن عروة؟ ما هذه الامور التي تَربّص في دارك لأمير المؤمنين وعامة المسلمين، جئتَ بمسلم بن عقيل، فأدخلتَه دارك، وجمعتَ له السلاح والرجال في الدور حولك وظننتَ أن ذلك يخفى عليَّ؟.

فقال هاني: ما فعلت ذلك، وما مسلمٌ عندي.

قال ابن زياد: بلى قد فعلت - وطال النزاع بينهما -.

فدعا ابن زياد (معقلاً) ذلك العين، فجاءَ حتى وقف بين يديه، فقال له ابن زياد: أتعرف هذا؟

قال: نعم. فعلم هاني - عند ذلك - أنه كان عيناً عليهم، وأنه قد أتاه بأخبارهم، فأسقط في يده ساعةً. ثم إنّ نفسه راجعته فقال له: «اسمع مني وصدّق مقالتي فوالله لا أكذبك، والله الذي لا إله غيره، ما دعوته إلى منزل، ولا علمتُ بشيء من أمره، حتى رأيتُه جالساً على بابي، يَسألني النزول عليّ، فاستحييتُ من ردّه ودخلني من ذلك ذمام، فأدخلتُه داري وضيّفتُه وآويته، وقد كان من أمره ما بلغَك فان شئت أعطيتك الآن، موثقاً تطمئن إليه أن لا أبغيك سوءاً ولا غائلةً ولآتينّك حتى أضعَ يدي في يدك...»[1] فقال له ابن زياد: لا والله، لا تفارقني أبداً حتى تأتيني به.

---

(١) وتكمل الكلام: «وان شئت أعطيتك رهينةً تكون في يدك حتى آتيك، وأنطلق إليه فآمره أن يخرج من داري إلى حيث شاء من الأرض، فأخرج من ذمامه وجواره». وجواب هاني بهذا النص وشبهه - تذكرة عامة كتب التاريخ والمقاتل كتاريخ الطبري، وكامل ابن الأثير، وإرشاد المفيد، ولهوف ابن طاووس، ونهاية الارب للنويري، وبحار المجلسي، وغيرها. ولكن المسعودي في (مروج الذهب: ج٣ ص٦٧) مطبعة السعادة بمصر ذكر جواباً هكذا: «فقال هاني: ان لزياد أبيك عندي بلاء حسناً، وأنا أحب مكافأته به، فهل لك في خير؟. قال ابن زياد: وما هو؟ قال: تشخص إلى أهل الشام أنت وأهل بيتك سالمين بأموالكم، فانه قد جاء من هو أحق من صاحبك...» وذكر النويري أيضاً بنحو (القيل) جواباً لهاني يقرب من ذلك المضمون. راجع من النهاية ج٢٠ ص ٣٩٥ ط القاهرة. وهذا الجواب يتناسب ونفسية هاني العالية وشعوره بمقامه في المصر.

فقال هاني: لا والله، لا أجيئك به أبداً، أجيئك بضيفي حتى تقتله؟.

قال ابن زياد: والله لتأتيني به. قال هاني: والله لا آتيك به.

فلما كثر الكلام بينهما قام مسلم بن عمرو الباهلي، فقال: أصلح الله الأمير، خلّني وإيّاه حتى أكلّمه. فقام فخلا بهاني في ناحية - وهما بحيث يراهما ابن زياد ويسمع كلامهما إذا رفعا أصواتهما -.

فقال له مسلم: يا هاني، أنشدك الله أن تقتل نفسك، وأن تُدخل البلاءَ على قومك وعشيرتك، فوالله، إني لأنفس بك عن القتل. ان هذا الرجل (ويعني مسلم بن عقيل) ابن عمّ القوم، وليسوا قاتليه ولا ضائريه، فادفعه إليه، فليس عليك بذلك مخزاة ولا منقصة، إنما تدفعه إلى السلطان.

فقال هاني: بلى والله، إنّ عليّ في ذلك للَخزي والعار، أنا أدفع جاري وضيفي ورسول ابن رسول الله، وأنا حيٌّ صحيح أسمع وأرى، شديد الساعدين، كثير الأعوان، والله لو لم أكن إلا واحداً، ليس لي ناصر، لم أدفعه حتى أموت دونه.

فأخذ مسلم يناشده وهو يقول: والله لا أدفعه إليه أبداً فسمعه ابن زياد، فقال: أدنوه مني، فأدنوه منه.

فقال: والله، لتأتيّني به أو لأضربنّ عنقَك.

قال هاني: إذاً - والله - تكثر البارقة حول دارك. - وهو يظن أن عشيرته سيمنعونه -.

فقال ابن زياد: وآلهفاه عليك، أبا البارقة تُخوّفني؟

ابن زياد يضرب هاني ويأمر بحبسه

ثم قال: أدنوه مني؟. فأدنَوه منه، فاستعرض وجهَه بالقضيب. فلم يزل يضرب به أنفَه، وجبينَه وخدَّيه، حتى كسر أنفه، وسيّل الدماء على ثيابه، ونثر لحمَ خديه وجبينه على لحيته حتى كسر القضيب. فضرب هاني بيده على قائم سيف شرطيّ كان إلى جانبه، فجاذَبه الرجل، وامتَنع عليه.

فصاح ابن زياد به: أحروريّ ساير اليوم، أحللت بنفسك قد حلّ لنا دمك[1]، خذوه، فألقوه في بيت من بيوت الدار وأغلقوا عليه بابه، واجعلوا عليه حرساً. ففعل به ذلك وهو يستغيث بقومه وعشيرته. فقام إليه حسّان بن أسماء[2] فقال: أرسلُ غدرٍ ساير اليوم؟ أمرتَنا أن نجيئك بالرجل، حتى إذا جئناك به، هشّمت أنفَه ووجهَه، وسيّلت دماءَه على لحيته وزعمتَ أنك تقتله؟ فقال له عبيد الله: وإنك لها هنا؟. فأمر به، فلُهز وتُعتع. وأجلس ناحية. فقال محمد بن الأشعث: قد رضينا بما رأى الأمير، لنا كان أم علينا، إنمّا الأمير مؤدِّب.

جموع مذحج تطوق القصر

قالوا: وبلغ عمروَ بن الحجاج: أن هانئاً قد قُتل فأقبَل في «مذحج» حتى أحاط بالقصر - ومعه جمعٌ عظيم - وأخذ ينادي:

أنا عمروُ بن الحجاج، وهذه فرسان مذحج ووجوهها لم تَخلع طاعةً ولم تُفارق جماعةً، وقد بلغهم أنّ صاحبهم قُتِلَ. فأعظمُوا ذلك.

فقيل لعبيد الله: هذه مذحج بالباب.

فقال لشُريح القاضي: أدخل على صاحبهم، فانظر إليه، ثم اخرج فأعلمهم أنه حي لم يقتل، وأنك قد رأيته.

فدخل شُريح على هاني، فلما رآه هاني أخذ ينادي: يالله وللمسلمين أهلكتْ عشيرتي، فأين أهل الدين، وأين أهل المصر، أيخلوني وعدوهم وابن عدوّهم؟ فبينا هو كذلك إذ سمع الضجة على الباب، فقال: يا شريح، إني لأظنّها أصوات مذحج وشيعتي من المسلمين، إنه ان دخل عليّ عشرة نفر منهم أنقذوني. فلم

(١) الحروري نسبة إلى الحرورية. وهي فرقة من الخوارج كانت من المنقوم عليها يومئذ.
(٢) وفي نهاية الارب للنويري - بالمصدر الآنف - ككثير من كتب التأريخ (أسماء بن خارجة) بدل (حسان) ولعله الأصح.

يلتفت إليه شريح، وخرج إلى القوم وأخبرهم أن صاحبهم لم يُقتل وأن الذي بلغه من قتله باطل.

فقال عمروُ وأصحابُه: فأمّا إذا لم يُقتَل فالحمدُ لله. ثم انصرفوا[١].

استخبار مسلم بمصير هاني

قالوا: وجاءَ عبدُ الله بن حازم[٢] إلى مسلم بن عقيل: فأخبره بِقصة هاني، وما جرى عليه من ابن زياد. فأمر مسلم أن ينادى في أصحابه - وقد ملأ بهم الدورَ حوله فكانوا أربعةَ آلاف رجل[٣] «يا مَنصورُ أمت»[٤]. فتنادى أهل الكوفة، واجتمَعوا عليه، وتداعى الناسُ من عموم أطراف المدينة، حتى امتلأ المسجد والسوق بالناس.

---

(١) باقتضاب من: (تاريخ الطبري: ج٥ ص٦٤-٦٨) طبع دار المعارف بالقاهرة، والكامل لابن الأثير: ج٣ ص٢٧٠-٢٧١، طبع دار الكتاب العربي بيروت، ومقتل الخورازمي ج١ الفصل العاشر، وبحار المجلسي (ج٤٤ ص٣٤٤-٣٣٨) طبع طهران الجديد، وأنساب البلاذري: ج٢ ص٨٠ طبع بيروت، ومناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص٩٢ طبع قم. وغيرها من كتب التاريخ والمقاتل كإرشاد المفيد، ولهوف ابن طاووس، ومثير الأحزان لابن نما، ونهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٣٩٦ ط القاهرة.

(٢) وكان عبد الله - هذا - من أصحاب مسلم بن عقيل، وقد بعثه للتطلع على خبر هاني بعد أخذه من بيته. وقد استشهد - هذا الرجل - مع التوابين بعد قتل الحسين عليه السلام وقتل بعين الوردة.

(٣) كما عليه الطبري، وابن الأثير والبلاذري وغيرهم، ولكن في (مقتل الخوارزمي ج١ الفصل العاشر) هكذا: «وأقبل مسلم بن عقيل في وقته ذلك ومعه ثمانية عشر ألفاً أو يزيدون، وبين يديه الأعلام والسلاح الشاك...».

(٤) وهذا هو شعار المسلمين يوم (بدر) للتحريض على كفار قريش.

مسلم يعبئ الجيوش ويعقد الألوية

فعند ذلك عقد مسلم لرؤوس الأرباع: كندة ومذحج وتميم وأسد ومضر وهمدان[١]. وما زال الناس يتواثبون حتى المساء، وأقبلوا نحو القصر، فضاق بعبيد الله بن زياد أمرُه، وتحصّن في القصر. وغلّق الأبواب، واقتَتل أصحابُه وأصحابُ مسلم ساعة[٢]. وكان أكثر عمل ابن زياد أن يُمسك باب القصر، وليس معه الا ثلاثون رجلاً من الشُرط وعشرون رجلاً من أشراف الناس وأهل بيته وخاصته ومواليه[٣].

مسلم يطوق القصر بجيشه

وأخذ جيش مسلم عليه السلام بالتزايد، حتى أحاطوا بالقصر، وارتفعت أصواتهم بشتم ابن زياد وقذفه بالحجارة، فجعَل مَن في القصر يُشرفون على حشود الناس، فتَهولُهم كثرتهم، ويَنظرون إليهم - وهم يرمونهم بالحجارة ويلعنون آل زياد وبني أمية -.

---

(١) قال الطبري في (تاريخه: ج٥ ص٣٦٩) طبع دار المعارف بالقاهرة - ومثله ابن الأثير في حوادث سنة ٦٠ هـ. والخوارزمي في مقتله: ج١ الفصل العاشر وغيرهم -: «فعقد مسلم لعبيد الله بن عمرو بن عزيز الكندي على ربع كندة وربيعة، وقال: سر أمامي في الخيل. ثم عقد لمسلم بن عوسجة الأسدي على ربع مذحج وأسد، وقال: انزل في الرجال فأتت عليهم. وعقد لأبي ثمامة الصائدي على ربع تميم وهمدان. وعقد للعباس بن جعدة الجدلي على ربع المدينة...». وبهذا المضمون في (نهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٣٩٧) ط القاهرة.

(٢) اللهوف لابن طاووس: ص٢٢ طبع النجف، ومقتل الخوارزمي: ج١ ص٢٠٦، طبع النجف.

(٣) تاريخ الطبري: ج٥ ص٣٦٩ طبع دار المعارف بالقاهرة، وكامل ابن الأثير: ج٣ ص٢٧١ طبع بيروت دار الكتاب العربي، وأنساب الأشراف للبلاذري: ج٢ ص٨٠ طبع بيروت، ونهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٣٩٧ ط القاهرة.

فعند ذلك دعا ابن زياد كُثيرَ بنَ شهاب الحارثي وأمره أن يخرج في من أطاعه من مذحج، فيسير في الكوفة، ويُخذّل الناس عن ابن عقيل، ويخوّفهم الحرب، ويحذّرهم عقوبة السلطان. وأمر محمدَ بن الأشعث أن يخرج في من أطاعه من كندة وحضرموت فيرفع رايةَ أمانٍ لمن جاءَه من الناس، وقال مثلَ ذلك للقَعقاع بن شَور الذهلي، وشبَث بن ربعي التميمي، وحجّار بن أبجر العجلي، وشمر بن ذي الجوش العامري، وحبسَ باقي الناس عنده استئناساً إليهم، لقلة عدد من معه من الناس(١).

مردة ابن زياد يخذّلون الناس عن مسلم

فخرج كُثيرُ بن شهاب يُخذّل الناسَ عن مسلم، وجعلَ محمدُ بنَ الاشعث وشَبثُ بن ربعي والقعقاعُ يَردّون الناس عن اللحوق بمسلم ويخوّفونهم السلطان، حتى اجتمع إليهم عددٌ كثير من قومهم وغيرهم، فصاروا إلى ابن زياد، ودخل القوم معهم. وأقام الناس مع ابن عقيل يكبّرون ويتوثّبون حتى المساء - وأمرُهم شديد..

فبعث عبيدُ الله إلى الأشراف فجمعَهم إليه، ثم قال لهم: أشرفوا على الناس، فمنّوا أهلَ الطاعة الزيادةَ والكرامةَ، وخوّفوا أهلَ المعصية الحرمان والعقوبةَ وأعلموهم فصُولَ الجنود من الشام إليهم.

ففعَل هؤلاء ما أمرهم ابن زياد، فتكلّم كثيرُ بن شهاب أولَ النهار حتى كادت الشمس أن تجب، فقال: «أيها الناس، إلحقوا بأهاليكم، ولا تَعجّلوا الشرّ، ولا تُعرّضوا أنفسَكم للقتل، فانّ هذه جنودُ أمير المؤمنين يزيد قد أقبلتْ من الشام،

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٣٦٩ طبع دار المعارف بالقاهرة. والكامل لابن الأثير: ج٣ ص٢٧٢ طبع دار الكتاب العربي بيروت. وإرشاد المفيد: ص١٩٣ طبع إيران. ونهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٣٩٨ ط القاهرة.

وقد أعطى الله الأميرُ عهداً لئن أنتم أقمتم على حربه ولم تَنصرفوا من عشيّتكم أن يحرم ذريتكم العطاء، ويفرّق مقاتلتكم في مغازي أهل الشام وأن يأخذ البريءَ منكم بالسقيم، والشاهدَ بالغائب حتى لا يبقى له فيكم بقيةٌ من أهل المعصية إلا أذاقها وَبالَ ما جَرّت أيديها»(١).

الناس ينصرفون عن مسلم

وتكلّم الأشراف بنحوٍ من هذا الكلام، فجعل الناس يتفرّقون ويتخاذلون عن مسلم بن عقيل، ويقول بعضُهم لبعض: «ما نصنع بتعجيل الفتنة، وغداً تأتينا جموع أهل الشام. فينبغي أن نقعد في منازلنا، وندع هؤلاء القوم حتى يُصلح الله ذات بينهم».

وكانت المراة تأتي ابنَها أو أخاها فتقول له: «انصرف، الناس يكفونك».

ويجيء الرجل إلى ابنه أو أخيه فيقول له: «غداً يأتيك أهل الشام فما تصنع بالحرب والشر، انصرف» فيذهب به إلى منزله.

فما زالوا يتفرّقون ويتصدّعون حتى أمسى مسلمُ بن عقيل، وصلّى المغرب وما معه إلا ثلاثون نفساً في المسجد، فلما رأى أنه قد أمسى وليس معه إلا أولئك النفر خرج متوجهاً نحو أبواب كندة، فلما بلغ الأبواب لم يبق معه منهم إلا عشرة، ثم خرج من الباب، وإذا ليس معه إنسان يدله على الطريق ولا على منزله ولا يواسيه بنفسه إن عرض له عدوّ، فمضى على وجهه يتلدّد في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب (٢) حتى خرج إلى دور بني جبلّة، من كندة.

---

(١) هكذا في عامة كتب التاريخ والسير، ولكن في (مقتل الخوارزمي ج١) مبدء الكلام هكذا: «يا شيعة مسلم وشيعة الحسين».

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري: ج٢ ص٨١، ومقاتل الطالبيين: ص٧٣ طبع النجف، ونهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٣٩٨ طبع القاهرة.

مسلم على باب دار طوعة

فمضى حتى انتهى إلى باب امرأة يقال لها (طوْعة) أم ولد كانت للأشعث بن قيس، فأعتقها فتزوجها أسيد الحضرمي فولدت له بلالاً - وكان بلال، هذا - قد خرج مع الناس وأمه قائمة على الباب تنتظره -.

فسلم عليها ابن عقيل، فردّت عليه السلام.

فاستسقاها ماءً، فسقته وجلس على الباب.

فأدخلت الإناء، ثم خرجتْ ورأته جالساً على الباب.

فقالت: يا عبد الله، ألم تشرب؟

قال: بلى. قالت: فاذهب إلى أهلك، فسكت، ثم أعادت عليه مثل ذلك، فسكت.

فقالت له في الثالثة: سبحانَ الله يا عبدَ الله، قم عافاك الله إلى أهلك، فانه لا يصلح لك الجلوس على باب داري، ولا أحلّه لك.

فقام وقال: يا أمةَ الله، ما لي في هذا المصر أهلٌ ولا عشيرة، فهل لك إلى أجر ومعروف، ولعلي مكافئك به بعد اليوم؟

فقالت: يا عبدَ الله وما ذاك؟

قال: أنا مسلم بن عقيل، كذَّبني هؤلاء القوم وغرّوني وأخرجوني من دياري ثم خذَلوني، ولم ينَصروني، وتَركوني وحيداً.

قالت: أنتَ مسلم؟ قال: نعم. قالت: أدخل، فأدخلته بيتاً في دارها غير البيت الذي تكون فيه. وفرشت له، وعرضت عليه العشاءَ فلم يتعشّ.

ولم يكن بأسرع من أن جاء ابنُها، فرآها تكثر الدخولَ في البيت الذي فيه مسلم والخروجَ منه. فقال: والله ليُريبني كثرة دخولك هذا البيت منذ الليلة وخروجك منه، إن لك شأناً...

قالت: يا بني؟ ألهُ عن هذا؟

قال: والله لتخبريني. وألحّ عليك.

قالت: يا بني لا تُخبرنّ أحداً من الناس بشيء ممّا أخبرك به. وأخذت عليه الأيمانَ المغلّظة، فحلف لها.

فأخبرته، فاضطجع على فراشه، وسكت(١).

بلال بن طوعة يخبر السلطة بمكان مسلم

فلما أصبح (بلال) غدا إلى عبد الرحمان بن محمد بن الأشعث فأخبره بمكان مسلم بن عقيل عند أمه، فأقبل عبدُ الرحمان حتى أتى أباه - وهو عند ابن زياد - فسارّه، فقال ابن زياد: ماذا قال لك؟.

---

(١) من أنساب الأشراف: ج٢ ص٨١ طبع بيروت، ومقاتل الطالبيين: ص٧٤ طبع النجف، وتاريخ الطبري: ج٥ ص٣٧٢ طبع دار المعارف بالقاهرة، والكامل لابن الأثير: ج٣ ص٢٧٢ طبع بيروت، وروضة الواعظين: ص١٧٥ طبع النجف، ومقتل الخوارزمي: ج١ ص٢٠٨ طبع النجف، وبحار المجلسي (م١٠ ج٤٤ ص٣٥١) طبع طهران الجديد، وإرشاد المفيد: ص١٤٥ طبع حجر إيران. والفتوح لابن أعثم: ج٤ ص٨٧، ونهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٣٩٩ ط القاهرة.

وفي هذه المصادر الآنفة وغيرها: ان ابن زياد لما لم يسمع لأصحاب ابن عقيل صوتاً كما كان يسمعه من ذي قبل. قال لأصحابه الذين هم في القصر: انظروا: هل ترون منهم أحداً؟ فنظروا فلم يروا أحداً، فنزل إلى المسجد قبيل العتمة، وخرج أصحابه معه فأجلسهم حول المنبر، وأمر فنودي: ألا برئت الذمة من رجل من الشرط والعرفاء والمناكب والمقاتلة صلّى العتمة إلا في المسجد، فامتلأ المسجد بالناس، فصلّى بهم، ثم صعد المنبر - فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«أما بعد فان ابن عقيل السفيه الجاهل - قد أتى ما قد رأيتم من الخلاف والشقاق، فبرئت الذمة من رجل وجدناه في داره، ومن جاء به فله دينّه، اتقوا الله عباد الله والزموا طاعتكم وبيعتكم، ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً».

ثم نزل عن المنبر ودعا الحصين بن نمير السكوني، وأمره أن يمسك أبواب السكك ويفتش الدور. ثم دخل القصر، وعقد لعمرو بن حريث راية وأمَّره على الناس، فلما أصبح جلس مجلسه، وأذن للناس، فدخلوا عليه وأقبل محمد بن الأشعث، فقال: مرحباً بمن لا يتّهم، وهو لا يستغش، وأقعده إلى جنبه.

قال: أخبرني: أنّ ابنَ عقيل في دارٍ من دُورنا.

فقال ابن زياد: قُمْ فأتني به الساعة، ولك ما بذلت من الجائزة الكبرى والحظ الأوفى[1]. ثم بعث معه عمروَ بنَ عبيد الله بن العباس السلمي في سبعين رجلاً من قيس[2] حتى أتوا الدارَ التي فيها مسلم.

مسلم في ميدان الحرب

فلما سمع مسلم وقعَ حوافرِ الخيل وأصوات الرجال عرف أنه قد أتي، فالتفت إلى (طَوعة) وقال لها: «رحمك الله وجزاك خيراً»[3].

وخرج إليهم بسيفه، واقتحموا عليه الدار، فشدّ عليهم يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من الدار، ثم عادوا إليه، فشدّ عليهم كذلك، وهو يقول:

هو الموت فاصنع وَيكَ ما أنت صانع   فأنت بكأس الموت لا شكّ جارع
وصَبراً لأمر الله جل جلاله   فحكمُ قضاء الله في الخلق ذائع

فجعل يحصد فيهم - وقد ازدحموا عليه - حتى ضجّت الجموع من كثرة مَن قتل منهم، فقد قيل: إنه قتَل واحداً وأربعين رجلاً غير المجروحين[4].

---

(١) مقتل الخوارزمي: ج١ الفصل العاشر.

(٢) هكذا في تاريخ الطبري: ج٥ ص٣٧٣ طبع دار المعارف بالقاهرة، وكامل ابن الأثير: ج٣ ص٢٧٢ طبع بيروت، وروضة الواعظين للفتال: ص١٧٥ طبع النجف، ونهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤٠ ط النجف، وبحار المجلسي (م١٠ ج٤٤ ص٣٠٢) طبع جديد، وإرشاد المفيد ص١٩٦، وغيرها. ولكن في (مقتل الخوارزمي: ج١ الفصل العاشر): أن الذين بعثهم ابن زياد مع محمد بن الأشعث ثلاثمائة رجل من صناديد أصحابه...

(٣) مقتل الخوارزمي ج١ الفصل العاشر، وفي نفس المهموم للشيخ عباس القمي: ص٥٦ تكملة ذلك قوله لها: «قد أديت ما عليك من البر، وأخذت نصيبك من شفاعة رسول الله، ولقد رأيت البارحة عمي أمير المؤمنين في المنام وهو يقول لي: أنت معي غداً».

(٤) مناقب ابن شهر آشوب: ج٤ ص٩٣ طبع المطبعة العلمية بقم.

وكان من قوّته أن يأخذ الرجل بيدَه، ويرمي به من فوق البيت[١].

واختلف هو وبكيرُ بن حَمران الأحمري بضربتين، فضرب بكير فمَ مسلم فقطع شفتَه العليا وأسرع السيف في السفلى، وفُصِلتْ له ثنيّتاه، وضرب مسلمُ رأسَ بكيرٍ ضربةً منكرة، وثنّاه بأخرى على حَبل العاتق كادت تطلع إلى جوفه[٢].

فلما رأوا ذلك منه أشرفوا عليه من فوق البيوت، وجعلوا يَرمونه بالحجارة[٣] ويُلهبون النار في أطنان القَصب[٤] ثم يُقلونَها عليه من فوق السطوح[٥].

فلما رأى ذلك منهم خَرج إليهم مصلتاً سيفَه في السّكة، وجعلَ يُقاتلهم مقاتلةَ الأبطال وهو يرتجز ويقول:

أقسمتُ لا أقتَل إلاّ حُرّا ... وإن رأيتُ الموتَ شيئاً نُكرا
كلُ امرئٍ يوماً مُلاقٍ شَرّا ... ويَخلط البارِدَ سُخناً مُرّا
ردّ شُعاعَ الشمس فاستقَرّا ... أخاف أن أُكذبَ أو أغرّا[٦]

---

(١) نفس المهموم للقمي: ص٥٧، والدرّ النضيد للأمين: ص١٦٤.

(٢) هكذا في عامة كتب التاريخ والسير. ولكن في (مقتل الخوارزمي: ج١ الفصل العاشر) و(مناقب ابن شهر آشوب: ج٤ ص٩٤): «فسقط قتيلاً...».

(٣) في مقتل الخوارزمي: ج١ الفصل العاشر: «فقال مسلم: ويلكم ما لكم ترمونني بالحجارة كما ترمى الكفار وأنا من أهل بيت النبي المختار، ويلكم أما ترعون حق رسول الله ولا حق قرباه...» ومثله في مناقب ابن شهر آشوب: ج٤ ص٩٣ طبعة قم.

(٤) أطنان: جمع طن - بالفتح أو الضم - وهي الحزمة المشدودة من القصب، والقصبة الواحدة طنة.

(٥) إرشاد المفيد ص١٩٦ طبع إيران، ومقاتل الطالبيين: ص٧٥ طبع النجف، وتاريخ الطبري: ج٥ ص٣٧٣ طبع دار المعارف بالقاهرة، وكامل ابن الأثير: ج٣ ص٢٧٣ طبع بيروت، وغيرها.

(٦) هذا الرجز يذكر في عامة كتب التاريخ والسير، كالطبري، وابن الأثير، والخوارزمي، وإرشاد المفيد، واللهوف، ومثير ابن نما، ومناقب ابن شهر آشوب، وروضة الواعظين، وبحار المجلسي، ونهاية النويري ولكن باختلاف بسيط في زيادة بعض الأشطر أو نقصانها. والذي ذكره (المرحوم الوالد) هو الأصح والأكثر ورودا. =

فقال له مُحمد بنُ الأشعث: إنك لا تُكذب ولا تُغَر ولا تُخدع ان القوم بنو عمّك، وليسوا بقاتليك ولا ضائريك.

فلم يَعبأ ابنُ عقيل بكلامه، فكرّ عليهم حتى قتَل منهم مقتلةً عظيمة.

ابن الأشعث يستمدّ القوة من ابن زياد

وطلب ابنُ الأشعث من ابن زياد أن يُمدّه بالخيل والرجال.

فمدّه ابن زياد بما يريد، وأرسل إليه يقول: «إنّا بعثناك إلى رجل واحد لتأتيَنا به، فثلم في أصحابك هذه الثلمة العظيمة، فكيف إذا أرسلناك إلى غيره» - يعني بذلك الحسين بن علي - عليه السلام -.

فأجابه ابنُ الأشعث: «أيها الأمير أتظن أنك بَعثتني إلى بقّال من بقّالي الكوفة، أو جَرمقاني من جَرامقة الحيرة[1]، أوَلم تَعلم أنك بعثتني إلى أسدٍ ضرغام وسيفٍ حسام في كف بطلٍ هُمام من آل خير الأنام».

فأرسل إليه ابنُ زياد: أن أعطه الأمان، فانك لا تقدر عليه إلا به[2].

= وذكر محمد بن حبيب النسابة في (رسالة المغتابين: ص٢٤٣) المدرجة في المجموعة السابعة من نوادر المخطوطات تحقيق عبد السلام هارون: «أن خثعماً قتلت الصميل أخا ذي الجوشن الكلابي، فغزاهم ذو الجوشن، وسانده عينية بن حصين على أن يكون له المغنم، ولقوا (خثعماً) بالفزر وهو جبل، فقتلا وغنما، وتوغل بالجبل حمران بن مالك بن عبد الملك الخثعمي، فأمر أن يستأسر فأنشأ يقول: (أقسمت لا أقتل الا حرّا...).

(١) في صحيح الجوهري وغيره: الجرامقة: قوم من العجم صاروا إلى الموصل والواحد جرمقاني.

(٢) مقتل الخوارزمي: ج١ الفصل العاشر، والفتوح لابن أعثم: ج٥ ص٩٣، ومنتخب الطريحي ص٢٨٩ و(بحار المجلسي م١٠ ج٤٤ ص٣٥٤).

يحتالون على مسلم بإعطائه الامان

فدنا منه ابن الأشعث وقال: يا ابنَ عقيل لك الأمان لا تقتل نفسَك، وأنت في ذمتي.

فقال مسلم: أؤسَرْ وبي طاقة؟ لا والله لا يكون ذلك أبداً وأي أمانٍ للغدَرة الفجَرة[1].

ثم حمل على ابن الأشعث، فهرب منه، ثم رجع إلى موضعه، وهو يقول: «اللهم إنّ العطَش قد بلغ مني». فلم يجترئ أحدٌ أن يَسقيه الماء ويدنو منه.

فصاح ابن الأشعث بأصحابه: إنّ هذا لهو العار والشَنار أن تجزعوا من رجل واحد هذا الجزع؟ احملوا عليه بأجمعكم جملةٍ واحدة[2].

فحملوا عليه من كل جانب - وقد أثخنته الجراحات وأعياه نَزفُ الدم - واشتدّ به العطش، وضعُف عن القتال، فتساند إلى جنب دارٍ من تلك الدور، فطعنه لعينٌ من القوم من خلفه، فسقط إلى الأرض صريعاً، فأسره القوم[3].

مسلم يقع أسيراً في أيدي القوم

وقيل: إن محمد بن الأشعث لما أعطاه الأمان - أولاً - أعاد عليه القول - ثانياً -: «لك الأمان» فقال مسلم للقوم الذين معه: لي الأمان؟ قالوا: بلى، الا عبيد الله بن العباس السَلَمي، فانه قال: لا ناقةَ لي في هذا ولا جملَ. وتنحّى. فقال مسلم: أما لو لم تؤمنوني ما وضعت يدي في أيديكم[4].

---

(١) لهوف ابن طاووس: ص٢٢ طبع النجف، ومناقب ابن شهر آشوب: ج٤ ص٩٣ المطبعة العلمية بقم.

(٢) مقتل الخوارزمي: ج١ الفصل العاشر، والفتوح: ج٥ ص٩٤.

(٣) مقتل الخوارزمي: ج١ ص٢١٠ طبع النجف. ومناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص٩٤ طبع قم.

(٤) تاريخ الطبري: ج٥ ص٣٧٤ طبع دار المعارف بمصر، وكامل ابن الأثير: ج٣ ص٢٧٢ طبع بيروت وإرشاد المفيد: ص١٩٦ طبع إيران.

وأُتي ببغلةٍ فحُمِلَ عليها، واجتَمعوا حوله، وانتزَعوا سيفَه فكأنه عند ذلك أيس من نفسه، فدمعتْ عيناه، ثم قال: هذا أوّل الغدر. فقال له محمّد بن الأشعث: اني لأرجو أن لا يكون عليك بأس. قال مسلم: ما هو إلاّ الرّجاء، فأين أمانكم؟ إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ثم بكى.

فقال له عبيدُ الله بن العبّاس السَلَمي: إنّ الذي يطلب مثلَ الذي طلبتَ لا يبكي إذا نزل به مثلُ الذي نزَل بك[1].

فقال مسلم: والله إني ما لنفسي بكيت، ولا لها من القتل أرثي، وان كنتُ لم أحبّ لها طرفةَ عين تلفاً، ولكن أبكي لأهلي المقبلين عليكم، أبكي للحسين وآل الحسين[2].

قالوا: ولما أُركِب على البغلة ونُزِع منه السيف، استَرجع وقال: هذا أوّل الغدر، وأيس من نفسه، وعلم أن لا أمانَ له من القوم.

فالتفت إلى محمّد بن الأشعث، وقال له: «إني لأظنك ستَعجز عن أماني، أفتستطيع أن تبعث رجلاً عن لساني يُبلغ حسيناً فاني لا أراه إلا قد خرج إلى قبلكم هو وأهل بيته، فيقول له: إنّ مسلماً بعثني إليك وهو أسير في أيدي القوم، يذهبون به إلى القتل فارجع بأهلك، ولا يَغرنّك أهل الكوفة، فانّهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنّى فراقهم بالموت أو القتل، إنّ أهل الكوفة قد كذّبُوني فكتبتُ إليك، وليس لمكذوبٍ رأي».

---

(١) هكذا في عامة كتب التاريخ، والسير، كمقتل الخوارزمي: ج١ ص٢١١ طبع النجف، وروضة الواعظين للفتال: ص١٧٦ طبع النجف، وإرشاد المفيد: ص١٠٦ طبع إيران، إلا أن الطبري وابن الأثير - في تاريخهما ضمن حوادث سنة ٦٠ هجرية - ومثلها النويري في نهايته يذكرون هذا القول لعمرو بن عبيد الله السلمي في كلا المقامين، والأول هو الأصح عندنا.

(٢) روضة الواعظين للفتال: ص١٧٦ طبع النجف، ومقتل الخوارزمي: ج١ ص٢١١ طبع النجف، وتاريخ الطبري: ج٥ ص٣٧٤، طبع دار المعارف بالقاهرة، وإرشاد المفيد: ص١٩٧ طبع إيران، ومقاتل الطالبيين: ص٧٦ - باختلاف بسيط -.

فقال له محمّدُ بنْ الأشعث: والله لأفعلنّ، ولأعلمنّ ابنَ زياد أني قد أمنتك. ودعا بأياس الطائي، وكتب معه إلى الحسين ما قاله مسلم وما أمر به عن لسانه، وأعطاه زاداً وراحلةً فسيّره إلى جهة المدينة. فاستقبل الرسولُ الحسينَ عليه السلام (بزُبالة) فسلّمه الكتاب وأخبره الخبر(١).

ثم جيء بمسلم بن عقيل إلى باب قصر الإمارة - وقد أخذ العطش منه مأخذاً شديداً - وعلى الباب جماعةٌ جلوسٌ ينتظرون الإذنَ للدخول على ابن زياد، كعمارة بن عقبة، وعَمرو بن حريث، ومسلم بن عمرو الباهلي وكُثير بن شهاب وغيرهم.

مسلم يطلب الماء فلا يشربه

فالتفت مسلمُ إلى باب القصر، فإذا عليه قُلةُ ماءٍ مبرّدة.

فقال: أسقوني من هذا الماء؟.

فقال له مسلمُ بنُ عَمرو الباهلي: أتراها ما أبردها؟ لا والله لا تذوق منها قطرةً أبداً حتى تذوق الحميمَ في نار جهنم.

قال له ابن عقيل: ويحك من أنت؟.

قال: أنا مَن عرف الحق إذ أنكرتَه، ونصح لإمامه إذ غشَشتَه، وسمع وأطاع إذ عصيتَه، أنا مسلم بن عمرو الباهلي.

فقال له ابن عقيل: لأمك الثكل، ما أجفاك وأفظّك وأقسى قلبك وأغلظك، أنت - يا ابنَ باهلة - أولى بالحميم والخلود في نار جهنم مني.

---

(١) مقتل الخوارزمي - المصدر الآنف - وتاريخ الطبري - المصدر الآنف - وابن الأثير بحوادث سنة ٦٠ هجرية، ونهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤٠١ ط القاهرة.

وتساند إلى حائط القصر، وبعث عمرُو بن حريث غلاماً له يدعى (سُليماً) (١) فجاءه بقلة ماء مبرّدة، عليها منديل ومعه قدح، فصبّ فيه الماء ثم ناوله لمسلم ليشرب، فأخذ مسلم كلّما أراد أن يشرب امتلأ القدح دماً، فيمتنع من الشرب، يفعل ذلك مرتين أو ثلاثاً، فلما ذهب في الثالثة ليشرب سقَطتْ ثنيّتاه في القدح، فقال: «الحمد لله، لو كان من الرزق المقسوم لشَربتُه».

مسلم يدخل على ابن زياد

ثم أدخل على ابن زياد، فلم يُسلّم عليه بالإِمرة.

فقال له الحرس: ألا تُسلّم على الأمير؟.

فقال له مسلم: أسكت - وَيحك - ما هو لي بأمير فأسلّم عليه(٢).

فقال ابن زياد: لا عليك، سلّمتَ أم لم تُسلّم فانك مقتول.

فقال مسلم: إن قتلتَني فقد قَتل مَن هو شرٌّ منك مَن هو خيرٌ مني(٣).

ثم التفت محمد بن الأشعث إلى ابن زياد فقال: «يا أمير إني قد أمنتُه».

---

(١) مقتل الخوارزمي: ج١ الفصل العاشر، وبحار المجلسي: ج٤٤ ص٣٥٥ الطبع الجديد، وإرشاد المفيد ص١٩٧. وروضة الواعظين: ص١٧٦ - طبع النجف، ومروج الذهب للمسعودي: ج٣ ص٦٨ وهو الأشهر عند المؤرخين.
وفي تاريخ الطبري: ج٥ ص٣٧٦ طبع دار المعارف بمصر، وكامل ابن الأثير - في حوادث سنة ٦٠هـ - أن الذي بعث غلامه لجلب الماء هو عمارة بن عقبة، وهي الرواية الثانية لأبي الفرج في (مقاتله) ص٧٧ طبع النجف. وكذلك ذكر النويري في (نهايته: ج٢٠ ص٤٠٢) ط القاهرة.

(٢) في إرشاد المفيد: ص١٩٨ طبع إيران، ومثله في (مقاتل ابي الفرج: ج٧٧) طبع النجف «فقال مسلم للحرسي: ان كان يريد قتلي فما سلامي عليه...». وذكر مثله النويري في نهايته: ج٢٠ ص٤٠٢.

(٣) مقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢١١ طبع النجف.

فقال له ابن زياد: وما أنتَ وذاك!! كأنّا إذ أرسلناك لتُؤمنَه إنّما أرسلناك لتأتينا به. فسكت ابنُ الأشعث[١].

ابن زياد يشتم مسلما ومسلم يردّ عليه بقوة وصرامة

ثم قال ابن زياد: يا عاق يا شاق، خرجتَ على إمامك وشققتَ عصا المسلمين، وألحقتَ الفتنة.

فقال مسلم: كذبتَ يا ابن زياد -، إنّما شقّ عصا المسلمين معاويةُ وابنُه يزيد، وأمّا الفتنة فانّما ألقَحها أنتَ وأبوك زياد بن عُبيد - عبد بني علاج من ثقيف - وأنا أرجو أن يَرزقني الله الشهادةَ على يدي شرّ بريته.

فقال له ابن زياد: منّتك نفسك أمراً حال الله دونه وجعله لأهله.

فقال مسلم: ومَن - يا ابنَ مرجانة - أهله؟.

فقال ابنُ زياد: أهله يزيدُ بن معاوية.

قال مسلم: الحمد لله رضينا بالله حكَماً بيننا وبينكم.

فقال ابن زياد: أتظنّ أن لك في الأمر شيئاً؟.

فقال مسلم: والله ما هو الظن، ولكنه اليقين[٢].

ثم قال له مسلم: ان كنتَ عزمتَ على قتلي فدعني أوصي إلى بعض قومي؟ قال: أوصِ إلى مَن أحببت، فنظر مسلم إلى جلساء عبيد الله - وفيهم عمر بن سعد -.

فقال: يا عمر، ان بيني وبينك قرابة[٣] ولي إليك حاجة - وهي سرّ - فامتنع ابن سعد أن يسمعها من مسلم.

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٣٧٥ طبع دار المعارف بالقاهرة.

(٢) اللهوف لابن طاووس ص٢٣ طبع النجف، ومقتل الخوارزمي: ج١ ص٢١٢ طبع النجف.

(٣) القرابة التي يشير إليها هي: أن أم النبي آمنة بنت وهب وأم حمزة عمه من بني زهرة الذين ينتسب إليهم عمر بن سعد، وجد الطرفين قريش.

فقال له ابن زياد: لِمَ تمتنع أن تنظر في حاجة ابن عمّك؟.

فقام معه وجلس حيث ينظر إليهما ابن زياد.

مسلم يوصي إلى عمر بن سعد بوصاياه

فقال له مسلم: «إنّ عليّ ديناً استدنتهُ منذ قدمتُ الكوفة (سبعمائة درهم) فبعْ سيفي ودرعي واقضها عني، وإذا قتلت فاستوهب جثتي من ابن زياد فوارها. وابعث إلى الحسين مَن يردّه، فاني قد كتبتُ إلَيه أعلمه أن الناس معه، ولا أراه إلاّ مقبلاً».

فقال ابن سعد لابن زياد: أتدري - أيها الأمير - ما قال لي؟ إنه قال لي: كذا وكذا.

فقال ابن زياد: «لا يخونُك الأمين ولكن قد يؤتمَنُ الخائن»[1].

«أمّا ماله فهو له، ولسنا نمنع أن يصنع فيه ما أحبّ، وأما جثته فانا لن نشفّعك فيها، ولسنا نبالي إذا قتلناه ما صُنِعَ بها. وأما حسين فانه ان لم يُردنا لم نُرده، وان أرادنا لم نكفّ عنه»[2].

(١) وردت هذه الجملة - التي هي كالمثل السائر - على لسان أهل البيت عليهم السلام، فقد ذكر الحر العاملي في الوسائل: كتاب الوديعة باب٤ حديث تسلسل (٢٤ ٢٠٠): أن رجلاً قال للإمام الصادق عليه السلام: أني ائتمنت رجلاً على مال أودعته عنده فخانني وأنكر مالي، فقال عليه السلام: لم يخنك الأمين ولكنك ائتمنت الخائن» وفي المصدر نفسه: باب٩ حديث ٤ بسنده عن معمر بن خلاد قال: «سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: كان أبو جعفر عليه السلام يقول: لم يخنك الأمين، ولكن ائتمنت الخائن».

(٢) تاريخ الطبري: ج٥ ص٣٧٧ طبع دار المعارف بالقاهرة. والكامل لابن الأثير: ج٣ ص٢٧٤ طبع بيروت، وروضة الواعظين: ص١٧٧ طبع النجف، ومقتل الخوارزمي: ج١ الفصل العاشر ص٢١٢ طبع النجف، وإرشاد المفيد، ص١٩٨ وأنساب البلاذري: ج٢ ص٨٢ طبع بيروت - باختلاف بسيط بينها -.

تكثر المشادة الكلامية بين مسلم وابن زياد

ثم التفت ابن زياد إلى مسلم، فقال: إيهٍ يا ابن عقيل، أتيت الناس وأمرُهم جمع، كلمتُهم واحدة، فشتَّت بينَهم، وفرّقت كلمتهم، وحملت بعضهم على بعض.

قال مسلم: كلاّ لستُ لذلك أتيت، ولكنّ أهل المصر زعموا أنّ أباك قتل خيارَهم وسفك دماءَهم، وعَمِل فيهم أعمالَ كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمرَ بالمعروف، وننهى عن المنكر، ونعمل فيهم بالعدل، وندعو إلى حكم الكتاب[1].

فقال له ابن زياد: وما أنت وذاك، أوَلم نكن نعمل فيهم بالعدل؟.

قال مسلم: أن الله ليعلم أنك غير صادق، وأنك لتقتل على التهمة وسوء الظِنّة.

وجرى بينهما كلامٌ وجدال مما أغضب ابنَ زياد، فجعل يشتمه ويشتم علياً وعقيلاً والحسنَ والحسين.

فقال مسلم: أنت وأبوك أحق بالشتم من هؤلاء، فأقضِ ما أنت قاضٍ - يا عدوَّ الله -[2].

ثم قال ابن زياد: أين هذا الذي ضرب ابنُ عقيل رأسَه بالسيف؟.

---

(١) في (مقتل الخوارزمي: ج١ الفصل العاشر) إضافة هذه الجملة «إذ كنا أهله، ولم تزل الخلافة لنا، وان قُهرنا عليها - رضيتم بذلك أم كرهتم - لانكم أول من خرج على إمام هدى وشق عصا المسلمين، ولا نعلم لنا ولكم ألا قول الله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: 227].

(٢) اللهوف لابن طاووس: ص٢٤ طبع النجف، والفتوح لابن أعثم: ج٤ ص١٠٢، وفي (مقتل الخوارزمي ج١ الفصل العاشر) تكملة: «فنحن أهل بيت موكل بنا البلاء».
وفي (نهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤٠٣) ط القاهرة: «ثم كانت بينهم مقاولة، قال له ابن زياد في آخرتها: قتلني الله إن لم أقتلك قتلةً لم يُقتلها أحدٌ في الإسلام. فقال: أما إنك أحق من أحدث في الإسلام ما ليس فيه، أما انك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السريرة ولؤم الغلبة لأحدٍ من الناس أحق بها منك...».

فدُعي (بكيرُ بن حمَران الاحَمري) فقال: اصعدْ واضربْ عنقه، وأتبع رأسَه جسَده[١].

تضرب عنقه ويرمى بجسده إلى الأرض

قالوا: فصعدوا به إلى أعلى القصر - ومسلمُ يكبّر الله ويستَغفره، ويصلي على نبيّه ويقول: «اللهمّ احكمْ بينَنا وبين قوم غروّنا وخذلونا» وأشرفوا به على موضع الحذائين وضرُبت عنقُه، فأهوى رأسَه إلَى الأرض، وأتبعَ جسدُه رأسَه فتكسرتْ عظامُه[٢].

سَلْ ما جرى جُمْلاً ودع تفصيلَه فقليله لم يُحصه التفصيلُ
قتلوه ثم رموه من أعلى إلبنا وعلى الثرى سحبُوه وهو قتيل
ربَطوا برجليه الحبال ومثّلوا فيه، فليت أصابني التَمثيل[٣]

---

(١) هكذا في عامة كتب السير والمقاتل. ولكن على ما ذكره الخوارزمي وابن شهر آشوب: من أن ضربة مسلم أجهزت على (بكير بن حمران) فسقط قتيلاً، فان الذي صعد به القصر وقتله هو رجل شامي، وكان مسلم قد ضربه ضربة منكرة على رأسه.

(٢) نهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤٠٣ ط القاهرة. وتاريخ الطبري: ج٥ ص٣٧٨ طبع دار المعارف بمصر، والكامل لابن الأثير: ج٣ ص٢٧٤ طبع بيروت، وروضة الواعظين للفتال: ص١٧٧ طبع النجف، ومروج الذهب للمسعودي: ج٣ ص٧ طبع مطبعة السعادة بمصر. وجاء في الأخير: «ثم أمر ابن زياد بجثة مسلم فصلبت، وحمل رأسه إلى دمشق وهذا أول قتيل صلبت جثته من بني هاشم، وأول رأس حمل من رؤوسهم إلى دمشق. وكان ظهور مسلم بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان ليال مضين من ذي الحجة سنة ستين للهجرة، وهو اليوم الذي ارتحل فيه الحسين من مكة إلى الكوفة».
والملاحظ: أن تاريخ خروج مسلم بالكوفة وشهادته من حيث الأسبوع والشهر والسنة متفق عليه من قبل عامة المؤرخين من الفريقين، لولا بعض الشذوذ، القائل بأن خروجه يوم التاسع، وقتله يوم العاشر منه.

(٣) أبيات من قصيدة عامرة في رثاء مسلم بن عقيل للعلامة الخطيب السيد صالح لحلي المتوفى سنة ١٣٥٩هـ.

قتل هاني بن عروة بعد مسلم

قالوا: ثم أمر ابنُ زياد بعد قتل مسلم بن عقيل - بإخراج هاني بن عروة من الحبس وقتله[١] فاخرج إلى موضع من السوق كان تباع فيه الغنم - وهو مكتوف اليدين - فجعل ينادي: «وآمذحجاه! ولا مذحج لي اليوم، فلما رأى أن أحداً لا ينصره نزع يده من الكتاف وجعل يقول: أما من عصاً أو سكين أو حجَر يدافِع به الرجل عن نفسه؟.

فوثبوا إليه وشدّوه وثاقاً، فقالوا له: أمددْ عنقَك، فقال: ما أنا بها سخي وما أنا بمعينكَم على نفسي.

فانبرى إليه مولىً تركي لعبيد بن زياد يقال له (رُشَيد التركي)[٢] فضربه بالسيَّف ضربةً لم يصنع بها شيئاً.

فقال هاني: «إلى الله المعاد والمنقَلب، اللهم إلى رحمتك ورضوانك، اللهم اجعلْ هذا اليوم كفارةً لذنوبي فاني إنَّما غضبتُ لابن بنت نبيك محمد ﷺ»[٣].

---

(١) فقام محمد بن الأشعث إلى عبيد الله بن زياد، فكلمه في هاني بن عروة، وقال: انك قد عرفت منزلته في المصر وشرفه وعشيرته، وقد علم قومه أني وأسماء بن خارجة جئنا به إليك، فأنشد الله - أيها الأمير - ألا وهبته لي فاني أخاف عداوة أهله وقومه، فلما كان من أمر مسلم ما كان بداله - عن الطبري وابن الأثير في تاريخهما بحوادث سنة ٦٠ هجرية - ومثله في مقتل الخوارزمي: ج١ الفصل العاشر، وبحار المجلسي ونهاية النويري: ج٢٠ ص٤٠١ ط القاهرة وغيرها.

(٢) ويذكر الطبري: ج٥ ص٣٧٩ طبع دار المعارف بمصر - ومثل البلاذري في أنساب الأشراف: ج٢ ص٨٣ طبع بيروت. أن عبد الرحمان بن الحصين المرادي ثأر لدم هاني، فقتَل رشيداً هذا - وهو مع عبيد الله بن زياد - يوم الخازر. وفي الأخير: انه قال عبد الرحمان في ذلك:

انـي قـتـلـت راشَـدَ الـتـركـيـا ولـيـتـه أبـيـضَ مـشـرفـيـا
أرضـي بـذاك أحـمـدَ الـنـبـيـا

(٣) مقتل الخوارزمي: ج١ الفصل العاشر.

ثم ضرَبه ضَربةً أخرى فقتله رحمه الله -[1] وكان عمره يومَ استُشهد (٩٩سنة)[2].

صلب جثتي مسلم وهاني

ثم أمَر ابن زياد بجثتي مسلم وهاني، فصلبتا بالكناسة منكوستين[3] بعد أن سحبوهما بالحبال من أرجلهما في الأسوقا طِوالَ ذلك النهار[4].



---

(١) تاريخ الطبري، وابن الأثير - بحوادث سنة ٦٠ هجرية - وبحار المجلسي ج٤٤ ص٣٥٨ طبع الجديد في طهران.

(٢) مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي ص.٨٥ وفي تظلم الزهراء عليها السلام للقزويني نقلاً عن المناقب: «ان ابن زياد أمر بجثة هاني فصلبت في ذلك المكان منكوسة».

(٣) في (مقتل الخوارزمي: ج١ ص٢١٤) طبع النجف: «قال الإمام أحمد بن أعثم الكوفي في تاريخه: ولما صلب مسلم بن عقيل وهاني بن عروة قال فيهما عبد الله بن الزبير الأسدي:

إذا كنت لا تدرين ما الموت فانظري ... إلى هانئ في السوق وابن عقيل

إلى بطل قد هشم السيف وجهه ... وآخر يهوي من طمار قتيل

تري جسداً قد غيّر الموت لونه ... ونضحَ دمٍ قد سال كل مسيل

فتى كان أحيى من فتاة حيية ... واقطع مِن ذي شفرتين صقيل

وأشجع من ليث بخفان مصحر ... وأجرأ من ضار بغابَة غيل

أصابهما أمر الأمير فأصبحا ... أحاديث من يسرى بكل سبيل

أيركب أسماء (الهماليج) آمنا ... وقد طلبته مذحجٌ بذحول

تطوف حواليه (مراد) وكلهم ... على رقبة من سائل ومسول

فإن كنتُم لم تثأروا لأخيكمو ... فكونوا بغايا أرضيت بقليل

كما ذكره الطبري وابن الأثير - في تاريخهما بحوادث سنة ٦٠ هجرية - وكذلك المفيد في إرشاده، والمجلسي في بحاره وغيرهم كثير.

(٤) المناقب والمثالب للقاضي نعمان المصري - مخطوط -: ص١٧٥.

رأس مسلم وهاني إلى يزيد

وبعث ابنُ زيَاد برأسيهما إلى يزيد بن معاوية، فنصبهما يزيدُ في دَربٍ من دمشق[١]. وبعث بخبرهما إليه[٢]، فأرسل إليه يزيد كتاباً يشكره فيه على فعله، ويستثيره على حرب الحسين[٣].

وصول النبأ بقتل ابن عقيل إلى الحسين

قال المؤرخون: ووصل خبر قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة إلى الحسين عليه السلام وهو خارجٌ من مكة في طريقه إلى العراق بمكان يسمى بـ(الثعلبية) يقرب من (زرود).

فعن عبد الله بن سليمان والمنذر بن المشمعل الأسديين قالا:

---

(١) تاريخ أبي الفداء: ج١ ص١٩٠، والبداية والنهاية لابن كثير: ج٨ ص١٥٧، ومناقب ابن شهر آشوب: ج٤ ص٩٤ طبع قم.

(٢) وكتب مع الرأسين كتاباً يقول فيه: «أما بعد، فالحمد لله الذي أخذ لأمير المؤمنين بحقه وكفاه مؤونة عدوه. أخبر أمير المؤمنين - أكرمه الله - أن مسلم بن عقيل لجأ إلى دار هاني بن عروة المرادي واني جعلت عليهما العيون، ودسست إليهما الرجال، وكدتهما حتى استخرجتهما، وأمكن الله منهما، فقدّمتهما وضربت أعناقهما. وقد بعثت إليك برأسيهما مع هاني بن أبي حبة الوادعي الهمداني. والزبير بن الأروح التميمي، وهما من أهل السمع والطاعة، فليسألهما أمير المؤمنين عما أحب من أمر، فإن عندهما علماً وصدقاً وهماً وورعاً والسلام» - عن الطبري وابن الأثير في تاريخهما - بحوادث سنة ٦٠ هجـ - ومثله أنساب البلاذري.

(٣) ونص الكتاب - كما عن الطبري وابن الأثير والأنساب - هكذا «أما بعد، فانك لم تعد ان كنت كما أحب، عملت عمل الحازم، وصلت صولة الشجاع الرابط الجأش، فقد أغنيت وكفيت، وصدقت ظني بك ورأيي فيك، وقد دعوت رسوليك فسألتهما وناجيتهما، فوجدتهما في رأيهما وفضلهما كما ذكرت. فاستوص بهما خيرا. وانه قد بلغني ان الحسين بن علي قد توجه نحو العراق، فضع المناظر والمسالح، واحترس على الظن، وخذ على التهمة، واكتب إلي كل يوم ما يحدث من الخبر والسلام».

«لما قضينا حجّنا لم تكن لنا همةٌ إلا اللحاق بالحسين في الطريق لننظرَ ما يكون من أمره وشأنه، فأقبلنا تَرقل بنا ناقتانا مسرعين، حتى لحقناه بزرود. فلما دنونا منه إذا نحن برجل من أهل الكوفة قد عدَل عن الطريق حين رأى الحسين، فوقف الحسينُ كأنه يُريده، ثم تركه ومضى ومضينا نحوه، فقال أحدنا لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا لنسأله، فان كان عنده خبر الكوفة علمناه، فمضينا حتى انتهينا إليه، فسلمنا عليه، فردّ علينا السلام. فقلنا له: ممن الرجل؟ فقال: أسدي، قلنا له ونحن أسديّان، فمن أنت؟ قال: أنا بكر بن فلان، فانتسبنا له، ثم قلنا: أخبرنا عن الناس وراءَك؟.

قال: نعم، لم أخرج من الكوفة حتى قُتِل مسلمُ بن عقيل وهاني بن عروة، ورأيتهُما يُجرّان بأرجلهما في السوق.

قالا: فأقبلنا حتى لحقنا بالحسين، فسايرناه حتى نزل (الثعلبية) ممسياً، فجئناه حين نزل، فسلّمنا عليه، فردّ علينا السلام. فقلنا - رحمك الله - إنّ عندنا خبراً، إن شئتَ حدّثناك به علانيةً، وإن شئتَ سرّاً.

فنظر إلى أصحابه وقال: ما دون هؤلاء سرّ.

فقلنا له: أرأيتَ الراكبَ الذي استقَبلك عشاءَ أمس؟.

قال: نعم، وقد أردتُ مسألتَه.

فقلنا: قد استبرأنا لك خبرَه، وكفيناك مسألتَه وهو امرؤ منّا ذو رأي وصدق وفضل وعقل، وإنه حدّثنا: أنه لم يخرج من الكوفة حتى قُتِل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة، ورآهما يُجرّان في السوق بأرجلهما.

فقال الحسين: انا لله وانا إليه راجعون، رحمة الله عليهما، فردّد ذلك مراراً.

فقلنا: نُنشدك الله في نفسك وأهل بيتك إلاّ انصرفت من مكانك هذا، فانه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة، بل نتخّوف أن يكونوا عليك.

فنظر - عند ذلك - إلى بني عقيل، وقال: ما ترون؟.

فوثبوا وقالوا: لا والله، لا نبرح حتى نُدرك ثارَنا أو نذوقَ ما ذاق أخونا

مسلم. فقال الحسين: لا خيرَ في العيش بعد هؤلاء فعلمنا: أنه قد عزَم رأيهُ على المسير، فقلنا: خار الله لك»[١].

يتيمة مسلم حميدة

ونُقِلَ عن بعض التواريخ[٢]: أنه كانت لمسلم بن عقيل بنت كان لهما من العمر ثلاثُ عشرةَ سنة أو أقل - اسمُها (حميدة)، وكانت تعيش في بيت الحسين عليه السلام وتدرج مع بناته لا تفارقهن.

ولما أخبرَ الحسين عليه السلام في ذلك المكان بقتل مسلم، جاء ودخل خيمة النساء، ودعا بتلك البنت، وجعل يلاطفها ويعطف عليها فاستشعرت البنتُ من ذلك المصيبة، فقالت:

يا عم، أراك تعطف عليّ عطفَك على الأيتام، أفأصيب أبي مسلم؟.

فرقّ الحسينُ لها وجرتْ دمعتهُ، وقال لها:

يا بُنيّة لا تَحزني، فلئن أصيب أبوك فأنا أبوك وبناتي أخواتك.

فلما سمعت البنتُ هذا الكلام من الحسين صرختْ وأعولتْ فسمع صراخَها آلُ عقيل، فارتفعت أصواتُهم بالبكاء، وانتحبوا انتحاباً عالياً، وساعدهم أهلُ بيت الحسين في النوح والبكاء. وعظم على أبي عبد الله المصاب، واشتدّ به الحزن.

قالوا: وارتجّ الموضعُ بالبكاء والعويل لقتل مسلم بن عقيل. وسالت الدموعُ عليه كلَّ مسيل:

فيابن عقيلٍ فدتك النفوس لعظم رزيّتك الفادحه
ولا برحتْ هاطلاتُ العيون تُحيّيك غاديةً رائحه
لنَبكِ لها بمذاب القلوب فما قَدرُ أدمعنا المالحه

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٣٩٧-٣٩٨ طبع دار المعارف بالقاهرة، ومثله في إرشاد المفيد.
(٢) أسرار الشهادة للدربندي.

لأنــك لــم تُــروَ مــن شـربـةٍ ثـنـايـاك فـيـهـا غـدتْ طـائـحـه
رمَـوك مـن الـقـصـر إذ أوثـقـوك، فـهـل سـلـمـتْ فـيـك مـن جـارحـه
وسـحـبـاً تُـجـرّ بـأسـواقـهـم ألـسـتَ أمـيـرَهـم الـبـارحـه
أتـقـضـي ولـم تـبـكـك الـبـاكـيـات، أمَـا لَـكَ فـي الـمـصـر مـن نـائـحـه
لـئـن تَـقـض نـحـبـاً فـكـم فـي (زرود) عـلـيـك الـشـعـيّـةَ مـن صـائـحـه
وكـم طـفـلـةٍ لـك قـد أعـولـتْ وجـمـرتُـهـا فـي الـحـشـا قـادحـه
يـعـززّهـا الـسـبـطُ فـي حـجـره لـتـغـدوَ فـي قـربـه فـارحـه
تـقـول: مـضـى عـمٌّ مـنـي أبـي فـمـن لـيـتـيـمـتـه الـنـائـحـه
ثـكـولٌ تـبـيـت كـمـثـلِ الـلـسـيـع تـعـجّ وعـن بـيـتـهـا نـازحـه[1]

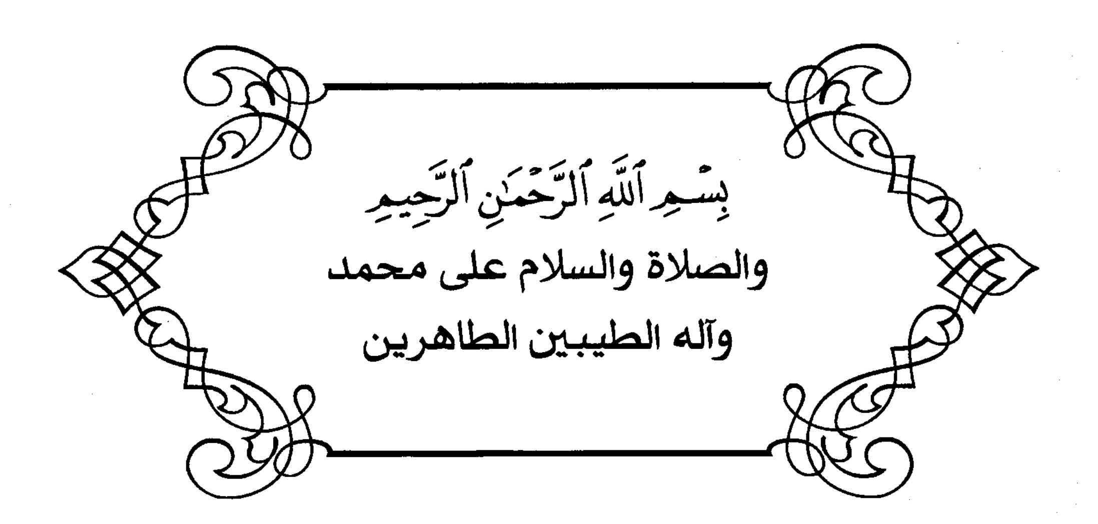
ألا لعنة الله على الظالمين



(١) للعلامة الأديب السيد باقر الموسوي الهندي (قدّس سره) وبعض أبياتها للخطيب الشيخ جاسم الحلي رحمه الله -.

المَجلِس السّادِسْ

وهو يحتوي - بعد المقدمة - على: الحوادث التي جرت للحسين وأهل بيته وأصحابه بعد نزولهم أرض كربلاء من اليوم الثاني إلى مساء التاسع من المحرّم.


بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
والصلاة والسلام على محمد
وآله الطيبين الطاهرين

قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه المجيد:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: 30].

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: 70].

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [سورة الكهف، الآية: 18].

﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: 34].

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: 125].

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان: 18-19].

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: 131].

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: 29].

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: 36].

(صدق الله العليّ العظيم)

شذرات من رسالة الحقوق للإمام زين العابدين

علي بن الحسين عليه السلام كما عن تحف العقول وأمالي الصدوق - وغيرهما -

اعلم رحمكَ اللهُ أنَّ للهِ عليك حُقوقاً مُحيطةً بك في كُلِّ حَرَكةٍ تَحَرَّكْتها، أو سَكَنَةٍ سَكَنْتَها أو مَنْزِلَةٍ نَزَلْتَها، أو جارِحَةٍ قَلَّبْتَها وآلةٍ تَصَرَّفْتَ بها، بَعْضُها أكبَرُ مِنْ بَعْضٍ. وأَكْبَرُ حقوقِ اللهِ عَلَيْكَ ما أوْجَبَه لِنَفسِه تبارَكَ وتَعالى مِنْ حقّهِ الَّذي هُوَ أصْلُ الحُقوقِ ومنه تَفرَّعَ. ثمَّ أوْجَبَهُ عَلَيْكَ لِنَفْسِكَ مِنْ قَرْنِكَ إلى قَدمِكَ عَلى اخْتلافِ جَوارِحك، فجعلَ لبِصرِكَ عليك حَقّاً ولِسَمْعكَ عليك حقّاً ولِلِسانِكَ عليك حقّاً ولِيَدِكَ عليك حَقّاً ولرِجْلِكَ عليك حَقّاً ولِبَطْنِكَ عليك حَقّاً ولِفَرْجِكَ عليك حقّاً، فَهذِهِ الجَوارِحُ السَّبْعُ الّتي بها تكونُ الأفعالُ. ثمّ جَعَلَ عَزَّ وَجَلَّ لأفعالِكَ عَلَيكَ حُقوقاً، فَجَعلَ لِصَلاتِكَ عليك حقّاً، ولِصَومِكَ عليك حَقّاً، ولِصَدَقتك عَلَيكَ حَقّاً، ولِهَدْيِكَ عَلَيكَ حَقّاً، ولأفعالِكَ عَلَيكَ حَقّاً، ثُمَّ تَخرُجُ الحقوقُ منكَ إلى غَيْرِكَ مِن ذوي الحُقُوقِ الواجِبَةِ عليك، وأوْجَبُها عليك حُقوقُ أئِمَّتِكَ ثمَّ حُقوقُ رعيَّتِك ثمَّ حقوقُ رَحِمِكَ، فهذِه حقوقٌ يَتَشعَّبُ منها حقوقٌ، فحقوق أئمَّتِكَ ثَلاثَةٌ أوجبها عليكَ: حَقُّ سائِسِكَ بالسُّلْطانِ، ثُمَّ سائِسِكَ بالعلْم، ثُمَّ حَقُّ سائِسِكَ بالملكَ، وكُلُّ سائِسٍ إمامٌ، وَحُقوقُ رَعِيَّتِكَ ثَلاثَةٌ أوْجَبُها عَلَيْكَ حَقُّ رَعِيَّتِكَ بِالسّلطانِ، ثمَّ حقُّ رَعَيَّتِكَ بالعِلم، فإنَّ الجاهِلَ رَعيّة العالِم، وحقُّ رعيّتِكَ بالملْكِ مِنَ الأزواج وما مَلَكَتْ مِنَ الأيْمانِ. وحُقُوقُ رَحِمِكَ كثيرةٌ مُتَّصِلةٌ بقَدْرِ اتِّصال الرَّحِم في القَرابةِ، فَأوْجَبُها عليك حقُّ أمّكَ، ثُمَّ حَقُّ أبيك، ثمَّ حَقُّ وَلَدِكَ، ثمَّ حقُّ أخيكَ ثمَّ الأقْرَبُ فَالأقْرَب والأوّلُ فالأوّل، ثُمَّ حقُّ مَولاكَ المُنْعِم علَيكَ، ثُمَّ حَقُّ مولاكَ الجارِيةِ نِعْمَتُك عَلَيْهِ، ثُمَّ حَقُّ ذِي المَعْرُوفِ لَدَيْكَ، ثُمّ حَقُّ مُؤَذِّنِك بِالصّلاة، ثمَّ حَقُّ إمامِك في صلاتِك، ثمَّ حَقُّ جَليسِكَ ثمَّ حَقُّ جارِكَ، ثُمَّ حَقُّ صاحِبِك، ثُمَّ حَقُّ شريكِكَ، ثُمَّ حَقُّ مالِك، ثُمَّ حَقُّ غَرِيمِكَ الَّذي تُطالِبُه، ثُمَّ حَقُّ غريمك الّذي يُطالِبُك، ثمّ حَقُّ خَليطِك، ثمَّ حَقُّ خَصْمِك المدَّعي عليكَ ثمَّ حَقُّ خصْمِكَ الَّذي تَدّعي عَلَيهِ، ثُمَّ حَقُّ مُسْتَشِيرِكَ، ثُمَّ حقُّ المُشِيرِ عَلَيكَ، ثُمَّ حَقُّ

مُسْتَنْصِحِكَ، ثُمَّ حَقُّ النّاصِحِ لَكَ، ثُمَّ حَقُّ مَنْ هوَ أكبرُ منكَ، ثُمَّ حَقُّ مَنْ هو أصغرُ منك، ثُمَّ حقُّ سائِلِكَ، ثُمَّ حَقُّ من سَأَلْتَهُ، ثُمَّ حَقُّ مَنْ جرى لَكَ على يَدَيْهِ مَساءَةٌ بقولٍ أو فعلٍ أو مَسَرَّةٌ بذلِكَ بقولٍ أو فعلٍ عَنْ تَعَمُّدٍ منه أو غَيْرِ تَعَمُّدٍ منه، ثمَّ حَقُّ أهل مِلّتِك عامّة، ثمَّ حَقُّ أهْلِ الذِّمَّةِ، ثُمَّ الحُقُوقُ الجارِيةُ بِقَدْرِ عِلَلِ الأحْوالِ وتَصَرُّفِ الأسْبابِ، فَطُوبى لِمَنْ أعانَهُ اللهُ عَلى قضاءِ ما أَوْجَبَ عَلَيْهِ مِنْ حُقُوقِه ووفَّقَهُ وسَدَّدَهُ.

أ - حـــقّ الله

◄ ١ - حقّ الله:

فَأمّا حَقُّ اللهِ الأَكْبَرُ عَلَيْكَ، فَأَنْ تَعْبُدَهُ لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، فَإذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ بِإخْلاَصٍ جَعَلَ اللهُ لَكَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَكْفِيَكَ أَمْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ويَحْفَظَ لَكَ مَا تُحِبُّ مِنْهُمَا.

ب - حقوق الأعضاء

◄ ٢ - حقّ النفس

وَأَمّا حَقُّ نَفْسِكَ عَلَيْكَ فَأَنْ تَسْتَوْفِيَهَا فِي طَاعَةِ اللهِ، فَتُؤَدِّي إِلَى لِسَانِكَ حَقَّهُ، وَإِلَى سَمْعِكَ حَقَّهُ، وَإِلَى بَصَرِكَ حَقَّهُ، وإلى يَدِكَ حَقَّهَا، وَإِلَى رِجْلِكَ حَقَّهَا، وَإِلَى بَطْنِكَ حَقَّهُ، وَإِلَى فَرْجِكَ حَقَّهُ، وَتَسْتَعِينَ باللهِ عَلَى ذَلِكَ.

◄ ٣ - حقُّ اللسَّانِ

وَأَمّا حَقُّ اللِّسَانِ: فَإِكْرامُهُ عَنِ الخَنَا، وتَعْوِيدُهُ الخَيْرَ وَتَرْكُ الفُضُولِ الَّتِي لاَ فَائِدَةَ لَهَا، وَالْبِرُّ بِالنَّاسِ وَحُسْنُ القَوْلِ فِيهِمْ، وَحَمْلُهُ عَلَى الآدَابِ، وَإِجْمَامُهُ[1] إلاَّ لِمَوْضِعِ الحَاجَةِ والمَنْفَعَةِ لِلدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَإِعْفَاؤُهُ مِنَ الفُضُولِ القَلِيلَةِ الفَائِدَةِ الَّتِي

---

(١) إجمام الشيء: تركه وإهماله عن الاستعمال.

لاَ يُؤْمَنُ ضَرَرُهَا مَعَ قِلَّةِ عَائِدَتِها، وَبعد شَاهِدِ العَقْلِ وَالدَّلِيلِ عَلَيْهِ، وَتَزْيِينُ العَاقِلِ بِعَقْلِهِ حُسْنُ سِيرَتِهِ في لِسَانِهِ. وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ.

◄ ٤ - حَقُّ السَّمعِ

وَأَمَّا حَقُّ السَّمْعِ فَتَنْزِيهُهُ عَنْ سَمَاعِ الغِيبَةِ، وَسَمَاعِ مَا لاَ يَحِلُّ سَمَاعُهُ. وَتَنْزِيهُهُ أَنْ تَجْعَلَهُ طَرِيقاً إِلَى قَلْبِكَ إِلاَّ لِفَوْهَةٍ كَرِيمَةٍ تُحْدِثُ فِي قَلْبِكَ خَيْراً أَوْ تكْسبُ بِهِ خُلُقاً كَرِيماً، فَإِنَّهُ بَابُ الكَلام إِلَى القَلْبِ يُؤَدِّي إِلَيْهِ ضُرُوبَ المَعَانِي عَلَى مَا فِيها مِنْ خَيرٍ أَوْ شَرٍّ، وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ.

◄ ٥ - حَقُّ البَصَرِ

وَأَمّا حَقُّ البَصَرِ فَغَضُّهُ عَمَّا لاَ يَحِلُّ لَكَ، وتَرْكُ ابْتذَالِهِ إِلاَّ لِمَوْضِعِ عِبْرَةٍ تَسْتَقْبِلُ بِهَا بَصَراً أَوْ تَسْتَفِيدُ بِهَا عِلْماً، فَإِنَّ البَصَرَ بَابُ الاعْتِبَارِ.

◄ ٦ - حَقُّ الرجْلِ

وَحَقُّ رِجْلَيْكَ أَنْ لاَ تَمْشِيَ بِهِمَا إِلَى مَا لاَ يَحِلُّ لَكَ، فَفِيهِمَا تَقِفُ عَلَى الصِّرَاطِ، فَانْظُرْ أَنْ لاَ يَزُلاَّ بِكَ فَتَتَردَّى فِي النَّارِ.

◄ ٧ - حَقُّ اليَدِ

وحَقُّ يَدِكَ أَنْ لاَ تَبْسُطَهَا إِلَى مَا لاَ يَحِلُّ لَكَ، فَتَنَالَ بِمَا تَبْسُطُهَا إِلَيْهِ مِنَ اللهِ العُقُوبَةَ فِي الآجِلِ، وَمِنَ النَّاسِ اللاَّئِمَةَ فِي العَاجِلِ، وَلا تَقْبِضْها عَمَّا افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْهَا، وَلَكِنْ تُوَقِّرَهَا بِقَبْضِهَا عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا لاَ يَحِلُّ لَهَا، وَبَسْطِهَا إِلَى كَثِيرٍ مِمَّا لَيْسَ عَلَيْها، فَإِذَا هِيَ قَدْ عَقَلَتْ وَشَرُفَتْ فِي العَاجِلِ، وَوَجَبَ لَهَا حُسْنُ الثَّوَابِ مِنَ اللهِ فِي الآجِلِ.

◄ ٨ - حَقُّ البَطْنِ

وَحَقُّ بَطْنِكَ أَنْ لاَ تَجْعَلَهُ وُعَاءً لِقَلِيلٍ مِنَ الحَرَامِ وَلاَ لِكَثِيرٍ، وَأَنْ تَقْصِدَ لَهُ فِي الحَلاَلِ، وَلاَ تُخرِجَهُ مِنْ حَدِّ التَّقْوِيَةِ إِلَى حَدِّ التَّهْوِينِ وذَهَابِ المُرُوءَةِ، فَإِنَّ الشَّبَعَ المُنْتَهِيَ بِصَاحِبِهِ إِلَى السُّكْرِ مَسْخَفَةٌ ومَجْهَلَةٌ ومَذْهَبَةٌ لِلمُرُوءَةِ.

◀ ٩ - حَقُّ الفَرْجِ

وَحَقُّ فَرْجِكَ أَنْ تُحَصِّنَهُ عَنِ الزِّنَى، وَحِفْظُهُ عَمَّا لا يَحِلُّ لَكَ، وَالاسْتِعَانَةُ عَلَيْهِ بِغَضِّ البَصَرِ، فَإِنَّهُ مِنْ أَعْوَنِ الأَعْوَانِ، وَضَبْطُهُ إِذَا هَمَّ بِالجُوعِ والظَّمأ، وَكَثْرَةِ ذِكْرِ المَوْتِ وَالتَّهَدُّدِ لِنَفْسِكَ بِاللهِ، وَالتَّخْوِيفِ لَها بِه. وَبِاللهِ العِصْمَةُ وَالتَّأْيِيدُ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِهِ.

ج - حقوقُ الأفعال

◀ ١٠ - حقّ الصلاة

فأمّا حَقُّ الصّلاةِ: فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّها وِفادَةٌ إلى اللهِ وأنّك قائِمٌ بها بين يَدَي الله فإذا عَلِمتَ ذلِكَ كُنْتَ خَليقاً أَنْ تَقُومَ فيها مقامَ الذَّليل، الرَّاغِبِ، الرَّاهبِ، الخائِفِ، الرَّاجي، المِسْكينِ، المُتَضَرِّعِ، المُعظِّمِ مَنْ قامَ بين يَدَيهِ بالسّكُونِ والإِطْراقِ وَخُشُوعِ الأَطْرافِ ولينِ الجَناحِ، وحُسْنِ المناجاةِ له في نَفْسِه، وَالطَّلَبِ إليه في فَكاكِ رقَبَتِكَ الّتي أحاطَتْ بها خطيئَتُك وَاسْتَهْلَكَتْها ذنوبُكَ، ولا قُوَّةَ إلاّ بالله.

◀ ١١ - حَقُّ الصَّوْمِ

وَحَقُّ الصَّوْمِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ حِجَابٌ ضَرَبَهُ اللهُ عَلَى لِسَانِكَ وَسَمْعِكَ وَبَصَرِكَ وفَرْجِكَ لِيَسْتُرَكَ بِهِ مِنَ النَّارِ، فَإِنْ تَرَكْتَ الصَّوْمَ خَرَقْتَ سِتْرَ اللهِ عَلَيْكَ. وَهكَذا جَاءَ فِي الحَدِيثِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ، فَإِنْ سَكَنَتْ أَطْرَافُكَ فِي حَجْبَتِهَا رَجَوْتَ أَنْ تَكُونَ مَحْجُوباً، وَإِنْ أَنْتَ تَرَكْتَهَا تَضْطَرِبُ فِي حِجَابِهَا وَتَرْفَعُ جَنَبَاتِ الحِجَابِ، فَتَطَّلِع إلى مَا لَيْسَ لَهَا بِالنَّظْرَةِ الدَّاعِيَةِ لِلشَّهْوَةِ وَالقُوَّةِ الخَارِجَة عَنْ حَدِّ التَّقِيَّةِ للهِ، لَمْ تَأْمَنْ أَنْ تَخْرِقَ الحِجَابَ وتَخْرُجَ مِنْهُ.

◀ ١٢ - حَقُّ الحَج *

وَحَقُّ الحَجِّ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ وِفَادَةٌ إِلى رَبِّكَ، وَفِرَارٌ إِلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِكَ، وَبِهِ قُبُولُ تَوْبَتِكَ، وَقَضَاءُ الفَرْضِ الذِي أَوْجَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ.

◄ ١٣ - حقُّ الصَّدَقَةِ

وَحَقُّ الصَّدَقَةِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهَا ذُخْرُكَ عِنْدَ رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ، وَوديعَتُكَ الَّتي لاَ تَحْتَاجُ إِلَى الإِشْهَادِ عَلَيْهَا، فَإِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ كُنْتَ بِمَا اسْتَوْدَعْتَهُ سِرّاً أَوْثَق بِمَا اسْتَوْدَعْتَهُ عَلاَنِيةً وَتَعْلَمُ أَنَّهَا تَدْفَعُ البَلايَا وَالأَسْقَامَ عَنْكَ فِي ٱلدُّنْيَا وَتدْفَعُ عَنْكَ النَّارَ فِي الآخِرَةِ، ثُمَّ لَمْ تَمْتَنّ بِهَا عَلَى أَحَدٍ لأنَّهَا لَكَ، فَإِذَا امْتَنَنْتَ بِهَا لَمْ تَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ بِهَا مِثْلَ تَهْجِينِ حَالِكَ مِنْها إلَى مَا مَنَنْت بِهَا عَلَيهِ، لأنَّ فِي ذَلِكَ دَليلاً عَلَى أَنَّكَ لَمْ تُرِدْ نَفْسَكَ بِهَا، وَلَوْ أَرَدْتَ نَفْسَك بِهَا لَمْ تَمْتَنَّ بِهَا عَلَى أَحَدٍ.

◄ ١٤ - حقُّ الهَدْي

وَأَمَّا حَقُّ الهَدْي: فَأَنْ تُخْلِصَ بِهِ الإِرَادَةَ إِلَى رَبِّكَ وَالتَّعَرُّضَ لِرَحْمَتِهِ وَقُبُولِهِ، وَلاَ تُرِيد عُيونَ النَّاظِرِينَ دُونَهُ، فَإِذَا كُنْتَ كَذَلِكَ لَمْ تَكُنْ مُتكلِّفاً وَلاَ مُتَصَنِّعاً، وَكُنْتَ إِنَّمَا تَقْصِدُ إِلَى اللهِ. وَٱعْلَمْ أَنَّ اللهَ يُرَادُ بِاليَسِير وَلاَ يُرَادُ بِالعَسِيرِ. كَمَا أَرَادَ بِخَلْقِهِ التَّيْسِيرِ وَلَمْ يُرِدْ بِهِمُ التَّعْسِيرَ. وَكَذلِكَ التَّذَلُّلُ أَوْلَى بِكَ مِنَ (التَّدَهْقُنِ) لأنَّ الكُلْفَةَ وَالمُؤْنَةَ فِي (المُتَدَهْقِنينَ) فَأَمَّا التَّذَلُّلُ والتَّمَسْكُنُ فَلاَ كِلْفَةَ فِيهِمَا وَلاَ مُؤْنَةَ عَلَيْهِمَا، لأنَّهُمَا الخِلْقَة، وهُمَا مَوْجُودَانِ فِي الطَّبِيعَةِ. وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ.

د - حقوق الأئمّة

◄ ١٥ - حقُّ السُّلْطان

وَحَقُّ السُّلْطَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّكَ جُعِلْتَ لَهُ فِتْنَةً، وَأَنَّهُ مُبْتَلىً فِيكَ بِمَا جَعَلَهُ عَزَّ وجَلَّ لَهُ مِنَ السُّلْطَانِ، وَأَنْ تُخْلِصَ لَهُ فِي النَّصِيحَةِ، وَأَنْ لا تُمَاحِكَهُ[1]، وَقَدْ بُسِطَتْ يَدُهُ عَلَيْكَ فَتَكُونَ سَبَبَ هَلاكِ نَفْسِكَ وهَلاكِهِ. وَتَذَلَّلِ وَتَلَطَّف لإعْطَائِهِ مِنَ الرِّضَا مَا يَكُفُّهُ عَنْكَ وَلا يَضُرُّ بِدِينِكَ. وتَسْتَعِينُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ بالله. وَلاَ تُعَازِّهِ وَلاَ تُعَانِدْهُ، فَإِنَّكَ إنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ عَقَقْتَهُ وَعَقَقْتَ نَفْسَكَ، فَعَرَّضْتَها لِمكْرُوهِ وَعَرَّضْتَهُ لِلْهَلَكَةِ

---

(١) ماحكه مماحكةً: شاده ونازعه في الكلام.

فِيكَ، وَكُنْتَ خَلِيقاً أَنْ تكُونَ مُعِيناً لَهُ عَلَى نَفْسِكَ وشَرِيكاً لَهُ فِيمَا أَتى إِلَيْكَ مِنْ سُوءٍ. وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ.

◄ ١٦ - حَقُّ المُعَلِّمِ

وَحَقُّ سائِسِكَ بِالتَّعَلُّمِ، التَّعْظِيمُ لَهُ، وَالتَّوْقِيرُ لِمَجْلِسِهِ وَحُسْنُ الاِسْتِماعِ إِلَيْهِ وَالإِقْبَالُ عَلَيْهِ، وَأَنْ لاَ تَرْفَعَ عَلَيْهِ صَوْتَكَ وَلاَ تُجِيبَ أحداً يَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ يَكُونُ هُوَ الَّذِي يُجِيبُ، وَلاَ تُحَدِّثَ فِي مَجْلِسِهِ أَحداً، وَلاَ تَغْتَابَ عِنْدَهُ أَحداً، وَأَنْ تَدْفَعَ عَنْهُ إِذَا ذُكِرَ عِنْدَكَ بِسُوءٍ، وَأَنْ تَسْتُرَ عُيُوبَهُ وَتُظْهِرَ مَنَاقِبَهُ، وَلا تُجالِسَ عَدُوَّهُ، وَلاَ تُعَادِيَ لَهُ وَلِيّاً، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ شَهِدَتْ لَكَ مَلائِكَةُ اللهِ بِأَنَّكَ قَصَدْتَهُ وَتعَلَّمتَ عِلْمَهُ للهِ عَزَّ وَجَلَّ لاَ لِلنَّاسِ.

◄ ١٧ - حَقُّ المَالِكِ

وَأَمَّا حَقُّ سَائِسِكَ بِالمُلْكِ فَنَحْوٌ مِنْ سَائِسِكَ بِالسُّلْطانِ، إلاَّ أَنَّ هَذَا يَمْلِكُ مَا لاَ يَمْلِكُهُ ذَاكَ، تَلْزَمُكَ طَاعَتُهُ فِيمَا دَقَّ وَجَلَّ مِنْكَ، إلاَّ أَنْ يُخْرِجَكَ مِنْ وجُوبِ حَقِّ اللهِ، وَيَحُولَ بَيْنَكَ وبَيْنَ حَقِّهِ وَحُقوقِ الخَلْقِ فَإذَا قَضَيْتَهُ رَجَعْتَ إِلَى حَقِّهِ فَتَشَاغَلْتَ بِهِ. وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ.

هـ - حُقُوقُ الرَّعِيَّة

◄ ١٨ - حَقُّ الرَّعِيَّةِ

وَحَقُّ رَعِيَّتِكَ بِالسُّلْطَانِ أنْ تَعْلَمَ أَنَّهُمْ صَارُوا رَعِيَّتَكَ لِضَعْفِهِمْ وَقُوَّتِكَ، فَيَجِبُ أَنْ تَعْدِلَ فِيهِمْ وَتَكُونَ لَهُمْ كَالْوَالِدِ الرَّحِيمِ، وَتَغْفِرَ لَهُمْ جَهْلَهُمْ وَلاَ تُعَاجِلَهُمْ بِالعُقُوبَةِ وَتَشْكُرَ اللهَ عَلَى مَا آتَاكَ مِنَ القُوَّةِ عَلَيْهِمْ.

◄ ١٩ - حَقُّ الرَّعِيَّةِ بِالعِلْمِ

وَأَمَّا حَقُّ رَعِيَّتِكَ بِالعِلْمِ: فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَكَ لَهُمْ خَازِناً فِيمَا آتَاكَ مِنَ العِلْمِ، وَوَلاَّكَ مِنْ خِزَانَةِ الحِكْمَةِ، فإِنْ أَحْسَنْتَ فِيمَا وَلاَّكَ اللهُ مِنْ ذَلِكَ وقُمْتَ بِهِ

لَهُمْ مَقَامَ الخَازِنِ الشَّفِيقِ النَّاصِحِ لِمَوْلاهُ في عَبِيدِهِ، الصَّابِرِ المُحْتَسِبِ، الَّذِي إِذَا رَأَى ذَا حَاجَةٍ أَخْرَجَ لَهُ مِنَ الأمْوَالِ الَّتي فِي يَدَيهِ، كُنْتَ رَاشِداً، وَكُنْتَ لِذَلِكَ آمِلاً مُعْتَقِداً، وَإِلاَّ كُنْتَ لَهُ خَائِناً وَلِخَلْقِه ظَالِماً وَكَانَ حَقّاً عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَسْلُبَكَ العِلْمَ وَبَهَاءَهُ وَيُسْقِطَ مِنَ القُلُوبِ مَحَلَّكَ.

◄ ٢٠ - حَقُّ الزَّوْجَةِ

وَحَقُّ الزَّوْجَةِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَهَا لَكَ سَكَناً وَأُنساً، وَتَعْلَمَ أَنَّ ذَلِكَ نِعْمَة مِنَ اللهِ تَعَالَى عَلَيْكَ فَتُكْرِمَهَا وَتَرْفُقَ بِهَا، وَإِنْ كَانَ حَقُّكَ عَلَيْهَا أَوْجَبَ فَإِنَّ لَهَا عَلَيْكَ أَنْ تَرْحَمَهَا لأَنَّهَا أَسِيرُكَ، وَتُطْعِمَهَا وَتَكْسُوَهَا فَإِذَا جَهِلَتْ عَفَوْتَ عَنْهَا.

◄ ٢١ - حَقُّ المَمْلوكِ

وَحَقُّ مَمْلُوكِكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ خَلْقُ رَبِّكَ، وَٱبْنُ أَبِيكَ وَأُمِّكَ ولَحْمُكَ ودَمُكَ، لَمْ تَمْلِكْهُ لأَنَّكَ صَنَعْتَهُ دُونَ اللهِ تَعَالَى وَلاَ خَلَقْتَ شَيئاً مِنْ جَوَارِحِهِ وَلاَ أَخْرَجْتَ لَهُ رِزقاً، وَلَكِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ كَفَاكَ ذلِكَ ثُمَّ سَخَّرَهُ لَكَ، وَائْتَمَنَكَ عَلَيْهِ وَاسْتَوْدَعَكَ إِيّاهُ، لِيَحْفَظَ لَكَ مَا تَأْتِيهِ مِنَ الخَيْرِ إِلَيْهِ، فَأَحْسِنْ إِليهِ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ، وَإِنْ كَرِهْتَهُ ٱسْتَبْدَلْتَ بِهِ وَلَمْ تُعَذِّبْ خَلْقَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

و - حقوق الرَّحِمِ

◄ ٢٢ - حَقُّ الأم

فحقُّ أُمِّكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهَا حَمَلَتْكَ حَيْثُ لا يَحْمِلُ أَحَدٌ أَحداً وَأَطْعَمَتْك مِنْ ثَمَرَةِ قَلْبِهَا مَا لاَ يُطْعِمُ أَحَدٌ أَحداً، وأَنَّها وَقَتْكَ بِسَمْعِهَا وبَصَرِهَا، ويَدِهَا وَرِجْلِهَا، وشَعْرِهَا وَبَشَرِهَا، وَجَمِيعِ جَوَارِحِهَا، مُسْتَبْشِرَةً فَرِحَةً، مُحْتَمِلَةً لِمَا فِيهِ مَكْرُوهُهَا وَأَلَمُها وَثِقْلُهَا وَغَمُّهَا، حَتَّى دَفَعَتْهَا عَنْكَ يَدُ القُدْرَةِ وَأَخرَجَتْكَ إِلَى الأَرْضِ، فَرَضِيَتْ أَنْ تَشْبَعَ وتَجُوعَ هِيَ، وتَكْسُوَكَ وتَعْرى، وتَرْوِيَكَ وتَظْمَى، وتُظِلَّكَ وتَضْحَى، وتُنَعِّمَكَ بِبُؤْسِهَا وتُلَذِّذَكَ بِالنَّوْمِ بِأَرَقِها وَكَانَ بطْنُهَا لَكَ وِعَاءً وحِجرُهَا لَكَ حِوَاءً وَثَدْيُهَا لَكَ سِقَاءً، ونَفْسُهَا لَكَ وِقَاءً تُبَاشِرُ حَرَّ الدُّنْيَا وَبَرْدَهَا لَكَ وَدُونَكَ.

فَتَشْكُرَهَا عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ وَلاَ تَقْدِرُ عَلَيْهِ إلاَّ بِعَوْنِ اللهِ وتَوفِيقِهِ.

◄ ٢٣ - حَقُّ الأَبِ

وَحَقُّ أَبِيكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّكَ لَوْلاَهُ لَمْ تَكُنْ فَمَهْمَا رَأَيْتَ فِي نَفْسِكَ مَا يُعْجِبُكَ فَاْعْلَمْ أَنَّ أَبَاكَ أَصْلُ النِّعْمَةِ عَلَيْكَ فِيهِ، فَاحْمِدِ اللهَ وَاشْكُرْهُ عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ. وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بِاللهِ.

◄ ٢٤ - حَقُّ الوَلَدِ

وَحَقُّ وَلَدِكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ مِنكَ وَمُضَافٌ إِلَيْكَ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا بِخَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَأَنَّكَ مَسْؤُولٌ عَمَّا وَلِيتَهُ مِنْ حُسْنِ الأَدَبِ وَالدَّلاَلَةِ عَلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالمَعُونَةِ لَهُ عَلَى طَاعَتِهِ، فَاْعْمَلْ فِي أَمْرِه عَمَلَ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ مُثَابٌ عَلَى الإِحْسَانِ إِلَيْهِ مُعَاقَبٌ عَلَى الإِسَاءَةِ إِلَيْهِ.

◄ ٢٥ - حقّ الأخ

وأمّا حقُّ أخِيكَ: فتَعْلَمَ أنه يدُكَ الّتي تَبْسُطُها، وظَهْرُكَ الّذِي تَلْتَجِىءُ إِلَيْهِ، وعِزُّكَ الّذي تَعْتَمِد عليه، وقوّتُكَ الّتي تَصُولُ بها، فلاَ تتَّخِذْه سِلاحاً على معصيةِ الله، ولا عُدَّةً لِلظُّلْم بِحَقِّ الله، ولا تَدَعْ نُصْرَتَه على نفسِه، ومعونَتَه على عَدُوِّه، والحَوْلَ بَيْنَهُ وبينَ شَياطينِه، وتأديةَ النَّصيحَةِ إليه، والإقبالَ عليه في الله، فإن انْقادَ لِرَبِّه وأحْسَنَ الإجابَةَ له وإلاّ فَلْيَكُنِ اللهُ آثَرَ عِنْدَكَ وأكْرَمَ عَلَيْكَ منه.

ز - حقوق الناس

◄ ٢٦ - حَقُّ المُنعِم بالولاءِ

وَأَمَّا حَقُّ المُنْعِمِ عَلَيْكَ بِالوَلاءِ، فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ أَنْفَقَ فِيكَ مَالَهُ، وأَخْرَجَكَ مِنْ ذُلِّ الرِّقِّ وَوَحْشَتهُ إِلَى عِزِّ الحُرِّيَةِ وَأُنْسِها، فَأَطْلَقَكَ مِنْ أَسْرِ المُلْكَةِ، وَفَكَّ عَنْكَ حَلَقَ العُبُودِيَّةِ، وَأَوْجَدَكَ رَائِحَةَ العِزِّ، وَأَخرَجَكَ مِنْ سِجْنِ الْقَهْرِ، وَدَفَعَ عَنْكَ العُسْرَ، وبَسَطَ لَكَ لِسَانَ الإِنْصافِ، وَأَبَاحَكَ الدُّنْيا كُلَّها، فَمَلَّكَكَ نَفْسَكَ، وَحَلَّ أَسْرَكَ، وَفَرَّغَكَ لِعِبادَةِ رَبِّكَ، وَاحْتَمَلَ بِذلِكَ التَّقْصِيرَ في مَالِهِ. فتَعْلَمَ أَنَّهُ أَوْلَى

الْخَلْقِ بِكَ بَعْدَ أُولِي رَحِمِكَ فِي حَيَاتِكَ وَمَوْتِكَ، وَأَحَقُّ الخَلْقِ بِنَصْرِكَ ومَعُونَتِكَ، ومُكَاتَفَتِكَ فِي ذاتِ الله، فَلاَ تُؤْثِرْ عَلَيْهِ نَفْسَكَ ما احْتاجَ إِلَيْكَ.

◄ ٢٧ - حَقُّ المَولَى الجَارِيَة عَلَيْهِ نِعْمَتُكَ

وَأَمّا حَقُّ مَوْلاَكَ الجَارِيَةِ عَلَيْهِ نِعْمَتُكَ، فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ جَعَلَكَ حَامِيَةً عَلَيْهِ وَوَاقِيَةً وَنَاصِراً وَمَعْقِلاً، وَجَعَلَهُ لَكَ وَسِيلَةً وسَبَباً بَيْنَكَ وبَيْنَهُ فَبِالْحَرِيِّ أَنْ يَحْجُبَكَ عَنِ النّارِ فَيَكُونُ فِي ذَلِكَ ثَوابٌ مِنْهُ فِي الآجِلِ، وَيَحْكُمَ لَكَ بِميراثِهِ فِي العَاجِلِ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ رَحِمٌ، مُكافَأَةً لِمَا أَنْفَقْتَهُ مِنْ مَالِكَ عَلَيْهِ وَقُمْتَ بِهِ مِنْ حَقِّهِ بَعْدَ إِنْفاقِ مَالِكَ، فَإِنْ لَمْ تَخَفْهُ خِيفَ عَلَيْكَ أَنْ لاَ يَطِيبَ لَكَ مِيرَاثُهُ. وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِالله.

◄ ٢٨ - حَقُّ ذي المَعْرُوفِ

وَأَمَّا حَقُّ ذِي المَعْرُوفِ عَلَيْكَ، فَأَنْ تَشْكُرَهُ وَتَذْكُرَ مَعْرُوفَهُ وتَنْشرَ لَهُ المَقَالَةَ الحَسَنَةَ، وتُخْلِصَ لَهُ الدُّعَاءَ فِيما بَيْنَكَ وَبيْنَ اللهِ سُبحَانَهُ، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ كُنْتَ قَدْ شَكَرْتَهُ سِرّاً وَعَلانِيَةً. ثُمَّ إِنْ أَمْكَنَ مُكَافَأَتَهُ يَوْماً كَافَأْتَهُ، وَإِلاَّ كُنْتَ مُرْصِداً لَهُ مُوَطّناً نَفْسَكَ عَلَيْهَا.

◄ ٢٩ - حَقُّ المُؤَذِنِّ

وَأَمّا حَقُّ المُؤَذِّنِ: فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ مُذَكِرُكَ بِرَبِّكَ عَزّ وَجَلّ، وَدَاعٍ إِلَى حَظّكَ، وَعَوْنُكَ عَلَى قَضَاءِ فَرْضِ اللهِ عَلَيْكَ، فَاشْكُرْهُ عَلَى ذَلِكَ شُكْرَكَ لِلْمُحْسِنِ إِلَيْكَ.

◄ ٣٠ - حَقُّ الإِمَامِ

وَأَمّا حَقُّ إِمَامِكَ فِي صَلاتِكَ، فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ تَقَلَّدَ السِّفَارَةَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ رَبِّكَ عزَّ وجلَّ، وتَكَلَّمَ عَنْكَ وَلَمْ تَتَكَلَّمْ عَنْهُ، وَدَعَا لَكَ وَلَمْ تَدْعُ لَه، وطُلَبَ فِيك ولم تُطْلَبْ فيهِ. وَكَفاكَ هَوْلَ المُقَامِ بَيْنَ يَدَي اللهِ عزَّ وجلَّ، فَإِنْ كَانَ نَقْصٌ كَانَ عَلَيْهِ دُونَكَ، وَإِنْ كَانَ تَمَامٌ كُنْتَ شَرِيكَهُ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْكَ فَضلٌ، فَوقَى نَفْسَكَ بِنَفْسِه وَصَلاتَكَ بِصَلاتِهِ، فَتَشكُرَ لَهُ عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ.

◄ ٣١ - حَقُّ الجَلِيسِ

وَحَقُّ جَلِيسِكَ أَنْ تُلِينَ لَهُ جَانِبَكَ، وتُنْصِفَهُ في مُجَارَاةِ اللَّفْظِ وَلاَ تَقُومَ من

مَجْلِسِكَ إلاَّ بإذْنِهِ، وَمَنْ تَجْلِسُ إلَيْهِ يَجوزُ لَهُ القِيَامُ عَنْكَ بِغَيْرِ إذنِكَ، وَتَنْسَى زَلاَّتِهِ وَتَحْفَظ خَيْرَاتِهِ، وَلاَ تُسْمِعَهُ إلاَّ خَيْراً.

◄ ٣٢ - حَقُّ الجَارِ

وَحَقُّ جَارِكَ حِفْظُهُ غائِباً، وإكْرَامُهُ شَاهِداً، ونُصْرَتُهُ إذَا كَانَ مَظْلُوماً، وَلاَ تَتَبَّعْ لَهُ عَوْرَةً، فَإِنْ عَلِمْتَ عَلَيْهِ سُوءاً سَتَرْتَهُ عَلَيْهِ، وَإنْ عَلِمْتَ أَنَّهُ يَقْبَلُ نَصِيحَتَكَ نَصَحْتَهُ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، وَلاَ تُسَلِّمُهُ عِنْدَ شَدائِدِهِ، وَتُقِيلُ عَثَراتِهِ وَتَغْفِرُ ذَنْبَهُ، وَتُعَاشِرُهُ مُعَاشَرَةً كَرِيمَةً. وَلاَ تَدَّخِرِ حِلْمَكَ عَنْهُ إذَا جَهِلَ عَلَيْكَ، وَلاَ تَخْرُجُ أَنْ تَكُونَ سِلْماً لَه، تَرُدُّ عَنْهُ لِسَانَ الشَّتِيمَةِ وتُبْطِلُ فِيهِ كَيْدَ حَامِلِ النَّصِيحَةِ، وَلاَ حَوْلَ ولا قُوَّة إلاّ بالله.

◄ ٣٣ - حَقُّ الصَّاحِبِ

وَحَقُّ الصَّاحِبِ: أَنْ تَصْحَبَهُ بِالتَفَضُّلِ وَالإنْصَافِ، وتُكْرِمَهُ كَمَا يُكْرِمُكَ، ولاَ تَدَعَهُ يَسْبِقُ إلَى مَكْرُمَةٍ، فَإنْ سَبَقَ كَافَيْتَهُ. وَتُودُّهُ كَمَا يُودُّكَ، وَتَزْجُرُهُ عَمّا يَهْتَمُّ بِهِ مِنْ مَعْصِيَةٍ، وَكُنْ عَلَيْهِ رَحْمَةً وَلاَ تكُنْ عَلَيْهِ عَذَاباً. وَلاَ قُوَّةَ إلاّ بِالله.

◄ ٣٤ - حَقُّ الشَّرِيكِ

وَحَقُّ الشَّرِيكِ: فَإِنْ غَابَ كَفَيْتَهُ، وَإِنْ حَضَرَ رَعَيْتَهُ، وَلاَ تَحْكُمْ دُونَ حُكْمِهِ، وَلاَ تَعْمَلْ بِرَأْيِكَ دُونَ مُنَاظَرَتِهِ، وَتَحْفَظُ عَلَيْهِ مَالَهُ، وَلاَ تَخُنْهُ فِيمَا عَزَّ أَوْ هَانَ مِنْ أَمْرِهِ، فَإنَّ يَدَ اللهِ تبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى الشَّرِيكَيْنِ مَا لَمْ يَتخَاوَنَا، وَلاَ قُوَّةَ إلاّ بِاللهِ.

◄ ٣٥ - حَقُّ المَالِ

وَحَقُّ مَالِكَ فَأَنْ لاَ تَأْخُذَهُ إلاّ مِنْ حِلِّهِ، وَلاَ تُنْفِقَهُ إلاَّ فِي وَجْهِهِ، وَلاَ تُحْرِفَهُ عَنْ مَواضِعِهِ، وَلاَ تَصْرِفَهُ عَنْ حَقَائِقِه، وَلاَ تَجْعَلَهُ إذَا كَانَ مِنَ اللهِ إلاَّ إلَيْهِ، وَسَبَباً إلى اللهِ، وَلاَ تُؤْثِرَ بِهِ عَلَى نَفْسِكَ مَنْ لاَ يَحْمَدُكَ، فَاْعْمَلْ بِهِ بِطَاعَةِ رَبِّكَ، وَلاَ تَبْخَلْ بِهِ فَتَبوءَ بِالحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ مَعَ التَّبِعَةِ. وَلاَ قُوَّةَ إلاّ باللهِ.

◄ ٣٦ - حَقُّ الغَرِيمِ

وَحَقُّ غَرِيمِكَ الَّذِي يُطَالِبُكَ، فَإنْ كُنْتَ مُوسِراً أَعْطَيْتَهُ، وَلَمْ تَرْدُدْهُ وتَمْطُلْهُ،

فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «مَطَلُ الغَنِيِّ ظُلْمٌ». وَإِنْ كُنْتَ مُعْسِراً أَرْضَيْتَهُ بِحُسْنِ القَوْلِ، وَطَلَبْتَ إِلَيْهِ طَلَباً جَمِيلاً، وَرَدَدْتَهُ عَنْ نَفْسِكَ رَدّاً لَطِيفاً، وَلَمْ تَجْمَعْ عَلَيْهِ ذَهَابَ مَالِهِ وَسُوءَ مُعَامَلَتِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لؤمٌ وَلاَ قُوَّةَ إِلاّ بِاللهِ.

◄ ٣٧ - حَقُّ الخَلِيطِ

وَحَقُّ الخَلِيطِ[1] أَنْ لاَ تَغُرَّهُ وَلاَ تَغُشَّهُ وَلاَ تَخْدَعَهُ، وَتَتَّقِي اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَمْرِهِ. وَلاَ تُكَذِّبَهُ وَلاَ تُغْفِلَهُ، وَلاَ تَعْمَلَ فِي انْتِقَاصِهِ عَمَلَ العَدُوِّ الَّذِي لاَ يُبْقِي عَلَى صَاحِبِهِ، وَإِنِ اطْمَأَنَّ إِلَيْكَ اسْتَقْصَيْتَ لَهُ عَلَى نَفْسِكَ، وَعَلِمَت أَنَّ غُبْنَ المُسْتَرْسِلِ رِباً.

◄ ٣٨ - حقّ المدّعي

وَحَقُّ الخَصْمِ المُدَّعِي عَلَيْكَ، فَإِنْ كَانَ مَا يَدَّعِي عَلَيْكَ حَقّاً كُنْتَ شَاهِدَهُ عَلَى نَفْسِكَ وَلَمْ تَظْلِمْهُ وَأَوْفَيْتَهُ حَقَّهُ، وَإِنْ كانَ مَا يَدَّعِي بَاطِلاً رَفِقْتَ بِهِ، وَلَمْ تَأْتِ فِي أَمْرِهِ، وَلاَ قُوَّةَ إِلاّ بِاللهِ.

◄ ٣٩ - حَقُّ المُدّعى عَليهِ

وَأَمّا حَقُّ خَصْمِكَ الَّذِي تَدَّعِي عَلَيْهِ، إِنْ كُنْتَ مُحِقّاً فِي دَعْوَاكَ أَجْمَلْتَ مُقَاوَلَتَهُ وَلَمْ تَجْحَدْ حَقَّهُ. وَإِنْ كُنْتَ مُبْطِلاً فِي دَعْوَاكَ اتَّقَيْتَ الله عَزَّ وجلّ وَتُبْتَ إِلَيهِ وَتَرَكْتَ الدَّعْوَى. فَإِنَّ لِلدَّعْوى غِلظَةً فِي سَمْعِ المُدَّعَى عَليهِ، وَقَصَدْتَ قَصْدَ حُجَّتِكَ بِالرِّفْقِ، وَأَمْهِلِ المُهْلَةَ، وَأَبْيِنِ البَيانَ، وَأَلْطُفِ اللُّطْفَ، وَلَمْ تَتَشَاغَلْ عَنْ حُجَّتِكَ بِمُنَازَعَتِهِ بِالقيلِ وَالقَالِ، فَتذْهَبَ عَنْكَ حُجَّتُكَ وَلاَ يَكُونَ لَكَ فِي ذَلِكَ دَرَكٌ[2].

◄ ٤٠ - حَقُّ المُستَشير

أَمَّا حَقُّ المُسْتَشِيرِ إِنْ عَلِمْتَ لَهُ رَأْياً حَسَناً أَشَرْتَ عَلَيْهِ بِمَا تَعْلَمُ أَنَّكَ لَو كُنْتَ

---

(١) الخليط - على فعيل -: من المخالطة، وهي المصاحبة والمرافقة. ويطلق على الشريك والجار أيضاً.

(٢) الدرك - محركة -: إدراك الحاجة، والنبعة.

مَكَانَهُ عَمِلْتَ بِهِ، وَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي رَحْمَةٍ وَلِينٍ، فَإِنَّ اللِّينَ يُؤْنِسُ الوَحْشَةَ، وَإِنَّ الغِلْظَةَ تُوحِشُ مَوْضِعَ الأُنْسِ، وَإِنْ لَمْ يَحْضُرْكَ لَهُ رَأْيٌ وَعَرَفْتَ لَهُ مَنْ تَثِقُ بِرَأْيِهِ وَتَرْضَى بِهِ لِنَفْسِكَ دَلَلْتَهُ عَلَيهِ، وَأَرْشَدْتَه إِلَيْهِ فَكُنْتَ لَمْ تَأْلُهُ خَيْراً، وَلَمْ تَدَّخِرْهُ نُصْحاً، وَلاَ قُوَّةَ إلاّ بالله.

◄ ٤١ - حقُّ المُشِير

وَحقُّ المُشِيرِ عَلَيْكَ أَنْ لاَ تَتَّهِمَهُ فِيمَا لاَ يُوافِقُكَ مِنْ رَأْيِهِ إِذَا أَشَارَ عَلَيْكَ، فَإِنَّما هِيَ الآرَاءُ وَتَصرُّفُ النَّاسِ فِيهَا وَاخْتِلافُهُمْ، فَكُنْ عَلَيْهِ فِي رَأْيِهِ بِالخَيَارِ إِذَا اتَّهَمْتَ رَأْيَهُ، فَأَمَّا تُهْمَتُهُ فَلاَ تَجوزُ لَكَ إِذَا كَانَ عِنْدَكَ مَنْ يَسْتَحِقُّ المُشَاوَرَةَ، وَلاَ تَدَعْ شُكْرَهُ عَلَى مَا بَدَا لَكَ مِنْ إِشْخَاصِ رَأْيِهِ وَحُسْنِ وَجْهِ مَشُوْرَتِهِ، فَإِذَا وَافَقَكَ حَمِدْتَ اللهَ وَقَبِلْتَ ذَلِكَ مِنْ أَخِيكَ بِالشُّكْرِ وَالارْصادِ بِالمُكَافَأَةِ فِي مِثْلِهَا إِنْ فَزِعَ إِلَيْكَ، وَلاَ قُوَّةَ إلاّ بِالله.

◄ ٤٢ - حقُّ المُستَنصِح

وَحَقُّ المُسْتَنْصِحِ أَنْ تُؤدِّيَ إِلَيْهِ النَّصِيحَةَ، وَلْيَكُنْ مَذْهَبُكَ الرَّحْمَةَ لَهُ وَالرِّفْقَ بِهِ وَتُكَلِّمَهُ مِنَ الكَلامِ بِمَا يُطِيقُهُ عَقْلُهُ، فَإِنَّ لِكُلِّ عَقْلٍ طَبَقَةً مِنَ الكَلامِ يَعْرِفُهُ وَيَجْتَنِبُهُ.

◄ ٤٣ - حقُّ النّاصِح

وَحَقُّ النّاصِحِ أَنْ تَلِينَ لَهُ جَنَاحَكَ، وَتُصْغِيَ إِلَيْهِ بسَمْعِكَ، فَإِنْ أَتَى بِالصَّوابِ حَمِدْتَ اللهَ عزَّ وجلّ، وَإِنْ لَمْ يُوَفَّقْ رَحِمْتَهُ وَلَمْ تَتَّهِمْهُ، وَعَلِمْتَ أَنَّهُ أَخْطأَ، وَلَمْ تُؤاخِذْهُ بِذَلِكَ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مُسْتَحِقاً لِلتُّهْمَةِ، فَلاَ تَعْبأْ بِشَيءٍ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى حَالٍ، وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بالله.

◄ ٤٤ - حقُّ الكَبِير

وَحَقُّ الكَبِيرِ تَوْقِيرُهُ لِسِنِّهِ، وَإِجْلاَلُهُ فِي الإِسْلاَمِ قَبْلَكَ، وَتَرْكُ مُقَابَلَتِهِ عِنْدَ الخِصَامِ، وَلاَ تَسْبِقُهُ إِلى طرَيقٍ، وَلاَ تَتَقَدَّمُهُ، وَلاَ تَسْتَجْهِلُهُ وَإِنْ جَهِلَ عَلَيْكَ احْتَمَلْتَهُ وَأَكْرَمْتَهُ لِحَقِّ الإِسْلاَمِ وَحُرْمَتِهِ، فَإِنَّمَا هِيَ حَقُّ السِّنِّ بِقَدْرِ الإِسْلاَمِ، وَلاَ قُوَّةَ إلاّ بالله.

◄ ٤٥ - حقُّ الصّغيرِ

وَحَقُّ الصَّغِيرِ رَحْمَتُهُ فِي تَعْلِيمِهِ، وَالعَفْوُ عَنْهُ وَالسَتْرُ عَلَيْهِ، وَالرِّفْقُ بِهِ، وَالمَعُونَةُ لَهُ، وَالسترُ عَلى جَرائِرِ حَدَاثَتِهِ فَإِنَّهُ سَبَبٌ لِلتَّوْبَةِ، وَالمُدَارَاةُ لَهُ، وَتَرْكُ مُماحَكَتِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى لِرُشْدِهِ.

◄ ٤٦ - حَقُّ السائِلِ

وَحَقُّ السّائِلِ: إِعْطَاؤُهُ عَلَى قَدْرِ حَاجَتِهِ، وَالدُّعَاءُ لَهُ فِيمَا نَزَلَ بِه، وَالمُعَاوَنَةُ لَهُ عَلَى طَلِبَتِهِ، وَإِنْ شَكَكْتَ فِي صِدْقِهِ وَسَبَقَتْ إِلَيْهِ التُّهْمَةُ وَلَمْ تَعْزِمْ عَلَى ذَلِكَ، لَمْ تَأْمَنْ أَنْ يَكُونَ مِنْ كَيدِ الشَّيطَانِ، أَرَادَ أَنْ يَصُدَّكَ عَنْ حَظّكَ ويَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ التَّقَرُّبِ إِلى رَبِّكَ، تَرَكْتَه بِسَتْرِهِ وَرَدَدْتَهُ رَدّاً جَمِيلاً، وَإِنْ غَلَبْتَ نَفْسَكَ فِي أَمْرِهِ وَأَعْطَيْتَهُ عَلَى مَا عَرَضَ فِي نَفْسِكَ مِنْهُ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ.

◄ ٤٧ - حقّ المسؤول

وأمّا حَقُّ المسؤُولِ فَحَقُّه إن أعطى قُبِلَ منه ما أعطى بالشّكرِ له، والمعرِفَةِ لِفَضلِه، وطَلَبِ وجْهِ العُذْرِ في مَنْعِه وأحسِنْ بِهِ الظَّنَّ، واعْلَم أنّه إنْ مَنَعَ فمالَه مَنَعَ، وأنْ لَيْسَ التثرِيبُ في مالِه، وإنْ كانَ ظالِماً فإنَّ الإنْسانَ لَظَلُومٌ كَفّار.

◄ ٤٨ - حَقُّ مَنْ سَرّكَ

وَحَقُّ مَنْ سَرَّكَ للهِ تَعَالَى أَنْ تَحْمَدَ الله عَزَّ وَجلّ أَوّلاً، ثُمَّ تَشْكُرَهُ عَلَى ذَلِكَ بِقَدْرِهِ فِي مَوْضِعِ الجَزاءِ، وَكَافَأْتَهُ عَلَى فَضلِ الابْتِدَاءِ، وَأَرْصَدْتَ لَهُ المُكَافَأَةَ إِنْ لَمْ تَعَمَّدَهَا لَكَ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ تَعَمَّدَهَا حَمِدْتَ الله أَوّلاً ثُمَّ شَكَرْتَهُ، وَعَلِمْتَ أَنَّهُ مِنّةٌ تَوَحَّدَكَ بِهَا، وَأَحْبَبْتَ هَذَا إِذَا كَانَ سَبَباً مِنْ أَسْبَابِ نِعَمِ اللهِ عَلَيْكَ، وَتَرْجُو بَعْدَ ذَلِكَ خيراً، فَإِنَّ أَسْبابَ النِّعَمِ بَرَكَةٌ حَيْثُمَا كَانَتْ.

◄ ٤٩ - حَقُّ من أساء القضاء

وأمّا حقُّ مَنْ ساءَكَ القَضاءُ عَلى يَدَيْهِ بقَوْلٍ أو فِعْلٍ، فَإِنْ كان تَعَمَّدَها كانَ العَفْوُ أَوْلى بِكَ لِما فيهِ له مِنَ القَمْعِ وحُسْنِ الأَدَبِ مَعَ كَثِيرِ أَمْثالِه مِنَ الخَلْقِ، فَإِنَّ

الله يقوُلُ: ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ - إلى قوله -: ﴿لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [الشورى: 41 و43] وقالَ عزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابرينَ﴾ [النحل: 126] هذا في العَمْدِ فإنْ لَمْ يكُنْ عَمْداً لَمْ تَظْلِمْهُ بِتعمُّدِ الانْتِصارِ مِنه فتكونَ قَدْ كافَأتَهُ في تَعَمُّدٍ على خَطَأ، ورَفِقْتَ بِهِ وَرَدَدْتَهُ بِألْطَفِ ما تَقْدِرُ عَلَيْهِ، ولا قوَّةَ إلاّ بالله.

◄ ٥٠ - حقُّ أهلِ المِلَّةِ

وَحَقُّ أَهْلِ مِلَّتِكَ إِضْمَارُ السَّلامَةِ وَالرَّحْمَةِ لَهُم، وَالرِّفْقُ بِمُسِيئِهِمْ وَتَأَلُّفُهُمْ وَاسْتِصْلاحُهُمْ، وَشُكْرُ مُحْسِنِهِمْ وَكَفُّ الأَذَى عَنْهُمْ، وَتُحِبُّ لَهُمْ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَتكْرَهُ لَهُمْ مَا تكْرَهُ لِنَفْسِكَ، فَعُمَّهُمْ جَمِيعاً بِدَعْوَتِكَ وَانْصُرْهُمْ جَمِيعاً بِنُصْرَتِك وَأَنْزِلْهُمْ جَمِيعاً مَنَازِلَهُمْ، كَبِيرُهُمْ بِمَنْزِلَةِ الوَالِدِ وَصَغِيرُهُمْ بِمَنْزِلَةِ الوَلَدِ، وَأَوْسَطُهُمْ بِمَنْزِلَةِ الأَخِ. فَمَنْ أَتَاكَ تَعاهَدتَهُ بِلُطْفٍ ورَحْمَةٍ، وَصِلْ أَخاكَ بِمَا يَجِبُ لِلأَخِ عَلَى أَخِيهِ.

◄ ٥١ - حَقُّ أهلِ الذِّمَّةِ

وَأَمَّا حَقُّ أَهْلِ الذِّمَّةِ: أَنْ تَقْبَلَ مِنْهُمْ مَا قَبِلَ اللهُ عزَّ وجلَّ مِنْهُمْ، وَلاَ تَظْلِمَهُم مَا وَفوا الله عزَّ وجلَّ بِعَهْدِهِ، وَكَفَى بِمَا جَعَلَ اللهُ لَهُمْ مِنْ ذِمَّتِه وَعَهْدِهِ، وتكِلَهُمْ إِلَيهِمْ فِيمَا طَلَبُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَتَحْكُمَ فِيهِمْ بِمَا حَكَمَ اللهُ بِهِ عَلَى نَفْسِكَ فِيمَا جَرَى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُم مِنْ مُعَامَلَةٍ، وَلْيَكُنْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ظُلْمِهِمْ مِنْ رِعَايَةِ ذِمَّةِ اللهِ وَالوَفَاءِ بعَهْدِهِ وَعَهْدِ رَسُولِهِ حَائِلٌ، فَإِنَّهُ بَلَغَنَا أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ ظَلَمَ مُعاهِداً كُنْتُ خَصْمَهُ» فَاتَّقِ الله، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاّ بِالله.

الحسين مع أصحابه في كربلا

قال أرباب السير والمقاتل: ولما نَزَل الحسين عليه السلام كربلا، جمع أصحابَه وأهلَ بيته، وقام فيهم خطيباً، وقال - بعد أن حَمِدَ الله وأثنى عليه-:

«أما بعد، فانّه قد نَزل بنا من الأمر ما قد تَرون، وإنّ الدنيا قد تغيّرتْ، وتنكرتْ، وأدبر معروفُها، واستمرّتْ حذّاء، ولم يَبقَ منها إلا صُبابةٌ كصبابة الإناء، وخسيسُ عيشٍ كالمرعى الوَبيل، ألا تَرون إلى الحق لا يُعمل به، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه؟ ليرغبَ المؤمن في لقاء ربه مُحقّاً، فاني لا أرى الموتَ إلا سَعادة، والحياةَ مع الظالمين إلا بَرماً»(١).

فقام إليه من بين أصحابه زُهيرُ بن القَين البجَلي، وقال: «قد سَمعنا - يا ابنَ رسول الله - مقالتَك، ولو كانت الدنيا لنا باقية وكنّا فيها مُخلّدينَ لآثرنا النهوضَ معك على الإقامة فيها»(٢).

وقامَ من بعده نافعُ بن هلال الجمَلي(٣) فقال: «والله، ما كرِهنا لقاءَ ربنا،

---

(١) اللهوف لابن طاووس: ص٣٣ طبع النجف، وتاريخ الإسلام للذهبي: ج٢ ص٣٤٥، وحلية الأولياء لابي نعيم: ج٢ ص٣٩، وتاريخ ابن عساكر: الجزء المستل منه الخاص بريحانة الرسول صلى الله عليه وآله: ص٢١٤ ط بيروت بتحقيق المحمودي، ومجمع الزوائد للهيثمي: ج٩ ص١٩٢ الطبعة الثانية، وذخائر العقبى لمحب الدين الطبري: ص١٤٩، والعقد الفريد للأندلسي: ج٤ ص٣٨٠ الطبعة الثانية بالقاهرة، ومقتل الخوارزمي: ج٢ ص٥ طبع النجف، والاتحاف بحب الاشراف للزبيدي: ج١٠ ص٣٢٠ طبع مصر، وغيرها كثير.
قوله عليه السلام: «واستمرت حذاء» - بالتشديد على فعلاء -: مشتق من الحذوة والحذاوة، وهي ما يسقط من الجلود حين تبشر وتقطع مما يرمى به. وقوله: «المرعى الوبيل» أي الوخيم المتعفن. وقوله «البَرم» - بالتحريك -: والتبرم أيضاً، معناه السأم والضجر.

(٢) اللهوف لابن طاووس: ص٣٣، ولواعج الاشجان للسيد الأمين: ص٩٠ طبع النجف.

(٣) هكذا في عامة المصادر التاريخية - من الفريقين - ولكن في (اللهوف) و (مقتل الخوارزمي) و (البحار): «هلال بن نافع» والصحيح كما في الأصل.

وإنّا على نيّاتنا وبَصائرنا، نوالي مَن والاك، ونعادي مَن عاداك»[١].

ثم قامَ بُريرُ بن خُضير الهمدَاني، فقال: «والله - يا ابن رسول الله - لقد منّ الله تعالى بك علينا أن نقاتل بين يديك، تُقطَعّ فيك أعضاؤنا، ثم يكون جدُّك شفيعنا يومَ القيامة»[٢].

وتكلّم بقيةُ أصحاب الحسين عليه السلام بهذه ونحوه من الكلام. فجزّاهم الحسين خيراً.

الحسين يكتب إلى بني هاشم من كربلا

وكتب عليه السلام حين نزوله (كربلاء) إلى أخيه محمّد بن الحنفية وجماعة من بني هاشم في المدينة كتاباً بنسخةٍ واحدة، جاءَ فيه:

---

(١) هكذا في (اللهوف) وغيره من المصادر الكثيرة، وفي (مقتل الخوارزمي: ج٢ الفصل الحادي عشر) كما في (مقتل العوالم للبحراني: ص٧٦) يذكر قبل هذه الجملة هكذا «... أنت تعلم أن جدك رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقدر أن يشرب الناس محبته، ولا أن يرجعوا إلى ما كان أحب، وقد كان منهم منافقون يعدونه بالنصر ويضمرون له الغدر، يلقونه بأحلى من العسل، ويخلفونه بأمر من الحنظل، حتى قبضه الله تبارك وتعالى إليه، وان أباك علياً - صلوات الله عليه - قد كان في مثل ذلك، فقومٌ قد أجمعوا على نصرته وقاتلوا معه الناكثين والقاسطين والمارقين، وقوم قعدوا عنه وخذلوه، حتى أتاه أجله، فمضى إلى رحمة الله ورضوانه وروحه وريحانه.
وأنت - اليوم - يا ابن رسول الله - على مثل تلك الحالة، فمن نكث عهده، وخلع بيعته، فلن يضر إلاّ نفسه، والله تبارك وتعالى مغن عنه، فسر بنا - يا بن رسول الله راشداً معافى، مشرّقاً - ان شئتَ أو مغرّبا. فوالله الذي لا اله إلا هو، ما أشفقنا من قدر الله، ولا كرهنا لقاءَ ربنا...».

(٢) هكذا في (اللهوف ص٣٣) وفي كثير من السير والمقاتل. غير أن الخوارزمي في (مقتله: ج١ الفصل الحادي عشر) يذكر تكملة لهذا الكلام هكذا «... فلا أفلح قوم ضيعوا ابن بنت نبيهم، أفٌ لهم غداً ما يلاقون، سيُنادون بالويل والثبور في نار جهنم، وهم فيها خالدون».

«أما بعدُ، فكأنّ الدنيا لمْ تكن، وكأنّ الآخرةَ لم تَزل والسلام»[١].

الحر يكتب إلى ابن زياد بنزول الحسين بكربلاء

وبعَث الحرَّ بن يزيد الرّياحي إلى ابن زياد كتاباً يُخبره فيه بنزول الحسين (كربلا) فكتب ابنُ زياد إلى الحسين كتاباً جاءَ فيه: «أما بعدُ، يا حسين فقد بلغني نزولك بكربلا، وقد كتبَ إليّ أميرُ المؤمنين يزيد أن لا أتوسّد الوَثير، ولا أشبع من الخمير، أو ألحقَك باللّطيف الخبير، أو تَنزل على حكمي وحكم يزيد والسلام».

فلما ورَد كتابُه على الحسين عليه السلام وقَرأه، رماه من يده، ثم قال: «لا أفلح قومٌ اشتَروا مَرضاةَ المخلوق بسخط الخالق».

وطالبه الرسول بجواب الكتاب. فقال عليه السلام: «ماله عندي جواب لأنه حقّتْ عليه كلمةُ العذاب» فرجع الرسول إلى ابن زياد، فأخبَره بمقالة الحسين، فاشتدّ غضبُه، وأخذ يتَيهأ لحرب الحسين ومناظرته»[٢].

عمر بن سعد يقود الجيش لحرب الحسين

قال أربابُ السِّيَر: وكان ابن زياد قد بعث عمرَ بنَ سعد - قُبيل شهر المحرّم -

---

(١) كامل الزيارات لابن قولويه: باب ٢٣ ص٧٥ طبع إيران حجري.
وجاء في (كشكول الشيخ البهائي: ج٢ ص٩١) طبع مصر: «ان الحسين عليه السلام فور نزوله أرض (كربلا) بعث على أهالي (نينوى والغاضريات) واشترى منهم تلك النواحي المحيطة بقبر بستين ألف درهم، وتصدق بالأراضي عليهم، واشترط عليهم أن يُرشدوا إلى قبره، ويُضيفوا زواره ثلاثة أيام، وكان حَرم الحسين الذي اشتراه (أربعة أميال في أربعة أميال) فهو حلال لولده ومواليه، وحرام على غيرهم ممن خالفهم».

(٢) مقتل الخوارزمي: ج١ الفصل الحادي عشر، وبحار المجلسي: ٤٤ص٣٨٤ طبع طهران الجديد، ومقتل العوالم للبحراني، ولواعج الأشجان للأمين: ص٩٣ طبع النجف.

قائداً على أربعة آلاف إلى (ثغر دستبي) لأن (الدَيلم) قد غلبُوا عليها، وكتب له عهداً بولاية (الريّ وثغردستَبي والدَيلم) فعسكر ابنُ سعد في (حمّام أَعين)(١).

فلمّا كان من أمر الحسين عليه السلام ما كان دعاه ابنُ زياد، وقال له: سِرْ إلى الحسين، فإذا فرغنا مما بيننا وبينَه سرتَ إلى عملك.

فاستَعفاه عمرُ بن سعد من ذلك. فقال ابن زياد: نعم على أن تردّ لنا عهدَنا الذي كتبناه لك.

فلما قال له ذلك استَمهله ابنُ سعد يوماً، لينظر في الأمر ويأتيه بالجواب في اليوم الثاني.

فظلّ طِوالَ ذلك اليوم بليلته يستثير نصحاءَه، فكلهم نهاه عن الإقدام على حرب الحسين عليه السلام. وممن أتاه ابن أخته حمزة بن المغيرة بن شعبة لما سمع بذلك، فقال له - مما قال - «أنشدك الله أن لا تسير إلى الحسين، فتأثم وتقطع رحمك، فوالله لئن تخرج من دنياك ومالك وسلطان الأرض كلّها خيرٌ لك من أن تلقىَ الله بدم الحسين ابن فاطمة».

فقال ابنُ سعد: أفعل وبات ليلتَه تلك قلقاً مفكراً في أمره وسُمِعَ في اخريات الليل - وهو يقول:

أأترك مُلْكَ الرّي، والريّ منيتي   أم أرجع مأثوماً بقتل حسينِ

---

(١) الرّي - بتشديد الراء - من بلاد فارس، لم تكن مدينة الشرق أعمر منها، وان كانت نيسابور أكبر رقعة منها، وهي عجيبة في الحسن والجمال.
و(دستبي - بالفتح فالسكون فالفتح)، كورة كبيرة كانت مقسومة بين الري وهمذان، فقسم منها يسمى (دستبي الرازي) وهو يقارب التسعين قربة، وقسم منها يسمى (دسبتي همذان) وهو عدة قرى، و(الديلم بالفتح فالسكون -: جيلٌ من الناس، سمّوا بأرضهم في قول بعض أهل الأثر. وديلم: إسم ماء لأهل عبس. . . وحمّام أعين - بالتشديد -: بالكوفة منسوب إلى أعين - بفتح الياء - مولى سعد بن أبي وقاص، وذكر هذا المكان في الأخبار مشهور. - عن معجم البلدان للحموي باقتضاب -.

وفي قتله النار التي ليس دونها   حجابٌ ومُلكُ الري قُرَّةُ عيني[١]

وعند الصّباح أتى ابنُ زياد، فقال له: «أيّها الأمير، إنّك قد ولّيتني هذا العمل[٢] وسمع به الناس، فان رأيتَ أن تُنفذه لي فافعل وتبعث إلى قتال الحسين من أشراف الكوفة مَن لستُ أغنى في الحرب منه وسمّى له أناساً.

فقال له ابنُ زياد: لستُ أستأمرك في مَن أريد أن أبعث فان سرت بجندنا، وإلاّ فابعث إلينا بعهدنا.

قال ابنُ سعد: فاني سائرٌ إليه غداً. فأقبل في أربعة آلاف حتى نزل بالحسين من الغد، أي في اليوم الثالث من المحرّم[٣].

---

(١) مقتل الخوارزمي: ج١ الفصل الحادي عشر، ونهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤٢٥، وتاريخ الطبري ج٥ ص٤٠٩ ط دار المعارف، والكامل لابن الأثير: ج٣ ص٢٨٣ طبع بيروت، والأخبار الطوال للدينوري: ص٢٥١، ومرآة الجنان لليافعي: ج١ ص. ١٣٢ وفي بعض المصادر يذكر أكثر من هذين البيتين، ففي مناقب ابن شهر آشوب: ج٤ ص٩٨ طبع قم يذكر لهما بيتاً أولاً وهو:

فوالله ما أدري وإني لواقف   أفكر في أمري على خطرين

(٢) يقصد: ولاية الري والديلم وثغر دستبي.

(٣) أنساب الأشراف للبلاذري: ج٣ ص١٧٧ طبع بيروت، وتاريخ الطبري: ج٥ ص٤١٠ طبع دار المعارف بالقاهرة، والكامل لابن الأثير: ج٣ ص٢٨٣ طبع بيروت، ومقتل الخوارزمي: ج١ ص٢٤٠ طبع النجف، وفيه تفصيل للقصة أوسع.

قال المؤرخون: وانضم إلى ابن سعد الحر بن يزيد الرياحي، فصار ابن سعد في خمسة آلاف فارس، فكانت أول راية خرجت لحرب الحسين من الكوفة، ثم أخذ ابن زياد يُجمّع الكتائب خارج الكوفة ليعرضهم وينفّرهم إلى حرب الحسين، قال الطّرمّاح للحسين - حينما التقى به قريباً من كربلاء - «وقد رأيت قبل خروجي من الكوفة إليك بيوم ظَهر الكوفة وفيه من الناس ما لم ترَ عيناي في صعيد واحد جمعاً أكثرَ منه، فسألت عنهم، فقيل: اجتمعوا ليعرضوا ثم يُسرّحون إلى الحسين» - عن الطبري: ج٥ ص٤٠٦ طبع دار المعارف بالقاهرة -.

ابن سعد يبعث إلى الحسين من يسأله عن قدومه

وفي اليوم الثاني من نزول ابن سعد (كربلاء) أراد أن يبعث إلى الحسين رسولاً ليسأله: ما الذي جاء به إلى هذا الموضع؟ فعرض ذلك على جماعة من الرؤساء - منهم عزرةُ بن قيس الأحمسي(١) - فكلهم أبى ذلك استحياءً من الحسين لأنهم كاتبوه.

فقام إليه كثَيرُ بنُ عبد الله الشعبي - وكان فارساً شجاعاً ليس يَرد وجهَه شيء(٢) - فقال: أنا أذهب إليه، وان شئتَ لأفتكنّ به.

فقال ابن سعد: ما أريد أن تفتك به، ولكن آته فَسله: ما الذي جاءَ به؟.

فأقبل كُثير، فلمّا رآه أبو ثمَامة الصائدي(٣) قال للحسين:

«أصلحك الله يا أبا عبد الله، جاءَك شرّ أهل الأرض، وأجرأهم على دم، وأفتكهم».

فقامَ إليه أبو ثَمامة وقال له: ضعْ سيفَك.

قال كثير: لا والله ولا كرامة إنّما أنا رسول، فان سمعتم مني بلغتكم ما أرسلتُ به إليكم، وإلا انصرفتُ عنكم.

---

(١) في إرشاد المفيد وبعض المصادر (عروة) بدل (عزرة) ولعلّ ما في الأصل هو الأصح.

(٢) وزاد الخوارزمي في مقتله ج١: «وكان شديدَ العداوة لأهل البيت عليهم السلام».

(٣) هو عمرو بن عبد الله المكنى بأبي ثمامة الصائدي من بني صائد، بطن من همدان. وكان عمرو هذا من فرسان العرب ووجوه الشيعة، ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة الذي شهدوا معه جميع مشاهده وحروبه، وبعده صحب الإمام الحسن عليه السلام، وبقي في الكوفة إلى هلاك معاوية واستخلاف يزيد، فكان من طليعة المعارضين لخلافة يزيد، ومن وجهاء الشيعة الذين اجتمعوا في دار سليمان بن صرد الخزاعي الذين كاتبوا الحسين عليه السلام بالمجيء إليهم. ولما ورد مسلم بن عقيل الكوفة كان من مقدمي أعوانه وأنصاره، وصار يقبض الأموال من الشيعة ويشتري بها سلاحاً وعدة. ولما تفرق الناس عن مسلم وخذلوه، اختفى عن الأنظار، وصار ابن زياد يلاحقه مع عموم الشيعة، فخرج إلى الحسين متخفياً ومعه نافع بن هلال الجملي. فالتحقا بالحسين في أثناء الطريق وصارا معه حتى نزلا كربلا، واستشهدا بين يديه (منه قدس سره).

قال له أبو ثمامة: فآخذُ بقائم سيفك ثم تكلّم بحاجتك؟.

قال كثير: لا ولا تمسّه.

قال أبو ثُمامة: أخبرني بما جئت به وأنا أبلّغه عنك ولا أدعك تدنو منه، فانك فاجر.

فعند ذلك استبّا، ورجع كثير إلى ابن سعد فأخبره الخبر.

فدعا ابن سعد: قُرَّةَ بن قيس الحنظلي، وقال له: ويحك يا قرة، إلقَ حسيناً فسله عما جاء به وماذا يريد؟

فجاء قرةُ نحوَ الحسين، فلما رآه مقبلاً، التفت إلى أصحابه وقال: أتعرفون هذا؟

فقال حبيبُ بن مظاهر: هذا رجل من حنظلة تميم، وهو ابن أختنا، ولقد كنت أعرفه بحسن الرأي، وما كنت أراه يشهد هذا المشهد.

فجاءَ وسلّم على الحسين، وبلّغه رسالةَ عمر بن سَعْد.

فقال الحسين: كتبَ إليّ أهل مصركم: أن اقدم، فأما إذا كرهتموني فاني أنصرف عنكم من حيث جئت:

والتفت حبيب إلى الرسول وقال له: ويحك يا قرّة، أين ترجع إلى القوم الظالمين، أنصر هذا الرجل الذي بآبائه آتاك الله الكرامة.

فقال له قرّة: أرجع إلى صاحبي بجواب رسالته وأرى رأيي.

ثم انصرف إلى ابن سعد فأخبره الخبر. فقال ابن سعد: أرجو أن يُعافيني الله من أمره.

وكتب إلى ابن زياد بذلك كتاباً جاءَ فيه: «أما بعد فاني حيث نزلت بالحسين ابن علي بعثتُ إليه رسولي، فسألته عمّا أقدمه وماذا يطلب؟ فقال: كتب إليّ أهل هذه البلاد، وأتتني رسلهم يسألوني القدوم ففعلت، فأمّا إذا كرهوني وبدا لهم غير ما أتتني به رسلهُم فأنا منصرفٌ عنهم».

فلما قرأ ابنُ زياد الكتابَ أنشد:

الآن إذ علقتْ مخالبُنا به يرجو النجاةَ ولاتَ حين مناص

وكتب إلى ابن سعد كتاباً جاءَ فيه:

«أمّا بعد، فقد بلغَني كتابُك، وفهمتُ ما ذكرتَ، فأعرض على الحسين أن يُبايع ليزيد بن معاوية هو وجميع أصحابه، فإذا فعل ذلك رأينا فيه رأينَا والسلام»(١).

فلمّا وصل الكتاب إلى عمر بن سعد قال: قد حسبتُ أن لا يقبل ابن زياد العافية.

ولم يَعرض ابنُ سعد على الحسين عليه السلام بيعة يزيد لأنه علم أن الحسين لا يُجيبه إلى ذلك أبداً(٢).

طَمِعتْ أن تسومه القومُ ضيماً ... وأبى الله والحسامُ الصَّنيعُ
كيف يلوي على الدنية جيداً ... لسوى الله ما لواه الخضوع
فأبى أن يعيش إلاّ عزيراً ... أو تجلّى الكفاح وهو صريع
فتلقى الجموعَ فرداً ولكن ... كلُّ عضو في الروْع منه جمُوع(٣)

ابن زياد ينفر الناس لحرب الحسين

قالوا: ثم جمع ابنُ زيادٍ الناسَ في جامع الكوفة، ثم خرج وصعد المنبر، وقال - بعد أن حمد الله وأثنى عليه -:

«أيّها الناس، إنكم قد بلوتم آل أبي سفيان فوجدتُموهم كما تُحبّون، وهذا

(١) نهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤٢٧ ط القاهرة، وإرشاد المفيد: ص٢١١ طبع إيران، وأنساب الأشراف: ج٣ ص١٧٧ طبع بيروت، وتاريخ الطبري: ج٥ ص٤١١ طبع دار المعارف بالقاهرة، والكامل لابن الأثير: ج٣ ص٢٨٣ طبع بيروت، ومناقب بن شهر آشوب: ج٤ ص٩٧ طبع قم، وفي آخر الكتاب «وان أبى فأتني به».
(٢) مقتل الخوارزمي: ج١ الفصل الحادي عشر.
(٣) أبيات من قصيدة عصماء لشاعر أهل البيت عليهم السلام السيد حيدر الحلي، مطلعها:
قد عهدنا الربوع وهيْ ربيع ... اين لا أين أنسُها المجموع

أمير المؤمنين يزيد قد عرفتمُوه حسن السيرة، محمودَ الطَّريقة، ميمونَ النقيبة، مُحسناً إلى الرّعية، يُعطي العطاءَ في حقه، وقد أمِنت السبُلُ على عهده، وأطفئت الفتنُ بجهده، وكذلك كان أبوه معاوية في عصره، وهذا ابنُه يزيد من بعده يُكرم العباد، ويُغنيهم بالأموال، ويزيدهم بالكرامة، وقد زادكم في أرزاقكم مائة مائة، وأمرني أن أوفّرها عليكم، وآمركم أن تخرجوا إلى حرب عدوّه الحسين بن علي، فاسمعوا له وأطيعوا».

ثم نزل عن المنبر ووفّر للناس العطاء، ونادى فيهم بالخروج إلى عمر بن سعد والالتحاق بجيشه ليكونوا عوناً له في قتل الحسين عليه السلام [(١)].

عدد الجيش المحارب للحسين

فعند ذلك خرَج شمرُ بن ذي الجوش السلولي في أربعة آلاف[(٢)] والحصينُ ابن نمير السكوني في أربعة آلاف[(٣)] ومضَايرُ بن رهينة في ثلاثة آلاف[(٤)] وكعبُ بن

(١) مقتل الخوارزمي: ج١ الفصل الحادي عشر، والأخبار الطوال للدينوري: ص٢٥٣.
وقال بعض أرباب السير: إن ابن زياد خرج بعد ذلك إلى (النخيلة) وعسكر فيها، واستخلف على الكوفة من قبله عمرو بنَ حريث، وأخذ يحفز الناس إلى الالتحاق بعمر بن سعد وصدر إنذاراً عاماً نودي به في سكك الكوفة ونواحيها هذا نصه «لا يبقى رجل من العرفاء والمناكب والتجار والسكان إلا خرج فعسكر معي، وأيّما رجل وجدناه بعد يومنا هذا متخلفاً عن المعسكر إلا برئت الذمة منه» - كما عن أنساب الأشراف للبلاذري: ج٣ ص١٧٨ طبع بيروت -.

وقال البلاذري، في الأنساب - بعد هذا -: «ثم ان ابن زياد أمر القعقاع بن سويد بن عبد الرحمان المنقري بالتطواف بالكوفة في خيل، فوجد رجلاً من همدان قد قدم يطلب ميراثاً له بالكوفة، فأتي به ابن زياد، فقتله، فلم يبق بالكوفة محتمل إلا خرج إلى المعسكر بالنخيلة».

(٢) مناقب ابن شهر آشوب: ج٤ ص٩٨ طبع قم، ومقتل الخوارزمي: ج١ الفصل الحادي عشر.

(٣) نفس المصدرين الآنفي الذكر، مع الأنساب للبذلاري ج٣ ص١٧٨ طبع بيروت.

(٤) مناقب ابن شهر آشوب، ومقتل الخوارزمي - كما سبق -.

طلحة في ثلاثة آلاف[١] ويزيدُ بن الركاب في ألفين[٢] ونصرُ بن حرشة في ألفين[٣] وحجارُ بن أبجر العجلي في ألف، وشبث بن ربعي في ألف[٤] فصار ابنُ سعد في خمسة وعشرين ألفاً[٥].

وما زال ابنُ زياد رابضاً في (النُخيلة) يُرسل العساكر إلى ابن سعد حتى تكامل عنده في اليوم السادس من المحرّم ثلاثونَ ألفاً بين فارس وراجل - كما جاءَت بذلك الرواية عن الإمام زين العابدين عليه السلام - فانه قال: «لا يوم كيوم الحسين، ازدلف إليه ثلاثون ألف رجل يزعمون أنهم من هذه الأمة، كلٌّ يتقرّب إلى الله بدمه، وهو بالله يذكرهم فلا يتعظون حتى قتلوه بغياً وظلماً وعدواناً».

وعن الإمام الصادق عليه السلام: أنه قال: «دخلَ الحسين - يوماً - على أخيه الحسن، فلمّا نظر إليه بكى، فقال الحسن: ما يُبكيك يا أبا عبد الله؟ قال: أبكي لما يُصنَع بك. فقال الحسن عليه السلام: ان الذي يُؤتى إليّ سُمٌ فاقتل به. ولكن لا يومَ كيومك يا أبا عبد الله، يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل، يدَّعون أنهم من أمة جدك محمّد صلى الله عليه وآله وينتحلون دينَ الإسلام، فيجتمعون على قتلك وسفك دمك وانتهاك حرمتك وسبي ذراريك ونسائك وانتهاب ثقلك»[٦].

---

(١) مناقب ابن شهر آشوب: ج٤ ص٩٨.
(٢) المناقب، ومقتل الخوارزمي - كما سبق - وكذلك أنساب الأشراف.
(٣) المناقب والمقتل - كما سبق -.
(٤) المناقب، والأنساب، والمقتل - كما سبق - وفي مقتل الخوارزمي وبعض كتب السير كأنساب البلاذري: أن ابن زياد بعث إلى شبث بن ربعي، فتمارض وأرسل إليه أن يستعفيه لأنه عليل، فأرسل إليه ابن زياد: ان رسولي أخبرني بتمارضك عليه وأخاف أن تكون من الذين ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: 14] الآية «فانظر ان كنت في طاعتنا فأقبل إلينا مسرعاً، فأقبل إليه بعد العشاء الآخرة لئلا ينظر في وجهه ولا يرى أثر العلة. فلما دخل عليه رحب به وقرب مجلسه، ثم قال له: أحب أن تشخص غداً إلى عمر بن سعد في ألف فارس من أصحابك؟ فقال: افعل أيها الأمير، فخرج في ألف فارس.
(٥) لانه كان - بضميمة الحر وأصحابه - في خمسة آلاف، وهؤلاء الملتحقون (عشرون ألف).
(٦) أمالي الصدوق (المجلس: ٧٠).

وهذه أقل الروايات المعتبرة الواردة في عدد الجيش الزاحف لحرب الحسين عليه السلام [(١)] وقيل: أكثرَ من ذلك[(٢)].

مـلءُ الـقـفـار عـلـى ابـن فـاطـمـةٍ جـنُـدٌ ومـلءُ قـلـوبـهـم ذُحَـلُ
جـاءتْ وقـائـدُهـا الـعـمـى وإلـى حـرب الـحـسـيـن يـقـودُهـا الـجَـهَـلُ
بـجـحـافـلٍ بـالـطـفّ أولُـهـا وأخـيـرُهـا بـالـشـام مُـتّـصـلُ[(٣)]

ثم كتب ابنُ زياد إلى ابن سعد من (النخيلة): «إني لم أجعل لك علةً في كثرة الخيل والرجال فانظر إني لا أصبح ولا أمسي إلاّ وخبرُك عندي غدوةً وعشَيةً».

وكان يستحثّه على الحرب بعد التآم العساكر عنده لستة أيام مضين من المحرّم[(٤)].

ابن زياد يأمر بمنع الماء عن الحسين

وورد كتاب من ابن زياد في الأثر إلى ابن سعد يذكر في: «أما بعد، فحل بين الحسين وأصحابه وبين الماء، ولا يذوقوا منه قطرة، كما صُنع بالزكي المظلوم عثمان».

فبعث ابن سعد في الوقت عمروَ بن الحجاج الزبيدي في خمسمائة فارس،

---

(١) وربما قيل أقل من ذلك العدد، كاثنين وعشرين، وعشرين، وستة عشر واثني عشر...

(٢) ففي مناقب ابن شهر اشوب (٣٥ ألفاً)، وفي شرح شافية أبي فراس (٥٠ ألفاً) وفي سفينة النجاة للعيناتي (٧٠ ألفاً)، وفي تحفة الأزهار لابن شدقم (٨٠ ألفاً) وفي هامش تذكرة الخواص (١٠٠ ألف وأكثر).

(٣) أبيات من قصيدة رائعة للمرحوم الشاعر الحاج حمادي الكواز الحلي المتوفى سنة ١٢٨٣هـ.

(٤) مقتل الخوارزمي: ج١ الفصل الحادي عشر، وتظلم الزهراء للقزويني ص١٠١، والإيقاد للعظيمي ص٥٧.

فنزلوا على الشّريعة، وحالوا بين الحسين وأصحابه وبين الماء، ومنعوهم أن يُسقوا منه قطرة، وذلك قبل قتل الحسين بثلاثة أيام(١).

الحسين يستنبط الماء بالكرامة

قالوا: ولما أضرّ العطش بالحسين ومَن معه من أهل بيته وأصحابه. أخذ فأساً وجاءَ إلى ورآء خيمة النساء، فخطا في الأرض تسعَ عشرة خطوة نحوَ القبلة، ثم احتفر هنالك، فنبعتُ له عين من الماء العذب، فشرب الحسين وشرب أهلُ بيته وأصحابه بأجمعهم، وملأوا أسقيتَهم، ثم غارت العين فلم يُرَ لها أثر.

وبلغ ذلك عبيد الله بن زياد، فكتب إلى ابن سعد كتاباً جاءَ فيه: «بلغني أن الحسين يحفر الآبار ويصيب الماء، فيشرب هو أصحابُه، فانظر إذا ورد عليك كتابي هذا فامنعهم من حفر الآبار ما استطعتَ وضيّق عليهم، ولا تدعْهم أن يذوقوا من الماء قطرةً، وافعل بهم كما فعلوا بالزكيّ عثمان والسلام».

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص١٧٢ طبع دار المعارف بالقاهرة، ومناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص٩٧ طبع قم، وإرشاد المفيد ص٢١١ طبع إيران، وأنساب الأشراف: ج٣ ص١٨٠ طبع بيروت، ونهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤٢٨ ط القاهرة.
وفي فتوح ابن أعثم: ج٥ ص١٧٢: «قال برير بن خضير الهمداني لابن سعد: يا عمر، اتترك بيت النبوة يموتون عطشاً؟ وحلت بينهم وبين الفرات أن يشربوا منه، وتزعم أنك تعرف الله ورسوله؟ فقال ابن سعد: اني - والله - لأعلم - يا برير - أن قاتلهم إلى النار، ولكن تشير علي أن أترك ولاية الري، فتصير إلى غيري، ما أجد نفسي تجيبني إلى ذلك أبداً». وفي مقتل الخوارزمي ج١ تفصيل ذلك.

وفي أخبار الزمان للقرماني: ص١٠٨ «وخرج من بين أصحاب يزيد بن الحصين، فقال لابن سعد: يا ابن سعد، هذا الفرات تشرب منه الكلاب وهذا الحسين ابن بنت رسول الله ﷺ وأهل بيته عطاشى وأنت تزعم أنك تعرف الله ورسوله؟ فأطرق ابن سعد برأسه إلى الأرض ولم يتكلم». ومثل ذلك في كشف الغمة للأربلي: ج٢ ص٢٦٠ طبع قم.

فعند ذلك ضيّق ابنُ سعد على الحسين وأهل بيته وأصحابه غايةَ التضييق[1].

---

(١) مقتل الخوارزمي: ج١ الفصل الحادي عشر، ومقتل العوالم للبحراني: ص٧٨، وبحار المجلسي: ج٤٤ ص٣٨٨، وإيقاد العظيمي: ص٥٨ طبع بغداد.

(حبيب يستنجد ببني أسد لنصرة الحسين)

قال المؤرخون: ولما رأى حبيب بن مظاهر تلاحم الجيوش على حرب الحسين عليه السلام وتضييقهم عليه، جاء إليه وقال له: «يا ابن رسول الله، ان ها هنا حياً من بني أسد قريباً منّا، أفتأذن لي المصير إليهم - الليلة - أدعوهم إلى نصرتك، فعسى الله أن يدفع بهم عنك بعض ما تكره؟» فأذن له الحسين بذلك.

فخرج حبيب في جوف الليل متنكراً حتى صار إليهم، فحيّاهم وحيّوه وعرفوه، فسألوه عن حاجته؟ فقال: «حاجتي إليكم: أني قد أتيتكم بخير ما أتى به وافد إلى قوم - قط - أتيتكم أدعوكم إلى نصرة ابن بنت نبيكم، فانه عصابة من المؤمنين، الرجل منهم خير من ألف رجل، لن يخذلوه ولن يُسلموه - وفيهم عين تطرف - وهذا عمر بن سعد قد أحاط به في اثنين وعشرين ألفا[1] وأنتم قومي وعشيرتي، وقد أتيتكم بهذه النصيحة، فأطيعوني اليوم تنالوا شرف الدنيا وحسن ثواب الآخرة، فاني أقسم بالله، لا يُقتل منكم رجل مع ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله. صابراً محتسباً إلا كان رفيق محمد صلى الله عليه وآله في أعلى عليين».

فقام إليه رجل من بني أسد يقال له (عبد الله بن بشر) فقال:

أنا أول من يجيب إلى هذه الدعوة، ثم جعل يرتجز ويقول:

قد علم القوم إذا تناكلوا وأحجم الفرسان إذ تناضلوا
أني الشجاع البطل المقاتل كأنني ليث عرين باسل

ثم بادر رجال الحي إلى حبيب وأجابوه، فالتأم منهم تسعون - أو سبعون - رجلاً، وجاؤوا مع حبيب يريدون الحسين. فخرج رجل من الحي يقال له (جبلة بن عمرو) حتى صار إلى عمر بن سعد في جوف الليل، فأخبره بذلك فدعا عمر برجل من أصحابه يقال له (الأزرق بن الحرث الصداوي) فضمّ إليه (٤٠٠ فارس) ووجّه به إلى حي بني أسد مع ذلك الذي جاء بالخبر.

فبينا أولئك القوم من بني أسد قد أقبلوا في جوف الليل مع حبيب يريدون عسكر =

---

(١) لعل هذا التقدير من حبيب من باب التخمين لا التحقيق، أو أنه تقدير للجيش قبل تكامله بعبد اليوم السادس من المحرم.

الحسين وابن سعد يجتمعان بين العسكرين

قالوا: وأرسل الحسين عليه السلام إلى ابن سعد يطلب الاجتماع معه ليلاً بين العسكرين.

فخرج كلٌّ منهما في عشرين فارساً. وأمر الحسين مَن معه أن يتأخر إلاّ أخاه العباس وابنَه علي الأكبر. وفعل ابنُ سعد مثلَ ذلك، فبقي معه ابنه حفص وغلام له يقال له (لاحق).

فلما استقرّ المجلس بهما، التفت الحسين إلى ابن سعد وقال له:

يا ابن سعد، أتقاتلني وأنا ابن مَن علمت، ألا تكون معي وتدع هؤلاء، فانه أقرب لك من الله.

فقال عمر: أخاف أن تُهدم داري.

فقال الحسين: أنا أبنيها لك.

فقال عمر: أخاف أن تؤخذ ضيعتي.

فقال الحسين: أنا أخلف عليك خيراً منها من مالي بالحجاز.

قال عمر: إنّ لي عيالاً بالكوفة وأخاف عليهم.

فقال الحسين: أنا أضمن سلامتهم.

= الحسين، إذ استقبلتهم خيل ابن سعد على شاطئ الفرات، وكان بينهم وبين معسكر الحسين اليسير، فتناوش الفريقان واقتتلوا. فصاح حبيب بالأزرق بن الحرث:
مالك ولنا إنصرف عنا يا ويلك، دعنا واشق بغيرنا.
فأبى الأزرق من الانصراف، وعلمت بنو أسد أن لا طاقة لهم بخيل ابن سعد، فانهزموا راجعين إلى حيهم، ثم تحمّلوا ورحلوا في جوف الليل خوفاً من ابن سعد أنْ يكبسهم.
ورجع حبيب إلى الحسين فأخبره الخبر، فقال الحسين عليه السلام: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم - عن مقتل الحسين للخوارزمي: ج١ الفصل الحادي عشر، وأنساب الأشراف للبلاذري: ج٣ ص١٨٠ طبع بيروت، وبحار المجلسي: ج٤٤ ص٣٨٧ طبع طهران الجديد - باختلاف بسيط بينها -.

فسكت عمر بن سعد ولم يجبه بشيء.

فانصرف الحسين عنه، وهو يقول: ما لك؟ ذبحك الله على فراشك سريعاً عاجلاً، ولا غفَر لك يومَ حشرك ونشرك، فوالله إني لأرجو أن لا تأكل من بُرّ العراق إلاّ يسيراً.

فقال ابن سعد - مستهزئاً -: وفي الشعير كفاية.

ثم رجع عمر إلى معسكره، وعاد الحسين إلى معسكره[1].

ابن سعد يفتري على الحسين بكتابه إلى ابن زياد

قالوا: والتقى الحسين وعمر بن سعد مراراً ثلاثة أو أربعة - في خلال ما بين الثالث والسابع من المحرّم - فكتب ابنُ سعد بذلك كتاباً إلى ابن زياد - جاء فيه:

«أمّا بعدُ، فان الله قد أطفأ النائرة، وجمع الكلمة وأصلح أمرَ الأمة.

هذا الحسين قد أعطاني عهداً أن يرجع إلى المكان الذي منه أتى، أو أن يسير إلى ثغرٍ من الثغور، فيكون رجلاً من المسلمين، له ما لهم، وعليه ما عليهم، أو أن يأتي أميرَ المؤمنين يزيد، فيضع يدَه في يده، فيرى فيما بينه وبينه رأيه، وفي هذا لك رضاً وللأمة صلاح»[2].

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٤١٣ طبع دار المعارف بالقاهرة. وكامل ابن الأثير: ج٣ ص٢٨٣ طبع بيروت، والبداية والنهاية لابن كثير ج٨ ص١٧٥، ومقتل الخوارزمي: ج١ الفصل الحادي عشر، وبحار المجلسي: ج٤٤ ص٣٨٩ طبع طهران الجديد ونهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤٢٩ ط القاهرة - باختلاف بسيط بينها -.

(٢) أقول: إن من سبر سيرة أبيِّ الضيم وسيد الأحرار أبي عبد الله الحسين عليه السلام منذ نشأ وشبّ واكتهل حتى آخر نفس من حياته المقدسة، وإنّ من عرف إباءَه للضيم، وصبرَه على المكاره ومقاومته للظلم والطغيان واستهانته بالقتل والموت في سبيل إحياء كلمة الحق. وانّ من وقف على خطبه وأقواله ومكاتباته منذ طُلبت منه البيعة لابن آكلة الأكباد يزيد في حياة معاوية وبعد موته، ومن ذلك كلماته الصارمة مع أخيه محمد بن الحنفية وابن عباس وابن جعفر وأخيه الأطرف وابن عمر، ومواقفته المصحرة بالحق مع أمير المدينة الوليد بن عتبة، وجليسه الوزغ ابن الوزغ مروان بن الحكم، وغير هؤلاء من =

. . . .

= الرجالات الذين دخلوا عليه - في المدينة ومكة وفي الطريق - وأشاروا عليه بما أشروا من الدعة والمسالمة، وهو يجيبهم بالإصرار في مواصلة الجهاد إلى آخر نفس من حياته، وآخر شوط من أشواطه في يوم عاشوراء.

إنّ من واكب ذلك كله يتضح له - بجلاء - تزوير وتزويق وتلفيق ما كتبه ابن سعد إلى ابن زياد وإنما هي أمور كان الحسين عليه السلام يطلبها من أهل الكوفة عندما ظهر خذلانهم بدأ، حلّ بين ظهرانيهم: من أنه يرجع من حيث أتى، أو يذهب أنى شاء من بلاد الله العريضة ونحو ذلك، فأضاف إليها ابن سعد من عندياته، وافتعل ما كان يرجو به إصلاح الأمر، حيث كان كارهاً - منذ البداية - للقتال. وإنما أرداهُ في مهلكة الضلال طمعه الأعمى بملك الري. كما اعترف هو بذلك في شعره المنسوب إليه.

وكيف يعطي الحسين عليه السلام - وهو أبي الضيم - لابن سعد أن يضع يده الطاهرة في يد يزيد الفاجرة أو أن يسير إلى ثغر من الثغور؟ وهل البيعة التي طلبها منه القوم وترفّع عنها - منذ البداية - الا هذا المعنى ونحوه؟ فكيف يعطيهم أخيراً ما ترفّع عنه أولاً؟؟.

أليس هو سيّد أهل الاباء الذي علّم الناس الحمية والموت تحت ظلال السيوف، اختياراً على الدنية؟ أليس هو القائل: «موت في عز خير من حياة في ذل» وهو القائل لأخيه الأطرف: «والله إني لا أعطي الدنية من نفسي» وهو القائل لأخيه ابن الحنفية: «لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى ما بايعت يزيد بن معاوية» وهو القائل في المدينة - حينما دعي لبيعة يزيد: «وعلى الإسلام السلام إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد» والقائل: «إنّا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة بنا فتح الله وبنا ختم الله ويزيد رجل شارب الخمر قاتل النفس المحترمة معلن بالفسق والفجور، ومثلي لا يبايع مثله» إلى غير ذلك من أقواله الأبية في المدينة ومكة وفي الطريق. وآخر أقواله يوم الطف «ألا وان الدعيّ ابن الدعي قد ركز بين اثنتين: بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت وأنوف حمية ونفوس أبية من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام»؟.

نعم ان الذي دار بين الحسين وابن سعد في تلك الاجتماعات المتكررة: هو تأنيبه عن مقاتلته له ودعوته إلى نصرته وترك مطاوعة القوم، وبالتالي طلب منه أن يرجع إلى المكان الذي منه أتى أو أن يذهب إلى أي بلد من بلاد الله العريضة، كما هي مضامين كلماته مع أهل الكوفة كالحر وأصحابه ويوم عاشوراء حينما بان منهم الخذلان ونكث البيعة.

ومما يشهد بتلفيق ابن سعد وإضافاته: ما نقله جلّ المؤرخين كالطبري وابن الأثير في تأريخهما - بحوادث سنة ٦١ هـ - والنويري في نهايته: ج٢٠ ص٤٢٩ ط القاهرة وسبط=

فلما قرأ عبيدُ الله الكتابَ قال: «هذا كتاب رجلٍ ناصح لأميره مشفقٍ على قومه» وأراد أن يُجيب ابنَ سعد بالقبول، فقام إليه شمرُ بن ذي الجوشن وقال: «أتقبل هذا منه، وقد نزل بأرضك وإلى جنبك؟ والله لئن رحل من بلدك ولم يضع يده في يدك ليكوننّ أولى بالقوة والعزة، ولتكوننّ أولى بالضعف والعجز، فلا تُعطه هذه المنزلة فإنها من الوهن، ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه، فان عاقبتَ فأنت ولي العقوبة، وان غفرتَ كان ذلك لك[1]، والله لقد بَلغني أنّ حسيناً وعمرَ بن سعد يجلسان بين العسكرين فيتحدّثان عامةَ الليل».

ابن زياد يجيب على كتاب ابن سعد بالرفض

فاستصوب ابنُ زياد رأيَ الشمر، وكتب إلى ابن سعد كتاباً جاء فيه:

«أما بعدُ، فاني لم أبعثك إلى الحسين لتكفّ عنه، ولا لتُطاولَه، ولا لتُمنّيه السلامة، ولا لتكون له عندي شفيعاً. أنظر، فان نزل حسين وأصحابه على حكمي فابعثْ بهم إليّ سِلماً، وان أبوا فازحفْ إليهم حتى تَقتلَهم وتُمثّل بهم، فانّهم لذلك مستحقّون. وإن قتلتَ حسيناً فأوطِئ الخيلَ صدرَه وظهرَه، فانّه عاقٌّ شاقٌّ قاطعٌ ظَلومٌ، ولستُ أرى: أن هذا يضرّ بعد الموت، ولكنْ على قولٍ قلتُه: لو قتلتُه لفعلتُ هذا به.

فان أنتَ مضيتَ لأمرنا جَزيناك جزاءَ السامع المطيع، وإن أبيتَ فاعتزلْ عملَنا

= ابن الجوزي في (تذكرته: ص٢٤٨) طبع النجف - عن عقبة بن سمعان مولى الرباب بنت امرئ القيس زوجة الحسين عليه السلام أنه قال: «وصحبت الحسين من المدينة إلى مكة، ومنها إلى العراق ولم أفارقه حتى قتل، وقد سمعت جميع كلامه مع الناس، فما سمعت منه ما يتذاكر فيه الناس: من أن يضع يده في يد يزيد، ولا أن يسير إلى ثغر من الثغور، ولكنه قال: دعوني أرجع إلى المكان الذي أقبلت منه، أو دعوني أذهب في هذه الأرض العريضة حتى ننظر ما يصير إليه أمر الناس» باقتضاب (منه قدس سره).

(١) إرشاد المفيد: ص٢١٢ طبع إيران، والايقاد للعظيمي: ص٥٦ طبع بغداد، وأنساب الأشراف: ج٣ ص١٨٣ طبع بيروت.

وجندَنا، وخَلِّ بين شمرِ بن ذي الجوشن وبين العسكر، فإنّا قد أمرناه بذلك والسلام»[١].

وأعطى الكتابَ إلى الشمر، وأمره بالسّمع والطّاعة إلى ابن سعد إن نفّذ أمرَه في مقاتلة الحسين، وإن أبى فهو الأمير على الجيش، وهو الذي يَتولّى مقاتلة الحسين.

فأقبل الشمرُ بالكتاب حتى وصل (كربلا) يومَ التاسع من المحرّم، وسلّم الكتابَ إلى ابن سعد، فلما قرأه ابنُ سعد قال له: «مالَك وَيلك، لا قرّب الله دارَك، وقبّح الله ما جئت به، وإنّي لأظنّ أنك الذي نهيتَه وأفسدتَ علينا أمراً رجَونا أن يَصلح، والله لا يستسلم حسين، فانّ نفس أبيه لَبَين جَنبيه».

فقال له الشمر: أخبِرني ما أنت صانع؟ أتمضي لأمر أميرك، وإلاّ فخلّ بيني وبين الجُند والعَسكر.

قال ابنُ سعد: لا ولا كرامةَ لك، فأنا أتولّى ذلك، فدُونك فكنْ أنتَ على الرجّالة[٢].

ابن سعد يزحف بجيشه يوم التاسع

وعند ذلك زحف ابنُ سعد على مُخيَّم الحسين عصرَ اليوم التاسع من المحرّم.

ونادى: يا خيلَ الله اركبي وبالجنّة أبشري. وكان الحسين محتَبياً بسيفه، وقد خفَق برأسه، فسمعتْ أختُه العقيلةُ الصيحةَ فدنتْ من أخيها وقالت: يا أخي، أما تسمعْ هذه الأصوات قد اقتربتْ منّا؟

---

(١) مناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص٩٧ طبع قم: وأنساب البلاذري: ج٣ ص١٨٣ طبع بيروت، ونهاية الإرب للنويري: ج٢٠ ص٤٣١ ط القاهرة.

(٢) تاريخ الطبري: ج٤ ص٤١٥-٤١٦ طبع دار المعارف بالقاهرة. والكامل لابن الأثير: ج٣ ص٢٨٤ طبع بيروت. ومقتل الخوارزمي: ج١ الفصل الحادي عشر، وبحار المجلسي: ج٤٤ ص٢٩٠-٣٩١ طبع طهران الجديد، وإرشاد المفيد: ص٢١٣ طبع إيران، والايقاد للعظيمي: ص٥٧ طبع بغداد.

فرفع الحسينُ رأسَه، وقال: «إنّي رأيتُ رسولَ الله الساعةَ في المنام، وهو يقول: إنّك صائرٌ إلينا عن قَريب».

فلَطمتْ زينبُ وجهَها، ونادتْ بالوَيل والثُبور: يا وَيلتاه!!

فقال لها الحسين: ليس لكِ الويل يا أخيّة. أسكتي رَحِمكِ الله لا تُشمتي بنا القوم. فسكتتْ[1].

وجاءَه العبّاسُ بنُ علي عليه السلام فقال له: يا أخي، أتاك القوم.

فقال له الحسين: إركبْ - بنفسي أنتَ - حتى تَلقاهم، فتقول لهم: ما لكم وما بدا لكم وماذا تريدون؟

فركب العبّاس عليه السلام في نحوٍ من عشرين فارساً من أصحابه - وفيهم زُهيرُ بن القين وحبيبُ بن مظاهر - فسألهم العبّاس عن ذلك؟

فقالوا: جاءَ أمرُ الأمير: أن نَعرض عليكم النّزول على حكمه أو نناجزكم.

فقال لهم العبّاس: لا تَعجلوا حتى أرجعَ إلى أبي عبد الله، وأعرض عليه ما ذكرتم.

فرجع العبّاس إلى أخيه بالخبر، ووقف أصحابُه يَعظون القوم، ويكفّونهم عن قتال الحسين[2].

---

(١) اللهوف لابن طاووس: ص٣٨ طبع النجف، ودار السلام للميرزا النوري: ج١ ص٧٥، المطبعة العلمية قم، ونهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤٣٢ ط القاهرة.

(٢) فكان مما قاله حبيب بن مظاهر للقوم: «أما والله لبئس القوم عند الله غداً قوم يقدمون عليه قد قتلوا ذرية نبيه صلى الله عليه وآله وعترته وأهل بيته وعباد أهل المصر، المتهجدين بالأسحار، والذاكرين الله كثيراً بالليل والنهار، وشيعته الأتقياء الأبرار» فقال له عزرة بن قيس: يا بن مظاهر، إنك لتزكي نفسك؟ فقال له زهير: يا عزرة ان الله قد زكاها وهداها، فاتق الله فاني لك من الناصحين، أنشدك الله يا عزرة، أن لا تكون ممن يعين أهل الضلالة على قتل النفوس الزكية، - عن تاريخ الطبري وابن الأثير في حوادث سنة ٦١هـ وزاد البلاذري في (أنسابه: ج٣ ص١٨٤) طبع بيروت بعد هذا قوله (وقال عزرة لزهير بن القين: كنت عندنا عثمانياً، فما لك؟ فقال زهير: والله ما كتبت إلى الحسين ولا أرسلت إليه رسولاً، ولكن الطريق جمعني وإياه، فلما رأيته ذكرت به رسول الله صلى الله عليه وآله وعرفت ما تقدم إليه من غدركم ونكثكم وميلكم إلى الدنيا، فرأيت أن أنصره وأكون في حزبه حفظاً لما ضيّعتم من حق رسول الله».

فقال له الحسين: إرجعْ إليهم، فان استطعتَ أن تُؤخِّرهم إلى غدوة، وتَدفعهم عنّا هذه العشيّة، لعلّنا نصلّي لربّنا وندعوه ونستَغفره، فهو يعلم أني أحبّ الصلاةَ وتلاوةَ كتابه، وكثرةَ الدعاء والاستغفار.

فرجع العباس إلى القوم، فاستَمهلهم العشيَّةَ، فتوقّف ابنُ سعد عن الإِجابة. واستشار الشِمرَ في ذلك، فقال له: أنت الأمير والرأي رأيك. فأقبل على الناس وقال: ماذا ترون؟

فقال له عَمرو بنُ الحجاج الزّبيدي: سُبحانَ الله، والله لو كانوا من التُرك أو الدَّيلم. وسألونا مثل ذلك لأجبناهم، فكيف وهم آل محمد ﷺ[1].

وقال قيسُ بنُ الأشعث: أجبْهم إلى ما سألوك فلعمري ليُصبُحنّك بالقتال غُدوةً.

فقال ابنُ سعد: والله لو أعلم أنهم يفعلون ما أخّرتُهم العشية[2].

فرجع العبّاس عليه السلام ومعه رسولٌ من ابن سعد إلى جهة معسكر الحسين، وهو ينادي بصوت رفيع: يا أصحابَ الحسين، إنّا قد أجّلناكم إلى غدٍ، فان استَسْلمتُم سرّحنا بكم إلى الأمير ابن زياد، وإن أبيتُم فلسنا بتاركيكم[3].

الحسين يأذن لأصحابه بالانصراف عنه

وروى أصحابُ السِّيَر والمقاتل عن الإمام علي بن الحسين زينِ العابدين عليه السلام: أنه قال: جمَع أبي أصحابَه ليلةَ العاشر من المحرّم عند

(١) بهذا المضمون في اللهوف لابن طاووس: ص٣٨ طبع النجف، ومناقب ابن شهرآشوب: ج٤ ص٩٨ طبع قم وأعيان الشيعة للأمين: ج٤ قسم ١ ص٢٠٨، وأنساب الأشراف للبلاذري: ج٣ ص١٨٥ طبع بيروت، ونهاية الارب للنويري ج٢٠ ص٤٣٣.

(٢) تاريخ الطبري: ج٥ ص٤١٧ طبع دار المعارف بالقاهرة. والكامل لابن الأثير: ج٣ ص٢٨٥، ونهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤٣٤ ط القاهرة.

(٣) تاريخ الطبري - المصدر الآنف - والكامل لابن الأثير: ج٣ ص٢٨٥ طبع بيروت، وإرشاد المفيد ص٢١٤ طبع إيران، والايقاد للعظيمي: ص٦١ طبع بغداد.

القُرب من المساء. وخطبهم، فدنوتُ منه لأسمعَ ما يقول لهم - وأنا إذ ذاك مريضٌ - فسمعتُ أبي يقول لأصحابه:

«أثني على الله تعالى أحسنَ الثناء، وأحمَده على السّراء والضرّاء، اللهم إنّي أحمَدك على أن أكرمتَنا بالنبوّة وعلّمتنا القرآن وفَقّهتنا في الدِّين، وجعلتَ لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئِدةً، فاجعلنا لكَ من الشاكرين.

أما بعدُ، فاني لا أعلمُ أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيتٍ أبرّ، ولا أوصلُ من أهل بيتي، فجزاكم الله جميعاً عنّي خيراً.

ألا، وإني لأظنّ يومَنا من هؤلاء الأعداء غداً. ألا وإني قد أذنتُ لكم جميعاً، فانطلقوا في حِلٍّ، ليس عليكم منّي حَرجٌ ولا ذِمام.

وهذا الليل قد غَشيكم فاتّخذوه جَملاً، ثمّ ليأخذ كلُ رجلٍ منك بيد رجل من أهل بيتي، وتَفرّقوا في سواد هذا الليل، وذَروني وهؤلاء القوم، فانّهم لا يُريدون غَيري، ولو أصابوني لذُهلوا عن طلب غيري».

أهل بيته وأصحابه يتحمّسون للفداء

فقال له إخوتُه وأبناؤه وبنو أخيه وأبناءُ عبد الله بن جعفر: «ولِمَ نفعل ذلك؟ لنبقى بعدك؟ لا أرانا الله ذلك أبداً».

بَدأهم بهذا القول العبّاسُ بن علي، ثم اتّبِعته الجماعة، فتكلّموا بهذا ونحوه.

ثم نظر الحسين إلى بني عقيل، وقال: «حسبُكم من القتل بصاحبكم مسلم بن عقيل فأذهبُوا أنتم فقد أذنتُ لكم».

فقالوا: «سبحانَ الله، ما يقول الناس لنا وماذا نقول لهم: إنا تركنا شيخَنا وسيّدنا وكبيرَنا وابنَ بنت نبيّنا وبني عمومتنا خيرِ الأعمام، ولم نَرمِ معهم بسهم، ولم نطعنْ معهم برمح، ولم نضربْ معهم بسيف، ولا ندري ما صنعوا، لا والله - يا ابنَ رسول الله - لا نفارقك أبداً، ولكنّا نَفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا، ونقاتل معك حتى نردَ موردَك، قبّح اللهُ العيشَ بعدك».

ثم قام مسلمُ بن عوسجة الأسدي، فقال: «نحن نخلّيك هكذا وننصرف عنك - وقد أحاط بك هذا العدوّ -؟ وبماذا نعتذر إلى الله في أداء حقك؟ لا والله لا يَراني الله وأنا أفعل ذلك أبداً حتى أكسرَ في صدورهم رمحي، وأضرب فيهم بسيفي ما ثبت قائمهُ بيدي. ولو لم يكن لي سلاح أقاتلهُم به لقذفتُهم بالحجارة، ولم أفارقك أو أموت معك».

ثم قام سعيدُ بن عبد الله الحنَفي، فقال: «لا والله يا ابن رسول الله، لا نُخلّيك أبداً حتى يعلمَ الله تعالى أنا قد حفظنا فيك غَيبة رسول الله، والله لو علمتُ أني أقتل فيك، ثم أحيى، ثم أحرق حياً، ثم أذرَّى في الهواء، يُفعل ذلك بي سبعين مرةً لما فارقتُك أبداً حتى ألقى حمامي دونك، فكيف لا أفعل ذلك وإنّما هي قَتلةٌ واحدة، ثم بعدها الكرامةُ التي لا انقضاءَ لها أبداً».

ثم قام زُهيرُ بن القين البَجلي، فقال: «والله يا ابنَ رسول الله لوددتُ أني قُتلتُ، ثم نُشِرتُ، حتى أقتل فيك هكذا ألف مرّة، وأنّ الله يدفع بذلك القتلَ عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية من إخوانك وولدك وأهل بيتك»

وتكلّم بقية أصحاب الحسين بكلام يشبه بعضُه بعضاً فقالوا - في وجه واحد -: «والله لا نفارقك، ولكن أنفسنا لك الفداء، نَقيك بأيدينا، ونُحورنا وجِباهنا، فإذا نحن قُتِلنا بين يديك نكون قد وفّينا لربّنا وقَضينا ما علينا».

فجزّاهم الحسين خَيراً، وانصرف إلى مضربه[1].

---

(١) اللهوف لابن طاووس: ص٣٨-٣٩ طبع النجف، وروضة الواعظين للفتال: ص١٨٣ طبع النجف. وتاريخ الطبري: ج٥ ص٤١٩-٤٢٠ طبع دار المعارف بالقاهرة، والكامل لابن الأثير: ج٣ ص٢٨٥ طبع بيروت. ومقتل الحسين للخوارزمي: ج١ الفصل الحادي عشر، وإرشاد المفيد ص٢١٠، وأمالي الصدوق: مجلس ٣٠: وجمهرة خطب العرب لأحمد زكي صفوت: ج٢ ص٤١-٤٣ طبع مصر، وبحار المجلسي: ج٤٤ ص٤٩٢-٤٩٤ الطبع الجديد ومناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص٩٩ طبع قم. والايقاد للعظيمي: ص٦٣ طبع بغداد، وأنساب الأشراف: ج٣ ص١٨٥ طبع بيروت ونهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤٣٥ ط القاهرة. - باختلاف بسيط بينها في التفصيل والإيجاز -.

وقيل لمحمد بن بشير الحضرمي - في تلك الحال -: قد أُسِرَ ابنُك بثَغر الرّي، فقال: عند الله أحتسبُه ونفسي، ما كنتُ أحبّ أن يُؤسَر، وأنا أبقى بعده حيّاً.

فلما سَمِعَ الحسين قولَه، قال له: «رَحِمَك الله، أنت في حِلٍّ من بيعتي، فاعمَلْ في فَكاك ولدك».

فقال: أكلتني السِباعُ حيّاً إن فارقتُك.

قال الحسين: «فأعطِ ابنَك هذه الأثوابَ والبرودَ ليستَعين بها في فكاك أخيه». فأعطاه خمسةَ أثواب قيمتُها ألف دينار[1].

الحسين ينعى أهل بيته وأصحابه

ويُروَى عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: أنه قال: «ثم ان أبي قال لأصحابه: إني غداً أُقتَل وتُقتَلون كلّكم معي، ولا يبقى منكم أحدٌ إلاّ ولدي علياً زين العابدين لأن الله لم يَقطع نسله منه، وهو أبو أئمة ثمانية».

فقالوا - بأجمعهم -: الحمدُ لله الذي أكرَمنا بنصرك وشرّفنا بالقتل معك، أوَلا نَرضى أن نكونَ معك في درجتك؟.

وقال له القاسمُ بن الحسن: وأنا فيمَن يُقتل - يا عَم -؟.

فأشفق عليه الحسين، وقال: يا ابن أخي، كيف تجد طعم الموت عندك؟.

قال: يا عم، أحلى من العسل.

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر: ج١ ص.١٥٠ واللهوف لابن طاووس ص٤٠ طبع النجف، وبحار المجلسي: ج٤٤ ص٣٩٤ الطبع الجديد. وترجمة ريحانة الرسول صلى الله عليه وآله من تاريخ دمشق لابن عساكر: ص١٥٤ ط بيروت بتحقيق الشيخ المحمودي.

فقال له الحسين: إي - والله - فداك عمُّك: إنّك لأحدُ مَن يُقتل معي بعد أن تَبلوَ ببلاءٍ عظيم.

ثم قال الحسين عليه السلام: وممن يقتل غداً ولدي الرضيع.

فقال القاسم: يا عَم، أيصل العدوّ إلى مُخيّمنا حتى يُقتل الرضيع عند أمه؟.

فقال الحسين: إذا اشتدّ بي العطش أجيء إلى باب الخيمة، وأطلب طفلي، وأجعل لساني في فمه، فعند ذلك يجيء من العدوّ سهمٌ، فيصيب رقبته، فتفارق روحُه الدنيا[١].

علي الأكبر يأتي بالماء ليلة عاشوراء

وعن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: أنه قال: «ثمّ إن أبي أرسَل في تلك الليلة وَلدَه عليَّ الأكبر مع خمسين من أصحابه ما بين فارسٍ وراجلٍ، وبعَث معهم عِدةَ قِرَب إلى الماء، فجاؤا به بعد جُهدٍ شَديد.

فقال الحسين لأصحابه: قوموا واشرَبوا من هذا الماء، وتطهّروا واغسلوا أثوابَكم، فانها ستكون أكفانكم»[٢].

وتـنـادبـتْ لـلـذبّ عـنـه عُـصـبـةٌ ... ورثـوا الـمـعـالـي شْـيـبـاً وشَـبـابـا
مَـن يَـنـتـدبْـهـم لـلـكـريـهـة يَـنـتـدبْ ... مـنـهـم ضَـراغـمـةَ الأسـود غِـضـابـا
خفّـوا لـداعـي الـحـرب حـيـن دعـاهـمُ ... ورسَـوا بـعـرصـة كـربـلاءَ هِـضـابـا
أسُـدٌ قـد اتّـخـذوا الـصّـوارمَ حِـلـيـةً ... وتَـسـربـلـوا حَـلـقَ الـدرُوع ثـيـابـا
وجـدوا الـردى مـن دون آل مـحـمّـد ... عَـذبـاً وبـعـدهـم الـحـيـاةَ عَـذابـا[٣]

---

(١) نفس المهموم للقمي، وأسرار الشهادة للدربندي.

(٢) أمالي الشيخ الصدوق: المجلس الثلاثون.

(٣) أبيات من قصيدة عصماء في رثاء الحسين عليه السلام للعلامة الشاعر السيد رضا السيد محمد الهندي الموسوي (قدّس سره) -.

قال الراوي: وبات الحسين عليه السلام وأصحابُه وأهلُ بيته تلك الليلة ولهم دويّ كدويّ النَحل، ما بين قائمٍ وقاعدٍ وراكعٍ وساجد(١).

سمةُ العبيد من الخشُوع عليهمُ ... لله إن ضَمّتْهُم الأسحارُ
فإذا ترجّلتِ الضُحى شهِدتْ لهم ... بيضُ القواضب: أنهمْ أحرارُ

هداية بعد ضلال

قالوا: وعبر في تلك الليلة من عسكر عُمر بن سعد اثنان وثلاثون رجلاً إلى جهة الحسين عليه السلام فنالوا السعادةَ والشهادةَ بين يديه(٢).

---

(١) اللهوف لابن طاووس: ص٤٠ طبع النجف.
قالوا: ولما كان وقت السحر من تلك الليلة خفق الحسين عليه السلام برأسه خفقةً، ثم استيقظ، فقال لأصحابه: رأيت كأن كلاباً شدّت علي تناهشني، وفيها كل أبقع أشدّ علي، وأظن أن الذي يتولى قتلي رجل أبرص من بين هؤلاء القوم. ثم إني رأيت من بعد ذلك جدي رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه جماعة من أصحابه وهو يقول: يا بني، أنت شهيد آل محمد صلى الله عليه وآله وقد استبشرت بك أهل السموات وأهل الصفيح الأعلى، فيلكن إفطارك عندي الليلة، عجّل يا بني ولا تتأخر، فهذا ملك قد نزل من السماء ليأخذ دمك في قارورة خضراء.
فهذا ما رأيت، وقد أزف الأمر، واقترب الرحيل من هذه الدنيا. - مقتل الخوارزمي: ج١ أخريات الفصل الحادي عشر -.

(٢) اللهوف لابن طاووس: ص٤٠ طبع النجف.
(الحسين يتفقد المعسكر في جوف الليل ونافع يتبعه)
قال بعضُ أرباب المقاتل: ثم إن الحسين عليه السلام خرج ليلة العاشر من المحرّم في جوف الليل إلى خارج الخيام يتفقد التلاع والعقبات، فتبعه نافع بن هلال الجملي.
فسأله الحسين عما أخرجه في هذه الساعة؟
فقال نافع: يا بن رسول الله، أفزعني خروجك إلى جهة معسكر هذا الطاغية في هذه الساعة. =

. . . .

= قال الحسين: إني خرجت أتفقد التلاع والروابي، مخافة أن تكون مكناً لهجوم الخيل يوم تَحملون ويَحملون: ثم رجع عليه السلام وهو قابض على يد نافع وهو يقول: هي هي والله، وعدٌ لا يخلف فيه.
ثم قال لنافع: ألا تسلك بين هذين الجبلين في جوف الليل، وتنجو بنفسك؟
فوقع نافع على قدمي أبي عبد الله يقبلهما ويقول: إذاً ثكلت نافعاً أمّه، سيدي أن سيفي بألف وفرسي بمثله، فوالله الذي منّ بك علي، لا فارقتك حتى يكلاّ عن فَري وجَري.
ثم دخل الحسين خيمة النساء، ووقف نافع بإزاء الخيمة ينتظره. فسمع زينب تقول للحسين - وقد اختنقت بعبرتها: واأخاه، واحسيناه، أشاهد مصرعك، وأبتلي برعايتي هذه المذاعير من النساء، والقوم - يا بن أمي - كما تعلم ما هم عليه من الحقد القديم، ذلك خطب جسيم، يعزّ علي مصرع هذه الفتية وأقمار بني هاشم.
ثم قالت: يا أخي، هل استعلمتَ من أصحابك نياتهم؟ فاني أخشى أن يُسلموك عند الوثبة، واصطكاك الأسنة.
فبكى الحسين عليه السلام وقال لها: أما والله، لقد بلوتُهم، فما وجدت فيهم إلاّ الأشوس الأقعس، يستأنسون بالمنية دوني استيناس الطفل إلى محالب أمه.
قال نافع: فلما سمعتُ هذا منه بكيتُ، وأتيتُ حبيبَ بنَ مظاهر، فوجدته جالساً في خيمته، والسيف مصلت بين يديه، فحكيت له ما سمعت من الحسين ومن أخته زينب، إلى قول الحسين «يستأنسون بالمنية دوني استيناس الطفل إلى محالب أمه»، فنهض حبيب قائماً على قدميه، وقال: والله، لولا انتظار أمره لعاجلتهم وعالجتهم بسيفي هذه الليلة ما ثبت قائمه بيدي.
فقلت له: إني خلفته عند أخته زينب، وهي في حال وجَل ورُعب، وأظن أن النساء قد أفقنَ وشاركْنها في الحسرة، فهل لك أن تجمع أصحابك، وتُواجهُهنّ بكلام يُطيّب قلوبهنّ ويذهب رعبهن.
فقام حبيب - ومعه نافع - ونادى بين الخيام: يا أصحاب الحمية، ويا ليوث الكريهة؟؟.
فتطالعوا من مضاربهم كالأسود الضاربة، يقدمهم أبو الفضل العباس بن علي عليهما السلام.
فقال لبني هاشم: إرجعوا إلى مقرّكم، لا سهرتْ عيونكم.
ثم التفت إلى أصحابه، وحكى لهم ما شاهده وسمعه نافع من الحسين ومن أخته زينب.
فقالوا - بأجمعهم -: والله الذي منّ علينا بهذا الموقف، لولا انتظار أمره لعجالناهم بسيوفنا الساعة، فطبْ نفساً، وقرّ عيناً. =

الحسين ينعي نفسه وزينب تسمعه

ورُوي عن الإمام زين العابدين عليه السلام: أنه قال:

«إني لجالس في تلك العشية التي قُتِلَ أبي في صَبيحتها، وعندي عمّتي زينب تُمرّضُني، إذ اعتزَل أبي في خِباءٍ له، عنده (جَون) مولى أبي ذر - وهو يُعالج سيفه ويُصلحه - وأبي يقول:

يا دهرُ أفٍّ لك من خَليلِ كم لك بالإشراق والأصيلِ
من صاحبٍ أو طالبٍ قتيلِ والدهرُ لا يقنع بالبديلِ
وإنّما الأمرُ إلى الجليلِ وكلّ حيٍّ سالكٌ سبيلِ
ما أقربَ الوعدُ من الرحيلِ

فأعادها أبي مرتين أو ثلاثاً حتى فهمتُها، فعرفتُ ما أراد، فخنقتْني العبرة، فرددتُ دمعتي، ولزمتُ السكوت، وعلمتُ أنّ البلاءَ قد نزل.

وأما عمّتي زينب فانها لما سمعتْ ما سمعتْ - وهي امرأة ومن شأن النساء الرّقة والجزَع - فلم تَملِكْ نفسَها دون أن وثَبتْ تَجرّ أذيالَها، وهي حاسرة، حتى انتهتْ إليه وهي تنادي: واثكلاه، ليت الموت أعدمني الحياة، اليومَ ماتتْ أمي فاطمة، وأبي علي، وأخي الحسن، يا خَليفة الماضين، وثمالَ الباقين.

= فجزاهم حبيب خيراً، وقال: هلموا لنواجه النسوة، ونطيّب خاطرَهن.
وجاء حبيب ومعه أصحابه - إلى خيم النساء، وأخذ ينادي: السلام عليكم يا سادتنا، السلام عليكم يا معشرَ حرائر رسول الله، هذه صوارم فتيانكم، آلوا أن لا يُغمدوها إلا في رقاب مَن يريد السوء بكم، وهذه أسنة غلمانكم أقسموا أن لا يُركزوها إلا في صدور مَن يفرّق ناديكم.
فخرجنَ النساء إليهم ببكاء وعويل - تقدمهنّ العقيلة زينب - وقلن لهم: «أيّها الطيبون، حاموا عن بنات رسول الله وحرائر أمير المؤمنين». فضجّ القوم بالبكاء حتى كأن الأرض تميد بهم.
(عن الدمعة الساكبة لمحمد باقر الدهشتي: ص٣٢٥، والمجالس الفاخرة لشرف الدين: ص٩٤).

فنظر إليها الحسين نَظر رأفةٍ ورحمة وقال:

يا أخيّة، لا يَذْهبنَّ بحلمِك الشّيطان.

قالت: بأبي أنت وأمي، استقتل نفسي فداك.

فردّ الحسينُ غُصّتَه، وترقرقتْ عيناه بالدموع.

فقالت: ردّنا إلى حرَم جدّنا رسول الله.

فقال: هيهات، لو تُرِك القَطا ليلاً لغفا ونام.

فقالت: يا وَيلتاه!! أفتغتصب نفسَك اغتصاباً؟ فذلك أقرح لقلبي وأشدّ على نفسي.

ثم لطمتْ وجهَها، وأهوتْ إلى جَيبها فشقّته، وخرّت مغشيّاً عليها.

فقام إليها الحسينُ، وصبّ على وجهها الماء حتى أفاقتْ، فقال لها: «يا أخيّة، إتقي الله، وتَعزَّي بعزاء الله، واعلَمي: أنّ أهل الأرض يموتُون، وأن أهلَ السماء لا يَبقَون، وأن كل شيء هالك إلاّ وجهُ الله تعالى، الذي خلقَ الخلق بقدرته ويبعث الخلق فيعودون، وهو فردٌ وحدَه: أبي خيرٌ مني، وأمي خيرٌ مني، وأخي خيرٌ مني، ولي ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة.

فعزّاها بهذا ونحوه، ثم قال لها:

يا أختاه، إنّي أقسمُ عليك، فأَبرّي قَسَمي، إذا أنا قُتلتُ فلا تشقّي عليّ جيباً، ولا تَخمِشي عليّ وَجهاً، ولا تَدعيْ علي بالويل والثُبور إذا أنا هلكت».

قال زين العابدين عليه السلام: ثم إنّ أبي جاءَ بعمّتي وأجلسَها عندي. وخَرج إلى أصحابه فأمرهم أن يُقرِّبوا بعضَ بيوتهم من بعض، وأن يُدخلوا الأطنابَ بعضَها في بعض، وأن يكونوا بين البيوت فيستَقبلون القومَ من وجهٍ واحد، والبيوت من ورائهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم(١).

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٢٠-٤٢١ طبع دار المعارف بالقاهرة، والكامل لابن الأثير ج٣ ص٢٨٦ طبع بيروت، وروضة الواعظين للفتال: ص١٨٤ طبع النجف، وإرشاد المفيد ص٢١٦ ولهوف ابن طاووس: ص٣٤ طبع النجف وأنساب الأشراف للبلاذري: ج٣ ص١٨٦ طبع بيروت وناهية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤٤٧ ط القاهرة - باختلاف بسيط بينها -.

زينب تصبر وينفذ صبرها في عدة مواضع

أقول: ثم إنّ العقيلةَ زينب الكبرى امتثلتْ ذلك النهيَ الإشفاقي من أخيها الحسين عليه السلام فلم تَشق عند قتله جيباً، ولم تَخمشْ وجهاً، وكانتْ تتلقّى تلك المصائبَ العِظام بقلبٍ صابر، وإيمانٍ ثابت، ورباطةِ جأش:

بأبي الَّتي وَرِثتْ مصائبَ أمّها فغدتْ تُقابلها بصبر أبيها
لم تُلهَ عن جَمع العيال وحفظِهم بفِراق إخوتها وقَتل بنيها

فكانت تُسكّت الأطفال، وترعى العيال، وتُصبّرهنّ على تحمل النوائب وفقد الأحبة.

زينب تصارع الرزايا يوم الطف

ففي يوم عاشوراء بعد أن سَقط الحسين عليه السلام عن ظهرِ جواده إلى الأرض صَريعاً، خرجتْ - ومعها العيال والأطفال - إلى جهة المعركة تشقّ الصفوف، حتى إذا وصلتْ إلى مثوى الجسَد الطاهر، أخذتْ تُزيح عنه قِطعَ السيوف وحُطام الرّماح وفُلولَ السّهام والحجارة المتكوّرة، وهي تنادي: وآمحمداه، وآجداه، هذا حسينٌ بالعرآء، مرمّلٌ بالدمآء، مقطّع الأعضآء، وبناتُك سبايا، وذُرّيتك مقتّلة، فأبكتْ كلّ عدوٍّ وصديق، حتى جرتْ دموع الخيل على حوافرها[(١)].

ثم جاءَت حتى وقفتْ عليه، وبسَطتْ يَديها تحت بدنه المقدَّس، ورفعته نحوَ السماء، وهي تقول: «اللهم تَقبّل منّا هذا القُربان»[(٢)].

زينب تصبّر الإمام زين العابدين عليه السلام

وفي اليوم الحادي عشر من المحرَّم - بعد أن مرّوا بالسبايا على جهة المعَركة، ونظَر الإمامُ زينُ العابدين عليه السلام إلى جَسد أبيه الطّاهر والأجساد

(١) مقتل الخوارزمي: ج٢ ص٣٠٩ طبع النجف.
(٢) الكبريت الأحمر للتستري: ج٣ ص١٣.

المضرَّجة بدم الشهادة من أهل بيته وأصحابه على وجه الأرض - إشتدّ به الحزن والمصاب فكانت العقيلةُ زينب تُسلّيه وتُصبّره.

فعن ابن قولويه (في كامله) باسناده المعتبر من حديثٍ - عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «لما أصابنا بالطّف ما أصابنَا، وقُتِل أبي الحسين، وقُتِل مَن كان معه من ولده وإخوتِه وسائر أهله، وحُمِلتْ حرمُه ونساؤه على الأقتاب، يُراد بنا الكوفة، فجعَلتُ أنظر إليهم صرَعى ولم يُوارَوا، فعظُم ذلك في نفسي، واشتدّ لما أرى منهم قَلَقي، فكادت نفسي تَخرج، وتبيّنت ذلك مني عمّتي زينب بنت علي الكبرى، فقالت:

ما لي أراكَ تجود بنفسك يا بقيةَ جدي وأبي وإخوتي؟.

فقلت: وكيف لا أجزَع وأهلَع، وقد رأيت سيّدي وإخوتي وعمومتي وأهلي مُضرَّجين بدمائهم، مُرمَّلين بالعراء، مُسلّبين ولا يُكفّنون ولا يُوارَون، ولا يَعرج إليهم أحدٌ، ولا يَقربُهم بشرٌ كأنهم أهلُ بيتٍ من الديلم والخَزَر.

فقالت: لا يُجزِعنَّك ما تَرى، فوَالله، إن ذلك لعهدٌ من رسول الله إلى جدّك وأبيك وعمّك، ولقد أخذ اللهُ ميثاقَ أناسٍ من هذه الأمة، لا تَعرفهم فراعنةُ هذه الأرض، وهم معرُوفون في أهل السماوات: إنهم يَجمعون هذه الأعضاءَ المتفرقة فيُوارُنها، وهذه الجسوم المضرَّجة فيَدفنونَها، ويَنصبُون بهذا الطّف عَلماً لقبر أبيك سيّد الشهداء لا يُدرس أثرهُ، ولا يَعفو رسمُه على كرور الليالي والأيام، وليَجتَهدُنّ أئمةُ الكفر وأشياعُ الضّلال في مَحوه وتَطميسه، فلا يَزداد أثرُه إلاّ ظهوراً، وأمرهُ إلاّ عُلوّاً» الحديث[1]. ثم ذكرت له حديث أم أيمن عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) كامل الزيارات لابن قولويه: باب٨٨ فضل كربلا وزيارة الحسين عليه السلام.
والحديث المشار إليه هنا: هو تتمة هذا الحديث - ففي نفس المصدر - قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «فقلت: وما هذا العهد وما هذا الخبر؟ فقالت: نعم، حدثتني أم أيمن: أن رسول الله صلى الله عليه وآله زار منزل فاطمة عليها السلام في يوم من الأيام فعملت له (حريرة) وأتاه علي عليه السلام بطبق فيه تمر، ثم قالت أم أيمن: فأتيتهم (بعس) فيه لبن وزبد، فأكل=

. . . .

= رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) - من تلك الحريرة، وشرب رسول الله ﷺ وشربوا من ذلك اللبن.

ثم أكل وأكلوا من ذلك التمر والزبد، ثم غسل رسول الله ﷺ يده وعلي يصب عليه الماء، فلما فرغ من غسل يده مسح وجهه ثم نظر إلى علي وفاطمة والحسن والحسين نظراً عرفنا به السرور في وجهه، ثم رمق بطرفه نحو السماء ملياً، ثم إنه وجّه وجهه نحو القبلة وبسط يديه ودعا ثم خرّ ساجداً وهو ينشج فأطال النشوج وعلا نحيبه وجرت دموعه. ثم رفع رأسه وأطرق إلى الأرض ودموعه تقطر كأنها صوب المطر، فحزنت فاطمة وعلي والحسن والحسين (عليهم السلام)، وحزنت معهم لما رأيت من رسول الله ﷺ وهبناه أن نسأله.

حتى إذا طال ذلك، قال له علي وقالت له فاطمة: ما يبكيك يا رسول الله، لا أبكى الله عينيك - فقد أقرح قلوبنا ما نرى من حالك.

فقال ﷺ: يا أخي، سُررت بكم سروراً ما سُررت مثله قط - واني لأنظر إليكم وأحمد الله على نعمته عليّ فيكم، إذ هبط عليّ جبرئيل (عليه السلام) فقال: يا محمد، ان الله تبارك وتعالى اطلع على ما في نفسك وعرف سرورك بأخيك وابنتك وسبطيك فأكمل لك النعمة، وهناك العطية بأن جعلهم وذرياتهم ومحبيهم وشيعتهم معك في الجنة، لا يفرق بينك وبينهم، يَحيون كما تحيى، ويُعطون كما تُعطى حتى ترضى وفوق الرضا على بلوى كثيرة تنالهم في الدنيا، ومكاره تصيبهم بأيدي أناس ينتحلون ملتك ويزعمون أنهم من أمتك، براء من الله ومنك خبطاً خبطاً وقتلاً قتلاً، شتى مصارعهم، نائية قبورهم، خيرة من الله لهم ولك فيهم، فاحمد الله عز وجل على خيرته، وارض بقضائه، فحمدت الله ورضيت بقضائه بما اختاره لكم.

ثم قال لي جبرئيل: يا محمد، أن أخاك مضطهدٌ بعدك، مغلوبٌ على أمتك، متعوبٌ على أعدائك، ثم مقتولٌ بعدك، يقتله أشرّ الخلق والخليقة وأشقى البرية، يكون نظير عاقر الناقة ببلد تكون إليه هجرته، وهو مغرَس شيعته وشيعة ولده، وفيه على كل حال يكثر بلواهم ويعظم مصابهم.

وان سبطك هذا - وأومأ بيده إلى الحسين - مقتولٌ في عصابة من ذريتك وأهل بيتك وأخيار من أمتك، بضفة الفرات بأرض يقال لها: (كربلا) من أجلها يكثر الكرب والبلاء على أعدائك وأعداء ذريتك في اليوم الذي لا ينقضي كربه ولا تفنى حسرته. وهي أطيب بقاع الأرض وأعظمها حرمة يُقتل فيها سبطك وأهله، وإنها من بطحاء الجنّة، فإذا كان=

. . . .

= ذلك اليوم الذي يُقتل فيه سبطك وأهله، وأحاطت به كتائب أهل الكفر واللعنة تزعزت الأرض من أقطارها ومادت الجبال، وكثر اضطرابُها، واصطفقت البحار بأمواجها، وماجت السماوات بأهلها غضباً لك - يا محمد - ولذريتك واستعظاماً لما يُنتهك من حرمتك. ولشرّ ما تكافأ به في ذريتك وعترتك ولا يبقى شيء من ذلك الا استأذن الله عزّ وجلّ في نصرة أهلك المستضعفين المظلومين الذين هم حجة الله على خلقه بعدك، فيوحي الله إلى السماوات والأرض والجبال والبحار ومَن فيهن: أني أنا الله الملك القادر الذي لا يفوته هارب، ولا يعجزه ممتنع، وأنا أقدر فيه على الانتصار والانتقام، عزتي وجلالي لأعذبن مَن وَتر رسولي وصفيي، وانتهاك حرمته وقتل عترته. ونبذ عهده، وظلم أهل بيته - عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين.

فعند ذلك يضج كل شيء في السماوات والأرض يعلن من ظلم عترتك واستحلّ حرمتك، فإذا برزت تلك العصابة إلى مضاجعها تولى الله عزّ وجلّ قبض أرواحهم بيده، وهبط إلى الأرض ملائكةٌ من السماء السابعة، معهم آنية من الياقوت والزمرّد مملوءة من ماء الحياة، وحللٌ من حلل الجنة، وطيبٌ من طيب الجنة، فغلسوا جثثهم بذلك الماء، وألبسوها الحلل، وحنّطوها بذلك الطيب، وصلت الملائكة صفاً صفاً عليهم، ثم يبعث الله قوماً من أمتك لا يعرفهم الكفار، لم يشركوا في تلك الدماء بقول ولا فعل ولا نية فيوارون أجسامَهم، ويقيمون رسماً لقبر سيد الشهداء بتلك البطحاء يكون علماً لأهل الحق وسبباً للمؤمنين إلى الفوز، وتحفّه ملائكة من كل سماء مأة ألف ملك في كل يوم وليلة، ويصلون عليه ويطوفون عليه، ويسبحون الله عنده، ويستغفرون الله لمن زاره ويكتبون أسماء من يأتيه زائراً من أمتك، متقرباً إلى الله تعالى وإليك بذلك وأسماء آباءهم وعشائرهم وبلدانهم، ويوسمون في وجوههم بمَيسهم نور عرش الله: (هذا زائر قبر خير الشهداء وابن خير الأنبياء) فإذا كان يوم القيامَة سطع في وجوههم من أثر ذلك الميسم نور تغشى منه الأبصار، يدل عليهم ويعرفون به.

وكأني بك - يا محمد - بيني وبين ميكائيل وعلي أمامَنا ومعنا من ملائكة الله ما لا يُحصى عددهم، ونحن نلتقط من ذلك الميسم في وجهه من بين الخلائق حتى يُنجيهم الله من هول ذلك اليوم وشدائده، وذلك حكم الله وعطاؤه لمن زار قبرَك - يا محمد - أو قبرَ أخيك أو قبرَ سبطيك، لا يريد به غير الله عزّ وجلّ، وسيجدون أناسٌ ممن حقّت عليهم اللعنة من الله والسخط أن يُعفوا رسم ذلك القبر ويُمحوا أثرَه، فلا يجعل الله تبارك وتعالى لهم إلى ذلك سبيلاً...» الحديث.

زينب في صراع مع المصائب في الكوفة

ولكنّها في مَدخل الكوفة حينما نظرتْ إلى رأس أخيها الحسين، - تحفّ بِهِ رؤوسُ أهل بيته وأصحابه - على قَناةٍ طويلة، والريحُ تلعب بكريمته المقدّسة يميناً وشمالاً - تضاءَل منها هذا الصبرُ العظيم. قالوا عند ذلك: «نطحتْ زينبُ جبينَها بمقدّم المَحمِل حتى رؤي الدمُ يَسيل من تحت قِناعها، وأومأتْ إلى الرأس بحرقة وقالت:

يا هِلالاً لمّا استتمَّ كمَالا غالهُ خسفُه فأبدى غُروبا
ما تَوهّمتُ يا شَقيقَ فؤادي كان هذا مُقدّراً مكتوبا[1].

وفي قصر الإِمارة بالكوفة بحيث يجلس ابنُ زياد في صدر المجلس للتَهنِئة بالظفَر، وقد أوقف السبايا في جانبٍ من القصر، واحتشَد المجلسُ بعلوُج بني أميّة وسقَطَة المتاع من أهل الكوفة وقد وُضِعَ رأسُ الحسين عليه السلام بين يديه - وهو ينكث ثناياه بعود كان في يده - ويهزّ أعطافَه شَماتةً وفَرحاً بقتل سيّد شباب أهلِ الجنة[2]. قالوا: فانحازتْ زينبُ ابنةُ علي عليهما السلام عن النساء وهي متنكرة، وعليها أرذل ثيابها - وقد حفّت بها إماؤها، فالتفت ابن زياد إليها، فقال: من هذه المتنكرة، فلم تُجبه زينب، فأعاد القول ثانية.

---

(١) بحار المجلسي: ج٤٥ ص١١٥ طبع طهران الجديد، وفي تكملة أبيات ستة لهذه البيتين.

(٢) وكان إلى جنبه زيد بن أرقم صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله.
فقال له: يا بنَ زياد، ارفع قضيبَك عن هاتين الشفتين، فوالله الذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله صلى الله عليه وآله عليهما ثم انتحب باكياً، فقال له ابن زياد: أبكى الله عينيك، أتبكي لفتح الله؟ ولولا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك، فنهض زيد وصار إلى منزله - عن إرشاد المفيد ص٢٥٨ طبع إيران -. وذكر ابن عساكر في كتاب (ريحانة الرسول المستلّ من تاريخ دمشق: ص٢٥٩) ط بيروت. قريباً من ذلك المضمون - وبنفس المصدر الآنف ص٢٥٨، عن أنس بن مالك قال: «لما قُتل الحسين جيء برأسه إلى عبيد الله بن زياد، فجعل ينكت بقضيب على ثناياه، وقال: إنه كان لحسن الثغر، فقلت: أما والله لأسؤنّك فقلت: لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يقبّل موضع قضيبك من فيه».

فقالت له بعضُ إمائها: هذه زينبُ ابنةُ علي وابنة فاطمة. فأقبل عليها ابنُ زياد، وقال: الحمد لله الذي فضَحكم وقتَلكم وأكذَب أحدوثَتكم،

فقالت العقيلة زينبُ - برباطة جأشٍ -: الحمدُ لله الذي أكرمَنا بنبيّه محمّد ﷺ وطَهّرنا من الرجس تَطهيراً، إنَّما يفتَضح الفاسق، ويكذب الفاجر، وهو غيرُنا.

قال ابنُ زياد: كيف رأيتِ صُنعَ الله بأخيك وأهل بيتك؟.

قالت زينب: ما رأيتُ إلاّ جَميلاً، هؤلاءِ قومٌ كَتب الله عليهم القتلَ، فبرزُوا إلى مَضاجعهم، وسيَجمع الله بينَك وبينَهم، فتُحاجُ وتخاصَم[1] فانظر لمن الفلج - يَومئذٍ - ثكلتك أمُك يا ابنَ مَرجانة.

فاستَشاط ابنُ زياد غضباً من كلامها، وهمَّ بها، لولا أن يَلتفت إليه عَمروُ بن حريث قائلاً: «أصلحَ الله الأمير، إنّما هي امرأة، ولا تُؤاخذ المرأةُ بشيءٍ من مَنطقها».

ثم التفتَ إليها ابنُ زياد قائلاً: لقد شفى اللهُ نفسي من طاغيتكِ والعُصاة المرَدَةَ من أهل بيتكِ.

قالوا: فعند ذلك بكتْ ورقّت وقالت له: «لعَمري لقد قتلتَ كهلي، وأبرزتَ أهلي، وقطعتَ فرعي، واجتثثتَ أصلي، فان يشفِك هذا فقد اشتَفيت».

فقال ابن زياد: هذه سجّاعة، ولعَمري لقد كان أبوها شاعراً سَجّاعاً.

قالت زينبُ - وهي لا تَملك صبرَها -: «يا ابنَ زياد، وما للمرأة والسّجاعة، وانّ لي عن السّجاعة لشُغلاً، ولكن صدري نفثَ بما قلت»[2].

---

(١) في تاريخ الطبري ج٥ ص٤٥٧ طبع دار المعارف بمصر: «فتُحاجون إليه وتخاصمون عنده».

(٢) بحار المجلسي: ج٤٥ ص١١٥-١١٦ طبع طهران الجديد، وإرشاد المفيد: ص٢٥٩ طبع إيران حجر، ولهوف ابن طاووس: ص٦٧ طبع النجف، والمنتظم لابن الجوزي: ج٥ ص٩٨ - مخطوط - وغيرها...

زينب ينفذ صبرها في الشام

قالوا: ولما أدخِلتْ زينبُ ابنة علي عليهما السلام على مجلس يزيد في الشّام - ومعها حَرائرُ الرسالة وبناتُ الزهراء، والأراملُ واليَتامى، والإمامُ زين العابدين عليه السلام مريضٌ مغلّل بالقُيود، ويزيدُ بن معاوية متربّعٌ على سَرير الملك والظَفر، وبين يديه رأسُ الحسين بن علي في الطشت، وهو يترنّم بأبيات ابن الزِبِعْري، ويقول:

لـيـتَ أشـيـاخـي بـبـدرٍ شَـهِـدوا   جَـزَع الـخـزْرج مـن وقَـع الأسـلْ
لأهـلّـوا واسـتَـهـلّـوا فَـرَحـاً   ثـم قـالـوا يـا يَـزيـدُ لا تَـشـلْ
قـد قـتَـلـنـا الـقَـرمَ مـن سـاداتـهـم   وعـدلـنـاه بـبـدرٍ فـاعـتَـدلْ
لـعـبـتْ هـاشـمٌ بـالـمُـلـك فـلا   خـبـرٌ جـاءَ ولا وَحـيٌ نَـزلْ
لـسـتُ مـن (خِـنـدفَ) ان لـم أنـتـقـمْ   مـن بَـنـي أحـمـدَ مـا كـان فَـعـلْ[1]

ومن حَوله علوجُ بني أمية - ومنهم العَدوّ الألدّ للحسين عليه السلام مروان بن الحكم، وهو يهزّ أعطافَه فرحاً وشماتةً بقتل سيّد شباب أهل الجنة، ويلتفت إلى الرأس الشريف قائلاً:

يـا حـبّـذا بـردُك فـي الـيـديـنِ   ولـونُـك الأحـمـرُ فـي الـخـدّيـنِ
أخـذتُ ثـاري وقَـضـيـتُ ديـنـي   شـفـيـتُ قـلـبـي مـن دم الـحـسـيـنِ

ويزيدُ بيده عود ينكث به ثغرَ الحسين، ويقول: يومٌ بيوم، وأنشد:

---

(١) تُروى الأبيات الثلاثة الأولى لابن الزبعري، وقد أضاف لها يزيد البيتين الآخرين، وقد ذكرت مجموع الأبيات عامة المصادر التأريخية. كتاريخ الطبري، وكامل ابن الأثير في حوادث سنة ٦١ هـ - ومقتل الخوارزمي: ج٢ ص٢٦٧ طبع النجف، وشرح النهج الحديدي: ج٣ ص٣٨٣ طبع مصر قديم، وروضة الواعظين للفتال: ص١٩١ طبع النجف، ولهوف ابن طاووس: ص٧٥ طبع النجف، واعلام النساء: ج١ ص٥٠٤، والبداية والنهاية: ج٨ ص١٩٢، وإرشاد المفيد، وبحار المجلسي، وعامة المؤرخين وأرباب المقاتل - ولكنهم مختلفون في نقلها بين مقلّ وبين مُكثر.

نُفلّقُ هاماً من رجالٍ أعزة علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلما[1]

هذا، والنساءُ المسبيّات من وراء السِّتر، وسُكينةُ وفاطمةُ ابنتا الحسين يتطاولان النظرَ إلى الرأس الشَّريف، ويزيدُ يستُره عنهما. ولما رأينَه أعلنّ بالبكاء وصَرخن ووَلولنَ، فقالتْ فاطمةُ بنتُ الحسين: أبناتُ رسول الله سبايا يا يزيد[2].

قالوا: فلمّا رأت العقيلةُ زينبُ الكبرى فِعل يزيد برأس أخيها، نفَذ صبرُها، وأهوتْ إلى جَيبها فشقّته، ونادت بصوت يُقْرح القلوب، ويَشقّق المرائر: يا حسيناه، يا حبيبَ رسول الله، يا ابنَ مكة ومِنى، يا ابنَ فاطمةَ الزهراء وسيدة النساء. فأبكتْ كل من حضر، ويزيد ساكتٌ لا يتكلّم[3].

شامي يطلب استخدام فاطمة بنت الحسين

قالوا: ونظَر شاميّ أحمر في مجلس يزيد إلى فاطمةَ بنت الحسين عليها السلام فقال ليزيد: يا أميرَ المؤمنين، هبْ لي هذه الجارية تكون خادمةً عندي؟.

---

(١) في أنساب الأشراف للبلاذري: ج٣ ص٢١٣ طبع بيروت: «لما وضع رأس الحسين بين يدي يزيد تمثل ببيت الحصين بن الحمام المري: نفلق هاما...». ومثله السيد في (الأعيان: ج٤ قسم ١ ص٢٦٨) طبع دمشق، الا أن هذا الأخير ذكر بيتين آخرين قبل هذا البيت.

قالوا: فأجابه يحيى بن الحكم بقوله:

لهام بجنب الطف أدنى قرابة من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغل

سمية أمسى نسلها عدد الحصى وليس لآل المصطفى اليوم من نسل

فضربه يزيد على صدره وقال: اسكت لا أم لك - عن تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٦٠ طبع دار المعارف بالقاهرة، وبحار المجلسي: ج٤٥ ص١٣١ طبع طهران الجديد، وإرشاد المفيد: ص٢٦٢ طبع إيران، وتاريخ الإسلام للذهبي: ج٢ ص٣٥٠، والبداية والنهاية لابن كثير: ج٦ ص١٩٢-.

(٢) الكامل لابن الأثير: ج٣ ص٢٩٩ طبع بيروت.

(٣) أعيان الشيعة للأمين: ج٤ قسم ١ ص٢٦٧ دمشق.

فارتَعدتْ فرائصُ فاطمة من كلامه، وتعلّقتْ بعمّتها زينب وهي تقول: يا عمّتاه، أوتِمتُ وأُستخْدم؟.

فقالت زينب لذلك الشاميّ: كذبتَ والله ولؤمتَ: ما كان لك ذلك، ولا له.

فغَضِبَ يزيدُ من كلامها، وقال: إنّ ذلك لي، ولو شئتُ أن أفعل لفعلت.

قالت زينب: كلاّ والله، ما جعل الله لك ذلك، إلاّ أن تخرج من ملّتنا، وتَدين بدينٍ غير ديننا.

فاستطار يزيدُ من كلامها غضباً، وقال: إيايَ تستقبلين بهذا الكلام؟ إنّما خرج من الدين أبوكِ وأخوكِ.

قالت زينبُ: بدين الله ودين جدّي وأبي وأخي اهتديتَ أنت وجدك وأبوك، إن كنتَ مسلماً.

قال: كذبتِ يا عدوةَ الله.

فعند ذلك رقّت زينبُ وشَعرتْ بالهوان وفقدان الناصر، فالتفتتْ إليه، وقالت له: «أنت أمير تشتم ظالماً، وتَقهرُ بسلطانك» ولسانُ حالها يقول: وأنا:

لا والــدٌ لــي ولا عــمّ ألــوذُ بــه   ولا أخٌ لـي بَـقـي أرجـوه ذو رَحِـم
أخي ذَبيـحٌ ورَحـلـي قـد أبـيـحَ وبـي   ضـاقَ الفَسيحُ وأطفالي بغير حَمي

وعاودَ الشاميُّ إلى طلبه - ثانيةً - فزبَره يزيدُ، ونهَره، وقال: أعزُبْ عن هذا وهَب اللهُ لك حَتفاً قاضياً[1].

---

(١) إرشاد المفيد: ص٢٦٢ طبع إيران حجري، وروضة الواعظين للفتال: ص١٩٢ طبع النجف، وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ص٢٦٤ طبع النجف، ومقتل الخوارزمي: ج٢ ص٦٢ طبع النجف، ومثير الأحزان لابن نما ص٥٤، وبحار المجلسي: ج٤٥ ص١٣٦ طبع طهران الجديد، ولهوف ابن طاووس: ص٧٨ طبع النجف. وفيه: «فقال الشامي: من هذه الجارية يا يزيد؟ فقال يزيد: هذه فاطمة بنت الحسين، وتلك زينب بنت علي بن أبي طالب. فقال الشامي: الحسين بن فاطمة وعلي بن أبي طالب؟ قال: نعم، قال الشامي: لعنك الله يا يزيد، أتقتل عترة نبيك وتسبي ذريته، والله ما توهمت إلا أنهم من سبي الروم. فقال يزيد: والله لألحقنك بهم، ثم أمر به فضُربت عنقه». =

آل رسول الله في خربة الشام

قالوا: ثم إنَّ يزيدَ بن معاوية أمر فأنزَلوا آل رسول الله وحرائرَ النبوّة والرسالة وبناتِ علي والزهراء في سَكنٍ لا يقي من حرّ ولا بَرد، وليس فيه سقفٌ يُظلّهم عن حَرارة الشّمس، فكانت الشمسُ تَصهرُهم، في حَرّ الظهيرة، حتى تقشّرتْ وجوهُهم وجلودُهم من حَرارة الشّمس(١).

ونُقلَ عن (بعض التواريخ): أن عائلةَ الحسين عليه السلام وأرامل آل محمّد بعد قتَل رجالهنّ يومَ الطف، وسبيهنّ من بَلدٍ إلى بلد كانوا يُحفُون على صِغار الأطفال واليتامى قتل أوليائهم وآبائهم، فان بكى يتيمٌ أو يتيمة أباه أو أخاه ناغَوهُ باللطف، وأخبروُه بأنه في سفرٍ، وسوف يعُود من سفَره، فكانوا بهذا ونحوه يُشغِلُون اليتامى والأطفال عن الشعُور بألم اليُتم ومَرارة المصاب.

رقية بنت الحسين في الخربة

حتى إذا جيء بهم إلى الشّام، وأنزلوهم في خَرِبةٍ إلى جنب قصر يزيد - لعنه الله - قالوا: وكانت للحسين عليه السلام طفلة صغيرة لها من العمر أربعُ سنين، وكانت مع الأسرى في خربة الشام، وكانت تبكي لفراق أبيها ليلاً ونهاراً، وهم يقولون لها: هو في السفر، فبينما هي نائمة ذاتَ ليلة في الخربة، إذ انتَبهتْ مذعورةً باكيةً، تقول: أين أبي؟ الآن قد رأيته، إيتوني بأبي، أريد أبي؟. وكلما أرادوا إسكاتَها ازدادت جزعاً وبكاءاً.

= هكذا في عامة كتب التاريخ والمقاتل من الفريقين، ولكن الطبري وابن الاثير في (تاريخهما بحوادث سنة ٦١هـ) وكذلك الصدوق في (أماليه) يذكرون: أن القصة كانت مع فاطمة بنت علي بن أبي طالب عليه السلام. ولعلّه اشتباه يستبين لكل من واكب عرض القصة من أولها.

(١) روضة الواعظين للفتال: ص١٩٢ طبع النجف.

فعند ذلك تعالى الصُّراخ من العيال والأطفال، حتى وصلت الصيحة إلى يزيد فانتَبه من نَومه، فسأل عن الحَدث، فأخبرُوه: أنّ طفلةً للحسين رأت أباها في المنام، فانتبهتْ تطلبه وتبكي عليه.

فأمرَ - لعنه الله - فجاؤا برأس الحسين عليه السلام في طشتٍ - أو طَبق - ووضعوه بين يديها وهو مُغطىً بمنديل، وقالوا لها: هذا رأس أبيك.

فلما نظرتْ إليه اضطربتْ وصرَختْ وأهوتْ على الرأس وضمّته إلى صدرها وهي تنادي: أبه يا أبَه مَن الذي خَضّبك بدمائك؟ أبَه يا أبَه، مَن الذي قطعَ وريدَك؟ أبَه يا أبَه، مَن الذي أيتمني على صِغر سني؟ أبَه يا أبَه، مَن لليتيمة حتى تكبر؟.. ولم تَزلْ تُعول وتنوح وتبكي على أبيها وتندبه، حتى فارقت روحُها الدنيا - وهي واضعة فمها على فَم أبيها الحسين -.

فتجدد المصابُ على حرائر الرسالة وازداد البكاء والنحيب لحال هذه الطفلة اليتيمة، ولم يُرَ في ذلك اليوم أكثرُ باك ولا باكية منهم. فأمر يزيدُ يغسُلها وكفَنها ودفنها في الخربة[1].

وذكر بعضُ الأكابر: أن أمّ كلثوم كان جزعُها وبكاؤها ونحيبُها على تلك الطفلة أشدّ وأبلغَ من باقي العيال، فما كانت تهدأ وتسكن طيلة تلك المدّة التي قضَوها في الشام.

فقالت لها العقيلةُ زينبُ الكبرى: يا أخيّه، ما هذا الجزع والبكاء والهَلع؟ كلّنا أصبْنا بفقد هذه الطفلة، ولم يَخصّك المصاب وَحدَكِ.

فقالت لها: يا أختاه، لا تَلوميني، كنتُ واقفةً عشيةَ أمس بعدَ العصر - وإلى جَنبي هذه الطفلة - بباب الخَرِبة في وقت انصراف أطفال أهل الشام من مَدارسهم إلى بيوتهم وأهاليهم، فكان بعضُهم يقف بباب الخربة للتفرّج علينا ثم يذهب.

فقالت لي هذه الطفلة: عمّة، إلى أين يذهب هؤلاء الأطفال؟.

قلت لها: إلى منازلهم وأهاليهم.

فقالت لي: عمّة، ونحن ليس لنا منزلٌ ولا مأوىً غير هذه الخربة؟.

---

(١) الايقاد للسيد العظيمي: الفصل الثامن عشر - نقلاً عن العوالم وغيره.

وأنا - يا أختاه كلّما ذكرتُ هذا الكلام منها لم تَهدأ لي زَفرة، ولم تَسكن لي عَبرة».

لهفَ نفسي لزينبٍ وهي ثكلى يلتَظي قلبُها دمُوعاً وآها
كم رأتْ في خَرابة الشام أحزاناً تَسيخ الجبالُ من بَلواها
رأت الذلَّ والهَوانَ وقيدَ الأسر، فازداد حُزنُها وشَجاها
ورأتْ ما يُمضّ من ألَم اليُتم مصاباً يَعزّ عن أن يُضاهى
طفلةٌ بنتُ أربعٍ أو ثلاثٍ يشَهقُ العِطرُ من عَبير شذَاها
فِلذةٌ من فؤاد أحمدَ يَجري من عليّ وفاطمٍ رَيّاها
هي بنتُ الحسين لم تَعرف اليُتمَ، ولم تَدر كيف تنعى أباها
أَلِفتْ حجرَه وثيراً من المَهد، وكان الشغوفَ إذ يَرعاها
لم تَزلْ تسأل الأراملَ والأيتامَ عنه، ولم تُحصّل مُناها
وغَفتْ عينُها لتَهجَع بَلواها، وننسى مصابَها وأساها
وإذا بالكرى طيُوفٌ حُبالى بالمآسي وليتَها لن تَراها
رأت الوالدَ العطوفَ بعينيها فهبّتْ مذعورةً من رُؤاها
وانبرتْ تَشتكي له الذلّ واليُتمَ فتذوي القلوبُ من شَكواها
واستَفاقتْ مِن غَفوةِ الضيم تبكي وتُنادي ولا يُجابُ نِداها
يا أبيْ، يا أبيْ أريدُ أبي - الآن - فقد كان لي ظِلالاً وجاها
فاستَجاشتْ عَواطفُ الثكل بالحُزن ضجيجاً من أرضها لِسَماها
وتَعالى البكاءُ واستَشرتِ الآهاتُ، والتاعُ في النّفُوسُ جَواها
فاستَفزّ الصُراخُ نومَ يزيدٍ وهو في قصره فأبدى انتباها
قال: ماذا جرى لعائلة الأسر، ألَمْ يُنسِها الكرى شجواها
قيل: بنتُ الحسين في حُلم النَوم رأتهُ، فاشتَطّ منها نُهاها
فأفاقتْ تُريدُ شَخص أبيها فهي لم تَقتَنعْ بغير مُناها
قال: ذا رأسُه أحملوهُ إليها فعسى تَستَعيض عنها عَساها
فأتوهُ به، فأهوتْ عليه بانعطافٍ أضاع منها هُداها
وأنحنتْ فَوقَه تُقبّل فاهُ وهو من عَطفِه يُقبّل فاها
وتُناديه: يا أبي أيّ سَيفٍ جَذَّ منك الأوداجَ حتّى بَراها

يا أبيْ مَن تُراه خَضّب منك الشّيبَ بالدّم، مَن تُرى أشقاها
يا أبيْ مَن إلى الأرامل والأيتام يُعنى بها، ومَن يَرعاها
يا أبيْ أين غِبتَ عنّا، فقد ضاقتْ رِحابُ الصدُور مِن لؤاها
يا أبيْ عزّ أن نَراك تَرى الأيتام حسرى، والعزُّ فَضلُ رِداها
واستَجاشتْ بها العواطفُ حَرّى يُفجّر الصَّخر من شَجى نجواها
ثم سَرعانَ ما استَكانتْ على رأس أبيها تَبثّه شَكواها
فإذا بالمصاب يضرى فيُبدي جُثّةُ بَزها الحِمامُ رِواها
حُلُمٌ وأنطوى وأجهشَ تأريخٌ وضلّت مأساتُها تَنعاها[١]

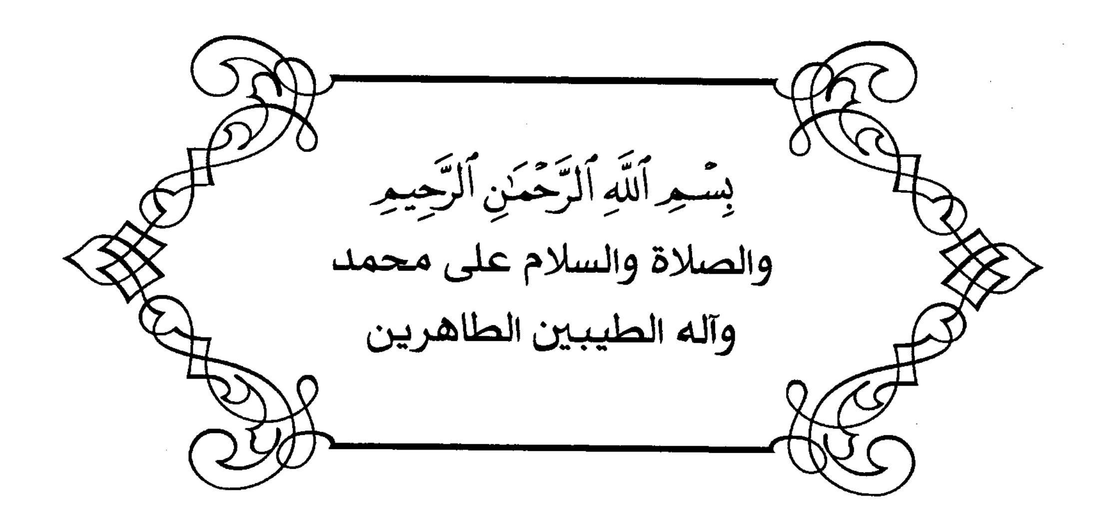
ألا لعنة الله على القوم الظالمين



(١) عن قصيدة لنا في رثاء اليتيمة رقية بنت الحسين عليها السلام أدرجناها في ديواننا (زورق الخيال).

المَجلِسُ السّابع

وهو يحتوي - بعد المقدمة - على حياة ومبارزة وشهادة العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام واخوته الثلاثة من (أم البنين الكلابية ومواقفهم البطولية يوم الطف.


بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
والصلاة والسلام على محمد
وآله الطيبين الطاهرين

قال الله تبارك وتعالى في كتابه المجيد:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: 33].

﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: 48].

﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 25].

﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد، الآية: 20].

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 133].

﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: 36].

﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: 35].

﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: 103].

(صدق الله العلي العظيم)

من كلام للإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام

- كما في روضة الواعظين للفتال -

«قُرّاء القرآن ثلاثة: رجلٌ قرأ القرآن، فاتّخذه بضاعةً واسْتَجرَّ به الملوك، واستَطال به على النّاس. ورجلٌ قَرأ القرآن، فحفظ حروفَه وضيّع حُدودَه. ورجلٌ قرأ القرآنَ فوضعَ دواء القرآن على داء قلبه، وأسهَر به ليلَه، وأظمأ به نهارَه، وقام به في مساجده، وتجافى به عن فراشه، فبأولئك يدفع الله تعالى البلاءَ، وبأولئك يُديلُ الله من الأعداد، وبذلك يُنزل الغيثَ من السّماء. واللهِ، لَهؤلاء في قرّاء القرآن أعزّ من الكبريت الأحمر».

من وصية له عليه السلام لجابر بن يزيد الجعفي

- كما في تحف العقول لابن شعبة -

«يا جابر، أوصيكَ بخمس: إن ظُلِمتَ فلا تَظلمْ، وإن خانوك فلا تَخن، وإن كُذِّبتَ فلا تغضبْ، وإن مُدِحت فلا تَفرحْ، وإن ذُمِمتَ فلا تَجزعْ. وفكّر فيما قيل فيك: فان عَرفتَ مِن نفسك ما قيل فيك. فسقوطُك من عين الله عزّ وجلّ عند غضبَك من الحقّ أعظمُ عليك مصيبةً مما خِفتَ من سقوطك من أعينِ الناس، وإن كنت على خلاف ما قيل فيك فثوابٌ اكتَسبتَه من غير أن يَتعب بدنُك.

يا جابر، إستَكثِرْ لنفسك من الله قليلَ الرّزق تَخلّصاً إلى الشُكر. واستَقللْ من نفَسك كثيرَ الطّاعة لله إزراءً على النفس وتعرّضاً للعفو، وادفعْ عن نفسك حاضرَ الشرّ بحاضر العِلم، واستَعملْ حاضرِ العِلم بخالص العمَل، وتَحرّزْ في خالصِ العمَل من عظيم الغَفلة بشدّة التيقّظ، واستَجلبْ شدّةَ التيقّظ بصدق الخوف، واحذر خفيَّ التَزيّن بحاضر الحياة، وتَوقّ مُجازفةَ الهوى بدلالة العقل، وقِفْ عند غلَبة الهوى باسترشاد العِلم، واستَبقِ خالصَ الأعمال ليومِ الجزاء، وانزل ساحةَ القناعة باتّقاء الحِرص، وادفعْ عظيمَ الحرص بإيثار القَناعة، واستَجلبْ حَلاوةَ الزَهادة بقَصر الأمل، واقطَع أسبابَ الطمع ببِرد اليأس، وسُدَّ سبيلَ العُجب بمعرفة النفس، وتخلّصْ إلى راحة النفس بصحّة التَفويض، واطلبْ راحةَ البدن

بإجمام القلب، وتَخلّص إلى إجمام القلب بقلة الخَطأ، وتَعرّض لرقّة القلب بكثرة الذكر في الخَلوَات، واستَجلب نُور القلب بداوم الحُزن، وتَحرّز من إبليس بالخَوف الصّادق، وإياكَ والرّجاء الكاذب، فانه يُوقعك في الخَوف الصّادق، وتَزيّن لله عزّ وجلّ بالصّدق في الأعمال، وتحبَّبْ إليه بتعجيل الانتقال، وإياكَ والتَّسويف، فانه بحرٌ يَغرق فيه الهلكى، وإيّاك والغفلة ففيها تكون قساوةُ القلب، وإياك والتواني فيما لا عُذرَ لك فيه، فإليه يلجأ النادمُون، واستَرجع سالفَ الذنوب بشدّة النّدم وكثرة الاستغفار، وتَعرّض للرحمة وعفو الله بحسن المراجعة، واستَعِنْ على حسن المراجعة بخالص الدعاء والمناجاة في الظُّلم، وتخَلّص إلى عظيم الشكر باستكثار قليل الرزق واستقلال كثير الطاعة، واستَجلب زيادةَ النِّعم بعظيم الشكر، وتوسّل إلى عظيم الشكر بخوف زَوال النِّعَم، واطلُبْ بقاء العزّ بإماتة الطَمع، وادفعْ ذُلّ الطَمع بعزّ اليأس، واستجلبْ عزّ اليأس ببُعد الهمّة، وتزَوّد من الدنيا بقِصر الأمل، وبادرْ بانتهاء البُغية عند إمكان الفُرصة، ولا إمكان كالأيام الخالية مع صحة الأبدان.

وإياك والثقةَ بغير المأمون، فان للشرّ ضرَاوةً كضراوة الغذاء.

واعلمْ: إنه لا عِلمَ كطَلب السلامة، ولا سَلامةَ كسلامة القلب، ولا عقل كمخالفة الهوى، ولا خوفَ كخوفٍ حاجِز، ولا رجاء كرجاءٍ مُعين، ولا فقرَ كفقر القلب، ولا غنىً كغنى النفس، ولا قوّةَ كغَلبة الهوى، ولا نُورَ كنور اليقين، ولا يقينَ كاستصغار الدنيا، ولا معرفةَ كمعرفتك بنفسك، ولا نعمةَ كالعافية، ولا عافيةَ كمساعدة التوفيق، ولا شرفَ كبعد الهمّة، ولا زُهدَ كقصرَ الأمل، ولا حرصَ كالمنافسة في الدرَجات، ولا عَدلَ كالإنصاف، ولا تَعدّي كالجَور، ولا جورَ كموافقة الهوى، ولا طاعةَ كأداء الفرائض ولا خوفَ كالحزن، ولا مصيبةَ كعُدم العقل، ولا عُدمَ عقلٍ كقلّة اليقين، ولا قلةَ يقينٍ كفَقد الخَوف، ولا فقدَ خوفٍ كقلّة الحزن على فقد الخوف، ولا مصيبةَ كاستهانتك بالذنب ورضاك بالحالة التي أنت عليها. ولا فضيلةَ كالجهاد، ولا جهادَ كمجاهدة الهوى، ولا قوةَ كردّ الغضب، ولا معصيةَ كحبّ البقاء، ولا ذُلّ كذلّ الطمَع، وإيّاك والتفريط عند إمكان الفُرصة، فإنه ميدانٌ يجري لأهله بالخُسران.

يا جابر، مَن دخل قلبَه خالصُ الإيمان شُغِلَ عمّا في الدنيا من زينتها، إنّ زينة زهرة الدنيا إنمَا هي لَعِبٌ ولَهوٌ، وإنّ الدارَ الآخرة لهي الحيَوان.

واعلم - يا جابر - إن أبناء الدنيا هم أهلُ غَفلةٍ وغُرور وجهالة، وإنّ أبناء الآخرة هم المؤمنُونَ العاملونَ الزاهدون، أهل العلم والفِقه، وأهلُ فكرةٍ واعتبار واختبار، لا يملّون من ذكر الله.

فأنزل نفسَك من الدنيا كمَثَل مَنزلٍ نزلتَه ساعة ثم ارتحلتَ عنه، أو كمَثَل مالٍ استَفدتَه في منامك ففرحتَ به وسُرِرتَ، ثم انتبهتَ من رقدتك وليس في يدك شيء...».

وقال عليه السلام أيضاً: «ما شيعتُنا إلاّ مَن اتّقى الله وأطاعَه، وما كانوا يُعرَفون إلا بالتّواضع والتخَشّع وأداء الأمانة، وكثرةِ ذكر الله والصّوم والصّلاة والبِرّ بالوالدين، وتَعهّد الجيران من الفقراء. وذوي المسكنة والغارمين والأيتام، وصدق الحديث، وتلاوةِ القرآن، وكفّ الألسن عن الناس إلاّ من خَير، وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء.

إنّما شيعةُ عليٍّ المتباذلونَ في وَلايتنا، المتحابّون في مودّتنا المتزاورُون لإحياء أمرنا، الّذين إذا غَضِبوا لم يَظلِموا، وإذا رَضوُا لم يُسرِفوا، بَركةٌ على مَن جاوَرُوا، وسِلمٌ لمن خالطوا».

وقال عليه السلام أيضاً: «مَنْ عَلّمَ بابَ هدىً فله مثلُ أجرِ مَن عَمِلَ به، ولا يُنقصُ أولئك من أجورهم شيئاً. ومنَ علّمَ بابَ ضلال كان عليه مثلُ أوزار مَن عَمِلَ به، ولا يُنقص أولئك من أوزارهم شَيئاً».

وقال عليه السلام أيضاً: «أربعٌ من كنُوز الإيمان: كتمانُ الحاجة، وكتمانُ الصدَقة، وكتمانُ الوجَع، وكتمانُ المصيبة».

وقال عليه السلام أيضاً: «منَ صدق لسانُه زكا عملُه، ومَن حسنَتْ نيتُه زيد في رزقه، ومَن حسُن برّه بأهله زيد في عمُره».

وقال عليه السلام أيضاً: «كفى بالمرء غَشاً لنفسه أن يَبصر من الناس ما يعمى عليه من أمر نفسه، أو يَعيب غيرَه بما لا يستطيع تركه، أو يؤذي جليسَه بما لا يَعنيه».

وقال عليه السلام أيضاً: «إنّ هذا اللسانَ مفتاحُ كلِ خير وشَرّ، فينبغي للمؤمن أن

يختمَ على لسانه كما يختمَ على ذهبه وفضّته، فانّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «رَحِمَ الله مؤمناً أمسك لسانَه من كل شرّ، فان ذلك صدَقةٌ منه على نفسه».

وقال عليه السلام أيضاً: «لو يَعلم السائلُ ما في المسألة ما سألَ أحدٌ أحداً، ولو يَعلم المسؤولُ ما في المنع ما منَع أحدٌ أحداً».

وقال عليه السلام كما في جامع السّعادات للنراقي -: «مَثلُ الحَريص على الدنيا كمثَل دودة القزّ، كلما ازدادتْ على نفسها لفاً كان أبعدَ لها من الخروج حتى تموت غمّاً».

ومن وصايا الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام

لعبد الله بن جندب - كما في تحف العقول

«يا ابن جندب، حقٌّ على كلّ مسلم يعرفنا أن يعرضَ عملَه في كلّ يومٍ وليلةٍ على نفسه، فيكونَ محاسبَ نفسه، فان رأى حسنةً استزاد منها، وإن رأى سيئةً استغفر منها، لئلاّ يَخزى يومَ القيامة. . .

يا ابن جُندب، الماشي في حاجة أخيه كالساعي بين الصّفا والمروة، وقاضي حاجته كالمتشحّط بدمه في سبيل الله يومَ بدر وأُحد، وما عذّب الله أمةً إلّا عند استهانتهم بحقوق فقراءِ إخوانهم.

يا ابنَ جُندب، لو أن شيعتنا استقاموا لصافحتهم الملائكة ولأَظلّهم الغَمامُ، ولأشرقوا نهاراً. ولأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ولما سألوا الله شيئاً إلا أعطاهم.

يا ابن جُندب، بَلّغ معاشرَ شيعتنا وقل لهم: لا تَذهبنّ بكم المذاهب، فوالله لا تُنال وَلايتُنا إلا بالوَرع والاجتهاد في الدنيا ومواساة الإخوان في الله، وليس من شيعتنا مَن يظلم النّاس.

يا ابن جندب، إنما شيعتُنا يُعرفونَ بخصالٍ شتّى: بالسخاء والبذل للإخوان، وبأن يُصلّوا الخمسين ليلاً ونهاراً. شيعتُنا لا يَهرّون هَريرَ الكلاب، ولا يَطمعون

طمعَ الغراب، ولا يُجارون لنا عدوّاً، ولا يسألون لنا مبغضاً - ولو ماتوا جوعاً - شيعتُنا لا يأكلون الجِرّي، ولا يمسحون على الخفّين، ويحافظون على الزوال، ولا يَشربون مسكراً.

يا ابن جُندب، أحبِبْ في الله، واستَمسِك بالعُروة الوثقى، واعتَصِمْ بالهدى يُقبلْ عملُك، فان الله يقول: «إلاّ من آمن وعَمِل صالحاً ثم اهتدى» فلا يُقبل إلاّ الإِيمان، ولا إيمانَ إلا بعمَل، ولا عملَ إلا بيقين، ولا يقينَ إلاّ بالخشُوع، وملاكُها كلها الهدى، فمن اهتدى يُقبل عملُه، وصعدَ إلى الملكوت متقبلاً: «والله يَهدي مَن يشاء إلى صراطٍ مُستَقيم».

يا ابنَ جندُب، إن أحببْتَ أن تُجاورَ الجليلَ في داره وتسكنَ الفردوسَ في جِواره، فَلتَهنْ عليك الدنيا، واجعل الموتَ نصبَ عينيك، ولا تدّخر شيئاً لغدٍ، واعَلم أنّ لك ما قدّمتَ وعليك ما أخّرت.

يا ابنَ جندُب، مَن حَرَم نفسَه كسبَه فإنّما يجمَع لغيره، ومن أطاع هواه فقد أطاع عدوّه. ومَن يثق بالله يَكفهِ ما أهمّه من أمر دنياه وآخرته، ويَحفظ له ما غاب عنه. وقد عجزَ مَن لم يُعدّ لكل بَلاءٍ صبراً، ولكلّ نعمةٍ شكراً، ولكل عُسرٍ يُسراً. صبّر نفسَك عند كل بليّةٍ في وَلدٍ أو مال أو رَزية، فانّما يقبض عاريتَه ويأخذ هبتَه ليبلوَ فيهما صبرَك وشكرَك. وارجُ اللهَ رجاءً لا يُجرئك على معصيته، وخِفْه خوفاً لا يُؤيسك من رحمته، ولا تَغترّ بقول الجاهل ولا بمدحه، فتكبرَ وتجبرَ وتعجبَ بعملك. فان أفضل العمل العبادة والتواضع. فلا تُضيّع مالكَ وتُصلح مالَ غيرك ما خلفته وراء ظهرك. واقنع بما قسمَه الله لك، ولا تَنظر إلا إلى ما عندك، ولا تَتمنَّ ما لستَ تناله، فان مَن قنعَ شَبعَ، ومن لم يقنع لم يشبعْ، وخذ حظّك من آخرتك، ولا تكن بَطِراً في الغنى، ولا جَزِعاً في الفقر، ولا تكنْ فَظاً غليظاً يكره الناس قربَك، ولا تكن واهناً يُحقّرك مَن عرفك، ولا تُشادّ مَن فوقَك، ولا تَسخرْ بمن هو دونك، ولا تُنازع الأمرَ أهلَه، ولا تُطع السفهاء، ولا تكنْ مَهيناً تحتَ كلّ أحد، ولا تَتكلنَّ على كفاية أحد، وقِفْ عند كل أمر حتى تعرفَ مدخلَه من مخرجه قبل أن تقعَ فيه فتندَم، واجعل قلبكَ قريباً تشاركه، واجعل عملَك والداً

تتّبعه، واجعل نفسَك عدواً تُجاهدهُ، وعاريةً تردّها، فانك قد جُعِلتَ طبيبَ نفسك، وعُرّفتَ آية الصحة، وبُيّن لك الداء، ودُلِلتَ على الدواء. فأنظر قيامَك على نفسك. وان كانت لك يدٌ عند إنسان فلا تُفسدها بكثرة المِنَن والذكر لها، ولكن أتبعها بأفضل منها، فانّ ذلك أجملُ بك في أخلاقك، وأوجب للثواب في آخرتك، وعليك بالصَّمتْ تُعدّ حليماً. - جاهلاً كنت أو عالماً - فانّ الصمتَ زينٌ لك عند العلماء، وسَترٌ لك عند الجُهّال.

يا ابنَ جُندب، صِلْ مَن قطعك، وأعطِ مَن حرَمك، وأحسنْ إلى مَن أساءَ إليك، وسَلّم على من سبّك، وأنصف من خاصمَك واعفُ عمّن ظلّمك، كما إنك تحبّ أن يعفى عنك، فاعتَبرْ بعفو الله عنك، ألا ترى أن شمسَه أشرقتْ على الأبرار والفجّار. وأن مطَره ينزل على الصالحين والخاطئين.

يا ابنَ جندب، لا تَتصدّقْ على أعين الناس ليُزكّوك، فإنّك إن فعلتَ ذلك فقد استوفيتَ أجرَك، ولكن إذا أعطيتَ بيمينك فلا تَطّلع عليها شمالُك، فان الذي تتصدّق له سِرّاً يُجزيك علانيةٌ على رؤوس الأشهاد في اليوم الذي لا يَضرّك أن لا يَطّلِعَ الناسُ على صَدَقتك، وأخفضِ الصّوت، ان ربّك الذي يعلم ما تُسرّون وما تُعلنون قد علم ما تريدون قبل أن تسألوه....

شذرات من رسالته عليه السلام إلى شيعته

- كما في تحف العقول وأمالي الصدوق -

«أما بعدُ، فاسألوا ربّكم العافية، وعليكم بالدِّعة والوَقار والسكينة والحياء، والتنزّه عما تنزّه عنه الصالحون منكم...

معاشرَ الشّيعة، كونوا لنا زَيناً، ولا تكونُوا علينا شَيناً، قولوا للناس حسنَاً، واحفظوا ألسنتكم وكفّوها عن الفضُول وقبيح القول.

أَكثروا من الدعاء، فان الله يُحبّ من عباده الذينَ يدعونه، وقد وعَد عبادَه المؤمنين الاستجابة...

وأكثروا ذكرَ الله ما استطعتم في كلّ ساعةٍ من ساعات الليل والنهار، فانّ الله أمر بكثرة الذكر له، والله ذاكرٌ مَن ذكره من المؤمنين.

وعليكم بالمحافظة على الصّلَوات، والصّلاة الوسطى، وقوموا له قانتين، كما أمرَ الله به المؤمنين في كتابه من قبلكم.

وعليكم بحبّ المساكين المسلمين، فإنّ مَن حقّرهم وتكبّر عليهم، فقد زلّ عن دين الله، والله له حاقرٌ ماقِت. . .

إيّاكم والعظَمةَ والكِبرَ، فانّ الكبرَ رداءُ الله، فمَن نازع اللهَ رداءَه قصمه الله وأذلّه يومَ القيامة.

إيّاكم أن يبغي بعضكم على بعض، فانّها ليستْ من خصال الصالحين. . .

إيّاكم أن يَحسد بعضُكم بعضاً، فانّ الكفر أصلُه الحَسد.

إيّاكم أن تُعينوا على مسلم مظلوم يدعو اللهَ عليكم ويُستجاب له فيكم، فانّ أبانا رسول الله يقول: إن دعوةَ المسلم المظلوم مستجابة. . .

إيّاكم أن تَشرهَ نفوسُكم إلى شيءٍ ممّا حرّم الله عليكم، فانه مَن انتهك ما حرّم الله عليها ها هنا في الدنيا حالَ الله بينَه وبينَ الجنة ونعيمها ولذّتها وكرامتها القائمة الدائمة لأهل الجنة أبدَ الآبدين. . .».

وقال عليه السلام - كما عن تحف العقول -: «إحذَروا من الناس ثلاثة: الخائن والظّلوم والنّمام، لأنَ من خان لك خانك، ومَن ظلم لك سيَظلمُكَ، ومَن نمّ إليك سينمُّ عنك».

وقال عليه السلام أيضاً: «يَنبغي للمؤمن أن تكون فيه ثمانُ خصال: وقوراً عند الهزاهز، صَبوراً عند البلاء، شَكوراً عند الرجاء، قانعاً بما رزقه الله، لا يَظلم الأعداء، ولا يتَحامل على الأصدقاء، بدنُه منه في تَعب، والناسُ منه في راحة. . .».

أحقُّ الناس أن يُبكى عليهِ　فتىً أبكى الحسينَ بكربلاءِ
أخوهُ وابنُ والده عليٌّ　أبو الفضل المضرّجُ بالدماءِ

ومَن واساهُ لا يُثنيه شيء   وجادَ لهُ على عطَشٍ بماءِ[1]

قال أربابُ التاريخ والسِّيَر: ولما رأى العباسُ بن علي عليه السلام كثرةَ القتلى في أهل بيته، دعا إِخوتَه الثلاثة الذين هم من (أم البنين الكلابية) وهم: عبد الله وعثمان وجعفر - وكان أكبرَ إخوته سناً - [2] ثم قال لهم: «تقدّموا يا بَني أمّي حتى أراكم قد نَصحتُم لله ولرسوله فانّه لا وُلدَ لكم»[3].

---

(١) هذه الأبيات الثلاثة هي للفضل بن محمد بن الفضل بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام يرثي بها جده العباس عليه السلام - كما ذكر الأميني في (الغدير: ج٣ ص٥) طبع إيران، والعمري صاحب (المجدي) وعيون الأخبار في فنون الآثار: ص١٠١. كما ذكر الأبيات بلا تصريح بقائلها أبو الفرج في (مقاتل الطالبيين: ص٥٩) طبع النجف.

وذكر الأميني في المصدر الآنف من الغدير تشطير الأبيات الثلاثة للحجة الورع والأديب البارع الشيخ محمد علي الأوردبادي (قدّس سره) هكذا:

«أحق الناس أن يبكى عليه»   بدمع شابه علَق الدماء
بجنب العلقمي سرَيٌّ فهرٍ   «فتى أبكى الحسين بكربلاء»
«أخوه وابن والده علي»   هزبر الملتقى رب اللواء
صريعاً تحت مشتبك المواضي   «أبو الفضل المضرج بالدماء»
«ومن واساه لا يثنيه شيء»   عن ابن المصطفى عند البلاء
وقد ملك الفرات فلم يذقه   «وجاد له على عطش بماء»

(ولادة العباس)

(٢) فقد ولد العباس عليه السلام - في اليوم الرابع من شعبان سنة (٢٦هجرية) كما عليه المجلسي في (بحاره: ج٤٥) من طبعه الجديد. والأنوار النعمانية: ص١٢٤، والمجدي لأبي الحسن العَمري وغيرها فيكون عمره الشريف يومَ الطف (٣٤ سنة وأشهراً)، وأعمار أخوته الثلاثة تتراوح بين (٢٥و ٢١و ١٩) - كما ستعرف -.

(٣) إرشاد المفيد: ص٢٥٥ طبع إيران. وهذا كلام منه عليه السلام لاخوته كتحفيز وإثارة لهم إلى المبادرة للحرب والشهادة باعتبارهم خليين من عبء العواطف العائلية التي قد تثقل المرء عن الرمي بنفسه في لهوات الحمام. =

. . . .

=(نسبه الوضاح)

أبوه: الإمام علي بن أبي طالب أمير المؤمنين وسيّد الوصيين، وقائد الغرّ المحجّلين، وأفضل الخلق بعد سيّد الأنبياء والمرسلين محمّد ﷺ وكفى.

وأمه - وأم إخوته الثلاثة -: فاطمة بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن عامر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. وأمها: ثمامة بنت سهيل بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب. . .

وتكنى أمه بـ(أم البنين) قبل تزويجها بالإمام علي عليه السلام لأنها من بيت (أم البنين العامرية) التي قيل فيها:

نحن بنو أم البنين الأربعة   الضاربين الهام وسط المجمعه

وليس في العرب أشجع من آبائها واخوانها - كما ذكر ذلك عامة المؤرخين - وكانت (أم البنين) من فضليات النساء العارفات بفضل أهل البيت عليهم السلام منذ نشأتها في بيت أبيها الزعيم الكبير. وكانت من بيت كرم وشجاعة وفصاحة ومعرفة، وكان آباؤها من سادات العرب وزعمائهم.

قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام - بعد وفاة الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام[1] لأخيه عقيل بن أبي طالب - وكان نسّابة العرب وعرّافةً بأحسابها وعاداتها -: «ابغني امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب لأتزوجها فتلد لي غلاماً فارساً».

فقال له عقيل: «أين أنت عن فاطمة بنت حزام بن خالد الكلابية» - عن عمدة الطالب للسيد الداوودي: ص٣٢٤ -.

قال الحجة الشيخ هادي آل كاشف الغطاء في (مقبولته):

أم البنين طابت الأبناء   منك كما قد طابت الآباء

أم الأسود من بني العلى   أم الحماة والأباة النبلا

---

(١) كما عليه الطبري وابن الأثير وأبي الفداء في تواريخهم، وغيرهم من قدماء المؤرخين ومحققيهم من الفريقين: وان ذهب غيرهم - كابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة، والخفاجي في شرح الشفاء، والشافعي في مطالب السؤول وبعض غيرهم - إلى أن التي تزوجها علي عليه السلام بعد وفاة الزهراء عليها السلام بلا فصل هي أمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ وأبوها أبو العاص. وذلك غير خال عن الصحة بحكم وصية الزهراء عليها السلام له بتزويجها بعد وفاتها.

. . . .

أم أبي الفضل وأم جعفر وأم عبد الله شبل حيدر
وأم عثمان الذي سمّاه باسم ابن مظعون الأبُ الأوّاه
الأنجبين الطاهرين أنفسا الأكرمين الطيبين مغرسا

والعباس أول مولود للإمام علي عليه السلام من زوجته (أم البنين)، وسمّاه (عبّاساً) تفاؤلاً بشجاعته وصولته في الحروب، فان العباس من أسماء الاسد الغضبان.

(كنيته)

وكنيته المشهورة: أبو الفضل كما عرفت من أبيات حفيده الفضل بن محمد - وكما يشير إليها شارح ميمية أبي فراس بقوله:

بذلتَ أبا عبّاس نفساً نفيسة لنصر حسينٍ عزّ بالنصر عن مثل
أبيتَ إلتذاذ الماء دون إلتذاذه فحسنُ فِعال المرء فرعٌ عن الأصل
فأنت أخو السّبطين في يومِ مفخرٍ وفي يوم بذل الماء أنت أبو الفضل

وكما وردت على لسان شاعر أهل البيت الكميت بن زيد الأسدي من قصيدته التي يستهلّها بقوله:

مَن لقلبٍ متيّمٍ مستهامِ غيرَ ما صبوةٍ ولا أحلام

وقوله:

وأبو الفضل، ان ذكرهم الحلو، شفاءُ النفوس في الأسقام
قُتِل الأدعياء إذ قتلوه أكرم الشاربين صوب الغمام[1]

(ألقابه)

وألقابه كثيرة، منها - ما كان يلقب به في زمانه قبل واقعة الطف (كقمر بني هاشم)[2] ولعله إنما لقب بذلك لجمال هيأته ووسامة صورته، فلقد قال المؤرخون عنه: إنه كان وسيماً جميلاً يركب الفرس المطهّم ورجلاه يخطان في الأرض[3].

ومنها - ما عرف به يوم الطف كالسقّا، وساقي العطاشى[4] وإنما لقب بذلك لاهتمامه بسقي عطاشى أهل بيت النبوة وعيالات أخيه الحسين عليه السلام منذ حلولهم أرض كربلا

---

(١) مقاتل الطالبيين لابي الفرج: ص٥٩ طبع النجف.
(٢) مناقب ابن شهر اشوب، ومقاتل الطالبيين: ص٥٩ طبع النجف، وجنات الخلود وغيرها.
(٣) مقاتل الطالبيين: ص٥٩ طبع النجف، وبحار المجلسي ج٤٥ ص٣٩ طبع طهران الجديد.
(٤) مقتل الحسين للخوارزمي: ج٢ ص٣٠ طبع النجف، ومقاتل الطالبيين ص٥٩ طبع النجف.

. . . .

إلى أن وقع صريعاً قتيلاً يوم عاشوراء، على نهر العلقمي وهو يحمل القربة على عاتقه المقدس.

وبالخصوص في اليوم السابع من المحرّم بعد أن ضيّق الأعداء على الحسين وأهل بيته وأطفاله ومنعوا من إيصال الماء إلى المخيم على أثر ورود كتاب من ابن زياد إلى ابن سعد يوم السادس من المحرّم يأمره فيه بالتضييق على الحسين وأهل بيته فضبط ابن سعد جانب المشرعة بالعدة والسلاح ولعل هذا هو السبب في تخصيص اليوم السابع من المحرّم لذكر مصيبة العباس عليه السلام لدى الخطباء، الأمر الذي دعا سيّدنا الوالد -(قدّس سره) أن يخصص المجلس السابع لذلك.

قالوا: ولما اشتدّ العطش بالحسين وأهل بيته وأطفاله يوم عاشوراء بثلاثة أيام، أمر الحسين أخاه العباس بجلب الماء إلى المخيم، فنهض العباس عليه السلام في عشرين راجلاً من أصحابه يحملون القرب، وثلاثين فارساً، وجاؤوا حتى دنوا من الفرات ليلاً، فكشفوا الخيل والرجال عنه، وأمامهم نافع بن هلال الجملي - وهو يحمل اللواء - فصاح عمرو بن الحجاج الزبيدي - وكان في خمسمائة فارس على المشرعة أ: من الرجل؟ قال: نافع.

قال عمرو: ما الذي جاء بك؟

قال نافع: جئنا لنشرب من هذا الماء الذي حلأتمونا عنه.

قال عمرو: اشرب هنيئاً.

قال نافع: لا والله، لا أشرب منه قطرة، والحسين عطشان هو وأهل بيته وصحبه.

فقالوا: لا سبيل إلى سقي هؤلاء، إنما وضعنا بهذا المكان لنمنعهم الماء.

فقال نافع لرجاله: املأوا قربكم، فملأوها.

وثار عليهم الحجاج بخيله ورجاله، فحمل عليهم العباس عليه السلام بمن معه من الخيالة، فكشفهم، فعاد الحجّاج وأصحابه، وقطعوا عليهم الطريق، فكرّ عليهم العباس عليه السلام ثانيةً، فقاتلهم حتى ردّهم وكشفهم عن الطريق، وأقبل بالماء إلى المخيم - عن تاريخ الطبري: ج٥ ص٤١٢ طبع دار المعارف بالقاهرة، والكامل لابن الأثير: ج٣ ص٢٨٣ طبع بيروت، والأخبار الطوال للدينوري: ص. ٥٣ وأعيان الشيعة للأمين: ج٤ قسم ١ ص. ٢٠٢.

وهو (صاحب اللواء)، وإنما لقب بذلك لانه صاحب لواء الحسين الأعظم يوم الطف، بشهادة الحسين عليه السلام فقد قال له - حينما طلب العباس منه الرخصة في المبارزة - «أنت صاحب لوائي، وإذا مضيت تفرق عسكري». عن مقاتل الطالبيين لأبي الفرج:

. . . .

ص٥٩ طبع النجف، ومناقب ابن شهر آشوب: ج٤ ص١٠٨ طبع قم، وبحار المجلسي؛ ج٤٥ ص٣٩ طبع طهران الجديد -.

ومن ألقابه - ما عرف به بعد واقعة الطف - كالعبد الصالح فقد لقبه بذلك الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام - كما جاء في زيارته المخصوصة التي رواها عنه أبو حمزة الثمالي - كما سنذكر -.

ومنها (باب الحوائج) فقد عرف هذا اللقب واشتهر بين الشيعة بعد يوم الطف، وذلك لما لمسوه كثيراً من قضاء الحوائج وكشف الغمم وبلوغ المراد لمن قصد قبره الشريف، واستجار به.

وفي ذلك يقول الخطيب المفوّه العلامة السيد صالح الحلي رحمه الله - من قصيدة:

باب الحوائج ما دعته مروعة ... في حاجة إلا ويقضي حاجَها

(نشأته مع أبيه وأخويه)

ولد العباس بن علي - سلام الله عليه - في بيت الإمامة وعاش وترعرع في أكنافها، وترى في مدرسة أبيه أمير المؤمنين عليه السلام الذي هو باب مدينة علم النبي صلى الله عليه وآله، وظلّ ربيب ذلك البيت الرفيع طيلة (١٤عاماً) تقريباً، ذلك الذي قيل فيه:

بيتٌ علا سمكَ الضرَّاح رفعةً ... فكان أعلى شرفاً وأرفعا

أعزّه فما تهبط في ... كعبته الأملاك إلا خضّعا

بتتٌ من القدس وناهيك به ... محطّ أسرار الهدى وموضعا

وكان مأوَى الملتجى والمرتجى ... فما أعزّ شأنه وأمنعا[1]

روي: أن أباه عليا أمير المؤمنين عليه السلام دعاه - يوماً - وهو صغير فأجلسه ي حجره، وقال له: يا بني، قل (واحد) فقال: واحد، فقال له: قل اثنين. فامتنع العباس من ذلك، وقال: يا أبه، اني أستحي أن أقول: اثنين بلسان قلت به: واحد[2].

وواكب حياة أخيه الحسن الزكي - سلام الله عليه - بعد وفاة أبيه علي عليه السلام طيلة (١٠ سنوات) تقريباً، فنهل ما شاء أن ينتهل من معدن النبوة وفيض الإمامة. ولازم أخاه الحسين الشهيد السنوات الأخر من حياته المقدسة، فاقتبس من السؤدد والاباء والمعرفة ما شاء حتى آخر يوم من عمره الشريف يوم عاشوراء، فكان عمره - يوم شهادته (٣٤سنة) على التحقيق.

---

(١) من قصيدة عصماء للعلامة الأديب السيد محمد حسين كشيوان رحمه الله.

(٢) خاتمة المستدرك للعلامة النوري: ج٣ ص٨١٥ نقلاً عن مجموعة الشهيد الأول (قدّس سره) -.

. . . .

(ثناؤه على لسان أبيه علي عليه السلام)

وناهيك بمن يولد وينشأ في بيت الإمامة، ويترعرع في حجر وكنف أمير المؤمنين وسيد الوصيين، ويعايش حياة سيدي شباب أهل الجنة، ويتلمذ على يديهما السخيتين بالعطاء والمعرفة، وينتهل من منهل علمهما الزخار الذي ينبع من معدن النبوة، ومهبط الوحي المبين. فلا غرو إذا ورد في حقه عن أبيه علي عليه السلام: «ان العباس بن علي زق العلم زقاً» - كما عن أسرار الشهادة للدربندي: ص٣٢٤-.

(ثناؤه على لسان الإمام زين العابدين عليه السلام)

ولم يكن مثله في قوة بأسه وصلابة إيمانه، وجهاده المرير عن مبدئه وعقيدته. فلقد شهد له بذلك الإمام زين العابدين عليه السلام حيث قال عنه:

«رحم الله عمي العباس، فلقد آثر وأبلى وفدى أخاه بنفسه حتى قطعت يداه، فأبدله الله عز وجل بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة، كما جعل لجعفر بن أبي طالب. وان للعباس عند الله منزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة» - كما في خصال الصدوق: باب الاثنين، وأماليه: مجلس ٧١ -.

(ثناؤه على لسان الإمام الصادق عليه السلام)

كما شهد له بذلك الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام حيث قال:

كان عمنا العباس بن علي نافذ البصيرة، صلب الإيمان جاهد مع أبي عبد الله عليه السلام وأبلى بلاء حسناً، ومضى شهيداً - كما في سر السلسلة العلوية للنسّابة أبي نصر البخاري -.

وقال عليه السلام أيضاً - كما في زيارته إياه: «أشهد لك بالتسليم والتصديق والوفاء والنصيحة لخلف النبي المرسل والسبط المنتجب. . .».

ومما ورد في زيارته أيضاً: «أشهد أنك قد بالغت في النصيحة وأعطيت غاية المجهود» - وهي من فقرات الزيارة المروية عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام من طريق الصحابي الجليل أبي حمزة الثمالي - كما ذكرها ابن قولويه في (كامل الزيارات: باب٨٥) أ

(ثناؤه على لسان حجة آل محمد عجل الله فرجه)

وقد ورد على لسان حجة آل محمد عجل الله فرجه - كما في زيارة الناحية -

«السلام على أبي الفضل العباس المواسي أخاه بنفسه الآخذ لغده من أمسه، الوافي له، الساعي إليه بمائه» - كما ذكرها المجلسي في (بحاره: ٤٥ ص٦٥) طبع طهران الجديد -.

(مظاهر إيمانه ومواقفه المشرفة)

ومن مظاهر إيمانه وصلابة عقيدته ما يصرح به رجزه المأثور المشهور يوم الطف - وهو في أخريات حياته - حيث يقول:

. . . .

والله ان قطعتموا يميني إني أحامي أبداً عن ديني
وعن إمام صادق اليقين

وكذلك موقفه الفدائي المشرف: أنه حينما ملك الشريعة يوم الطف - وهو في أشد حالة من العطش - أبى أن يشرب الماء مواساة لعطش أخيه الحسين وأهل بيته وأطفاله.

ومن مظاهر الفداء والمواساة: أنه - وأشقاؤه الثلاثة حينما جاءهم الشمر - يوم التاسع من المحرم بكتاب الأمان لهم من ابن زياد، ووقف بإزاء أصحاب الحسين ونادى: أين بنو أختنا، أين العباس واخوته؟

فأعرضوا عنه ولم يجيبوه، فقال الحسين عليه السلام: أجيبوه ولو كان فاسقاً.

فقالوا له: ما شأنك؟ وما تريد؟.

قال: يا بني أختي أنتم آمنون، لا تقتلوا أنفسكم مع أخيكم الحسين، والزموا طاعة أمير المؤمنين يزيد بن معاوية.

فقال له العباس: تبت يداك: ولعنك الله ولعن أمانك يا عدوّ الله، أتؤمننا، وابن رسول الله لا أمان له[1] وتأمرنا أن نترك أخانا وسيّدنا الحسين بن فاطمة، وندخل في طاعة اللعناء وأولاد اللعناء. فرجع الشمر إلى عسكره مغضباً[2].

(منزلة العباس عند الحسين عليه السلام)

ولقد كان للعباس عليه السلام منزلة عظيمة عند أخيه الحسين عليه السلام ووقع كبير في قوة بأسه

---

(١) تاريخ الطبري وكامل ابن الأثير - في حوادث سنة ٦١هجرية - وأعلام النبوة للماوردي ص١٤٠، وتذكره الخواص لسبط ابن الجوزي: ص١٤٩ طبع النجف.

وفي الأخير بعد ذكر الموضوع - بذيله بقوله: «ومعنى قول شمر (أين بنو أختنا) يشير إلى (أم البنين) بنت حزام الكلابية، وشمر كان كلابياً، وقال ابن جرير: وكان شمر قد أخذ من ابن زياد أماناً لبنيها. وذكر ابن جرير أيضاً: أن جرير بن عبد الله بن مخلد الكلابي كانت (أم البنين) عمته، فأخذ لهم أماناً وهو شمر ابن ذي الجوشن...».

(٢) اللهوف لابن طاووس: ص٣٧ طبع النجف، ومقتل الخوارزمي: ج١ ص٢٤٦ طبع النجف.

وفي الكبريت الأحمر: ج٣ ص١٤٤، وأسرار الشهادة ص٣٨٧ وبعض غيرهما: «أنه لما رجع العباس عليه السلام إلى الحسين وأخبره بمقالة الشمر، وجوابه له، قام إليه زهير بن القين، وقال له: أحدثك بحديث: إن أباك أمير المؤمنين عليه السلام طلب من أخيه عقيل - وكان عارفاً بأنساب العرب وأخبارها - أن يختار له امرأة ولدتها الفحولة من العرب وذوي الشجاعة منهم ليتزوجها فتلد غلاماً فارساً شجاعاً ينصر الحسين بطف كربلا، وقد ادّخرك أبوك لمثل هذا اليوم، فلا تقصّر عن نصرة أخيك وحماية اخوانك. فغضب العباس عليه السلام وقال: يا زهير تشجعني هذا اليوم فوالله لأرينك شيئاً ما رأيته».

. . . .

ورباطة جأشه، فهو صاحب لوائه ومركز ثقله، وهيبة عسكره، ومستشاره ونخوته في الملمات، فكان كثيراً ما ينتدبه لمهماته العائلية والعسكرية منذ خروجه من المدينة إلى كربلا، وإلى آخر لحظة من حياته المقدسة.

ففي اليوم السادس من المحرم حينما يعقد الاجتماع بينه وبين ابن سعد في جوف الليل وبين العسكرين لا يرافقه أحد من أهل بيته وأصحابه سوى أخيه العباس وولده علي الأكبر.

وفي اليوم السابع من المحرّم كان العباس عليه السلام هو المضطلع يجلب الماء من الفرات إلى المخيم، بعدما ضيّق ابن سعد على المشرعة غاية التضييق، فكان العباس عليه السلام هو المنتدب لهذه المهمة العظيمة، وفعلاً قام بها أحسن قيام.

وعصر اليوم التاسع من المحرّم حينما زحف الجيش على مخيّم الحسين عليه السلام ندبه الحسين عليه السلام للتفاوض مع القوم في تأخير المناجزة إلى غداة غد حيث قال له: «اركب بنفسي أنت يا أخي حتى تلقاهم وتقول لهم: ما لكم وما بدا لكم».

وليلة العاشر من المحرّم - بل في كل ليلة من ليالي كربلا - كان هو المضطلع بأمر أخيه الحسين بحراسة المخيم ورفع الوحشة والرعب عن عائلة النبوة والإمامة.

وكان العباس عليه السلام يوم عاشوراء الوحيد لأخيه الحسين عليه السلام في الملمات، وكلّما أحيط بأصحابه المبارزين يندبه لانقاذهم من أيدي القوم.

وكلما سمع الحسين عليه السلام بكاء العائلة ولمس اضطرابهن من تأزم الموقف يوم عاشوراء كان يرسل إليهن أخاه العباس وولده علياً الأكبر ليطمئنا نفوسهن.

ولقد كانت راية العباس عليه السلام - طوال أيام كربلاء - مركوزة أمام المخيم لتلقي الأوامر من أخيه الحسين فيما يهمه من المهمات.

فليس عجباً أن يكون العباس آخر قتيل من أهل بيته وأصحابه إذ لم يسمح له الحسين بالرخصة للمبارزة، وكان يقول - كلما تقدم لطلب الرخصة منه -: «أنت حامل لوائي فإذا مضيت تفرّق عسكري»[1].

---

(١) وقد اشتهر بن المؤرخين من الفريقين: أن العباس عليه السلام آخر من قتل من أهل بيت الحسين وأصحابه، وعليه الطبري في تأريخه، والمجلسي في بحاره، وأبو الفرج في مقاتل الطالبيين، والدينوري في الأخبار الطوال، والمفيد في إرشاده، وابن طاووس في لهوفه، وغيرهم كثير.

وان ذهب بعضهم - كالسبط في (تذكرته) والطريحي في (منتخبه) إلى أنه أول قتيل من بني هاشم، ولكنه قول موهون في نفسه، ولا تساعد عليه (زيارة الناحية) التي تعطي الأولية لعلي بن الحسين الأكبر.

. . . .

(اخوته الثلاثة من أم البنين)

عبد الله بن علي، عاش مع أبيه ست سنين، ومع أخيه الحسن الزكي ستة عشرة سنة، ومع أخيه الحسين الشهيد خمسة وعشرين سنة، وتلك مدة عمره - يوم الطف[(١)].

وعثمان بن علي؛ ولد بعد أخيه عبد الله بأربع سنين، فعمره يوم الطف إحدى وعشرون سنة[(٢)].

روي عن أبيه علي عليه السلام: أنه قال «إنما سميته عثمان باسم عثمان بن مظعون أخي»[(٣)].

وجعفر بن علي، ولد بعد أخيه عثمان بنحو سنتين، فعمره يوم الطف تسع عشرة سنة[(٤)].

وروي عن أبيه علي عليه السلام: أنه سماه باسم أخيه جعفر الطيار لحبه إياه[(٥)].

(أولاده)

والمشهور بين عامة المؤرخين من الفريقين: أن للعباس بن علي - عليه السلام - من الأولاد الذكور خمسة وبنتاً واحدة.

الأول عبيد الله - وأمه لبابة بنت عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب - وقد ذكره عامة المؤرخين وأرباب النسب والمقاتل، وينحصر فيه نسب العباس عليه السلام كما ذكر ذلك صاحب العمدة، وسبائك الذهب، وجمهرة أنساب العرب، وغيرها. وإن قيل بأن للحسن عقباً منه، ولكنه قول مهجور غير مؤيد. ولقد كان عبيد الله - هذا طفلاً صغيراً

---

(١) في مقاتل الطالبيين لابي الفرج: ص٥٧ طبع النجف، وبحار المجلسي: ج٤٥ ص٣٨ طبع طهران الجديد: «قتل عبد الله بن علي بن أبي طالب وهو ابن خمس وعشرين سنة ولا عقب له». وقد ورد له ذكر في (الزيارة والارشاد وتاريخ الطبري ومقاتل الطالبيين والمروج ومقتل الخوارزمي).

(٢) في مقاتل الطالبيين لابي الفرج: ص٥٨ طبع النجف وبحار المجلسي: ج٤٥ ص٣٧ طبع طهران الجديد: «قتل عثمان بن علي وهو ابن احدى وعشرين سنة». وورد له ذكر في (الزيارة والارشاد وتاريخ الطبري ومقاتل الطالبيين والمروج والخوارزمي).

(٣) المصدر الآنف الذكر من البحار. ومقاتل الطالبيين: ص٥٨ طبع النجف.

(٤) مقاتل الطالبيين لابي الفرج: ص٥٨ طبع النجف. وفي بحار المجلسي: ج٤٥ ص٣٨ طبع جديد: «وقتل جعفر بن علي وهو ابن تسع عشرة سنة». وفي كتاب (أبصار العين للسماوي): ان عثمان ولد بعد أخيه عبد الله بسنتين، فمدة عمره يوم الطف (٢٣) وجعفر ولد بعد أخيه عثمان بسنتين فعمره يوم الطف (٢١ سنة). ولعل الأول أشهر بين المؤرخين وأهل النسب. وقد ورد له ذكر في (زيارة الناحية والإرشاد والطبري ومقاتل الطالبيين والمسعودي والخوارزمي).

(٥) كما عن يحيى بن سعيد في كتاب (الدر النظيم).

العباس يدعو أشقاءه الثلاثة للفداء

قالوا: وأول مَن دعاه من اخوته عبد الله، فقال له: «تقدّم يا أخي حتى أراك قتيلاً وأحتسبك فانه لا وَلد لك».

فتقدّم عبد الله بين يديه واستأذن الحسين في البراز، فبرز إلى الميدان وجعل يضرب بسيفه قدُماً ويجول ويصول وهو يقول:

بقي هو وشقيقه الفضل عند أمهما في المدينة حين خروج الحسين منها إلى العراق. وكان أخيراً من كبار الفقهاء وذوي المعرفة في عصره. وتزوج من ثلاث عقائل: رقية بنت عمه الحسن بن علي عليه السلام، وبنت معبد بن عبد الله بن العباس، وبنت المسور بن مخرمة الزبيري - كما ذكر ذلك الحائري في ذخيرة الدارين -. وانحصر عقب عبيد الله أيضاً بولده الحسن الذي عاش (٦٧عاماً). وكانت أمه أم ولد. وأعقب الحسن - هذا - من الولد الذكور خمسة: الفضل، حمزة، إبراهيم، العباس، عبيد الله. وكلهم علماء فقهاء، أجلاء. ولتفصيل نسب العباس عليه السلام المتسلسل من ولده عبيد الله تراجع: كتب الأنساب المفصلة، كحديقة النسب، وعمدة الطالب، وبحر الأنساب، والمجدي، وغيرها. وتوفي عبيد الله بن العباس في المدينة، ودفن فيها سنة ١٥٥هـ - كما في المجدي للعمري -.

الثاني - الفضل، وهو شقيق عبيد الله، من أمه لبابة بنت عبيد الله بن العباس- كما ذكر ذلك صاحب ناسخ التواريخ، والعزيزي بهامش مقاتل الطالبيين وغيرهما -.

الثالث - الحسن، وأمه أم ولد - كما ذكره الفتوني في حديقة النسب، وابن قتيبة في المعارف -.

الرابع - القاسم، وأمه أم ولد، كما ذكره الاسفراييني في كتابه (نور العين في مشهد الحسين) وذكر: انه استشهد بين يديه عمه الحسين بعد قتل أبيه العباس عليه السلام. ولقد كناه به الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري - كما في زيارة الأربعين للعباس عليه السلام المروية من طريقه -.

الخامس - محمد، وأمه أم ولد أيضاً - كما ذكره وذكر أخاه القاسم ابن شهر اشوب في (مناقبه) وعميد الدين في (بحر الأنساب) وغيرهما. والمعروف لدى كثير من أرباب المقاتل: أنه هو المقتول بين يدي عمه الحسين عليه السلام لا القاسم وليس ذلك بعيداً عن الصواب.

وأما البنت، فقد ذكرها صاحب كتاب (حدائق الأنس) والله العالم بالحقائق.

أنـا ابـن ذي الـنـجـدة والإفـضـال ذاك عـلـيّ الـخـيـر فـي الأفـعـال
سـيـف رسـول الله ذو الـنـكـال فـي كـل يـوم ظـاهـر الأهـوال

فشدّ عليه هاني بن ثبيت الحضرمي، فضربه بالسيف على رأسه فقتله(١).

ولما قُتِلَ عبدُ الله دعا العباس عليه السلام أخاه الثاني عثمان، وقال له - قال لأخيه عبد الله -: «تقدّم يا أخي حتى أراك قتيلاً وأحتسبك فانه لا وُلد لك».

فتقدّم عثمانُ إلى الحرب، وهو يرتجز ويقول:

إنـي أنـا عـثـمـان ذو الـمـفـاخـرَ شَـيـخـي عـلـي ذُو الـفـعـال الـطـاهـرَ
أخـي حـسـيـن خـيـرة الأخـيـارَ وسـيّـد الـكـبـار والأصـاغـرَ
بـعـد الـرسـول والـوصـيّ الـنـاصـر

فرماه خولّى بن يزيد الأصبحي بسهم وقع في جبينه فأضعفه حتى سقط عن فرسه إلى الأرض، فجاءَه رجلٌ من أبان بن دارم، فاحتزّ رأسه(٢).

ولما قُتل عثمان دعا العباس عليه السلام أخاه الثالث (جعفر)، وقال له - مثلما قال لأخويه من قَبل -: «يا أخي، تَقدّمْ إلى الحرب حتى أراك قتيلاً - كأخوتيك - فأحتسبُك كما احتسبتُهما، فانّه لا وُلد لكم».

فتقدّم جعفرُ إلى مُعسكر الأعداء، فشدّ عليهم بسيفه وهو يقول:

إنـي أنـا جـعـفَـرُ ذو الـمـعـالـي ابـنُ عـلـي الـخـيـر ذي الـنَـوال
حـسـبـي بـعـمّـي شَـرفـاً وخـالـي أحـمي حسيناً ذا الـنـدى المفضال

---

(١) مقاتل الطالبين لابي الفرج ص٥٨ طبع النجف، ومناقب ابن شهر اشوب ج٤ ص١٠٧ طبع قم، وبحار المجلسي ج٤٥ ص٣٨ طبع طهران الجديد، ومقتل الخوارزمي: ج٢ ص٢٩ طبع النجف. وفيه: الشطر الأخير من الرجز هكذا: «وكاشف الخطوب والأهوال».

(٢) مقاتل الطالبيين ص٥٩ طبع النجف والمناقب والبحار - كما في المصدر الآنف - وفي مقتل الخوارزمي: ج٢ ص٢٩ بعد البيت الأول هكذا:

صـنـو الـنـبـي ذي الـرشـاد سـائـر مـا بـيـن كـل غـائـب وحـاضـر

فرماه خولّى بن يزيد الأصبحي[١] - أو هاني بن ثَبيت الحضرمي -[٢] فأصاب شقيقتَه أو عينَه، فقتله.

العباس يستأذن الحسين في البراز

قالوا: ولما قُتِل إخوةُ العباس الثلاثة بين يده، ورآهم صرعى على وجه الصعيد، لم يستَطِعْ صَبراً، فجاءَ إلى أخيه الحسين عليه السلام يستأذنه في القتال، ويطلب الرخصة منه،

فبكى الحسين بكاءً شديداً، وقال: «يا أخي، أنت صاحب لوائي، وإذا مضيتَ تفرّق عسكري» فلم يأذن له.

فعاد عليه العبّاسُ للمرة الثانية، وطلب منه الإذن قائلاً:

«يا أخي قد ضاق صَدري وسئمتُ الحياة، وأريد أن آخذ ثاري من هؤلاء المنافقين».

فقال له الحسين: إذاً فاطلبْ لهؤلاء الأطفال قليلاً من الماء.

فذهبَ العبّاس عليه السلام إلى القوم، ووعظَهم وحذّرهم غضبَ الجبار وطلب منهم شيئاً من الماء للأطفال.

فقالوا: لو كان تَمامُ وجه الأرض ماءً وكان تحت تصرّفنا لم نُسقِكُم منه قطرةً، إلا ان تبايعوا ليزيد وتَدخلوا في طاعته.

فرجع العباس عليه السلام إلى أخيه وأخبره بمقالة القوم[٣].

فطأطأ الحسين برأسه وبكى بكاءً شديداً.

وبينما العباس في ذلك ونحوه إذ سمع الأطفال - ومعه سكينة بنت الحسين عليهما السلام - يُنادون: العطش، العطش.

---

(١) مناقب ابن شهر اشوب ج٤ ص١٠٧، وبحار المجلسي ج٤٥ ص٣٨.

(٢) مقاتل الطالبيين: ص٥٨ طبع النجف - في روايته الأخرى.

(٣) بحار المجلسي: ج٤٥ ص٤١ طبع جديد، ومقتل العوالم للبحراني: ص٩٤، وتظلم الزهراء عليها السلام.

فرفع رأسَه إلى السماء، وقال: إلهي وسيّدي، أريد أن أعتدّ بعدتي، وأملأ لهؤلاء الأطفال قربةً من الماء.

العباس ينحدر إلى الميدان

فركب فرسَه وأخذ سيفه ورمحه والقربة، وقصَد الفرات، فأحاط به أربعة آلاف فارس، وهم الذين كانوا موكلين بالفرات - وأخذوا يرمونه بالنبال، فلم يَعبأ بجمعهم، ولا راعته كثرتُهم.

فكشفهم عن وجهه، وقتَل منهم - على ما رُوي - ثمانين فارساً[1] ودخَل الفرات مطمئناً غير هيّاب لذلك الجمع الغفير:

ودَمدَم ليثُ الغاب يَسطو بسالةً إلى الماء لم يَكبرْ عليه ازدحامُها
وخاض بها بحراً يَرفّ عبابُه ظُبىً، ويدُ الأقدار جالتْ سهامُها
ألمّتْ به سوداءُ يخطف برقُها البصائرَ من رُعبٍ ويعلوا قَتامُها
جلاها بمشحُوذ الغَرارين أبلج يدبّ به للدارعين حِمامُها
فحلأّها عن جانب النهر عنوةً وولّتْ هواديها يَصلّ لجامها
ثنى رجلَه عن صَهوة المُهر وامتطى قِرى النهر واحتلّ السقاءَ هُمامُها[2]

وفاؤه لعطش أخيه

ثم اغتَرف من الماء غَرفةً، وأدناها من فمه ليشرَب، فتذكّر عطشَ أخيه الحسين وعُطاشى أهل بيته وأطفاله، فرمى الماءَ من يده وقال:

يا نفسُ من بعد الحسين هُوني وبعدَه لا كنتِ أن تكوني

---

(١) بحار المجلسي: ج٤٥ ص٤١ المطبعة الإسلامية بطهران، ومقتل العوالم للبحراني ص٩٥.

(٢) من قصيدة جزلة في رثاء أبي الفضل العباس للمغفور له الشيخ حسن مصبح الحلي.

هذا الحسينُ ورادُ المَنونِ وتشربينَ باردَ المَعين
تالله ما هذا فعالُ ديني[١]

ثم ملأ القربةَ وحمَلها على كتفه الأيمن، وركب جواده، وتوجّه نحوَ الخيام مسرعاً ليوصل الماءَ إلى عطاشى أهل البيت، فأخذوا عليه الطريق، وتكاثروا عليه وأحاطوا به من كل جانب:

فَهُنالكُمْ ملأ المزادَ وزمّها وانْصاع يَرفلُ بالحديد هُمامُها
حتى إذا دانى المخيّمَ جَلجلتْ سَوداءُ قد ملأ الفضا إرزامُها
فجلا تلاتلَها بجأشٍ ثابتٍ فتقاعستْ منكوسةً أعلامُها
فكأنّه صقرٌ بأعلى جوّها جلّى فحلّق ما هناك حَمامُها[٢]

فجعل يصول في أوساطهم ويضرب فيهم بسيفه وهو يرتجز ويقول:

لا أرهبُ الموتَ إذا الموت زَقا حتى أوارى في المصاليت لِقى
نفسي لنفس المصطفى الطُّهر وقا إني أنا العباس أغدو بالسقا
ولا أخاف الشرّ يومَ الملتقى[٣]

---

(١) بحار المجلسي: ج٤٥ ص٤١ المطبعة الإسلامية بطهران، ومناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص١٠٨ المطبعة العلمية بقم. ورياض المصائب للموسوي: ٣١٣.

(٢) من قصيدة عصماء للحاج محمد رضا الأزدي رحمه الله في رثاء العباس عليه السلام مطلعها:
يا للرجال لحادث متفاقم لو حلّ هابطةً لدُكّ شمامُها

(٣) زقا - بالزاء المعجمة - بمعنى صاح، وكانت العرب في الجاهلية تزعم أن للموت طائراً يصيح، ويسمونه (الهامة) ويقولون إذا قتل إنسان منهم ولم يؤخذ بأثره: «زقت هامته». حتى يثأر له، قال شاعرهم:
فان تك هامة بهراة تزقو فقد أزقيت بالمردين هاما
والمصاليت: جمع مصلات - بالكسر - وهو الرجل السريع الشجاع المتشمر، قال عامر بن الطفيل:
وإنا المصاليت يوم الوغى إذا ما المغاوير لم تقدم

تقطع يمينه

ففرّقهم عن طريقه، وأخذوا يهربون من بين يديه، حتى إذا قارب المخيّم كَمن له زيدُ بن الرقاد الجُهَني من وراء نخلةٍ وعاونه حكيمُ بن الطُّفيل السَنبسي، فضربه على يمينه بالسّيف فبراها[١].

وأخذ السيف بشماله، وضمّ اللواء إلى صدره، وحمَل القربةَ على كتفه الأيسر، وحمَل على القوم كالأسد الغَضبان وهو يقول:

والله إن قطعتُموا يَميني إني أحامي أبداً عن ديني
وعن إمامٍ صادق اليقين نجلِ النبيّ الطّاهر الأمين

تقطع شماله

وقاتَل - سلامُ الله عليه - حتى ضعف عن القتال، فكمَن له حكيمُ بن الطفيل الطائي[٢] من وراء نخلةٍ وضربه على شماله، فقطعها من الزند، فقال:

يا نفسُ لا تَخشي من الكفّار وأبشري برحمة الجبّار
مع النّبي المصطفى المختار قد قَطعوا ببغْيهم يَساري
فأصلهمْ يا ربِّ حرّ النار[٣]

فعند ذلك وقع السّيف من يده، وأخذ القربة بأسنانه، وجعل يُسرع ليوصل الماءَ إلى المخيّم.

---

(١) بحار المجلسي: ج٤٥ ص٤٠ طبع المطبعة الإسلامية بطهران، وإرشاد المفيد: ص٢٥٥ طبع إيران. ومناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص١٠٨ طبع قم، وفي هذه المصادر «زيد بن ورقاء الحنفي» ولكن في (زيارة الناحية) كما في المتن - زيد بن الرقاد الجهني، ولعله الأصح.

(٢) وفي كتاب نور العين في مشهد الحسين للاسفراييني: ان الذي قطع يساره هو عبد الله بن شهاب الكلبي، ولكن المشهور بين أرباب السير والمقاتل - كما في الأصل - هو الأصح.

(٣) نفس المصادر الآنفة الذكر من البحار والمناقب والإرشاد.

فلما نَظر ابنُ سعد إلى شدة اهتمام العبّاس عليه السلام بالقربة،

صاح بالقوم: ويلكم، إرشقوا القربة بالنبل، فوالله إن شرب الحسين من هذا الماء أفناكم عن أخركم.

أتته السهام كالمطر

فقطَعوا عليه طريقَه، وازدحموا عليه، وأتته السهامُ كالمطر من كلّ جانب، فأصاب القربةَ سهمٌ فأريق ماؤها. وجاءه سهمٌ فأصاب صدرَه. وسهمٌ آخر أصاب إحدى عينيه، فأطفأها، وجمدت الماء على عينه الأخرى، فلم يُبصرْ بها.

يصاب بالعمود فيهوي إلى الأرض

وضرَبه لعينٌ من القوم على أم رأسه[1] فانقلبَ عن ظَهر فرسه، وخرّ إلى الأرض صريعاً، والعَلَم إلى جنبه، وجعل يخور بدمه، فقطّعه القوم بأسيافهم:

وهوى بجنب العَلقميّ فليتَه للشاربين به يُدافُ العَلْقمُ
وغدا يَهمّ بأن يصول فلم يُطقْ كالليث إذ أظفارهُ تتقلم[2]

فعند ذلك نادى - برفيع صوته - عليك مني السلام يا أبا عبد الله[3].

فأتاه الحسين مسرعاً كالصقر إذا انحدر إلى فريسته، ففرّق القومَ عنه، وقتل منهم رجالاً وجَندل فرساناً[4] وحتى إذا وصل إليه رآه مقطوعَ اليمين واليسار،

---

(١) في مناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص١٠٨ طبع قم: ان الذي ضربه بالعمود هو حكيم بن الطفيل الطائي المذكور.

(٢) من قصيدة عصماء للشاعر الفحل العلامة السيد جعفر الحلي (قدّس سره) مطلعها:
وجه الصباح عليّ ليلٌ مظلم وربيع أيامي عليَّ محرّم

(٣) منتخب الطريحي: ص٣١٢ طبع النجف.

(٤) في كتاب (نور العين في مشهد الحسين): «فحمل الحسين على القوم وحاربهم حرباً شديداً حتى قتل منهم (ثمانمائة فارس) وأتى إليه...» ولعله مبالغة.

مفظوخَ الهامة، مثخَناً بالجراح، العلم إلى جنبه ممزّق، والقربة مخرّقة، وهو يَفحص برجليه[(١)].

الحسين يقف على مصرع العباس

قالوا: فأدركه الحسين، وبه رمقُ الحياة، فأخذ رأسَه الشريف ووضعه في حجره، وجَعل يمسح الدمَ والترابَ عنه، ثم بكى بكاءً عالياً، وقال: «الآن انكسر ظهري، وقلّت حيلتي، وشمُت بي عدوّي»[(٢)].

ثم انحنى عليه واعتنقه، وجعل يُقبّل مَوضعَ السّيوف من وجهه ونحره وصدره:

فمشى لمصرعه الحسينُ وطرفُه ... بينَ الخِيام وبينَه مُتقسّمُ
ألفاهُ محجوبَ الجَمال كأنّه ... بَدرٌ بمنحطم الوَشيج مُلثّمُ
فأكَبّ منحنياً عليه ودمعُه ... صبغَ البسيطَ كأنّما هو عَندمُ
قد رامَ يلثمه فلم يَر موضعاً ... لم يُدمهِ عضّ السلاح فيلثم[(٣)]

ثم حمل على القوم فأخذ يضرب فيهم وهو يقول: «إلى أين تفرون وقد فتتم عضدي»؟ ثم رجع إلى أخيه، وانحنى عليه يقبله ويبكي، ففاضت نفس العباس المقدسة ورأسه في حجر أخيه:

وهوى عليه ما هنالك قائلاً ... اليومَ بان عن اليمين حسامُها
اليومَ سار عن الكتائب كبشُها ... اليومَ غاب عن الهُداة إمامُها

---

(١) في مناقب ابن شهر اشوب - المصدر الآنف منه -: إن الحسين عليه السلام لما رأى أخاه العباس صريعاً على الفرات أنشأ يقول:

تصديتُم يا شرّ قوم بفعلكم ... وخالفتُم قول النبي محمّد
أما كان خير الرسل وصاكم بنا ... أما نحن من نسل النبي المسدّد

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي: ج٢ ص٣٠ طبع النجف، وتظلم الزهراء للقزويني ص١٢٠.

(٣) من قصيدة العلامة الأديب الحلي الآنف الذكر. والعنَدم - بالفتح -: دم الأخوين، وقيل: (البقم) وهو ذو لون أحمر يصبغ به.

اليومَ نامتْ أعينٌ بك لم تَنم   وتسهّدت أخرى فعزّ منامُها[١]

الحسين يترك العباس في مكانه

أقول: المعروف عند أرباب المقاتل: أن الحسين عليه السلام ترك أخاه العباس في مكانه حولَ المسنّاة، وقامَ عنه بعدَما فاضتْ نفسُه الزكية، ولم يَحمله إلى الفِسطاط الذي كان يَحمل القتلى من أهل بيته وأصحابه إليه.

ولعلّ السرّ في ذلك - كما ذكره بعضُ الأكابر - كثرةُ ما أصاب العَباسَ عليه السلام من الجراحات لأن الأعداء قطّعوه بسيوفهم إرباً إرباً.

ويؤيد ذلك ما ذكره بعضُ أرباب المقاتل: من أنّ السّجاد عليه السلام حينما جاء القتلى في اليوم الثالث عشر من المحرّم، ذكر لبنو أسد بعد دفن القتلى بطلاً مطروحاً حولَ المسنّاة كلّما حمَلوا منه جانباً سقط الآخر من كثرة الجراحات.

أو لعلّ السرّ في ذلك: أن العباس عليه السلام حيث كان آخر مَن قُتل من أصحاب الحسين وأهل بيته - على ما هو التحقيق - فهدّ مقتلُه الحسين وقصَم ظهرَه، ولم يكن عنده مَن يعينه ويُساعده على حمله إلى المخيّم، ولم يَستطع حمله بنفسه المقدّسة فانهم ذكروا أنه قام من عنده محنيّ الظهر منكسراً حزيناً:

هوى فوقَه رمحاً فقام صفيحةً   تثلّم منها حدّها وغرارُها

فهلْ تركتُ تلك المصائب العظام التي أصيب بها سيّد الشهداء يومَ الطف: من فقد أحبته وأنصاره وأهل بيته وفلذة كبده شبيه جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وعويل عياله وصُراخ أطفاله وهمّه وغمّه وتفكيره فيما سيجري بعد قتله على عقائل الرسالة وبنات الزهراء، من الذلّ والأسر والسبي من بَلدٍ إلى بَلدٍ ومن مجلس إلى آخر، وقد تركهنّ بلا مُحامٍ ولا كفيل، غير مضنى عليل يكابد ألمَ السقم وجور الأعداء.

فهل تَركتْ له هذه المصائبُ التي بعضُها يهدّ الجبال الرّواسي قامةً معتدلةً وطاقةً يَستطيع بهما حمَل الجثمان الطّاهر إلى المخيّم؟.

---

(١) أبيات من قصيدة الأزري الآنف الذكر -.

قد عجبتْ من صبره الأملاكُ   ولا يَحيطُ وصفَه الإدراك

أو لعلّ السرّ في ذلك - كما يقول بعضُ أرباب المقاتل -: أن العبّاس عليه السلام هو الذي طلب من أخيه الحسين إبقاءَه في مكانه. فقد ذكروا: أن الحسين عليه السلام حينما أقبل إلى أخيه العباس ووجَد فيه رمقَ الحياة انحنى عليه وأراد حملَه إلى المخيّم.

فأحسّ العبّاس بأخيه وعلم ماذا يريد؟ فقال له:

يا أخي، إلى أين تُريد حملي؟

قال الحسين: اريد حملكَ إلى المخيّم.

فقال العباس: يا أخي بحقّ جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليك أن لا تَحملني ودعني في مكاني هذا؟.

فقال الحسين: لماذا يا أخي؟. قال العباس:

لأني مستحٍ من ابنتك سكينة وقد وعدتها بالماء ولم آتِ به. فتركه الحسين في مكانه.

وعلى كلّ حال قالوا: إن الحسين ترك أخاه العبّاس في مكانه ورجع إلى المخيّم باكياً منكسراً حزيناً منحنيَ الظُّهر، يُكفكف الدموع بكمه كي لا تراه النساء، وقد تدافعت الخيل والرجال على مخيّمه، لأنهم استوحدوه:

وبانَ الانكسارُ في جَبِينه   فاندكّت الجِبالُ من حنينه
وكيف لا وهو جمال بَهجته   وفي محيّاه سرُورُ مهجته
كافل أهله وساقي صِبيته   وحامل اللوا بعالي همّته[1]

الحسين يستغيث بعد مقتل العبّاس

فصاح الحسين عند ذلك: أما من مجيرٍ يُجيرنا، أما من مغيثٍ يغيثنا، أما من طالبِ حقٍّ فيَنصرَنا، أما من خائفٍ من النّار فيذبّ عنا.

(١) من أرجوزة الحجة المغفور له آية الله الشيخ محمد حسين الاصفهاني الأنوار القدسية.

وأقبلت إليه سُكينة، وقالت له: أين عمي العبّاس، أراه أبطأ بالماء علينا؟.

فقال لها: إن عمّكِ قد قُتل، فصرختْ ونادت وآعمّاه، وآعبّاساه.

وسمعتها العَقيلةُ زينب، فصاحتْ: واأخاه وآعباساه، وآضيعتاه من بعدك.

فقال الحسين: إي والله: وآضيعتاه وآإنقطاع ظهرآه بعدَك أبا الفضل، يعزّ عليّ والله فراقُك.

الحسين يبكي مع النساء على أخيه

فاجتمعت النساءُ حولَه وجَعلنَ يبكينَه ويندبْنَه، والحسينُ يبكي معهنّ، حتى قيل: بأنه أغمي عليه من شدّة البكاء.

نادى وقد ملأ البواديَ صَيحةً ... صُمُّ الصخور لهولِها تتألمُ
أأخيّ مَن يَحمي بناتِ محمّدٍ ... إنْ صرنَ يَسترحمنَ مَن لا يَرحمُ
أأخيّ يُهينك النعيمُ ولم أخلْ ... ترضى بأن أزرى وأنت منعّم
ما خلتُ بعدَك أن تشلّ سواعدي ... وتُكفّ باصرتي وظهري يُقصمُ
لسواك يُلطم بالأكف وهذه ... بيضُ الظبى لك في جبيني تَلطم
ما بين مصرعك الفظيع ومصرعي ... الا كما أدعوك قَبلُ فتَنعمُ
هذا حسامُك مَن يُذلّ به العِدى ... ولواك هذا مَن به يتقدّم
هوّنتَ يا بنَ أبي مصارعَ فتيتي ... والجرحُ يُسكنه الذي هو آلم[1]

أم البنين ترثي أولادها

قالوا: وكانت (أم البنين) فاطمة بنت حزام تخرج إلى البقيع كلّ يوم بعد واقعة الطف، وتَحمل عبيدَ الله بنَ العباس معها، فترثي أولادَها وتندبُهم بأشجى نِدبة

(١) من القصيدة العصماء للمغفور له السيد جعفر الحلّي - كما في ديوانه -.

وأحرقها، فيجتمع لسماع رثائها أهل المدينة - وفيهم العدوّ اللدود لأهل البيت مروان بن الحكم - فيبكون لشجي الندبة ورقيق الرثاء[١].

يا مَن رأى العبّاس كرّ على جماهير النَّقَد[٢]
ووراه من أبناء حيدر كلُّ ليثٍ ذي لبد[٣]
أنبئتُ: أن ابني أصيب برأسه مقطوعَ يَدْ
ويلي على شبلي أمال برأسه ضربُ العمَد

ومن رثائها وندبتها:

لا تَدعونّي - ويَكِ - أمّ البنين، تذكّريني بليوث العرين
كانت بنونٌ لي أدعى بهم واليومَ أصحبتُ ولا من بنين
أربعةٌ مثلُ نسور الربى قد واصلوا الموتَ بقطع الوَتين[٤]
يا ليتَ شعري: أكما أخبَروا بأن عبّاساً قطيعُ اليمين[٥]

ألا لعنة الله على القوم الظالمين

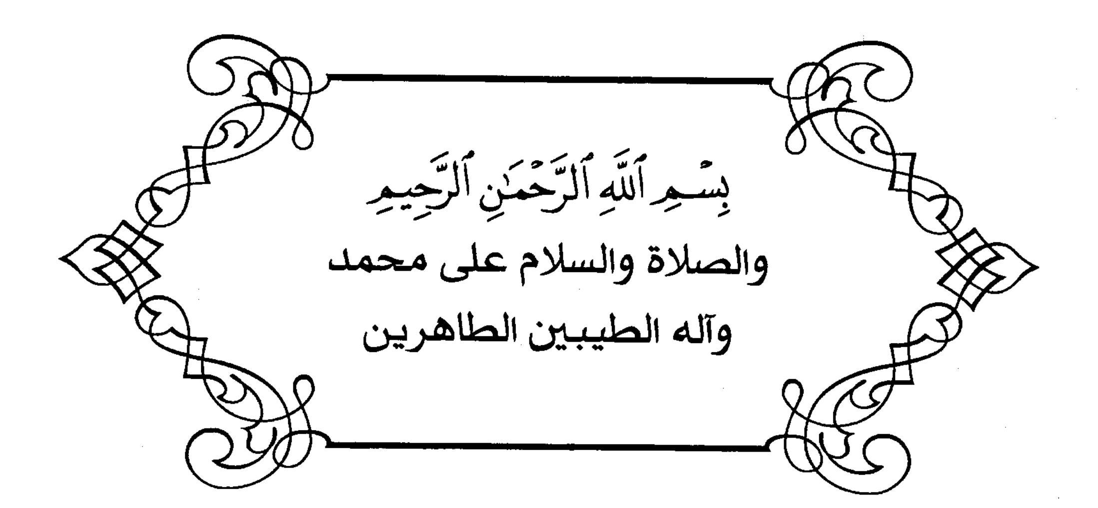


(١) بحار المجلسي: ج٤٥ ص٤٠ طبع طهران الجديد. ومقاتل الطالبيين: ص٦٠ طبع النجف.
(٢) النقد - بالتحريك: قسم من الغنم قصار الأرجل قباح الوجوه.
(٣) اللبد - بفتحتين: مصدر: الصوف المتلبد أو الشعر الكثير.
(٤) الوتين - بالفتح -: عرق القلب يجري منه الدم إلى كل العروق.
(٥) إبصار العين للسماوي: ص٣٢ طبع النجف سنة ١٣٤١ هجرية.



المَجلِسُ الثّامِن

وهو يحتوي - بعد المقدمة - على:
مصارع علي الأكبر والقاسم واخوته وآل عقيل وآل جعفر وعموم بني هاشم غير العباس وأشقائه الثلاثة وفيه تحقيق عدد القتلى من آل البيت عليهم السلام.


بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
والصلاة والسلام على محمد
وآله الطيبين الطاهرين

قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه المجيد

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90].

﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: 151].

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: 152].

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 153].

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 32].

﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 108].

﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النساء: 5].

﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 224].

(صدق الله العليّ العظيم)

من وصايا الامام موسى بن جعفر عليه السلام

- لتلميذه هشام بن الحكم [(١)] عن تحف العقول وأصول الكافي -

يا هشام، إنّ الله تبارك وتعالى أكملَ للناس الحُجَجَ بالعقول ونَصر النبيين بالبيان، ودَلهم على ربُوبيته بالأدلة فقال: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: 163-164].

يا هشام، لقد جَعل الله عزّ وجلّ دليلاً على معرفته بأنّ لهم مُدبّراً، فقال:

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: 12]. وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر: 67]. وقال: ﴿يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد: 17].

وقال: ﴿وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: 4].

وقال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: 24].

يا هشام، ثمّ وَعَظَ أهلَ العقل ورَغّبهم في الآخرة، فقال: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: 32]...

يا هشامُ، ثمّ خوّف الذين لا يَعقلون عقابَه فقال تعالى: ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ

---

(١) هو هاشم بن الحكم البغدادي الكندي مولى بن شيبان المتوفى سنة ١٧٩ هـ في الكوفة. صحب الإمام الصادق والكاظم - عليهما السلام - وأخذ من علومهما وانتهل من منهلهما الغدق. وقد اتفق الأصحاب على وثاقته وعظم قدره ورفعة مقامه عند الأئمة عليهم السلام.

هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [العنكبوت: 34-35].

يا هشامُ، ثمّ بيّن أن العقلَ مع العلم، فقال: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 43].

يا هشامُ، ثم ذمّ الذينَ لا يعقلون، فقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 170]. وقال: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 171]. وقال: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: 14].

يا هشام، ثم ذمّ الله الكثرةَ فقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان: 25]. وقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: 63].

يا هشام، ثمّ مدح القِلّة فقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13]. وقال: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: 40]..

يا هشام، ثمّ ذكر أولي الألباب بأحسن الذكر وحَلاّهم بأحسن التَحلية فقال: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: 269]. وقال: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: 190]. وقال: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: 9].

يا هشام، إنّ لُقمانَ قال لابنه: تَواضعْ للحق تكن أعقلَ الناس، وإن الكيّس لدى الحقّ يَسير، يا بُني إن الدنيا بحرٌ عَميق قد غَرق فيه عالَمٌ كثير، فلتكنْ سفينتُك فيها تقوى الله، وحشوُها الإيمان، وشراعُها التوكل، وقيّمها العقل، ودليلها العلم، وسكّانُها الصبر.

يا هشام، لكل شيءٍ دليل، ودليلُ العاقل التفكّر، ودليلُ التفكّر الصمت، ولكل شيءٍ مَطيّة، ومَطية العاقل التّواضع، وكفى بك جهلاً أن تَركب ما نُهيتَ عنه.

يا هشام، لو كان في يدك (جَوزة) وقال الناس: (لُؤلؤة) ما كان ينفعك - وأنت تعلم أنها جوزة - ولو كان في يدك (لُؤلؤة) وقال الناس: إنها (جوزة) ما ضرّك وأنت تعلم أنها لؤلؤة...

يا هشام، ما بَعث الله أنبياءَه ورُسلَه إلى عباده إلاّ ليَعقلوا عن الله، فأحسنُهم استجابةً أحسنُهم معرفةً لله، وأعلمُهم بأمر الله أحسنُهم عقلاً، وأعقلُهم أرفعهُم درجةً في الدنيا والآخرة.

يا هاشم، ما مِن عبدٍ إلا وَمَلكٌ آخذٌ بناصيته، فلا يَتواضع إلاّ رَفعه الله، ولا يَتعاظم إلا وضعَه الله.

يا هشام، إن لله على الناس حُجتين: حجة ظاهرة، وحجة باطنة. فأمّا الظاهرة فالرّسلُ والأنبياءُ والأئمة، وأما الباطنة فالعقول...

يا هشام، مَن سلّط ثلاثاً على ثلاث فكأنّما أعان هواه على هَدم عقله: مَن أظلم نورَ تفكّره بطول أمله، ومحا طرائفَ حكمته بفضول كلامه، وأطفأ نورَ عِبرته بشهوات نفسه، فكأنما أعان هواه على هدم عقله، ومَن هدَم عقله أفسد عليه دينَه ودنياه...

يا هشام، الصّبرُ على الوحدة علامةُ قوة العقل، فمن عقَل عن الله اعتزل أهلَ الدنيا والراغبين فيها، ورغِبَ فيما عند الله، وكان الله أنسَه في الوحشة، وصاحبَه في الوحدة، وغِناه في العَيلة، ومُعزَّه من غير عشيرة...

يا هشام، قليلُ العمل من العالِم العاقِل مقبولٌ مضاعَف، وكثيرُ العَمل من أهل الهوى والجهل مردود.

يا هشام، إن العاقلَ رضي بالدُّون من الدنيا مع الحكمة، ولم يَرض بالدون من الحكمة مع الدنيا، فلذلك ربحتْ تجارتُهم.

يا هشام، إن كان يُغنيك ما يكفيك، فأدنى ما في الدنيا يكفيك. وإن كان لا يُغنيك ما يَكفيك فليس شيءٌ من الدنيا يُغنيك.

يا هشام، إنّ العاقل نظر إلى الدنيا وإلى أهلها، فعلم أنها لا تُنال إلا بالمشقّة. ونظر إلى الآخرة فعلم أنها لا تُنال إلا بالمشقّة، فطلب بالمشقّة أبقاهما...

يا هشام، من أراد الغنى بلا مال، وراحةَ القلب من الحسَد، والسلامةَ في الدين، فلْيتضرَع إلى الله عزّ وجلّ في مسألته بأن يُكمل عقلَه فمن عقَل قَنع بما يكفيه، ومن قَنع بما يكفيه استغنى، ومَن لم يقنع بما يكفيه لم يُدرك الغنى أبداً...

يا هشام، كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: ما عُبِدَ الله بشيءٍ أفضلَ من العقل، وما تَمّ عقلُ امرئٍ حتى تكونَ فيه خِصالٌ شتّى: الكفرُ والشرُّ منه مأمونان، والرُّشد والخَير منه مأمولان، وفضلُ ماله مَبذول، وفضلُ قوله مَكفوف، ونصيبُه من الدنيا القُوت، ولا يَشبَعُ من العِلم دهره، الذلّ أحبّ إليه معَ الله من العزّ مع غيره، والتّواضعُ أحبّ إليه من الشرف، يَستكثرَ قليلَ المعروف من غيره، ويَستقلّ كثيرَ المعروف من نفسه، ويَرى الناسَ كلّهم خيراً منه وأنه شرّهم في نفسه، وهو تَمام الأمر.

يا هشام، مَن صدق لسانُه زكا عملُه، ومَن حسنُتْ نيتُه زِيدَ في رزقه: ومن حسُنَ برّه بإخوانه وأهله مُدّ في عُمره.

يا هشام، لا تَمنَحوا الجُهّال الحكمةَ فتَظلموها، ولا تَمنَعوها أهلَها فتَظلمُوهم.

يا هشام، لا دِينَ لمن لا مُروّةَ له، ولا مُروّة لمن لا عَقل له، وإنّ أعظم الناس قدراً، الذي لا يَرى الدنيا لنفسه خَطراً، أما إن أبدانكم ليس لها ثمنٌ إلا الجنّة فلا تَبيعوها بغيرها...

يا هشام، إنّ العاقلَ لا يُحدّث مَن يَخاف تكذيبَه، ولا يسأل من يخاف منعه، ولا يَعِد ما لا يقدر عليه، ولا يَرجو ما يُعنّف برجائه، ولا يَقدم على ما يَخاف فوتَه بالعجز...

يا هشام، إنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: إنّ من علامة العاقل ان تكون فيه ثلاثُ خصال: يُجيب إذا سئل، ويَنطق إذا عجَز القومُ عن الكلام، ويُشير

بالرأي الذي يكون فيه صَلاحُ أهله، فَمن لم تكن فيه من هذه الخصال الثلاث شيءٌ فهو أحمَق. . .

وقال الحسنُ بن علي عليه السلام: إذا طَلَبتم الحوائجَ فاطلبُوها من أهلها. قيل: يا بنَ رسول الله، ومَن أهلُها؟ قال: الّذين قصّ اللهُ في كتابه ذكرَهم، فقال: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الرعد: 19] قال: همْ أولو العقول.

وقال عليُ بنُ الحسين عليه السلام: مجالسةُ الصالحين داعيةٌ إلى الصَّلاح وآدابُ العلماء زيادةٌ في العقل، وطاعةُ وُلاة العَدل تَمامُ العزّ، واستثمارُ المال تَمامُ المروّة، وإرشادُ المستَشير قضاء لحق النِّعْمة، وكفّ الاذى مِن كمَال العَقل، وفيه راحةُ البَدن عاجلاً وآجلاً. . .

يا هشام، رَحِمَ الله مَن استحى من الله حقَ الحياء، فحفظ الرأسَ وما حوى، والبطنَ وما وعى وذكر الموتَ والبِلى، وعَلِمَ أن الجنةَ مَحفوفةٌ بالمكاره، والنار محفوفةٌ بالشهَوات.

يا هشام، من كفّ نفسَه عن أعراض الناس أقال اللهُ عثرتَه يوم القيامة، ومن كفّ غضبَه عن الناس كفّ الله عنه غضبَه يومَ القيامة. . .

يا هشام، إن العاقل لا يكذب وإن كان فيه هَواه.

يا هشام، أفضلُ ما يَتقرّب به العبد إلى الله بعد المعرفة به: الصلاةُ وبرّ الوالدين وتَركُ الحسد والعُجب والفَخر.

يا هشامُ، إنّ كلّ الناس يُبصرُ النُّجوم، ولكن لا يَهتدي بها إلا من يعرف مجاريها ومنازلَها، وكذلك أنتم تَدرسونَ الحِكمة، ولكن لا يَهتدي بها منكم إلا من عمل بها.

يا هشام، مكتوبٌ في الإِنجيل: «طوبى للمتراحِمين أولئك هم المرحومون يوم القيامة، طوبى للمصلحين بين الناس أولئك هم المقرّبون يوم القيامة، طوبى للمطهّرة قلوبُهم أولئك هم المتّقون يومَ القيامة، طوبى للمتواضعين في الدنيا أولئك يرتقون منابر الملك يوم القيامة».

يا هشام، تعلّم مِن العِلم ما جهِلت، وعَلّم الجاهل ممّا علِمت، وعَظِّم العالم لعلمه وَدعْ مُنازعتهُ وصغّر الجاهل لجَهله ولا تَطرُدهُ ولكن قرّبه وعلّمه.

يا هشام، الحياءُ من الإيمان والإيمان في الجنّة، والبذاء من الجفاء، والجفاءُ في النار.

يا هشام، المتكلَمون ثلاثة: فرابحٌ وسالمٌ وشاجبٌ. فأما الرابح فالذاكر لله، وأما السالم فالساكت، وأما الشاجب فالذي يخوض في الباطل، إن الله حرّم الجنة على كلّ فاحش بَذيء قليل الحياء، لا يُبالي ما قال ولا ما قيل فيه...

يا هشام، إنّ أسرعَ الخير ثواباً: البرّ، وأسرعَ الشرّ عقوبةً: البغي، وإن شرّ عباد الله مَن تُكره مجالستُه لفُحشه، وهل يُكبّ الناس على مناخِرهم في النار إلا حصائدَ ألسنتهم، ومِنْ حُسن إسلام المَرء تَركُ ما لا يَعنيه.

يا هشام، لا يكون الرجلُ مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً، ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لما يَخاف ويَرجو.

يا هشام، عليك بالرّفق، فان الرّفق يُمنٌ، والخُرقَ شؤمٌ، إن الرفق والبرّ وحسن الخلق يَعمرُ ويَزيد في الرزق.

يا هشام، الغضَب مفتاح الشرّ، وأكمل المؤمنين إيماناً أحسنُهم خُلقاً، وإن خالطتَ الناس، فان استطعتَ أن لا تخالط أحداً منهم إلا مَن كانت يدُك عليه العليا فافعل.

يا هشام، إن مثلَ الدنيا مثلُ الحيّة، مسُّها لين، وفي جوفها السّم القاتل، يَحذرها الرجال وذوو العقول، ويهوى إليها الصِّبيان بأيديهم.

يا هشامُ، مَثل الدنيا مثَل ماء البحر، كلّما شَرِبَ منه العطشان ازداد عطشاً حتى يَقتله.

يا هشام، إيّاك والكبر فانه لا يَدخل الجنة مَن كان في قلبه مثقالُ حبةٍ من كبر، الكبر رداءُ الله، فمَن نازعه رداءَه أكبّه الله في النار على وجهه.

يا هشام، ليسَ منّا مَن لم يُحاسب نفسَه في كلّ يوم، فان عَمِل حسناً استزاد منه، وإن عَمِلَ سيئاً استغفر اللهَ منه وتاب إليه.

يا هشام، إن الزّرع ينبت في السهل ولا يَنبت في الصفا، فكذلك الحكمة تَعمر في قلب المتواضع، ولا تَعمر في قلب المتكبّر الجبّار، لأن الله جعلَ

التواضع آلةَ العقل، وجعل التكبرَ من آلة الجهل. ألم تعلم أن مَن شمَخ إلى السَّقف برأسه شجّه، ومَن خفَض رأسَه استظلّ تحتَه وأكنّه، وكذلك، مَن لم يتواضع فقد خفَضه الله، ومن تواضع له رفعه.

يا هشام، لا خيرَ في العَيش إلا لرجلين: لمستمعٍ واعٍ، وعالم ناطق.

يا هشام، مجالسةُ أهل الدِّين شرَفُ الدنيا والآخرة، ومُشاوَرةُ العاقل الناصح يُمنٌ وبَركةٌ ورشدٌ وتَوفيقٌ من الله، فإذا أشار عليك العاقلُ الناصحُ فإيّاك والخِلاف، فانّ في ذلك العطَب.

يا هشام، مَن أحبَّ الدّنيا ذهب خوفُ الآخرة مِنْ قلبه، وما أوتي عبدٌ عِلماً فازداد للدّنيا حباً إلاّ ازداد من الله بُعداً، وازداد الله عليه غضباً.

يا هشام، إنّ العاقل اللبيب من ترك ما لا طاقةَ له به، وأكثرُ الصّواب في خلاف الهَوى، ومَن طال أملُه ساءَ عملُه.

يا هشام، لو رأيت مسيرَ الأجل لألهاك عن العمَل.

يا هشام، إيّاك والطمَع، وعليك باليأس مما في أيدي الناس، وأمتِ الطمعَ من المخلوقين، فان الطّمع مفتاح الذُلّ واختلاس العقل وإخلاق المروّات، وتدنيسُ العِرض، والذهابُ بالعلم. وعليك بالاعتصام بربك، والتوكّل عليه، وجاهِدْ نفسَك لتردّها عن هواها، فانه واجبٌ عليك كجهاد عدوّك. . .

يا هشام، مَن أكرمه الله بثلاثٍ فقد لَطُف له: عقلٍ يكفيه مؤونةَ هواه، وعلمٍ يكفيه مؤونةَ جهله، وغنىً يكفيه مخافَةَ الفقر. . .

شهداء أهل البيت

قال المؤرخون وأرباب السير: ولما قُتِلَ أصحابُ الحسين عليه السلام ولم يَبقَ معه سوى أهلِ بيته، وهم وُلدُ علي وولدُ جعفر وعقيل وولدُ الحسن وولدُه[1] اجتمعوا وجعل يودّع بعضهُم بعضاً وعزَموا على الحرب وملاقاة الحتوف ببأس شَديد ونفوسٍ أبيّة:

(١) لقد كثر اختلاف المؤرخين وأرباب المقاتل في تحديد شهداء الطف من أهل البيت عليهم السلام - كاختلافهم الكثير في تحديد شهداء الأصحاب أيضاً - فبين مقلّ إلى=

. . . .

= حدّ الثلاثة عشر، كالمسعودي في (مروجه: ج٣ ص٧١) الطبعة الثانية في مصر، وبين مُكثِرٍ إلى حدّ الثلاثين، كالأمين في (أعيانه: ج٤ قسم١ ص٢٥٠) طبع دمشق.

وفي (بحار المجلسي: ج٤٥ ص٦٣) الطبع الجديد في طهران: رواية عبد الله بن سنان عن الإمام الصادق عليه السلام تؤيد ذلك. وبين هذين القولين من جانبي القلة والكثرة أقوال متوسطات أخر.

فالمشهور بين المؤرخين وأرباب المقاتل: انهم (سبعة عشر قتيلاً) غير الحسين عليه السلام كما ورد تعداد أسمائهم في زيارة الناحية المقدسة، وقد أوردها المجلسي بنصها عن الإقبال في (ج٤٥ ص٦٥ من بحاره) طبع طهران الجديد. ويؤيده قول محمد بن الحنفية - من حديث له -: «لقد قتل مع الحسين سبعة عشر ممن ارتكضوا في رَحِمَ فاطمة». ذكر ذلك الطبراني في (معجمه: ج١ ص١٤٠). والمقريزي في (خططه: ج٢ ص٢٨٦) وابن حجر في (تهذيبه: ج١ ص١٥٦) ويعني: فاطمة بنت أسد أم علي وجعفر وعقيل، فان شهداء الطف من أهل البيت ينتمون إلى هؤلاء الثلاثة أولاداً أو أحفاداً. ويؤيد هذا القول أيضاً: ما ذكره المجلسي في (بحاره: ج٤٥ ص٦٣) الطبع الجديد عن ابن نما: انه قال: «قالت الرواة: كنا إذا ذكرنا عند محمد بن علي الباقر عليه السلام قتل الحسين عليه السلام قال: قتلوا سبعة عشر إنساناً كلهم ارتكض في بطن فاطمة، يعني: بنت أسد أم علي عليه السلام».

وقال الدميري في (حياة الحيوان: ج١ ص٦٠، في خلافة يزيد): (إنهم ثمانية عشر رجلاً).

وفي (تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ص٢٥٥) طبع النجف: «انهم تسعة عشر رجلاً». ويضيف إليهم اثنين برواية المدائني، فيكون المجموع «٢١ قتيلاً».

وفي (تاريخ الطبري: ج٥ ص٣٨٢) طبع دار المعارف بمصر - برواية الحصين بن عبد الرحمان عن سعد بن عبيدة - وكان هذا الآخر مع عمر بن سعد - هكذا «وإني لأنظر إليهم وإنهم لقريب من مائة رجل، فيهم لصلب علي بن أبي طالب خمسة، ومن بني هاشم ستة عشر، فيكون الحصيلة مع الحسين (٢١رجلاً) وباستثنائه (عشرين رجلاً).

وهذا القول يلتقي مع قول ابن الجوزي برواية المدايني، ويقترب أيضاً من قول أبي الفرج في (مقاتل الطالبيين: ص٦٧) طبع النجف، حيث يقول: «فجميع من قُتِلَ يومَ الطف من ولد أبي طالب سوى من يُختَلف في أمره اثنان وعشرون رجلاً» فانه عدّ من بينهم الحسين بن علي عليه السلام وأشار إلى مسلم بن عقيل في أول استعراض القتلى، وربما يلتقي هذا القول أيضاً مع قول المقريزي في (خططه: ج٢ ص٢٨٦): انهم (٣٣ قتيلاً) باستثناء الحسين ومسلم. =

. . . .

= ويكاد يتفق الخوارزمي في (مقتله: ج٢ ص٤٧) طبع النجف، وابن شهر اشوب في (مناقبه: ج٤ ص١١٢) طبع قم - وكلاهما من أبناء القرن السادس الهجري - في النسبة إلى الأكثر بأن مجموع القتلى من أهل البيت عليهم السلام لا يتجاوز السبعة والعشرين، فقد قال الخوارزمي: «واختَلف أهل النقل في عدد المقتولين يَومئذٍ مع ما تقدم من قتل مسلم من العترة الطاهرة والأكثرون على أنهم كانوا سبعة وعشرين...». وقال ابن شهر اشوب: «واختَلفوا في عدد المقتولين من أهل البيت، فالأكثرون على أنهم كانوا سبعة وعشرين...» ولكنهما في عرض الأسماء يختلفان، فالخوارزمي يذكرهم هكذا: تسعة لعلي عليه السلام ومثلها لعقيل أولاداً وأحفاداً، وثلاثة لعبد الله بن جعفر، وأربعةً للحسن عليه السلام واثنان للحسين عليه السلام. وابن شهر آشوب يذكر في الأخير أن أولاد الحسين عليه السلام ستة - مع الاختلاف فيهم - وذلك منه شذوذ غير معتبر. وقيل: إنهم ثلاثة: علي الأكبر وعبد الله الرضيع - بإجماع المؤرخين - وطفل آخر أسماء النويري في (نهاية الارب: ج٢٠ ص٤٥٧ طبع القاهرة - بأبي بكر، فقد قال بعد ذكره للقتل عبد الله الرضيع - «ورمى عبد الله بن عقبة الغنوي أبا بكر بن الحسين بسهم فقتله». والظاهر: ان ذلك التباس بأبي بكر بن الحسن عليه السلام، فانه الذي قتله عبد الله الغنوي - بإجماع المؤرخين - والله العالم فانه نفسه - بعد ذلك في مقام تعداد المقتولين من أهل بيته، يقول في (ص٤٦١ من الكتاب): «ومن أولاد الحسين: علي... وعبد الله...». وبالجملة، فالمتفق عليه بينهما هو عدد (٢٥) سوى الحسين ومسلم عليهما السلام.

وأخيراً، فالذي يرجح عندنا - بحكم استعراضنا لكثير من المصادر المعتَبرة - وهو القول الوسط - وهو النيف والعشرون، بل الاثنان والعشرون بالضبط - باستثناء الحسين عليه السلام إذ القولان المتطرفان في القلة والكثرة لا يساعد عليهما الاعتبار وعامة النصوص التاريخية المعتبرة. وقول (السبعة عشر وأخويه) يتعدّاها العرض المفصّل في كثير من كتب التاريخ والمقاتل، وقول الخوارزمي وابن شهر آشوب يُخفّضه ورود أسماء مقطوع بعدم وجودهم يوم الطف كعمر الأطرف وإبراهيم ابني علي عليه السلام وعمر بن الحسن ونحوهم.

فيبقى القول الوسط - الذي يلتقي به أو يقرب إليه قولُ الطبري برواية الحصين، والسبط برواية المدائني، والمقريزي في خططه، وأخيراً قول ابي الفرج في مقاتله - هو مورد الإطمئنان - وبالجملة - فالمرجّح عندنا: أن عددهم - باستثناء الحسين عليه السلام ينوف على العشرين قتيلاً.

ويمكن أن تشير إلى ذلك روايةُ معاوية بن وهب عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام - كما=

بـنـفـسـي وآبـائـه نـفـوسـاً أبـيّـةً يُـجـرّعـهـا كـأسَ الـمـنـيّـة مُـسـرِفُ
تُـطـلّ بـأسـيـاف الـضَّـلال دمـاؤهـم وتُـلـغـى وصـايـا الله فـيـهـم وتُـحـذفُ

أول الشهداء من بني هاشم علي الأكبر

قالوا: فأولُ مَن خَرج عليُ بن الحسين الأكبر(١).

= سنذكرها في أوائل المجلس العاشر من هذا الكتاب - وفيها جملة: «ومنهم في الأرض ثلاثون قتيلاً من مواليهم ومن أهل البيت. . .». باستثناء الموالي - المعروف أنهم ثمانية - فيكون الحاصل اثنين وعشرين - وهو العدد المختار عندنا. فأولاد علي وأحفاده أحد عشر، وأولاد عقيل وأحفاده ثمانية، وأحفاد جعفر ثلاثة - كما سنعرض أسماءهم ومواقفهم في الحرب - قريباً.

(١) وهو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.
وأمه: ليلى بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي - كما عليه عامة المؤرخين من الفريقين -.
وكانت ليلى من بيت شرَف ومنعة، فان أباها (أبا مرّة) وُلد في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وله مع النبي صحبة أكيدة، ومواقف مشرّفة تجاهَ المسلمين وفي صالح الإسلام.
وإن جدّها (عروة) أحد العظيمين اللذين قالت قريش فيه كما في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: 31] والقريتان: هما: مكة والطائف. والعظيم الآخر: هو الوليد بن المغيرة المخزومي الملقب بـ(الوحيد) لشرفه في قومه ووفرة ذات يده. وكان يكسو الكعبة - وحده - وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾﴾ [المدثر: 11-12].
ولشرف (عروة) في قومه وعظم منزلته الاجتماعية اختارته قريش ممثلاً عنها في عقد الصلح بينها وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم يومَ الحديبية. وأسلم في السنة التاسعة من الهجرة، ورجع إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام، فرموه بالنبل فوقع قتيلاً: فقال عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ليس مثَله في قومه الا كمثلَ صاحب ياسين في قومه» - عن الإصابة لابن حجر: ج٢ ص٧٨».
وفي ليلى يقول الحارث بن خالد المخزومي - كما عن الإصابة لابن حجر: ج٤ ص١٧٨-:
أطاقت بنا شمس النهار ومن رأى من الناس شمساً في المساء تطوف
أبو أمها أوفى قريش بذمة وأعمامها إمّا سألت ثقيف
ولم يتضح لنا سنة وفاتها، ولا مقدار عمرها، ولا حضورها يوم الطف، فان عامة المؤرخين أهملوا هذه الجوانب من حياتها. =

. . . .

= قال المحدث القمي في (نفس المهموم: ص١٦٧): «لم أظفر بشيء يدل على مجيء ليلى إلى كربلاء». ط

ولكن الدربندي في (أسرار الشهادة) نسب حضورها في كربلا إلى بعض المؤلفات المجهولة، ومثله وقع لبعض أرباب المقاتل من المتأخرين.

والظاهر - والله العالم - أنها كانت متوفاة قبل واقعة الطف.

ويكنى علي الأكبر بـ(أبي الحسن) كما يظهر من الزيارة المروية عن الإمام الصادق عليه السلام على لسان الصحابي الجليل أبي حمزة الثمالي، وان لم تدل هذه الكنية على وجود ولد له بهذا الاسم.

ففي كامل الزيارات لابن قولويه: باب٧٩ ص٢٤٠: «ان الإمام الصادق عليه السلام قال لأبي حمزة الثمالي - في عرض بيان زيارة علي بن الحسين الأكبر -: «ثم ضع خدك على القبر وقل: صلى الله عليك يا أبا الحسن - ثلاثاً».

ويظهر من بعض فقرات هذه الزيارة: أن لعلي الأكبر أبناءً وعترةً أكثر من واحد حيث يقول الإمام عليه السلام - في حدود تعليمه لأبي حمزة: «صلى الله عليك وعلى عترتك وأهل بيتك وآبائك وأبنائك». ويظهر من بعض الروايات أنه كان متزوجاً من أم ولد.

ويلقب بـ(الأكبر) لكونه أكبر من أخيه الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام.

ولقد صرّح بذلك الإمام عليه السلام نفسه حينما قال له ابن زياد - في الكوفة -: «أليس قد قتل الله علياً»؟ قال الإمام عليه السلام: «كان لي أخ أكبر مني يسمى علياً فقتلتموهُ» - كما عن ابن كثير في (البداية والنهاية: ج٩ ص١٠٣) وغيره. غير أنا أبا الفرج في (مقاتله: ص٨٨) طبع النجف يذكر القصة مع يزيد في الشام والأول هو الأشهر بين المؤرخين.

كما وصفت عامة المؤرخين - من الفريقين - الشهيد بالأكبر، والسجاد بالأصغر. كابن جرير الطبري في (تاريخه: ج٥ ص٤٤٦، ٢٥٦) طبع دار المعارف بالقاهرة. وابن قتيبة في (معارفه: ص١٣)، والدينوري في (الأخبار الطوال: ص٢٥٤، ٢٥٦) واليعقوبي في (تأريخه: ج٢ ص٩٤) طبع النجف، والقرماني في (التأريخ: ج٢ ص١٠٨) وسبط ابن الجوزي في (التذكرة: ص٢٥٤) طبع النجف، وابن كثير في (البداية والنهاية: ج٩ ص١٠٣) والسهيلي في (الروض: ج٢ ص٣٢٦) والديار بكري في (تاريخ الخميس: ج٢ ص٣١٩) وابن خلكان في (وفيات الأعيان: ج١ ص٣٤٧) طبع إيران، والصبّان في (إسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار: ص١٩٤) والحافظ علي بن محمد الرازي القمي في (كفاية الأثر: ص٣١٨) والصدوق في (أماليه مجلس ٣٠) والخوارزمي في (مقتله): ج٢ ص٣٢) طبع النجف، وغيرهم كثير. =

وقد ذكر بعضُ المؤرخين وأرباب المقاتل: أن أول مَن خرج وقاتل وقُتل من أهل البيت هو عبد الله بن مسلم بن عقيل، وأن علي بن الحسين الاكبر كان آخر مَن قاتل وقُتل من أهل البيت[1].

= كما ذكر عامة المؤرخين من الفريقين أيضاً: أن قتيل الطف هو علي الأكبر من غير إشارة للمقابلة بينه وبين السجاد عليه السلام، مثل ابن الأثير في (الكامل: ج٣ ص٢٩٣) طبع بيروت، والمسعودي في (مروجه: ج٣ ص٧١) الطبعة الثانية بمصر، وابن الصباغ المالكي في (فصوله: ص٢٠٩) طبع إيران، وابن العماد الحنبلي في (شذارته: ج١ ص٦٦) والمحب الطبري في (الذخائر: ص١٥١) والوطواط في (غرر الخصائص: باب١١ الفصل الثاني) والشبراوي في (الاتحاف: ص٤٧) الشهيد الأول في: كتاب المزار من (دروسه) فانه قال - في باب زيارة الحسين عليه السلام -: «وإذا زاره فليزر ولده علي الأكبر بن الحسين عليه السلام وهو الأكبر - على الأصح -».

وقال ابن ادريس في (مزار السرائر: آخر كتاب الحج): «فإذا كانت الزيارة لأبي عبد الله عليه السلام زار ولده علياً الأكبر - إلى قوله -: وقد ذهب شيخنا المفيد في كتاب الإرشاد إلى أن المقتول بالطف هو علي الأصغر وهو ابن بنت الثقفية وأن علي الأكبر هو زين العابدين أمه أم ولد هي شاه زنان بنت كسرى يزدجرد. والأولى: الرجوع إلى أهل هذه الصناعة وهم النسابون وأصحاب السير والأخبار والتواريخ، مثل الزبير بن بكار في كتاب (أنساب قريش)، وأبي الفرج الاصفهاني في (مقاتل الطالبيين)، والبلاذري في الأنساب، والمزنى صاحب كتاب اللباب، والعمري النسابة - حقق ذلك في كتاب المجدي، فانه قال: «وزعم مَن لا بصيرة له أن علياً الأصغر هو المقتول بالطف، وهذا خطأ ووهم». وإلى هذا ذهب صاحب كتاب الزواجر والمواعظ، وابن قتيبة في المعارف، وابن جرير الطبري المحقق لهذا الشأن، وابن ابي الأزهر في تاريخه، وأبو حنيفة الدينوري في (الأخبار الطوال) وصاحب كتاب الفاخر مصنف من أصحابنا الإمامية... وأبو علي بن همام في كتاب الأنوار في تواريخ أهل البيت ومواليدهم... فهؤلاء جميعاً أطبقوا على هذا القول، وهم أبصر بهذا النوع».

(١) قال الخوارزمي في (مقتله: ج٢ ص٢٦) طبع النجف: «فأول مَن خرج من أهل بيته عبد الله بن مسلم بن عقيل» وفي (ص٣٠ منه) بعد ذكر مقتل العباس عليه السلام - يقول: «فتقدم علي بن الحسين وأمه ليلى بنت أبي مرة». ويرى الفتال النيسابوري في (روضة الواعظين: ص١٨٨) طبع النجف: أن شهادة علي الأكبر بعد شهادة عبد الله بن مسلم بلا فصل.

ولكن الأصح ما اشتهر بين المؤرخين وأرباب المقاتل: من أن الأكبر هو أول الخارجين والمقتولين من أهل البيت، وعلى ذلك شواهد[١].

عمره الشريف يوم الطف

وكان عمرُه الشريف يومَ الطف - على ما هو الأشهر بين المؤرخين وأرباب المقاتل والنسب - نحواً من سبع وعشرين سنة[٢].

---

(١) وقد صرح بذلك عامة المؤرخين وارباب المقاتل، كالطبري في (تاريخه: ج٥ ص٤٤٦) طبع دار المعارف بالقاهرة، وابن الأثير في (كامله: ج٣ ص٢٩٣) طبع دار الكتاب العربي بيروت، ومثلهما الشيخ المفيد في إرشاده، والمجلسي في بحاره، وأبو الفرج في (مقاتله: ص٨٤) طبع النجف، والبلاذري في (أنسابه: ج٣ ص٢٠٠) طبع بيروت والنويري في (نهايته: ج٢٠ ص٤٥٥) طبع القاهرة.

ومن شواهد ذلك: صريح زيارة الناحية الواردة عن حجة آل محمد عليه السلام - كما في ج٤٥ ص٦٥ من بحار المجلسي طبع طهران الجديد -: «السلام عليك يا أول قتيل من نسل خير سليل من سلالة إبراهيم الخليل».

ومن الشواهد أيضاً: ان الحسين عليه السلام لما صُرع ولده الأكبر في الميدان وتصارخت النساء سكتهن وقال لهن: «ان البكاء أمامكن» مما يظهر أن مصاب النساء بعلي الأكبر في طليعة المصائب.

ومن الشواهد أيضاً: ان الحسين عليه السلام بعد مجيئه من مصرع ولده الأكبر أشار إلى فتيانه من بني هاشم. وقال لهم: «احملوا أخاكم» فحملوه من المعركة إلى الفسطاط الذي كانوا يقاتلون أمامه - كما عليه عامة المؤرخين وأرباب المقاتل - وذلك مما يؤكد شهادته عليه السلام قبل شهادة فتيان بني هاشم.

(٢) فلقد ولد عليه السلام - في الحادي عشر من شعبان سنة (٣٣هجرية) قبل مقتل عثمان بسنتين - كما نص على ذلك الحجة السيد محمد عبد الحسين الهندي في كتابه (أنيس الشيعة) فارسي، ولا يزال الكتاب من نفائس المخطوطات - كما يقول المحقق الطهراني في ذريعته -.

ويلتقي هذا القول مع قول ابن ادريس الحلي في (آخر كتاب الحج من سرائره) وكذلك قول أبي الفرج في (مقاتله): «انه ولد في إمارة عثمان» فان عثمان قتل (سنة ٣٥هجرية) بإجماع المؤرخين - وواقعة الطف كانت في سنة ٦١ هجرية - بالإجماع أيضاً-. =

ويقال: انه ابن سبع عشرة سنة، أو ابن ثمان عشرة سنة، أو ابن تسع عشرة سنة[(١)] وهو المشهور على ألسنة الخطباء والشعراء.

ولقد أرسله أبوه الحسين عليه السلام - يوم الثامن من المحرّم - على رأس ثلاثين من أصحابه لجلب الماء من الفرات إلى المخيّم[(٢)].

علي الأكبر مجمع الكمالات النفسية

قالوا: وكان علي بن الحسين الأكبر مجمع المحامد والمحاسن جميل الصورة، طلقَ اللسان، صبيح الوجه، حسن السيرة والخلقة متواضعاً، جواداً، سخياً، شجاعاً مقداماً في الحروب، قويّ الإِيمان نافذ البصيرة، متفانياً دون كلمة الحق، وعلى ثقةٍ واطمئنان - عميقين - من دينه[(٣)].

= ولقد مرّ علينا - آنفاً - اتفاق المؤرخين وأرباب النسب على انه أكبر من أخيه الإمام علي ابن الحسين زين العابدين عليه السلام. وعمر الإمام زين العابدين يوم الطف (٢٣ سنة) باتفاق المؤرخين، فذلك مما يؤيد هذا القول، ويبعد الأقوال الأخر.

ويقرب من هذا القول ما يذكره ابن شهر اشوب في (مناقبه) بقوله: «ويقال انه ابن خمس وعشرين سنة».

(١) فالأول كما عن الطريحي في (المنتخب) والثاني - كما عن الخوارزمي في (مقتله) وأبي الفرج في (مقاتله) والثالث - كما عن المفيد في إرشاده، والطبرسي في أعلام الورى.
وذهب ابن عنبة في (عمدة الطالب) إلى أن عمره يوم الطف (٢٣ سنة) ولعله من التباس الأكبر هذا بالأصغر زين العابدين، فان هذا الآخر هو ابن ثلاث وعشرين عاماً يوم الطف باتفاق المؤرخين - كما عرفت -.

(٢) ولعل هذا الحدث هو السبب في تخصيص اليوم الثامن لذكر مصيبة علي الأكبر لدى الخطباء.
وبمناسبة مصيبته تذكر مصائب الشهداء من آل البيت لاعتباره أول القتلى من بينهم - كما هو الأشهر - وعلى هذه الوتيرة جرى سيدنا الوالد (قدّس سره) فخصص المجلس الثامن لهذا الغرض.

(٣) وخير شاهد على ذلك: حديث عقبة بن سمعان - حينما ارتحل الحسين من قصر بني مقاتل - قال: بينما هو يسير إذ خفق برأسه خفقة وانتبه وهو يقول: (انا لله وانا إليه =

وكان من الفرِحين في لقاء الله يومَ الطف[1] وكان أشبهَ الناس بجدّه رسول الله ﷺ في الخَلق والخُلُق والمنطِق بشهادة ابيه الحسين عليه السلام يوم عاشوراء[2]. وكان يروي الحديث عن جده أمير المؤمنين عليه السلام [3]. وكان قد ربي في حجر عمّه الحسَن وأبيه الحسين - عليهما السلام - وتأدّب بآدابهما، وانتهل العلمَ والمعرفةَ من معدن النبوّة ومَنهل الإمامة:

ورثَ الصفات الغُرّ وهي تِراثُه عن كل غطريف وشهم أصيد
في بأس حمزةَ في شَجاعة حيدرٍ بإبا الحسين وفي مَهابةِ أحمد

= راجعون، الحمد لله رب العالمين) كرر ذلك ثلاثاً، فقال له ابنه علي الأكبر: مم استرجعت وحمدت الله؟ قال الحسين: خفقت برأسي خفقة فعن لي فارس وهو يقول: «القوم يسيرون والمنايا تسير إليهم» فعلمت أنها أنفسنا نعيت إلينا.

قال علي الأكبر: يا أبت، ألسنا على حق؟ قال: بلى، والذي إليه مرجع العباد.

قال: إذاً لا نبالي أن نموت محقين. فجزّاه الحسين من ولد خيراً.

- عن تاريخ الطبري: ج٥، وابن الأثير ج٣ في حوادث سنة ٦٠هجرية - وغيرهما من المؤرخين.

(١) كما جاء ذلك في زيارة الناحية - على ما في مزار البحار المجلسي - من قوله: «أشهد أنك من الفرحين بما آتاهم الله من فضله...».

(٢) من قوله عليه السلام - حينما برز علي الأكبر - إلى الميدان -: «اللهم اشهد على هؤلاء، فقد برز إليهم أشبه الناس خلقاً وخُلقاً ومنطقاً برسولك محمد...».
ولم يذكر أحد من المؤرخين مشابهة أي أحد من أهل البيت للنبي ﷺ في الجهات الثلاثة. غير علي بن الحسين الأكبر. نعم ذكروا: أن فاطمة الزهراء عليها السلام كانت تشبه أباها النبي ﷺ في المشية فقط، وأنها ما تخرج مشيتها مشية أبيها رسول الله - كما ذكر ذلك ابن شهر اشوب في مناقبه - وذكروا أيضاً: ان الحسن بن علي عليه السلام كان يشبه جده رسول الله ﷺ في الهيبة والسؤدد، والحسين بن علي عليه السلام كان يشبهه في الشجاعة والكرم - كما ذكر ذلك الصدوق في خصاله، أخريات باب الاثنين: حديث (١٢٢-١٢٣).

(٣) ذكر ذلك ابن ادريس الحلي في مزار الحج من كتاب السرائر - وأبو الفرج في (مقاتله: ٥٦) طبع النجف.

وتَراه في خَلقٍ وطيب خَلائق وبليغ نُطقٍ كالنبي محمّد[(١)]

وحسبُه في المقام العظيم: ما ورد في زيارته عن الإمام الصادق عليه السلام على لسان الصحابي الجليل أبي حمزة الثمالي من قوله: «صلى الله عليك وعلى عترتك وأهل بيتك وآبائك وأبنائك وأمهاتك الأخيار الأبرار الّذين أذهب اللهُ عنهم الرجسَ وطهّرهم تطهيراً»[(٢)].

وفيه يقول الشاعر:

لم تَر عينٌ نظرتْ مثلَه من مُحتَفٍ يمشي ومن ناعل
يغلي نئيّ اللحْم حتى إذا أنضج لم يَغل على الآكل[(٣)]
كان إذا شبّتْ له نارُه أوقدها بالشَّرف القابل[(٤)]
كيما يراها بائسٌ مرمِلٌ أو فردُ حيٍّ ليس بالآهل
لا يُؤثر الدنيا على دينه ولا يَبيع الحقَ بالباطل
أعني ابنَ ليلى ذا السَّدى والنَدى أعني ابنَ بنت الحسَب الفاضل[(٥)]

علي الأكبر يتقدم إلى الميدان

قالوا: ولمّا عزم علي بن الحسين الأكبر على القتال، وأقبل مستأذناً من أبيه،

---

(١) من قصيدة عصماء جزلة في رثاء علي الأكبر للحجة الأديب الشيخ عبد الحسين آل صادق العاملي رحمه الله - مطلعها - كما في ديوانه-:
حجر على عيني يمر بها الكرى من بعد نازلة بعترة أحمد

(٢) كامل الزيارات لابن قولويه: باب ٧٩ ص٢٣٩ طبع إيران حجري.

(٣) يغلي الأولى: بمعنى الغليان. ويغلي الثانية: ضد الرخص.

(٤) الشرف: الموضع المرتفع. والقابل بمعنى المقبل لعلوه.

(٥) السدى - بالفتح والقصر -: الندى، والنائل أوائل الليل، والندى - بالفتح والقصر - النائل في أخريات الليل - عن مصباح المنير -.
في مقاتل الطالبيين لأبي الفرج: ص٥٦ طبع النجف، وفي آخر كتاب الحج من سرائر ابن ادريس: أن هذه الأبيات قيلت في علي بن الحسين الأكبر.

نظر إليه الحسينُ نظرَ آيسٍ منه، وأرخى عينيه بالدموع [(١)] محترَقاً قلبه، مظهراً حزنه إلى الله تعالى، ورفَع شيبتَه أو سبّابتَه - إلى السماء وقال:

«اللهم اشهَد على هؤلاء، فقد برز إليهم أشبهُ الناس خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً برسولك محمّد ﷺ وكنا إذا اشتقنا إلى رؤية نبيك نظرنا إليه[(٢)] اللهمّ امنعهم بَركات الأرض، وفرّقهم تَفريقاً، ومَزّقهم تَمزيقاً، واجعلهمْ طَرائقَ قِدَداً، ولا تُرضِ الولاةَ عنهم أبداً، فانّهم دَعونا لينَصرُونا فعدَوا علينا يُقاتلونَنا»[(٣)].

وصاح بعمر بن سعد: «ما لك يا ابن سعد، قطع اللهُ رحمَك ولا بارك الله لك في أمرِك، وسلّط عليك مَن يذبحك بعدي على فراشك، كما قطعتَ رحمي، ولم تَحفظْ قرابتي من رسول الله».

ثم رفع صوتَه وتلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [آل عمران: 33-34][(٤)].

قالوا: ولما تقدّم علي الأكبر إلى الحرب اجتمعت النساء ودُرنَ حوله كالحَلقة وتعلّقن بأطرافه، وقُلنَ له: إِرْحم غُربَتنا ولا تَستعجل إلى القتال، فلا طاقة لنا في فراقك، فلم يعبأ بهن، ولم يزل يطلب الإِذن من أبيه حتى أذن له.

وفي (الناسخ عن كتاب روضة الأحباب): إن الحسين عليه السلام ألبسه بيده لامة حربه وأفرغ عليه درعَه ومغفَره، وشدّ وسطه بمحزم ادّخره من أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، وأركبه فرسَه العُقاب[(٥)].

---

(١) مثير الأحزان لابن نما الحلي: ص٣٥ ولهوف ابن طاووس: ص٤٧ طبع النجف.

(٢) لهوف ابن طاووس: ص٤٧ طبع النجف.

(٣) أعيان الشيعة للأمين: ج٤ قسم١ ص٢٣٨، ومقتل الخوارزمي: ج٢ ص٣٠ طبع النجف.

(٤) مقتل الخوارزمي: ج٢ ص٣٠، وتظلم الزهراء للقزويني ص١١٦.

(٥) في كتاب (فضل الخيل) لعبد المؤمن الدمياطي المتوفى سنة ٨٠٥: ص١٨٣: «ان للحسين عليه السلام فرساً تدعى (لاحقاً) حمل عليها ولده علي بن الحسين الأكبر يوم قتلا بالطف» وكذلك ورد مثله في تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٢٤ طبع دار المعارف بمصر.

فعند ذلك ودّع أباه الحسين والحَرم وعمومَ بني هاشم، وتوجّه نحوَ القوم، وجلا عليهم الشمس الضاحية:

ذكروا بطلعته النبيّ فهلّلوا لما بدا بين الصفُوف وكبّروا
فافتنّ فيه الحاضرُون فاصبعٌ يومئ إليه بها وعينٌ تنظر

علي الأكبر يتوسط الميدان

وشدّ عليهم شدَة الليث الغضبان، وهو يقول:

أنا عليُ بن الحسينِ بنِ علي نحنُ وَبيت الله أولى بالنّبي
واللهِ لا يحكم فينا ابنُ الدعي أطعنُكم بالرّمح حتى يَنثني
أضربُكم بالسّيف أحمي عن أبي ضربَ غلامٍ هاشميّ عَلوي[1]

وشدّ على الناس مِراراً. وعن بعض التواريخ: إن حملاته بلغت اثنتي عشرةَ حملة. وقتَل منهم مَقتلةً عظيمةً، حتى ضجّ الناسُ مِن كثرة مَن قتل منهم، فرُوي: إنه قَتل - على عطَشه - مأةً وعشرين رجلاً[2].

يَرمي الكتائبَ والفلا غصّتْ بها في مثلها من بأسه المتوقّدِ
فيردّها قَسراً على أعقابها في بأس عرّيس العَرينةِ مُلبِدِ

هذا وقد اشتدّ به العطش من حرارةِ الشمس، وثقلِ السلاح وكثرةِ الجراح، ومواصلةِ الكفاح، فرجع إلى أبيه الحسين قائلاً: «يا أبه، العطشُ قد قَتلني، وثقلُ الحديد قد أجهَدني، فهل إلى شَربةِ ماءٍ من سبيل أتقوى بها على الأعداء»[3].

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٤٦ طبع دار المعارف بالقاهرة، وكامل ابن الأثير: ج٣ ص٢٩٣ طبع بيروت، ومقاتل الطالبيين لابي الفرج: ص٨٤ طبع النجف، ومقتل الخوارزمي: ج٢ ص٣٠ طبع النجف، ومناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص١٠٩ طبع قم، وغيرها - باختلاف بسيط في كيفية وكمية نقل الرجز -.

(٢) مقتل الخوارزمي: ج٢ ص٣٠ طبع النجف.

(٣) مقتل الخوارزمي: ج٢ ص٣١ طبع النجف.

فبكى الحسين، وقال: وآغوثاه!! من أين آتي لك بالماء، قاتل قليلاً، فما أسرعَ ما تلقى جدَّك رسول الله، فيَسقيك بكأسه الأوفى شربةً لا تظمأ بعدها أبداً[١].

ورُوي: أن الحسين عليه السلام قال له: يا بني، هاتِ لسانَك، فأخذ لسانه فمصه، ودفع إليه خاتَمه الشريف. وقال له: يا بُني، أمسِكهُ في فَمِك، وارجعْ إلى قِتال عدوّك[٢].

ويؤوبُ للتَوديع وهو مكابدٌ ... لظما الفؤاد وللحديد المُجهدِ
صادي الحشا وحسامُه ريّان من ... ماء الطُلى وغليلُه لم يَبرد
يشكو لخير أبٍ ظماه وما اشتكى ... ظمأَ الحشا إلا إلى الظّامي الصَدِي
فانصاع يؤثره عليه بريقه ... لو كانَ ثمةَ ريقُه لم يَجمدِ
كلٌّ حشاشتُه كصالية الغضَا ... ولسانُه ظماءً كشقةِ مبرد[٣]

فرجع إلى الحرب آيساً من الحياة عازماً على الموت وهو يقول:

الحربُ قد بانت لها الحقائقُ ... وظَهرتْ من بعدها مصادقُ
واللهِ ربّ العرش لا نفارقُ ... جُموعَكم أو تُغمدَ البَوارقُ

مصرع علي الأكبر

وجعل يقاتل أعظمَ القتال حتى قتَل تَمامَ المائتين[٤] قالوا: وجعَل يكرّ على القوم كرةً بعد كرة، حتى رُمي بسهم وقع في حَلقه فخرَقه، وأقبل يتقلّب في دمه،

---

(١) لهوف ابن طاووس: ص٤٧ طبع النجف، وبحار المجلسي: ج٤٥ ص٤٣ طبع طهران الجديد. وفيه وفي مقتل الخوارزمي بالمصدر الآنف -: «فبكى الحسين، وقال: يا بني، يعز على محمد وعلى علي وعلى أبيك أن تدعوهم فلا يجيبونك، وتستغيث بهم فلا يغيثونك».

(٢) الخوارزمي: والمجلسي - بمصدريهما الآنفي الذكر- والايقاد للعظيمي: الفصل التاسع منه.

(٣) هذه الأبيات كسوابقها ولواحقها من القصيدة العصماء في رثاء علي الأكبر للحجة الشيخ عبد الحسين العاملي (قدّس سره) -.

(٤) مقتل الخوارزمي: ج٢ ص٣١ طبع النجف، وتظلم الزهراء: ص١١٧.

وضرَبه مُرةُ بن منقذ العبدي بالسّيف على مفرق رأسه، ثم طعنه بالرمح في ظهره، وضَربه الناسُ بأسيافهم. فاعتنقَ فرسَه، فاحتَمله الفرسُ إلى معسكر الأعداء، فقطّعوه بسيُوفهم إرباً إرباً[١].

ومذ انثنى نحوَ الكريهة باسماً والموتُ منه بمسمَع وبمشهدِ
لفّ الوفى وأجالهَا جَولَ الرحى بمثقّفٍ من بأسه ومُهنّد
يلقى ذوابلَها بذابل مَعطِف ويشيم أنصلها بجيد أجيدِ[٢]
حتى إذا ما غاصَ في أوساطهمْ بمطهّم قُبّ الأياطل أجرد[٣]
عَثر الزمانُ به فغُودرَ جسمُه نهبَ القَواضِب والقَنا المتقصّدِ
ومحا الردى يا قاتل الله الردى منه هلالَ دجىً وغُرةَ فرقدِ

ولما بلغت روحُه التراقي نادى رافعاً صوته:

يا أبتآه، عليك مني السلام، هذا جدّي رسول الله قد سقاني بكأسه الأوفى شَربةً لا أظمأ بعدها أبداً، وَهو يقول لك: العجل، العجل، فان لك كأساً مذخورةً حتى تَشربَها الساعة[٤].

وشهقَ شَهقةً كانت فيها نفسُه، وفارقتْ روحُه الدنيا[٥].

يا نجعةَ الحيين: هاشم والنَدى وحمى الذمارين العُلى والسؤددِ

---

(١) لهوف ابن طاووس: ص٤٨ طبع النجف ومثير الأحزان لابن نما: ص. ٣٥ والأخبار الطوال: ص٢٥٤، وتاريخ الطبري: ج٥ ص٤٤٦ طبع دار المعارف بالقاهرة، والكامل لابن الأثير: ج٣ ص٢٩٣ طبع بيروت.

(٢) الذوابل: جمع ذابل، وهو المهزول الدقيق، والذوابل صفة للرماح. والمعطف - بالفتح وكسر الثالث -: العنق. وبالكسر فالفتح -: السيف. ويشيم: ينظر، والانصل: جمع نصل وهو حديدة الرمح والسهم وطرف السيف. والجيد الأجيد: طويل العنق.

(٣) المطهم: التام الجسم البارع الجمال. والقُب - بالضم جمع أقب: من الخيل الضامر البطن.

(٤) مقتل الخوارزمي: ج٢ ص٣١ طبع النجف، ومثير الأحزان لابن نما: ص٣٥، ومقتل العوالم للبحراني: ص٩٥.

(٥) اللهوف لابن طاووس: ص٤٨ طبع النجف، ومقاتل الطالبيين ص٨٥ طبع النجف.

كيفَ ارتقتْ هِممُ الردى لك صعْدةٌ ... مطرورةَ الكعبين لم تتأود[١]

فلتذهب الدنيا على الدنيا العفَا ... ما بعدَ يومك من زَمانٍ أرغدِ

الحسين يندب ولده وهو يتنفس الصعداء

قالوا: فجعل الحسين يتنفّس الصعدآء[٢]، وصاح بأعلى صوته: وآولداه فتصارخن النساء، فسكتهنّ الحسين، وقال: إن البكاء أمامكن، وحمَل على القوم ففرّقهم وأقبل إلى ولده مسرعاً.

قالوا: ولما أقبل الحسين إلى ولده كان في طريقه يلهج بذكره ويصيح ويكثر من قوله: «ولدي علي، ولدي علي» حتى وصَل إليه. فأخلى رجليه معاً من الركاب، ورمى بنفسه على جسَد ولده، وأخذ رأسَه فوضعه في حجره، وجعل يسمح الدمَ والترابَ عن وجهه، وانكبّ عليه واضعاً خده على خدّه، وهو يقول: «يا بُني قتَل الله قوماً قتلوك، وما أشدّ جرأتَهم على الله وعلى انتهاك حرمة الرسول» ثم انهملتْ عيناه بالدموع. ثم قال: على الدنيا بعدَك العَفا[٣] يا بُني، أمّا أنت فقد استَرحتَ من الدنيا وضيمها، وقد صِرتَ إلى رَوح وريحان، وبقي أبوك، وما أسرع لحوقه بك»[٤].

---

(١) الصعدة - على فَعلة -: القناة المستوية الطويلة.

(٢) الصعداء: التنفس الطويل من هم أو تعب.

(٣) تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٤٦ طبع دار المعارف بالقاهرة، وكامل ابن الأثير: ج٣ ص٢٩٣ طبع بيروت ومقتل الخوارزمي: ج٢ ص٣١ طبع النجف.

(٤) نسب قريش لمصعب الزبيري: ص٥٧ طبع دار المعارف بمصر. وفي (مقتل العوالم للبحراني: ص٩٥) هنا إضافة قوله: «يعز على جدك وعمك وأبيك أن تدعوهم فلا يجيبوك، وتستغيث بهم فلا يغيثوك».

وفي بعض المقاتل - كما في المناقب لابن شهر اشوب -: انه عليه السلام أخذ بكفه من دمه الطاهر، ورمى به نحو السماء فلم ترجع منه قطرة إلى الأرض.

وقد ورد في زيارة الإمام الصادق عليه السلام له على لسان أبي حمزة الثمالي: «بأبي أنت وأمي من مذبوح ومقتول من غير جرم... بأبي أنت وأمي من مقدم بين يدي أبيك =

وذكر بعضُ الأكابر من أرباب المقاتل: إن الحسين عليه السلام لما رمى بنفسه على جسَد ولده وفلذة كبده، اعترتهُ حالةُ المحتضِر فجَعل يجودُ بنفسه، ويتَنفّس تنفّس الصعدآء، وكادتْ روحُه أن تَخرج، ولسانُ حاله يقول:

بُنيَّ اقتطعتُك من مُهجتي علامَ قطعتَ جميلَ الوصالِ
بُنيّ حرامٌ عليّ الرقاد، وأنتَ عفيرٌ بحرّ الرمالِ
بُنيّ عَراك خُسوفُ الردى وشأن الخسوف قُبيَل الكمالِ
بُنيّ أَبيتَ سوى القاصِرات وخلّفتَ عندي سُمرَ الطّوالِ
بُنيّ بكتكَ عُيونُ الرجال، ليوم النَّزيل ويوم النَّزالِ
بُنيّ بكتك صِفاتُ الكمال، وغضُّ الشبابِ وذاتُ الجمالِ[1]

زينب والعيال يندبن علي الأكبر

قالوا: وخرجتْ زينب ابنة علي مسرعة - وخلفَها النساءُ والأطفال - وهي تنادي: يا حبيباه، يا ثَمرةَ فؤاداه، وآولداه، وآمهجة قلبآه، فجاءت وانكبّتْ عليه، فبكى لحسين رحمةً لبكائها وقال: انا لله وانّا إليه راجعُون. وقامَ وأخذ بيدها وردّها إلى الفسطاط[2].

لهفي على عقائل الرّسالهْ لما رأينَه بتلك الحالهْ
علا نحيبُهنّ والصياحُ فاندهشَ العقولُ والأرواحُ

= يحتسبك ويبكي عليك محترقاً عليك قلبه، يرفع دمك إلى أعنان السماء لا ترجع منه قطرة، ولا تسكن عليك من أبيك زفرة. . .» - عن كامل الزيارات لابن قولويه: باب ٧٩ ص٢٣٩ طبع إيران حجري -.

(١) أبيات من قصيدة رائعة في رثاء علي الأكبر للعلامة الأديب السيد مهدي البحراني (قدّس سره).

(٢) مقتل الخوارزمي ج٢ ص٣١، والبداية والنهاية لابن كثير: ج٨ ص١٨٥ ومقاتل الطالبيين ص٨٤ طبع النجف. وتاريخ الطبري: ج٥ ص٤٤٦ طبع دار المعارف بالقاهرة.

لهفي لها إذ تندب الرّسولا فكادت الجبال أن تزَولا
لهفي لها مذ فقدتْ عميدَها وهل يُوازي أحدٌ فَقيدَها
ومَن يُوازي شرفاً وجاها مثالَ يس وقلبَ طه[(١)]

ثم التفت الحسين عليه السلام إلى فتيانه من بني هاشم، وقال لهم: إحملوا أخاكم، فحملوه من مصرَعه، وجاؤا به إلى الفسطاط الذي يقاتلون أمامَه[(٢)].

الحسين يبكي مع النساء على ولده

قالوا: ولما قُتِلَ عليُّ بن الحسين الأكبر، دخل الحسينُ خيمةَ النساء باكياً حزيناً آيساً من نفسه. ولما رأته ابنتُه سكينة بهذه الحالة قالت له: يا أبهْ، مالي أراكَ تَنعى نفسَك، وتُدير طرفَك، أين أخي علي؟.

فقال لها الحسين: قتَله اللئام. فنادتْ سكينة: واآخاه، وآمهجة قلباه. وأرادت الخروج، فمنَعها الحسين، وقال لها: يا سكينة، إتقي الله، واستَعملي الصّبر.

فقالت: يا أبتاه، كيف تَصبر مَن قُتل أخوها، وشُرّد أبوها؟.

فقال الحسين: إنا لله وإنا إليه راجعون[(٣)].

يا كوكباً ما كان أقصرَ عمره وكذا تكون كواكبُ الأسحار
جاورتُ أعدائي وجاورَ ربّه شتّانَ بين جِواره وجِواري[(٤)]

---

(١) أبيات من منظومة (الأنوار القدسية) للحجة المحقق آية الله الشيخ محمد حسين الأصفهاني (قدّس سره).

(٢) تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٤٧ طبع دار المعارف بالقاهرة، والكامل لابن الأثير: ج٣ ص٢٩٣ طبع بيروت، ومقتل الخوارزمي ج٢ ص٣١ طبع النجف، ونهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤٥٥ طبع القاهرة.

(٣) وفي الإيقاد للعظيمي: الفصل التاسع: «وروى أن سكينة لما رأت نعشه وقعت عليه وغشي عليها».

(٤) من أبيات قصيدة التهامي أبي الحسن في رثاء ولده المخترم في عنفوان شبابه، - كما في جواهر الأدب -.

عبد الله بن مسلم بن عقيل[1]

قال أربابُ التاريخ: ولما قُتِل عليُّ بن الحسين الأكبر، خرج من بعده: عبدُ الله بن مسلم بن عقيل، وأمهُ رقية الكبرى بنت أمير المؤمنين عليه السلام[2] وهو يقول:

اليومَ ألقى مُسلماً وهو أبي　　وعُصبةً بادوا على دين النبي

ليسوا بقومٍ عُرِفُوا بالكَذِب　　لكن خِيارٌ وكرامُ النَّسب

من هاشمِ الساداتِ أهلِ الحسَب[3]

فقَتلَ جماعةً كثيرةً بثلاث حَمَلات. وعن محمّد بن أبي طالب: إنه قَتل في حملاته ثمانيةً وتسعين رجلاً[4].

ولم يَزل يُقاتل حتى رماه لعينٌ من القوم[5] بسهمٍ فاتّقاه بيده، فسمرَها إلى

---

(١) وهو من طليعة شهداء آل عقيل، وربما قيل بأنه أول قتيل من آل أبي طالب. وفي ناسخ التواريخ: أن الحسين عليه السلام قال لابن أخته عبد الله بن مسلم بن عقيل - يوم الطف -: خذ بيد أمك واخرج من هذه المعركة: فقال الغلام: لست - والله ممن يؤثر دنياه على آخرته.
وله ذكر في (الزيارة والطبري، والاصفهاني، والخوارزمي والمسعودي).

(٢) وأمها الصهباء أم حبيب بنت عباد بن ربيعة بن يحيى بن العبد بن علقمة التغلبية، قيل: بيعت لأمير المؤمنين من سبي اليمامة، وقيل من سبي عين التمر، أولدها علي عليه السلام عمر الأطرف ورقية - عن إبصار العين للسماوي -.

(٣) هكذا في عامة كتب السير والمقاتل، ولكن القندوزي في (ينابيع المودة باب ٦١) يذكر له هذا الرجز:

نحن بنو هاشم الكرام　　نحمي عن السيّد الإمام

نجل علي السيد الضرغام　　سبط النبي الملك العلاّم

(٤) مناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص١٠٥ طبع قم. وعند القندوزي في (ينابيعه): (نيف وخمسين).

(٥) وهو عمرو بن صبيح الصدائي - كما في تاريخ الطبري. والارشاد، والمناقب لابن شهر اشوب، ومقاتل أبي الفرج، وأنساب البلاذري ونهاية النويري، وغيرها.

جبهته[١]، وما استطاع أن يُزيلها، فقال: «اللهم إنه استقلّونا، واستذلّونا، فاقتُلْهم كما قتَلونا».

وبينما هو بهذا ونحوه، إذ حملَ عليه رجلٌ برمحه[٢] فطعنَه في قلبه ففارقتْ روحُه الدنيا.

فجاءَ الرامي فأخرج سهمَه من جبهته، وبقي النصلُ فيها - وهو ميّت -[٣].

حملة آل أبي طالب[٤]

قالوا: ولما قُتل عبدُ الله بن مسلم حمل آلُ أبي طالب حَملةً واحدةً فأعتورَهم الناسُ وأحاطوا بهم.

فصاح الحسين عليه السلام: صبراً على الموت يا بَني عمُومتي، لا رأيتم هواناً بعدَ هذا اليوم. فجعلوا يقاتلون أشدّ قتال.

قال ابن أبي الحديد - في شرح النهج -: «قيل لرجل شهد يوم الطف مع ابنِ سعد: ويحك!! أقتلتم ذرية رسول الله؟ فقال: لو شَهدتَ ما شَهدنا لفعلتَ ما فَعلنا، لقد ثارت علينا عِصابة أيديها في مقابض سيوفها كالأسود الضارية، تُحطّم الفرسان يميناً وشمالاً، وتُلقي بأنفسها على الموت، لا تَقبل الأمان، ولا تَرغب في المال، ولا يَحول حائلٌ بينها وبين الورود على حياض المنيّة، فلو كففنا عنها رويداً لأتت على نفوس العسكر بحذافيره، فما كنا فاعلين، لا أمّ لك».

بنفسي رؤوساً من لويّ بن غالب   من الضَّيم مذ كان الزمان لتأنفُ

---

(١) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج: ص٦٧ طبع النجف. وإرشاد المفيد: ص٢٥٣ طبع إيران.

(٢) قيل: هو أسيد أو أسد بن مالك الحضرمي - كما عن الزيارة والمناقب وغيرهما -.

(٣) مقتل الحسين للمقرم: ص٣١٨ طبع النجف، وأنساب الأشراف للبلاذري: ج٣ ص٢٠٠ طبع بيروت.

(٤) وعدد الذين حضروا يوم الطف من آل أبي طالب وشاركوا في القتال واستُشهدوا ينوف على العشرين رجلاً غير الحسين عليه السلام وطفله الرضيع - كما عرفت تحقيق ذلك في أوائل هذا المجلس -.

أبتْ أن تشمّ الضيمَ حتى تقطّعت بيوم به سمرُ القَنا تتقصفُ
كرامٌ قضَوا بين الأسنة والظُبى كراماً ويومُ الحرب بالنقع مُسدِفُ

قالوا: ووقع في هذه الحملة جمَاعةٌ من آل أبي طالب من بني عقيل وعلي وجعفر(١).

---

(١) قالوا: ثم برز - بعدَ عبد الله بن مسلم - من آل عقيل: جعفرُ بن عقيل. وأمه الخوصاء أو أم الثغر بنت عامر بن الهصان العامري من بني كلاب. فتقدم إلى القتال وهو يرتجز ويقول - كما في المناقب، والخوارزمي:

أنا الغلام الأبطحي الطالبي من مشعر في هاشم من غالب
ونحن حقاً سادة الذوائب فينا حسينُ أطيب الأطائب

فقاتل حتى قتل خمسةَ عشر فارساً - على ما في المناقب - ثم قتله بشر بن حوط الهمداني - كما في الزيارة والمناقب - وفي الطبري وابن الأثير والأنساب، والنويري: قتله عبد الله بن عروة - أو عزرة الخثعمي - ذكره مقتل الخوارزمي: ج٢ ص٢٦ طبع النجف، ومناقب ابن شهر اشوب ج٤ ص١٠٥ طبع قم، وتذكرة الخواص لابن الجوزي: ص٢٥٥ طبع النجف ومقاتل الطالبيين: ص٦٦ طبع النجف وأنساب البلاذري: ج٣ ص٢٠٠ طبع بيروت ونهاية النويري ج٢٠ ص٤٥٦ ط القاهرة -.

وخرج من بعده: أخوه عبد الرحمان بن عقيل، أمه أم ولد، فحمل على القوم وهو يرتجز ويقول - كما في المناقب والخوارزمي -:

أبي عقيل فاعرفوا مكاني من هاشم وهاشم إخواني
فينا حسين سيد الأقران وسيد الشباب في الجنان

فقتل سبعة عشر - على ما في المناقب - ثم قتله عثمان بن خالد الجهني - كما في الزيارة وتاريخ الطبري: ج٥ ص٢ والمناقب ج٤ ص١٠٦ طبع قم ومقتل الخوارزمي ج٢ ص٢١١ طبع النجف، وابصار العين للسماوي، وأنساب البلاذري: ج٣ ص٢٠٠ طبع بيروت، وإرشاد المفيد: ص٢٥٣ طبع إيران - ونهاية النويري: ج٢٠ ص. ٤٥٦ وفيه: أن بشر بن سوط الهمداني اشترك مع عثمان بن خالد في قتله.

ثم برز عبد الله الأكبر بن عقيل، وأمه أم ولد. وفي إبصار العين للسماوي: أنه كان متزوجاً بميمونة بنت أمير المؤمنين عليه السلام. وفيه - نقلاً عن السروي -: أنه تقدم إلى الحرب وهو يرتجز ويقول:

. . . .

خلوا عن المصحر دون الغيل   خلوا عن الواضح من عقيل

يمنع عن صريخة الرسول   بسيفه المهند المصقول

فقتل رجالاً وفرساناً حتى أثخن بالجراح، فشد عليه عثمان بن خالد الجهني فقتله - كما في مقاتل أبي الفرج ص٦٥ طبع النجف. ومناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص٦٠ طبع قم. وفي تذكرة الخواص: ص٢٥٥ طبع النجف (قتله عمر بن صبيح).

وبرز محمد بن مسلم بن عقيل، وأمه أم ولد، فقاتل حتى قتله أبو مريم الأزدي ولقيط بن أياس الجهني - كما عن مقاتل الطالبيين: ص٦٦ طبع النجف ومناقب ابن شهر آشوب: ج٤ ص١٠٦ طبع قم، وإبصار العين للسماوي، والخوارزمي: ج٢ ص٢٨ طبع النجف، وتذكرة ابن الجوزي ص٢٥٥ طبع النجف.

وآخر من قتل من آل عقيل محمد بن أبي سعيد بن عقيل، خرج من الخيام إلى المعركة بعدما صُرع الحسين عليه السلام، فشد عليه لقيط بن أياس الجهني - أو هاني بن ثبيت الحضرمي - فقتله. ورد ذكره في (الزيارة والارشاد والطبري والاصفهاني والخوارزمي ومناقب ابن شهر اشوب).

وذكر الخوارزمي: في (مقتله ج٢ ص٤٨) طبع النجف في عداد من قتل من آل عقيل: محمد بن عقيل، وجعفر بن محمد بن عقيل. كما ان صاحبي: ناسخ التواريخ ومقاتل الطالبيين، ذكرا في عداد المقتولين من آل عقيل: علي الأكبر بن عقيل، وأمه أم ولد. وعليه، فشهداء الطف من آل عقيل ثمانية أو تسعة - على الظاهر -.

بنو علي عليه السلام

ثم تقدم إلى الحرب إخوة الحسين من أبيه عازمين على الموت دون أخيهم الحسين عليه السلام.

فأول من تقدم منهم: أبو بكر بن علي بن أبي طالب، واسمه عبد الله - كما عن الخوارزمي - وأمه ليلى بنت مسعود بن خالد بن ربعي. . . النهشلية التميمية، برز وهو يقول:

شيخي عليّ ذو الفخار الأطول   من هاشم الصدق الكريم المفضل

هذا الحسين ابن النبي المرسل   يذود عنه بالحسام الفيصل

تفديه نفسي من أخ مبجّل   يا رب فامنحني ثواب المجزل

فحمل عليه زجر بن قيس النخعي، وقيل: بل رماه عبد الله بن عقبة الغنوي فقتله. =

. . . .

= ورد ذكره في (مقاتل الطالبيين: ص٦١ طبع النجف ومقتل الخوارزمي: ج٢ ص٢٨ طبع النجف، والمناقب: ج٤ ص١٠٧). وكذلك ورد ذكره في (تاريخ الطبري، وإرشاد المفيد).

ثم تقدّم محمد الأصغر بن علي بن أبي طالب، وأمه أم ولد. وقيل: أسماء بنت عميس. قتله رجل من تميم من بني ابان بن دارم. ورد ذكره في (مقاتل الطالبيين للاصفهاني، وفي المروج للمسعودي، وتاريخ الطبري، ونهاية الارب للنويري، والتذكرة لبسط ابن الجوزي. كما ورد ذكره في زيارة الناحية).

وهكذا تقدم من إخوة الحسين لأبيه: عبد الله، وعثمان، وجعفر أشقاء العباس عليه السلام فقتلوا بين يديه - كما مر عليك في المجلس السابع - وقتل العباس عليه السلام بعدهم وعليه، فشهداء الطف من علي الصلبيين ستة - غير الحسين عليه السلام -.

(أبناء عبد الله بن جعفر)

وبرز عون بن عبد الله بن جعفر إلى الميدان. وهو عون الأكبر وأمه العقيلة زينب ابنة علي عليهما السلام - كما هو الأصح - وفي تاريخ الطبري: وتذكرة ابن الجوزي: أمه جمانة بنت المسيب بن نجبة الفزاري وهو اشتباه، فبرز وهو يرتجز ويقول:

إن تنكروني فانا ابن جعفر ... شهيد صدق في الجنان أزهر
يطير فيها بجناح أخضر ... كفى بهذا شرفاً من معشر

وجعل يقاتل فقتل ثلاثة فوارس وثمانية عشر رجلاً - كما في المناقب - ثم حمل عليه عبد الله بن قطنة الطائي، فقتله. ورد ذكره وذكر أخيه محمد في (الزيارة، والطبري، والارشاد، والمسعودي، والخوارزمي والمناقب، وفتوح ابن أعثم، وتذكرة ابن الجوزي، والبلاذري، وعامة المؤرخين وارباب المقاتل)، وفي نهاية الارب للنويري ج٢٠ ص٤٥٦ طلمة (قطبة بالباء) بدل (قطنة بالنون) في تسمية قاتله.

وخرج أخوه محمد بن عبد الله بن جعفر إلى الحرب، وأمه: الخوصاء بنت حفصة بن ثقيف من بكر بن وائل، وأخذ يرتجز ويقول:

نشكو إلى الله من العدوان ... فعال قوم في الردى عُميان
قد تركوا معالم القرآن ... وأظهروا الكفر مع الطغيان

فقتل عشرة انفس - كما في المناقب - ثم شدّ عليه عامر بن نهشل التميمي فقتله. (عن المناقب: ج٤ ص١٠٦ طبع قم، ومقتل الخوارزمي: ج٢ ص٢٦ وفتوح ابن أعثم: ج٥ ص٢٠٤ وإبصار العين للسماوي). =

القاسم بن الحسن وإخوته

قالوا: وما زال آل أبي طالب يتسابقون إلى القتال حتى انتهت النوبةُ إلى القاسم وديعة الحسن بن علي عند أخيه الحسين عليه السلام. وهو غلامٌ لم يبلغ الحلم، أمه أم ولد[1]، قيل: تسمى (رملة) وهي أم أخويه المقتولين يومَ الطف: عبد الله الأكبر، وعبيد الله الأصغر المقتول في حجر عمّه الحسين عليه السلام بسهم حرملة بن كاهل الأسدي[2].

= وذكر الخوارزمي في مقتله: ج٢ ص٤٨ طبع النجف، ومقاتل الطالبيين ص٦٥ طبع النجف: ان من المقتولين يوم الطف عبيد الله بن عبد الله بن جعفر، وهو شقيق أخيه محمد. وقال ابن شهر اشوب في (المناقب: ج٤ ص١٠٦) بعد ذكر محمد - «وروى أن عبيد الله بن عبد الله أخاه قتله بشر بن حويط القانصي».

قلت: المعروف بين المؤرخين وأرباب المقاتل: أن عبد الله بن جعفر أرسل ولديه: عوناً ومحمداً مع الحسين عليه السلام حين خروجه من مكة، فكانا معه إلى أن استشهدا بين يديه.

أما شهادة عبيد الله هذا فغير معروفة عند الكثير من المؤرخين، وان لم نستبعدها نحن - والله العالم - وعليه فشهداء الطف من أبناء عبد الله بن جعفر ثلاثة.

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٦٨ طبع دار المعارف بالقاهرة. ومقاتل الطالبيين ص٦٢ طبع النجف.

(٢) أولاد الحسن بن علي عليه السلام، حضروا يوم الطف واشتركوا في القتال أربعة:

١ - الحسن بن الحسن، وأمه خولة بنت منظور الفزراية، حضر واعقة الطف وجاهد دون عمه الحسين، فصرع، ولما جاءوا لحز رأسه وجدوا به رمقاً، فتشفع به أسماء بن خارجة الفزاري من أخواله، فحمله إلى الكوفة، وعالجه فبرئ، ثم لحق بالمدينة وتزوج بابنة عمه فاطمة بنت الحسين عليه السلام ومنه عقب الحسن الزكي عليه السلام. توفي مسموماً من قبل الوليد بن عبد الملك، وعمره (٧٥ عاماً) كما في عمدة الطالب: ص٧٨ -.

٢ - عبد الله الأكبر المكنى بأبي بكر - أمه أم ولد، وهي المسماة ب(رملة) برز إلى الميدان قبل أخيه القاسم، ويذكر له الخوارزمي ج٢ ص٢٨ طبع النجف هذا الرجز:

ان تـنـكـروني فـانـا ابـن حـيـدره ضـرغـام آجـام ولـيـث قـسـوره

وقد تُوفي أبوه الحسن عليه السلام وله من العمر نحوٌ من أربع سنين فربّاه عمُه الحسين عليه السلام، فكان له بمنزلة الولد العزيز، وكان يحبّه حباً شديداً. ولم يُذكر: أن الحسين عند وداع أحد من أهل بيته غشي عليه من شدة البكاء، حتى ولده وفلذة كبده علي الأكبر شبيه رسول الله صلى الله عليه وآله فانهم قالوا - عند وداعه -: ان الحسين أرخى عينيه بالدموع.

نعم ذكروا، أنه لما خرج القاسم وأقبَل إلى عمّه يستأذنه في القتال، ونظر إليه الحسين لم يملك نفسَه دون أن يتقدّم إليه واعتنَقه وجعلا يبكيان حتى غُشي عليهما[1].



=على الأعادي مثل ريح صرصرة أكيلكم بالسيف كيل السندره

وقاتل حتى قتله عبد الله بن عتبة الغنوي أو عقبة الغنوي. ورد له ذكر في (الزيارة والارشاد والطبري والاصفهاني والمسعودي) وغيرهم.

٣ - عبد الله الأصغر. وأمه أم ولد وهو شقيق أخويه الشهيدين في الطف. وقيل: أن أمه بنت السليل بن عبد الله البجلي. وهو ابن أحد عشر عاماً. ذكره الخوارزمي وغيره من أرباب المقاتل آخر الشهداء من أهل البيت، لأنه قتل على صدر عمه الحسين عليه السلام - وهو صريع على الرمضاء -. ضربه أبحر بن كعب بالسيف على يده فأطنها إلى الجلدة فإذا هي معلقة، ورماه حرملة بن كاهل الأسدي بسهم فذبحه - كما عن لهوف ابن طاووس وغيره - وورد ذكره في (الزيارة والارشاد والطبري والاصفهاني والخوارزمي والمسعودي).

٤ - القاسم بن الحسن، وهو شقيق أخويه الشهيدين يوم الطف: عبد الله الأكبر، وعبيد الله الأصغر. ورد ذكره في (الزيارة والارشاد والطبري والاصفهاني والمسعودي والخوارزمي والمناقب) وغيرها من عامة المصادر التاريخية.

وقد أطبقت كلمات المؤرخين وأرباب المقاتل على التعبير عن عمره يوم الطف بأنه لم يبلغ الحلم، وربما قيل بأنه ابن أربع عشرة سنة. فشهداء الطف من أبناء الحسن - على هذا - ثلاثة.

(١) مقتل الخوارزمي ج٢ ص٢٧ طبع النجف.

القاسم في الميدان

ثم إنّ القاسم استأذن عمّه في المبارزة، فأبى أن يأذن له، فلم يزل يتوسل إليه ويقبّل يديه ورجليه حتى أذن له، فبرز إلى الميدان باكياً وهو يقول:

ان تُنكروني فأن نجل الحسَن سبط النبي المصطفى والمؤتَمن
هذا حسينٌ كالأسير المرتَهن بين أناسٍ لا سُقوا صوبَ المُزن[1]

فقاتل مقاتلةَ الشجعان، وقتَل - على صِغره وعطشه - خمسةً وثلاثين رجلاً.

قال حميدُ بنُ مسلم: «خرجَ علينا غلامٌ كأن وجهَه شِقةُ قمَرٍ طالع، وبيه سيفٌ، وعليه قميصٌ وأزار، وفي رجليه نعلان انقطع شسع أحدهما، ما أنسى أنها كانت اليسرى، فوقف ليشدّ، فقال عمَرو بن سعد بن نفيل الأزدي: واللهِ لأشدنّ عليه.

القاسم صريع

فقلت: سبحان الله، ما تُريد بذلك، فوالله، لو ضرَبني ما بَسطتُ له يدي، بكفيك هؤلاء الذين تراهم قد احتوشوه. فقال:

والله لأشدّن عليه. فما ولّى حتى ضرب رأسَ الغلام بالسيف ففَلقه. فوقع الغلام لوجهه وصاح: يا عمّاه؟ فأتاه الحسين مسرعاً وانقضّ عليه الحسين كالصقر، وتخلّل الصفوف، ثم شدّ شدةَ الليث إذا أغضب، حتى إذا وصل إلى عَمرو بن سعد الأزدي ضربه بالسيف، فاتّقاه عَمرو بساعده، فأطنّها من المرفق ثم

(١) المصدر نفسه من الخوارزمي. ولكن في مناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص١٠٦ طبع قم يذكر هذا الرجز لعبد الله بن الحسن. وللقاسم هذا الرجز التالي:

إني أنا القاسم من نسل علي نحن وبيت الله أولى بالنبي
من شمر ذي الجوشن أو ابن الدعي

غُشي عليه فصاح صيحةً عظيمةً سمعها العسكر، فحمَلتْ خيلُ أهل الكوفة ليستنقذوه من الحسين، فاستقبلته بصدورها. ووطأته بحوافرها، فمات - لعنه الله[١].

الحسين يحضر مصرع القاسم

فانجلت الغبرة، فإذا بالحسين قائمٌ على رأس الغلام، وهو يفحص برجليه، والحسين يقول «يعزّ والله على عمّك أن تدعوه فلا يُجيبك أو يُجيبك فلا يُعنيك، أو يُعينك فلا يُغني عنك، بُعداً لقوم قتلوك، هذا يومٌ كثر واترُه وقلّ ناصرُه».

ثم احتمله على صدره - وكأني أنظر إلى رجلي الغلام تخطّان الأرضَ، فجاءَ به إلى الخيمة وألقاه مع وَلده علي والقتلى من أهل بيته[٢].

ثم رفع الحسينُ طرفَه إلى السمآء، وقال: «اللهم أحصهمْ عدَداً، واقتلهم بَدداً، ولا تُغادر منهم أحداً، ولا تَغفر لهم أبداً، صبراً يا بني عمومتي، صبراً يا أهل بيتي، لا رأيتم هواناً بعدَ هذا اليوم أبداً»[٣].

لهفي عليه مذ أتاهُ عمُه ... فاشتَبك الحربُ وزاد غمُه

فكيف حال مُهجة الرّسولِ ... بين يدي حوافر الخيُولِ

فسَل عظامَ صدره يا وَيلي ... هل سَلِمتْ بعد هجوم الخيلِ

بكاه عمُه على بلائه ... كاد يذوب الصخر من بكائِه

---

(١) هكذا في مقتل الخوارزمي ج٢ ص٢٧ طبع النجف، وإرشاد المفيد: ص٢٥٤ طبع إيران وغيرهما من عامة المؤرخين وأرباب المقاتل. ولكن في مناقب: شهر آشوب ج٤ ص١٠٦ طبع قم: انهم استنقذوه من يد الحسين حياً بعد أن قطعت يده.

(٢) مقتل الخوارزمي: ج٢ ص٢٨ طبع النجف، ولهوف ابن طاووس ص٤٨ طبع النجف - وإرشاد المفيد ص٢٥٤ طبع إيران - وإبصار العيون للسماوي ص٣٧ طبع النجف، والبداية والنهاية: ج٨ ص١٨٦، ونهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤٥٦ ط القاهرة.

(٣) مقتل الخوارزمي، وإبصار العين - بنفس المصدر -، والدر النظيم في مناقب الأئمة: ص٢٧١.

وقد بكى على فتى الفِتيان فتيانُ فهرٍ وبنو عدنانِ
وصرخت العقائل الزواكي لقد علت إلى درى الأفلاك
وكيف لا تبكي على خضابه من دمه وهو على شبابه
أظلمت الدنيا بعين عمّهِ وآحزني لهمّه وغمّه
لما رأى قرةَ عينه على وجه الثرى يفحص من عظم البلاء
قد عجبتْ من صبره الأملاكُ ولا يحيط وصفةَ الإدارك[1].

ألا لعنة الله على القوم الظالمين



(١) من أرجوزة (الأنوار القدسية) للحجة المحقق آية الله الشيخ محمد حسين الاصفهاني (قدّس سره) -.

المَجلِسُ التّاسع

وهو يحتوي - بعد المقدمة - على ذكر خطب الحسين عليه السلام يوم عاشوراء ومبارزة أنصاره ومصارعهم وتحقيق عدد القتلى منهم على ضوء المصادر التاريخية.

من كلام لمولانا علي بن موسى الرضا - عليه السلام -

- كما في تحف العقول - وغيره

لا يكون المؤمنُ مؤمناً حتى تكون فيه ثلاث خصال: سُنّةٌ من ربه، وسُنّةٌ من نبيه، وسُنّةٌ من وَليّه. فأما السنّة من ربّه، فكتمان السّر. وأما السنّة من نبيّه، فمُداراة الناس. وأما السنّة من وليّه، فالصبرُ في البأسآء والضرّآء.

لا يَستكمل عبدٌ حقيقةَ الإِيمان حتى تكون فيه خصالٌ ثلاث: التفقّه في الدّين، وحسنُ التقدير في المعيشة، والصّبرُ على الرزايا.

ليست العبادةُ كثرةَ الصيام والصّلاة، وإنّما العبادة كثرةُ التّفكر في أمر الله.

صديقُ كل امرىءٍ عقلُه، وعدوّه جهلُه. لم يَخنْكَ الأمين، ولكن ائتَمنتَ الخائن.

عَونُك للضّعيف أفضلُ من الصَّدقة. والتَودّد إلى النّاس نصفُ العقل.

صِل رَحِمَك ولو بشَربةٍ من ماء، وأفضلُ ما تُوصَلُ به الرّحم كفّ الأذى عنها، وقال في كتاب الله: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: 264].

خمسٌ، من لم تكن فيه فلا ترجوه لشيء من الدنيا والآخرة: مَن لم تُعرف الوَثاقةُ في أُرومته، والكرمُ في طِباعه، والرّصانةُ في خُلقه، والنُّبلُ في نفسه، والمخافةُ لربّه.

لا يَجتمع المال إلاّ بخصالٍ خمس: ببخلٍ شَديد، وأملٍ طويل، وحِرصٍ غالب، وقطيعةِ الرحم، وإيثار الدنيا على الآخرة.

الإيمان أربعة أركان: التوكل على الله، والرِّضا بقضاء الله، والتسليم لأمر الله، والتفويض إلى الله. . .

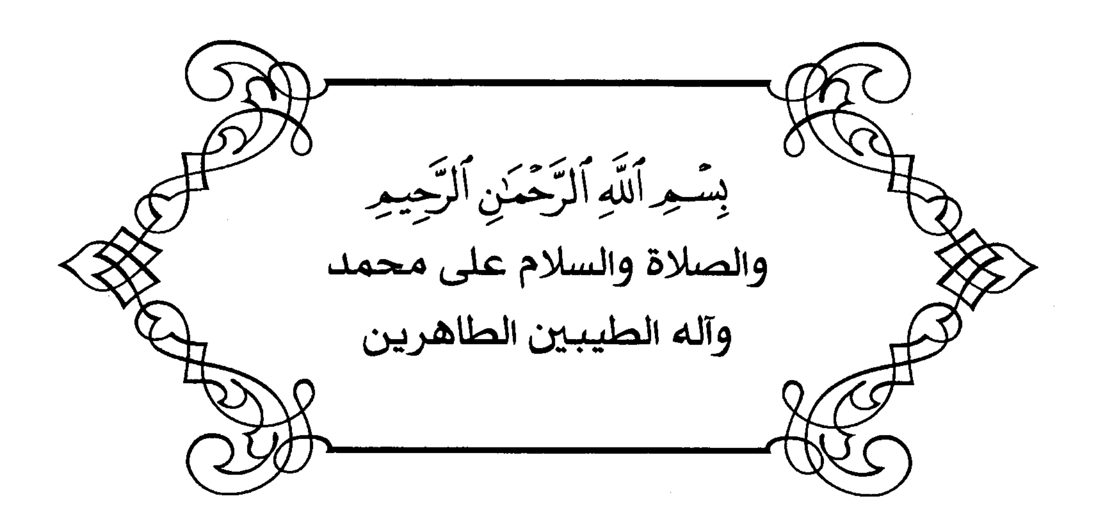
أحسِنوا جِوارَ النّعم فانّها وَحشيّة، ما نأتْ عن قَوم فعادت إليهم.

يأتي زمانٌ على الناس، تكون العافيةُ فيه عشرة أجزاء، تسعةٌ منها في اعتزال الناس، وواحدةٌ في الصَّمت.

إنّ الذي يَطلب من فَضلٍ يَكفّ به عيالَه أعظمُ أجراً من المجاهد في سبيل الله.

المَجلِسُ التّاسع

وهو يحتوي - بعد المقدمة - على ذكر خطب الحسين عليه السلام يوم عاشوراء ومبارزة أنصاره ومصارعهم وتحقيق عدد القتلى منهم على ضوء المصادر التاريخية.


بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
والصلاة والسلام على محمد
وآله الطيبين الطاهرين

قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه المجيد:

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 100].

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 41].

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: 74].

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 111].

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: 15].

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)﴾ [البقرة: 155-157].

(صدق الله العلي العظيم)

من كلام لمولانا علي بن موسى الرضا - عليه السلام -

- كما في تحف العقول - وغيره

لا يكون المؤمنُ مؤمناً حتى تكون فيه ثلاث خصال: سُنّةٌ من ربه، وسُنّةٌ من نبيه، وسُنّةٌ من وَليّه. فأما السنّة من ربّه، فكتمان السّر. وأما السنّة من نبيّه، فمُداراة الناس. وأما السنّة من وليّه، فالصبرُ في البأسآء والضرّآء.

لا يَستكمل عبدٌ حقيقةَ الإيمان حتى تكون فيه خصالٌ ثلاث: التفقّه في الدِّين، وحسنُ التقدير في المعيشة، والصّبرُ على الرزايا.

ليست العبادةُ كثرةَ الصيام والصّلاة، وإنّما العبادة كثرةُ التّفكر في أمر الله.

صديقُ كل امرىءٍ عقلُه، وعدوّه جهلُه. لم يَخنْكَ الأمين، ولكن ائتَمنتَ الخائن.

عَونُك للضّعيف أفضلُ من الصَّدقة. والتَودّد إلى النّاس نصفُ العقل.

صِل رَحِمَك ولو بشَربةٍ من ماء، وأفضلُ ما تُوصَلُ به الرّحم كفّ الأذى عنها، وقال في كتاب الله: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: 264].

خمسٌ، من لم تكن فيه فلا ترجوه لشيء من الدنيا والآخرة: مَن لم تُعرف الوَثاقةُ في أُرومته، والكرمُ في طِباعه، والرّصانةُ في خُلقه، والنُّبلُ في نفسه، والمخافةُ لربّه.

لا يَجتمع المال إلاّ بخصالٍ خمس: ببخلٍ شَديد، وأملٍ طويل، وحِرصٍ غالب، وقطيعةِ الرحم، وإيثار الدنيا على الآخرة.

الإيمان أربعة أركان: التوكل على الله، والرِّضا بقضاء الله، والتسليم لأمر الله، والتفويض إلى الله...

أحسِنوا جِوارَ النّعم فانّها وَحشيّة، ما نأتْ عن قَوم فعادت إليهم.

يأتي زمانٌ على الناس، تكون العافيةُ فيه عشرة أجزاء، تسعةٌ منها في اعتزال الناس، وواحدةٌ في الصَّمت.

إنّ الذي يَطلب من فَضلٍ يَكفّ به عيالَه أعظمُ أجراً من المجاهد في سبيل الله.

ليس لبخيلٍ راحة، ولا لحسودٍ لذّة، ولا لِمَلولٍ وَفاء، ولا لكذوُب مروّة.

أحسنِ الظنَّ بالله، فانّ مَن حسُنَ ظنّه بالله كان الله عند ظنّه، ومَن رضي بالقليل من الرّزق قُبِلَ منه اليَسير من العَمل، ومَن رضي باليَسير من الحلال خفّتْ مؤونتُه، ونعُم أهلُه، وبصَّره اللهُ داءَ الدنيا ودَواءَها، وأخرجه منها سالماً إلى دار السّلام.

وقيل له: كيف أصبَحتَ؟ فقال عليه السلام: أصبحتُ بأجلٍ منقُوص، وعمَل محفُوظ، والموتُ في رقابنا، والنّارُ من ورائنا، ولا نَدري ما يُفعل بنا؟.

وسُئِل عليه السلام - عن خيار العباد؟ فقال: الذين إذا أحسَنُوا استَبشروا، وإذا أساءُوا استغفَروا، وإذا أعطُوا شكَروا وإذا ابتُلوا صبَروا، وإذا أُغضبُوا عفَوا.

ومن كلام لمولانا محمد بن علي الجواد عليه السلام

- كما في التحف والبحار -

«المؤمنُ يحتاج إلى خِصال ثلاث: توفيقٍ من الله، وواعظٍ من نفسه، وقبولٍ ممّن ينصحُه».

ثلاثةٌ يبلغنَ بالعبد رضوانَ الله: كثرةُ الإستغفار، ولينُ الجانب، وكثرةُ الصَّدقة.

ثلاثةٌ يجلبنَ المودّة: الإنصافُ في المعاشرةَ، والمواساةُ في الشّدة، والانطواءُ على قلبٍ سَليم.

مَن شَهِدَ أمراً فكرِهه كان كمَن غاب عنه، ومَن غاب عن أمرٍ فرضيه كان كمن شَهِدَه.

تأخيرُ التوبة اغترار، وطولُ التّسويف حَيرة، والاعتلالُ على الله هَلكة، والإصرار على الذنب أمنٌ لمكر الله: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: 99].

مَن ركب مَركبَ الصَّبر اهتدى إلى مِضمار النَّصر.

مَن أطاع هَواه أعطى عدوَّه مُناه.

مَن عَمِلَ على غير عِلمْ كان ما يُفسدُ أكثَر ممّا يُصلح.

مَن لم يَعرف الموارد أعيته المصادر.

مَن استَحسن قبيحاً كان شريكاً فيه.

مَن جازاك بالشكر فقد أعطاك أكثرَ مما أخذ منك.

مَن كثُر همُّه سقُم جسمُه.

مَن انقاد إلى الطمأنينة قَبل الخُبرة فقد عرَّض نفسَه للهلكة والعاقبة المتعِبة.

مَن لم يَرض مِن أخيه بحسن النيّة لم يَرض بالعطيّة.

وقال عليه السلام: تَوسّدِ الصَّبر، واعتَنِق الفَقر، وارفُضِ الشَهَوات وخالفِ الهوى، واعلم أنك لن تَخلُو من عين الله افنظر كيف تكون؟.

إظهارُ الشيء قبل أن يُستَحكم مَفسدةٌ له.

الخلقُ عِيالُ الله، وأحبّ الخَلق إلى الله مَن نَفع عيالَ الله.

إيّاك ومصاحبة الشّرير، فانه كالسّيف المسلول، يَحسنُ منظرُه ويَقبحُ أثرُه.

راكبُ الشَّهَوات لا تُستَقال له عثَرة.

كفى بالمرءِ خيانةً أن يكون أميناً للخَونة.

مِن نُصح الإنسان لأخيه نهيُه عمّا لا يَرضاه لنفسه.

مِن سلامة الإنسان قلةُ حِفظه لعيوب غيره، وعنايتُه بإصلاح عيوب نفسه.

الصبر على المصيبة مصيبةٌ على الشامت.

يومُ العدل على الظالم أشدّ من يوم الجَور على المظلوم.

ومن كلام لمولانا علي الهادي عليه السلام

- كما في تحف العقول وغيره -

مَن اتّقى الله يُتقى، ومَن أطاعَ الله يُطاع، ومَن أطاع الخالق لم يُبالِ سخَط المخلوق، ومَن أسخط الخالق فلْيتّقِينَ أن يحلّ به سخَطُ المخلوقين.

إنّ الله جَعل الدنيا دارَ بلوى، والآخرة دارَ عقبى، وجَعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سَبباً، وثوابَ الآخرة مِن بَلوى الدنيا عِوضاً.

إنّ الظالمَ الحالمَ يكاد أن يُغطّي على ظُلمِه بحلمه وإن المحقّ السَّفيه يكاد يُطفئ نورَ حقّه بسفهَه.

مَن جَمع لك وُدَّه ورأيَه فاجمع له طاعتَك.

مَن هانتْ عليه نفسُه فلا تأمنْ شرَّه.

لا يَعرف النعمةَ إلا الشّاكر، ولا يَشكر النّعمةَ إلا العارف.

خيرٌ من الخَير فاعلُه، وأجملُ من الجَميل قائلُه. وأرجحُ من العلم حاملُه، وشرّ من الشرّ جالبُه. وأهولُ من الهول راكبُه.

مَن رَضي عن نفسه كثُر الساخطونَ عليه.

الناسُ في الدنيا بالأموال، وفي الآخرة بالأعمال.

الغنى قلةُ تَمنّيك، والرِّضا بما يكفيك، والفقرُ شرَه النفس وشدّة القُنوط، والمذلّة اتّباع اليسير، والنظرُ في الحقير.

بئس العبد عبدٌ يكون ذا وجهين وذا لسانين: يُطري أخاه شاهداً، ويأكله غائباً، إن أعطي حسَده، وإن ابتلي خانه.

مَن أمِنَ مكرَ الله وأليمَ أخذه تكبّر حتى يَحلّ به قضاؤه ونافذُ أمره.

ومَن كان على بينةٍ من ربّه هانتْ عليه مصائبُ الدنيا، ولو قُرِضَ ونُشر.

قال أربابُ السِّيَر والمقاتل: لما أصبَح الحسينُ عليه السلام يوم عاشوراء[1] وصلّى بأصحابه صلاةَ الصبح، قام خطيباً فيهم، فحَمِدَ الله وأثنى عليه، ثم قال:

---

(١) المشهور بين المؤرخين وأرباب المقاتل: انه كان يوم السبت - ذكر ذلك ابن قولويه في (كامل الزيارات باب ٢٣ ص٧٣) والطبري في (تأريخه: ج٥ ص٤٢٢) طبع دار المعارف بمصر، وابن الأثير في (كامله: ج٣ ص٢٨٦) طبع بيروت، والبلاذري في (أنسابه: ج٣ ص١٥٧) طبع بيروت، والنويري في (نهايته: ج٢٠ ص٤٣٧) ط القاهرة - وهو يحتمل الجمعة أيضاً -. والخوارزمي في (مقتله: ج٢ ص٤) طبع النجف، الا أن =

«إنّ الله تعالى قد أذنَ في قتلكم وقتلي في هذا اليوم، فعليكم بالصَّبر والقتال»(١).

وفي بعض الأخبار: انه قال لهم: «تُقتَلون كلكم معي إلا عليّ بن الحسين زين العابدين»(٢).

الخلاف والتحقيق في عدد أصحاب الحسين عليه السلام

ثمّ صفّهم للحرب، وكانوا اثنين وثلاثين فارساً وأربعين راجلاً(٣).

= الأخير يرجح الجمعة، ويجعل السبت روايةً، كالفتال النيسابوري في (روضة الواعظين: ص١٨٤) طبع النجف، والمفيد في (ارشاده). ولعلّ الجمعة هي الأقرب إلى الصحة إذا لاحظنا إجماع المؤرخين - تقريباً - على ضبط نزول الحسين عليه السلام في كربلا بأنه يوم الخميس الثاني من المحرّم فتأمل.

(١) كامل الزيارات لابن قولويه: باب٢٣ طبع إيران، وإثبات الوصية للمسعودي: ص١٣٩ طبع النجف.

(٢) أسرار الشهادة للدربندي، ونفس المهموم للمحدث القمي.

(٣) كما عليه النويري في نهاية الارب ج٢٠ ص٤٣٨ ط القاهرة، والشيخ المفيد في (ارشاده) والطبرسي في (أعلام الورى) والنيسابوري في(روضة الواعظين: ص١٨٤) وابن الأثير في (كامله: ج٣ ص٢٨٦) طبع بيروت، والشبراوي في (الاتحاف: ص١٧)، والمجلسي في (بحاره: ج٤٥ ص٤) طبع طهران الجديد، وفيه - بعد ذلك -: «وقال محمد بن أبي طالب: وفي رواية أخرى: اثنان وثمانون راجلاً». وإذا صحفنا (راجلاً) بـ(رجلاً) يلائم قوله الرواية التالية. وكذلك ذكر الخوارزمي: (ج٢ ص٤ من مقتله) طبع النجف - في رواية - بعد اعتماده على العدد الأول. وهذا هو مفاد الرواية التي ذكرها الطبري في (تاريخه: ج٥ ص٤٢٢) طبع دار المعارف بمصر، عن أبي مخنف عن الضحاك بن عبد الله المشرقي - وكان مع الحسين يوم الطف - قال: «وعبأ الحسين أصحابه وصلى بهم صلاة الغداة، وكان معه اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً . . .».

وهذه الرواية - الأخيرة - هي أشهر الروايات بين المؤرخين وأرباب المقاتل، وتتفق من حيث العدد والتأقيت والمكان مع روايات مؤرخين معاصرين للطبري أو متقدمين عليه كالدينوري في (الأخبار الطوال) وابن أعثم الكوفي في (الفتوح)، والبلاذري في (أنسابه: ج٣ ص١٥٧) طبع بيروت، وغيرهم كثير.

وعن (ابن شَهر اشوب): إنهم كانوا اثنين وثلاثين فارساً وخَمسين راجلاً[(١)].

وفي روايةٍ عن الإمام الباقر عليه السلام: إنهم كانوا خمسةً وأربعين فارساً ومأة راجل[(٢)].

وقيل: كانوا أقلّ من هذا العدد[(٣)]. وقيل: أكثر[(٤)].

---

(١) قال في (ج٤ ص٩٨ من مناقبه) طبع قم «و أصحاب الحسين عليه السلام اثنين وثمانين رجلاً، منهم الفرسان اثنان وثلاثون فارساً». وهذا القول يلتقي مع الرواية الثانية التي يذكرها المجلسي - ويشير إليها الخوارزمي - كما ذكرنا عن محمد بن أبي طالب بتصحيف راجلاً) بـ(رجلاً)، وعليه فرواية ابن أبي طالب ليست بالرواية المستقلة في نفسها وهو يلتقي مع الرواية التي يذكرها الطبري (ج٥ ص٣٩٢) عن الحصين بن عبد الرحمان عن سعد بن عبيدة - وكان مع عمر بن سعد -: «واني لأنظر إليهم انهم لقريب من (١٠٠ رجل) فيهم لصلب علي بن أبي طالب خمسة ومن بني هاشم ستة عشر...» فانها قريبة الحصيلة من هذا القول...

(٢) قال ابن طاووس في (لهوفه: ص٤٢) طبع النجف: «فروي عن الباقر عليه السلام: انهم كانوا خمسة وأربعين فارساً ومائة راجل». وأشار إليها ابن نما في (مثير الأحزان) ص٢٨، وذكرها ابن عساكر في (تهذيب تاريخ الشام: ج٤ ص٣٣٧)، كما رجح هذا الرأي ابن الجوزي في (تذكرته: ص٢٥١) طبع النجف. كما أشار إليه وإلى الرواية المجلسي في (بحاره: ج٤٥ ص٤) من الطبع الجديد. كما أشار إلى الرواية المذكورة - من طريق عمار الدهني - الطبري في (تاريخه: ج٥ ص٣٨٩) طبع دار المعارف بالقاهرة.

(٣) كسبعين فارساً - ذكره الذهبي في (مختصر تاريخ دول الإسلام: ج١ ص٣١) وواحد وستين رجلا - كما ذكره المسعودي في إثبات الوصية: ص٣٥ - طبع النجف، وستين رجلاً - كما ذكره الدميري في (حياة الحيوان: ج١) في خلافة يزيد بن معاوية -.

(٤) كراوية المسعودي في (مروج الذهب: ج٣ ص٧٠) طبع مطبعة السعادة بمصر، قال: «فلما بلغ الحسين القادسية لقيه الحر بن يزيد التميمي - إلى قوله: فعدل إلى كربلا، وهو في مقدار خمسمائة فارس من أهل بيته وأصحابه، ونحو مائة راجل».

نقول: أما الروايات المتطرفة في القلة، فمن المقطوع به عدم صحتها، فالذي تستعرضه كتب التاريخ والمقاتل من الأصحاب وأهل البيت والموالي لا يتناسب مع هذا العدد الضئيل، فإذا كان المقتولون في الحملة الأولى - كما سنعرف - خمسين، والذين بارزوا - أخيراً قبل صلاة الظهر وبعدها بحسب الاستقصاء لا يقل عددهم عن ذلك =

تعبئة الجيش الحسيني

فجَعل زُهيرَ بنَ القين في الميمَنة[١] وحبيبَ بنَ مُظاهر الأسدي في المسيرة[٢]

= المقدار، وإذا صح ما ينقله عامة المؤرخين من ازدلاف ثلاثين نفراً من جيش ابن سعد إلى جهة الحسين عليه السلام ليلة العاشر من المحرم، إلى نحو ذلك من مبعدات القلة، فلا وجه لتصحيحها الا على حملها وتوجيهها بالرجال الذين قتلوا مبارزة، لا الصبيان والموالي.

وكذلك الحكم بعدم رواية المسعودي الطاغية في الكثرة، الا على تأويل وتوجيه ظرف صدور الرواية، وانه كان قبل تنفير الحسين الأعراب الذين اصطحبوه في الطريق، فقد فرقهم في (البيضة) قبل الوصول إلى كربلا، وفرقهم ليلة عاشوراء بعد أن أصحر بالفداء والقتل، وهو توجيه غير بعيد، فان المسعودي نفسه في الصفحة التالية من المصدر يعد القتلى من الأصحاب وأهل البيت بما لا يتجاوز عددهم السبعة والثمانين.

وأخيراً - وبعد الغض عن جوانب الإفراط والتفريط، وبعد التأويل والتوجيه، تترجح في نظرنا رواية الإمام الباقر عليه السلام بعد تأويلها بشمول هذا العدد لمجموع القتلى من الأصحاب وأهل البيت - رجالاً وأطفالاً وموالي - فان الذي يستعرض الأسماء المثبتة في أمهات المصادر التاريخية - كزيارة الناحية، وتاريخ الطبري، ومقاتل الطالبيين، ومناقب ابن شهر اشوب، ومقتل الخوارزمي، وإرشاد المفيد، ومروج المسعودي - يجدها تنوف على عدد (المأة) من الأصحاب بالخصوص. وبعضها لم يصل إليه التاريخ. والله العالم بالحقائق.

(١) انه زهير بن القين بن قيس بن مالك بن دينار بن ثعلبة بن عمرو اليشكري البجلي. وبجيلة هم بنو أنمار بن أراش بن كهلان من القحطانية كان شريفاً في قومه، نازلاً فيهم بالكوفة، شجاعاً مطرقاً، له في الحروب مواقف مشهورة. وكان عثماني العقيدة، فاهتدى على يد الحسين عليه السلام حينما التقى به في الطريق، وهو راجع من الحج في سنة (٦٠ للهجرة) والحسين وارد إلى العراق، وانضم مع الحسين عليه السلام حتى ورد (كربلاء) فقُتل بين يديه، وله في الطريق وأيام كربلاء ويوم عاشوراء مواقف حاسمة وخطب ومواعظ سجلها التاريخ له بأحرف من نور.

(٢) انه حبيبُ بنُ مظهّر - بالرغم من شياع ذكره في الكتب بمظاهر - بن رئاب بن الأشتر. . . الأسدي الفقعسي. أجمع أرباب المصادر أنه كان شيخاً صحابياً ممن رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسمع وروى حديثه. ونزل الكوفة، وصحب علياً أمير المؤمنين عليه السلام وحضر معه =

وثبت هو عليه السلام في القَلب[(١)] وأعطى رايتَه العظمى أخاه العبّاس بنَ علي عليه السلام[(٢)]. وجعلوا البيوتَ في ظهورهم. وأمر الحسين عليه السلام بحطَبٍ وقَصَب - كان من وراء البيوت - أن يُجعل في الخَندق الذي حفروه، وأن يُحرَق بالنار مخافة أن يأتيهم العدوّ من وَرائهم[(٣)].

تعبئة الجيش الأموي

وعبّأ عُمرُ بنُ سعد أصحابَه، وكانوا - على ما نصّتْ عليه الرواية عن الإمام زين العابدين عليه السلام - ثلاثينَ ألفاً[(٤)].

فجعَل عَمرو بنَ الحجاج الزَبيدي في المَيمَنة، وشمرَ بنَ ذي الجوشن الضبابي

= جميع حروبه، وكان من شرطة الخميس، وهو ممن كاتب الحسين للقدوم إلى الكوفة، وكانت له مواقف مسجلة في صفحات التاريخ مع مسلم بن عقيل وأخذ البيعة للحسين يخبره بنزول الحسين كربلا، خرج ومعه غلامه متخفياً حتى وصل كربلا قبل اليوم العاشر من المحرّم. فكانت له يوم الطف أياد بطولية ومواقف مركزة في جانب المعسكري الحسيني بحيث يقول التاريخ عنه: «انه لما قتل حبيب هدّ مقتله الحسين».

(١) قال القندوزي في (ينابيع المودة باب٦١): «وجعل الحسين في الميمنة من جيشه: زهير بن القين معه عشرون رجلاً، وجعل في الميسرة حبيب بن مظاهر في ثلاثين فارساً. ووقف هو وباقي جيشه في القلب» ومن ذلك نلمس عظمة هذين العلمين وتركيزهما في الجيش الحسيني.

(٢) تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٢٢ طبع دار المعارف بالقاهرة، وكامل ابن الأثير: ج٣ ص٢٨٦ طبع بيروت، ومقتل الخوارزمي: ج٢ ص٤ طبع النجف، وتذكرة الخواص لابن الجوزي: ص٢٥٠ طبع النجف، وغيرها من كتب التاريخ.

(٣) المصادر الآنفة الذكر، ومناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص٩٩ طبع قم. وإرشاد المفيد: ص٢١٧ طبع إيران، وأنساب البلاذري: ج٣ ص١٨٧ طبع بيروت، ونهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤٣٨ ط القاهرة.

(٤) ذكرنا تفصيل الأقوال، والتحقيق في عدد الجيش الخارج لحرب الحسين عليه السلام في المجلس السادس من هذا الكتاب، فراجع.

في الميسَرة، وعلى الخيل عَزرةَ بنَ قيس الأحمسي، وعلى الرجّالة شَبثَ بن ربعي اليربوعي، وأعطى رايتَه دُرَيداً مولاه[١].

وأقبل القومُ يُجولون حولَ معسكر الحسين عليه السلام ويَنظرون إلى النار تضطرم في الحطَب والقصَب في الخَندق. فبينما هم كذلك إذ أقبل الشمرُ يركض على فَرسٍ له، فلمّا رأى النارَ تلتهب رجع وهو ينادي بأعلى صوته: يا حسين، استَعلجتَ النار في الدنيا قبل يوم القيامة.

فرفع الحسينُ رأسَه قائلاً: مَن هذا؟ كأنّه شمر بن ذي الجَوشن؟.

فقالوا: نعَم، أصلحَك الله هو هو.

فقال: يا بنَ راعية المِعزى، أنت أولى بها صِلياً.

فقال له مسلمُ بن عوسجة: يا ابنَ رسول الله، جُعِلتُ فداك، ألا أرميه بسهم؟ فمنَعه الحسين، وقال له: لا تَرمِه فانّي أكره أن أبدأَهم بقتال[٢].

الحسين وأصحابه يغتسلون ويتطيبون

قالوا: وأمر الحسين عليه السلام عند ذلك بفسطاط فضُرِبَ، ثم أمر بجفَنة عظيمة دِيفَ فيها مسكٌ كثير، وجَعل عندها نُورة، ثم دَخل الحسين عليه السلام ذلك الفسطاط ليطلّي بالنُورة ويَتضمّخ بالمسك، وكان عبد الرحمان بن عبد ربّه الأنصاري وبرير بن خضير الهمداني واقفين على باب الفسطاط ليطلّيا على أثره، فازدحما: أيّهما يتقدّم لذلك، فجعَل بريرُ يضاحك عبد الرحمان ويُهازله، فقال له عبدُ الرحمان: يا برير، دَعنا، فوالله ما هذه بساعة باطل؟ فقال برير: والله لقد علم قومي أني ما أحببتُ الباطل كهلاً ولا شاباً استبشاراً بما نحن لاقون وما نصير إليه، فوالله ما

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٢٢ طبع دار المعارف بالقاهرة، وكامل ابن الأثير: ج٣ ص٢٨٦ طبع بيروت، وأنساب البلاذري: ج٣ ص١٨٧ طبع بيروت، وإرشاد المفيد ص٢١٧ طبع إيران، ومقتل الخوارزمي: ج٢ ص٤ طبع النجف، وفيه: «وثبت هو في القلب».

(٢) المصدر الآنف الذكر: من تاريخ الطبري، وأنساب البلاذري، وإرشاد المفيد، وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ج٢٥١ طبع النجف، والايقاد للعظيمي: ٦٤، طبع بغداد.

بيننا وبين أن نعانق الحورَ العين إلا أن نلقى هؤلاء بأسيافنا ونعالجهم بها ساعة ثم يَميلوا علينا بأسيافهم(١).

الحسين ينظر إلى الزحوف فيدعو

ورُوي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: ولما صبّحت الخيلُ الحسينَ بن علي عليه السلام ونظَر إلى جمعهم كأنّهم السّيل المنحدِر، رفع يديه بالدعاء فقال:

«اللهمّ أنتَ ثِقتي في كلّ كَرب، ورَجائي في كلّ شدّة، وأنت لي في كلّ أمرٍ نَزل بي ثقةٌ وعُدّة، كمْ مِن همٍّ يَضعُفُ فيه الفُؤاد، وتَقلّ فيه الحِيلة، ويَخذلُ فيه الصّديق، ويَشمُت فيه العَدوّ، أنزلتُه بك، وشكوتُه إليك، رَغبةً مني إليك عمّن سِواك، ففَرّجتَه وكشفتَه، فأنتَ وليُّ كل نعمةٍ، وصاحب كلّ حَسنةٍ، ومُنتَهى كلّ رَغبة»(٢).

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٢٣ طبع دار المعارف بالقاهرة، وكامل ابن كثير: ج٣ ص٢٨٦ طبع بيروت، ولهوف ابن طاووس: ص٤٠ طبع النجف والبداية والنهاية لابن الأثير: ج٣ ص١٨٧، والايقاد للعظيمي ص٦٣ طبع بغداد، وفي أنساب البلاذري ج٣ ص١٨٧ طبع بيروت، إشارة إلى ذلك.

(٢) المصدر الآنف: من تاريخ الطبري، وكامل ابن الأثير، وتاريخ ابن عساكر: الجزء الخاص بريحانة الرسول صلى الله عليه وآله: ص٢١٤ ط بيروت بتحقيق المحمودي. وإرشاد المفيد: ص٢١٧ طبع إيران حجري. وفي (مصباح الكفعمي: ص١٥٨) طبع الهند: ان النبي صلى الله عليه وآله دعا بهذا الدعاء يوم بدر.

ويذكر ابن عساكر في المصدر الآنف وأحمد زكي صفوت في كتابه (جمهرة خطب العرب: ج٢ ص٤٣) الطبعة الأولى بمصر قبل هذا الدعاء - الخطبة الثانية: «يا عباد الله، اتقوا الله، وكونوا من الدنيا على حذر، فان الدنيا لو بقيت على أحد، أو بقي عليها أحد لكانت الأنبياء أحق بالبقاء، وأولى بالرضاء، وأرضى بالقضاء، غير أن الله تعالى خلق الدنيا للفناء، فجديدها بال، ونعيمها مضمحل، وسرورها مكفهر، والمنزل قُلعة والدار تلعة، فتزودوا فان خير الزاد التقوى، واتقوا الله لعلكم تفلحون». ثم يذكر نص الدعاء المذكور.

والتلعة - بالفتح والسكون -: مجرى الماء من أعلى الوادي إلى بطون الأرض. القلعة - بالضم فالسكون -: الانقلاع والارتحال والتحول.

الخطبة الأولى للحسين عليه السلام

ثم دعا عليه السلام - براحلته فركبها، وتَقدّم نحوَ القوم ونادى بصوت يسمعه جُلّهم: «أيّها الناس، إسمعَوا قولي، ولا تَعجلوا حتى أعظَكم بما هو حق لكم علي، وحتى أعتذرَ إليكم من مقدَمي عليكم، فان قبلتُم عذري وصدّقتم قولي وأعطيتُموني النصفَ كنتُم بذلك أسعدَ، ولم يكن لكم عليّ سبيل. وإن لم تقبلوا مني بعذر ولم تُعطوني النَّصف من أنفسكم ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس: 71] ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: 196] [١].

فلما سَمِعنَ النساء هذا منه صِحنَ وبكينَ، وارتفعت أصواتُهنّ، فوجّه إليهنّ أخاه العباس وابنَه علي الأكبر، وقال لهما: سكّتاهنّ، فلعَمري ليكثر بكاؤهن.

ثم حَمِدَ الله وأثنى عليه، وذكر اللهَ بما هو أهله، وصلّى على النبيّ محمّد، وعلى الملائكة والأنبياء. فذكر من ذلك ما لا يُحصى ذكرهُ، ولم يُسمع متكلمٌ قبلَه ولا بعدَه أبلغ منه في منطقه[٢].

خطبته الثانية

ثم قال: «الحمدُ لله الذي خَلَقَ الدنيا، فجعَلها دارَ فناء وزَوال، متفرّقة بأهلها حالاً بعدَ حال، فالمغرورُ مَن غرّته، والشّقيّ مَن فتنته، فلا تَغرّنكم هذه الحياة الدنيا، فانّها تقطع رَجاءَ مَن ركن إليها، وتُخيّبُ طَمعَ مَن طَمِع فيها، وأراكم قد اجتمَعتُم على أمرٍ قد أسخطتُهم اللهَ عليكم، وأعرضَ بوجهه الكريم عنكم، وأحلّ

---

(١) [سورة يونس، الآية: ٨١]. [سورة الأعرف، الآية: ١٩٦]. وذكر هذه الخطبة: النويري في نهاية الارب: ج٢٠ ص٤٤٠ ط القاهرة. بالإضافة إلى المصادر التالية.

(٢) تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٢٤ طبع دار المعارف بالقاهرة، والكامل لابن الأثير: ج٣ ص٢٨٧ طبع بيروت، وإرشاد المفيد: ص٢٤٧ طبع إيران حجر، وجمهرة خطب العرب لأحمد زكي صفوت: ج٢ ص٤٤ طبعة أولى بمصر.

بكم نِقمتَه، وجنّبكم رَحمتَه، فنِعمَ الربّ ربّنا، وبئسَ العَبيدُ أنتُم، أقررْتم بالطّاعة، وآمنتُم بالرّسول محمّد ﷺ ثم إنكم زَحفتُم إلى ذريته وعترته تُريدون قتلَهم، لقد استَحوذ عليكم الشّيطان فأنساكم ذكرَ الله العَظيم، فتباً لكم ولما تُريدون، هؤلاء قومٌ كفَروا بعدَ إيمانهم فبُعداً للقوم الظّالمين».

فقال عمرُ بن سعد: ويلكم، كلّموه، فانه ابن أبيه، والله لو وَقف فيكم هكذا يوماً جديداً لما قُطِعَ ولما حُصر، فكلّموه.

فتقدّم إليه شمرُ بن ذي الجوشن، فقال: يا حسين، ما هذا الذي تقول؟ أفهمنا حتى نفهم؟[1].

خطبته الثالثة

ثم قال: «أمّا بعدُ، فانسبُوني وانظرّوا مَن أنا، ثم ٱرجعوا إلى أنفسكم فعاتبوها، وٱنظروا هل يَحلّ لكم قتلي وانتهاكُ حرمتي:

ألست ابنَ بنتِ نبيكم وابنَ وصيّه وابن عمه؟ وأول المؤمنين بالله، والمصدّق لرسوله بما جاءَ من عند ربه؟.

أوَليسَ حمزةُ سيّدُ الشهداء عمَّ أبي؟.

أوَليسَ جعفر الشّهيدُ الطيار في الجنة عمي؟.

أوَلَمْ يَبلغكم قولُ رسول الله ﷺ لي ولأخي: «هذان سيّدا شَباب أهل الجنة»؟.

فان صَدّقتمُوني فيما أقول، فهو الحقّ، فوالله ما تَعمّدتُ كذباً منذ علمت أن الله يَمقت عليه أهلَه، ويَضرُّ به مَن اختَلقه.

وإن كذّبتموني، فانّ فيكم مَن إن سألتمُوه عن ذلك أخبَركم، سلوا: جابر بن عبد الله الأنصاري، وأبا سعيد الخدري، وسَهلَ بن سعد الساعدي، وزَيدَ بنَ

---

(١) مقتل الخوارزمي: ج١ ص٢٥٣ طبع النجف. والبحار: ج٤٥ ص٦٠ طبع طهران الجديد، ومناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص١٠٠ طبع قم.

أرقم. وأنسَ بنَ مالك[1] يُخبروكم انّهم سَمِعوا هذه المقالةَ من رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي، أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟.

فقال له شِمرُ بن ذي الجَوشن: هو يعبدُ الله على حرف إن كان يَدري ما تقول[2].

فقال له حبيبُ بنُ مظاهر: والله، إني لأراك تَعبد الله على سبعينَ حرفاً[3] وأشهد أنك صادقٌ ما تدري ما يقول، قد طَبع الله على قلبك.

ثم قال الحسين عليه السلام: فان كنتُم على شكٍّ من ذلك، أفتَشكُون أني ابنُ بنتِ نبيكم، فوالله ما بينَ المشرقِ والمغرب ابنُ بنتِ نبيٍّ غيري فيكم ولا في غيركم، أنا ابنُ بنت نبيكم خاصةً.

ويحكم!! أَفتطلبوني بقتيلٍ منكم قتلتُه، أو مالٍ لكم استَهلكتُه، أو بقصاصٍ من جراحة؟.

فأخذوا لا يُكلّمونه. فنادى:

يا شبثَ بن ربعي، ويا حجارَ بن أبجر، ويا قيسَ بنَ الأشعث، ويا يزيدَ بن الحارث، ألم تكتُبوا إليّ: «أن قد أينَعت الثمار، واخضرّ الجَناب، وإنّما تقدم على جُندٍ لك مجنّدة فأقبل».

فقالوا: لم نفعل ذلك.

---

(١) هؤلاء النفر من أواخر مَن مات من الصحابة، ولعلّهم لم يعلموا بقصة خروج الحسين الا بعد قتله.. فجابر الأنصاري مات بالكوفة سنة ٧٤هـ، وأبو سعيد الخدري مات بالمدينة سنة ٧٤هـ أو ٦٤هـ وسهل الساعدي مات بالمدينة سنة ٩١هـ، وزيد بن أرقم مات بالكوفة سنة ٦٦هـ، وأنس مات بالبصرة سنة ٧١هـ.

(٢) وفي بعض المصادر كتذكرة الخواص: ص٥٢ طبع النجف «أنا عبد الله» بضمير المتكلم. والمقصود واحد. وهذا الكلام مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحج: 11]، ومعنى الحرف الواحد أي: الوجه الواحد، فهو يعبده على السرآء دون الضرآء. الأمر الذي ينبئ عن الشك في المعرفة.

(٣) المراد من عدد السعبين: المبالغة في كثرة الشكوك المضللة، وليس المراد التحديد بذلك.

قال: سُبحانَ الله، بلى والله، لقد فَعلتم.

ثم قال: أيّها الناس، إذا كرهتمُوني فدعوني أنصرف عنكم إلى مَأمنٍ من الأرض.

فقال له قيسُ بن الأشعث: أوَلا تَنزلْ على حكم بني عمّك؟ فانهم لن يُروك إلاّ ما تُحبّ، ولن يَصلَ إليك منهم مكروه.

فقال له الحسين: أنت أخو أخيك[١]، أتُريد أن يَطلبك بنو هاشم بأكثرَ من دم مسلم بن عقيل، لا والله، لا أعطيكم بيدي إعطاءَ الذليل، ولا أقرّ إقرارَ العبيد[٢].

ثم نادى: عبادَ الله: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾ [الدخان: 20]، ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [غافر: 27].

ثم أناخ راحِتَه، وأمرَ عقبةَ بنَ سمعان، فعقَلَها[٣].

---

(١) يشير - سلام الله عليه - إلى ما صنعه أخوه محمد بن الأشعث، إذ قال لمسلم بن عقيل: «لك الأمان، إن القوم بنو عمك وليسوا بقاتليك ولا ضائر بك».

(٢) مقتل الخوارزمي، والارشاد، والايقاد، وغيرها، وفي بعض المقاتل: «ولا أفرّ فرار العبيد».

(٣) نهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤٤٢ طبع القاهرة.
وتاريخ الطبري: ج٥ ص٤٢٥ طبع دار المعارف بالقاهرة، وكامل ابن الأثير: ج٣ ص٢٨٨ طبع بيروت، ومقتل الخوارزمي: ج١ ص٢٥٣ طبع النجف. وإرشاد المفيد: ص٢٤٨ طبع إيران حجري، وجمهرة خطب العرب لأحمد زكي صفوت: ج٢ ص٤٦ الطبعة الأولى بمصر. وفي أنساب البلاذري: ج٣ ص١٨٨ طبع بيروت اقتضاب للخطبة.

وعقبة بن سمعان هذا - مولى الرباب زوجة الحسين عليه السلام أخذ أسيراً. بعد قتل الحسين عليه السلام إلى عمر بن سعد، فلما أراد قتله قال: أنا عبد مملوك، فخلى سبيله (الطبري: ج٥ ص٤٥٤ ط دار المعارف بمصر).

الزحف حول مخيّم الحسين

واقبَل القومُ يزحفون نحوَ مُخيّم الحسين عليه السلام وكان فيهم عبدُ الله بن حَوزة التميمي[١]، فصاح: أفيكم حسين؟ فلم يُجبه أحد، فأعاد القول ثانياً وثالثاً.

فقال له بعض أصحاب الحسين: هذا الحسين، فما تُريد منه؟

فقال: يا حسين، ابشر بالنار.

فقال الحسين: كذبتَ، بل أقدم على ربٍّ غفورٍ كريمٍ مطاع شفيع، فمَن أنت؟.

قال: أنا ابن حَوزة.

فرفَع الحسينُ يديه نحو السماء، حتى بان بياضُ إبطيهما وقال: اللهم حُزهُ إلى النار.

فغضَب ابنُ حوزة، وأقحمَ الفرسَ في نهرٍ بينهما، فتعلّقتْ قدمُه بالركاب وجالتْ به الفرس، فسقَط عنها، فانقطعتْ ساقُه وفخذه، وبقي جانبُه الآخر معلّقاً بالركاب، يضرب به الفرس كلّ حجر وشجر، وألقته في النار المشتعلة في الخندق فاحترق بها حتى مات لعنه الله.

وقال مسروق بن وائل الحضرمي - وكان قد خرج مع ابن سعد - وقال: لعلي أصيب رأس الحسين؟ فأصيب به منزلةً عند ابن زياد، فلما رأى ما صنع الله بابن

---

(١) هكذا في تاريخ الطبري: وابن الأثير في حوادث سنة ٦١هـ وأنساب البلاذري: ج٣ ص١٩١ طبع بيروت. وفي روضة الواعظين للفتال: ص١١٥ طبع النجف: ابن أبي جويرة المزني. وفي مجمع الزوائد للهيثمي ج٩ ص١٩٣: «ابن جويرة أو جويزة». وفي (مقتل الخوارزمي ج١ ص٢٤٨) طبع النجف «مالك بن جريرة» وفي كتاب ريحانة الرسول المستل من تاريخ دمشق لابن عساكر: ص٢٥٦ ط بيروت: «قال: أنا جويزة». ولعل ما في الأصل هو الأصح.

حوزة بدعاء الحسين عليه السلام رجع وقال: لقد رأيتُ من أهل هذا البيت شَيئاً لا أقاتلهم أبداً[١].

خطبة زهير بن القين

قالوا: ولما زحَف القومُ نحوَ الحسين خَرج زهيرُ بن القين على فرَس ذَنُوب، شاك السلاح[٢] فقال:

«يا أهلَ الكوفة، نَذارِ لكم من عذاب الله، نَذار، إن حقاً على المسلم نصيحةُ أخيه المسلم، ونحن - حتى الآن - إخوةٌ وعلى دين واحد وملةٍ واحدة، ما لم يقع بينَنا وبينكم السيف، وأنتم للنصيحة منا أهل، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة[٣] وكنّا أمةً وكنتُم أمةً، إن الله ابتلانا وإياكم بذرية نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله وسلم لينظر ما نحنُ وأنتُم عاملون، انّا ندعوكم إلى نَصرهم وخِذلان الطّاغية يزيد وعبيد الله بن زياد، فإنكم لا تُدركون منهما إلا بسُوء عُمر سلطانهما كلّه، ليَسملان أعينكم[٤] ويُقطّعان أيديكم وأرجلكم، ويمثّلان بكم، ويَرفعانكم على جذُوع النخل، ويقتلان أماثِلكم وقراءَكم، أمثال: حجر بن عدي وأصحابه، وهاني بن عُروة وأشباهه».

فسبُّوه، وأثنَوا على عبيد الله بن زياد ودعوا له، وقالوا: لا نَبرح حتى نقتلَ صاحبَك ومَن معه أو نبعثَ به وبأصحابه إلى الأمير عبيد الله بن زياد سِلماً.

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٣١ طبع دار المعارف بالقاهرة، ومناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص٥٦ طبع قم، وذخائر العقبى للطبري: ص١٤٤ طبع بمصر، وأنساب البلاذري: ج٣ ص١٩١ طبع بيروت، وكفاية للطالب للكنجي: ص٢٨٧ طبع النجف، والكامل لابن الأثير: ج٣ ص٢٨٩ طبع بيروت، وينابيع المودة للقندوزي: باب. ٦١ وبعض هذه المصادر تذكر الرواية عن علقمة بن وائل أو وائل بن علقمة.

(٢) الذنوب - بالفتح -: الفرس الوافرة الذنب، ويقال: رجل شاك السلاح وشاكٍ في السلاح - بتشديد الكاف - أي لابس السلاح الكامل.

(٣) العصمة: القلادة، أي: تفرقت وحدتنا وصلتنا.

(٤) سمل عينه: فقأها بحديدة محماة.

فقال لهم: عبادَ الله، إن وُلدَ فاطمة أحقُّ بالودّ والنَّصر من ابن سميّة، فان لم تَنصروهم فأعيذكم بالله أن تَقتلوهم، فخلّوا بين هذا الرجل وبين يزيد بن معاوية، فلَعَمري إنه ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين.

فرماه الشمرُ بسهم وقال: أسكت، أسكت الله نأمتَك، فلقد أبرَمتنا بكثرة كلامك(١).

فقال له زهير: يا بنَ البوّال على عقبيه، ما إيّاك أخاطب، إنّما أنت بهيمة، والله ما أظنّك تُحكم من كتاب الله آيتين، فابشر بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم.

فقال له الشِّمرُ: إن الله قاتلك وصاحبَك عن ساعة.

فقال له زهير: أفبالموت تُخوّفني؟ فوالله لَلموتُ معه أحبّ إليّ من الخُلد معكم. ثم أقبَل على القوم رافعاً صوته فقال:

عبادَ الله، لا يغرنّكم عن دينكم هذا الجِلفُ الجافي وأشباهُه، فوالله لا تُنال شفاعةُ محمّد قوماً أهرقوا دماءَ ذريته وأهلِ بيته، وقتَلوا مَن نصرهم وذَبّ عن حريمهم.

فناداه رجلٌ من أصحاب الحسين، وقال له: إنّ أبا عبد الله يقول لك: أقبل، فلعَمري لئن كان مؤمنُ آل فرعون نصحَ قومَه وأبلَغ في الدعاء، فلقد نصحتَ لهؤلاء وأبلغتَ لو نفعَ النصحُ والابلاغ(٢).

---

(١) النأمة - على فعلة -: الصوت. وأبرمه: أمله وأضجره في الجدال ونحوه.

(٢) تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٢٦-٤٢٧ طبع دار المعارف بالقاهرة، والكامل لابن الأثير: ج٣ ص٢٨٨ طبع بيروت دار الكتاب العربي، وجمهرة خطب العرب لأحمد زكي صفوت: ج٢ ص٤٧-٤٨ الطبعة الأولى بمصر، ونهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤٤٤ ط القاهرة.

خطبة برير بن خضير

قالوا: واستَأذنَ الحسينَ بُريرُ بن خضير الهمداني[1] في أن يكلّم القوم، فأذن له الحسين، فوقفَ بإزاء القوم ونادى:

يا مَعشرَ الناس، ان الله بَعث محمّداً بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله وسِراجاً منيراً.

وهذا ماءُ الفرات تقع فيه خنازيرُ السَّواد وكِلابُه، وقد حيل بينه وبين ابن بنت رسول الله ﷺ أفجزاءُ محمّدٍ هذا؟.

فقالوا: يا بُرير، أكثرتَ الكلام، فوالله لَيعطشَ الحسين كما عطَش مَن كان قبلَه.

فقال: يا قوم، إتقوا الله، إن ثقل محمّد قد أصبح بين أظهركم، وهؤلاء ذريّتُه وعترتُه وبناتُه وحرمُه، فهاتوا ما عندكم، وما الّذي تُريدون أن تَصنعوه بهم؟.

فقالوا: نُريد أن نُمكّن منهم الأميرَ عُبيدَ الله بنَ زياد، فيرى فيهم رأيَه.

قال: أفلا تَقبلون منهم أن يَرجعوا إلى المكان الذي جاؤوا منه؟. وَيلكم - يا أهلَ الكوفة - أنسيتُم كتبَكم وعهودَكم التي أعطيتمُوها من أنفسكم وأشهدتُم الله عليها؟ وكفى بالله شهيداً، ويلكم أدعوتُم أهلَ بيت نبيّكم، وزعمتُم أنكم تقتَلون أنفسكم دونَهم، حتى إذا أَتوكم أسلمتُموهم إلى ابن زياد، وحلأتُموهم عن ماء الفرات الجاري الذي يَشرب منه اليهودُ والنَّصارى والمجوس، وتَردُه الكلاب والخنازير، بئسَما خلفتُم محمّداً في ذرّيته، ما لكم لا سقاكم الله يومَ القيامة، فبئسَ القومُ أنتم.

---

(١) (بُرير وخُضير) بضم أولهما - ذكره عامة المؤرخين والرجاليين بالتجلة والتعظيم والاطراء، قال المامقاني في (رجاله): «وكان شيخاً تابعياً ناسكاً قارئاً للقرآن، ومن شيوخ القراء في جامع الكوفة، وله في الهمدانيين شرف وقدر، ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وكان من أشراف أهل الكوفة من الهمدانيين، وله كتاب القضاء والأحكام يرويه عن أمير المؤمنين، وعن الحسن - عليه السلام - وكتابه في الأصول المعتبرة عند الأصحاب ولما بلغه خبر الحسين خرج من الكوفة متوجهاً إلى مكة في طلبه، فلحق به واولاده حتى استشهد بين يديه».

فقال نفر منهم: يا هذا، ما نَدري ما تَقول؟.

فقال: الحمدُ لله الَّذي زادني فيكم بَصيرةً، اللهم اني أبرأ إليك مِن فِعال هؤلاء القوم، اللهم ألقِ بأسَهم بينَهم حتى يَلقوَك وأنت عليهم غضبَان.

فجعَل القومُ يَرمونَه بالسهام، فتَقهقَر[١].

خطبة الحسين الرابعة

ثم إنّ الحسين عليه السلام ركب فرسَه - وقيل ناقتَه - وأخذ مُصحفاً ونشَره على رأسه، وتقدّم نحوَ القوم، فأستَنصَتهم، فأَنصتُوا، فحَمِد اللهَ وأثنى عليه، وصَلّى على النبيّ محمّد وعلى الملائكة والأنبياء والرسُل، وأبلَغ في المقال، ثم قال: «يا قَوم، إنّ بَيني وبينكم كتابَ الله وسنّة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله. ثم استَشهدهم عن نَفسه المقدّسة، وعن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وأبيه أمير المؤمنين عليه السلام، وأمه فاطمة سيّدة نساء العالمين، وجدّته خديجة أمّ المؤمنين، وعن عمّ أبيه الحمَزة سيّد الشهداء، عن عمّه جعفر الطيّار في الجنة، وما عليه من سَيف رسول الله ودرعِه وعمامتِه؟ فأجابُوه عن كلّ ذلك بالتَّصديق.

فسألهم عمّا أقدمهم على قتله، واستحلال دمه؟ فقالوا: قد علمنا ذلك كلّه، ونحنُ غير تاركيك حتى تَذوق الموتَ عَطشاً[٢].

فقال عليه السلام -: «تبّاً لكم - أيّتها الجماعةُ وترحاً[٣] أحينَ استصرختُمونا والهين فأصرخناكم موجِفين[٤]، سَللتُم علينا سَيفاً لنا في أيمانكم، وحَششتُم[٥]

(١) مقتل الحسين للخوارزمي: ج١ ص٢٥ طبع النجف، وبحار المجلسي ج٤٥ ص٥ الطبع الجديد في طهران. والمجلسي ٣ عن أمالي الصدوق.

(٢) اللهوف لابن طاووس: ص٣٧ طبع النجف، وفيه تفصيل استشهاد الحسين عليه السلام للقوم، واستدراجه لهم بالتصديق، ويبدأ ذلك بقوله عليه السلام: أنشدكم الله، هل تعرفوني؟ قالوا: نعم أنت ابن بنت رسول الله وسِبطه.

(٣) تباً لكم: أي خسراناً لكم وإهلاكاً. وترحاً: أي حزناً وغماً.

(٤) موجفين أي: مسرعين في السير إليكم.

(٥) حششتم ناراً: أوقدتموها.

عليا ناراً اقتدَحناها على عدوّنا وعدوّكم، فاصبَحتُم إلباً[١] لأعدائكم على أوليائكم، ويداً عليهم لأعدائكم، بغير عدل أفشَوهُ فيكم. ولا أمل أصبَح لكم فيهم، إلاّ الحرَامَ مِن الدنيا أنالوكم وخسيسَ عيش طمعتُم فيه، من غير حدَث كان منّا، ولا رأي تَفيّلَ لكم[٢] فهلاّ لكمُ الوَيلات[٣] إذ كرهتُمونا وتَركتمَونا والسيفُ مَشيم والجأشُ طامِن[٤]، والرأي لما يُستحصف[٥] ولكن أسرعتُم إليها كطيَرَة الدَّبى[٦] وتهافتُّم عليها كتهافت الفراش[٧]، ثمّ نقَضتُموها، فسُحقاً لكم يا عبيدَ الأمة، وشُذّاذ الأحزاب، ونبذَة الكتاب، ومُحرّفي الكَلِم، ونفَثَة الشيطان وعُصْبَةَ الآثام، ومُطفئِي السُنن، وقَتَلة أولاد الأنبياء، ومُبيري عِترةِ الأوصياء[٨]، ومُلحِقي العهار بالنَّسب[٩]، ومؤذي المؤمنين، وصُرّاخ أئمة المستَهزئين، «الذين جعَلوا القُرآنَ عِضِين»[١٠] «وَلَبِئس ما قَدّمتْ لهمْ أنفسهمُ وفي العذاب همُ خالدِوُن».

وأنتم ابنَ حَربٍ وأشياعَه تَعتَمدون، وعنّا تَتخاذلون. أجل - والله - غدرٌ فيكم قديم، وشَجتْ عليه أصولكم، وتأزّرتْ عليه فروعُكم[١١] وثَبتتْ عليه قلوبُكم، وغشَيتْ صُدورُكم، فكنتُم أخبثَ ثَمرٍ شَجىً للناظر، وأُكلةً للغاصب.

---

(١) الإلب - بالكسر - القوم تجمعهم عداوة واحدة.
(٢) تفيَّل رأيه: ضعف.
(٣) الويلات جمع (الويلة) وهي البلية والفضيحة.
(٤) مشيم: أي مخبأ ومغمد. والجأش طامن. أي القلب - أو الصدر - مستقر.
(٥) الرأي الحصيف: هو المحكم الثابت.
(٦) الدبى - بالقصر - أصغر الجراد. وهو الزاحف.
(٧) الفراش - بالفتح -: جمع فراشة، وهو الطائر الصغير الذي يتهافت على السراج ليحترق.
(٨) أبار الشيء إبارةً: أهلكه وأباده.
(٩) يشير عليه السلام إلى إلحاق زياد بن أبيه بأبي سفيان، وهو ابن عهر، ولا يُعرف أبوه.
(١٠)[سورة الحجر، الآية: ٩١]. وعضين، معناه: أجزاء متفرقة.
(١١)وشجت: أي اشتبكت والتف بعضها على بعض. وتأزرت: أي ثبتت وقويت.

ألا لعنةُ الله على الناكثين، الذين يَنقضُون الأيمانَ بعد تَوكيدها، وقد جَعلتُم الله عليكم كفيلاً، فأنتم - والله - هُم.

ألا وإنّ الدَّعيَ ابنَ الدعيّ قد ركزَ بين اثنتين: بين السِلّة والذِلة[١]، وهيَهات منّا الذِلة، يأبى اللهُ لنا ذلك ورسولُه والمؤمنون وحجُورٌ طابتْ وطَهُرتْ، وأنوف حميّة ونفوس أبيّة مِن أن تُؤثر طاعةَ اللئام على مصارع الكرام.

ألا وقد أعذرتُ وأنذرتُ. ألا وإني زاحفٌ بهذه الأسرة على قلّةِ العدَد وكثرةِ العدوّ، وخذلانِ الناصر، ثم أنشد:

فإن نَهزِم فهزّامون قِدماً   وإن نُهزَمْ فغيرُ مُهزَّمينا
وما إن طبُّنا جبُنٌ ولكن   منايانا ودولةُ آخرينا[٢]
إذا ما الموتُ رفّع عن أناسٍ   كَلاكلَه أناخ بآخرينا[٣]
فأفنى ذلكم سرواتِ قومي   كما أفنى القرونَ الأوّلينا
فلو خَلد الملوكُ إذاً خلُدنا   ولو بَقي الكرامُ إذاً بَقينا
فقُل للشامتين بنا: أفيقُوا   سيَلقى الشامتونَ كما لَقينا[٤]

ثم قال: «أما والله، لا تَلبثُون بعدَها إلاّ كريثَما يُركب الفرَس حتى تدورَ بكم دوَرانَ الرحى، وتَقلقَ بكم قَلَقَ المِحوَر، عهدٌ عَهِدَه إليّ أبي عن جدي رسول الله صلى الله عليه وآله: «فأَجمعُوا أمرَكم وَشُركاءَكم ثمّ لا يكن أمرُكم عليكم غُمّة ثم اقضُوا إليّ ولا تُنظِرُون، إني تَوكلتُ على الله ربي وربكم ما مِنْ دابة إلاّ هو آخذٌ بناصيتها إنّ رَبي على صِراطٍ مُستقيم».

ثم رفَع يديه إلى السماء وقال: «اللهم احبس عنهم قَطْر السماء، وابعث

---

(١) السِلّة بالكسر -: كناية عن استلال السُيوف.
(٢) الطب - بالكسر - الإرادة والعادة.
(٣) الكلكل - على فعلل -: الصدر أو ما بين الترقوتين، جمعه كلاكل.
(٤) الأبيات لفروة بن مسيك المرادي - كما في لهوف ابن طاووس وغيره -.

عليهم سنينَ كسنيّ يوسف، وسَلّط عليهم غُلامَ ثَقيف يسقيهم كأساً مصبّرة، فانهم كذَبونا وخذَلُونا، وأنت ربّنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير»(١).

الحسين يستدعي ابن سعد ويؤنّبه

واستَدعى الحسينُ عُمرَ بنَ سعد - وكان كارهاً لا يُحبّ أن يأتيَه - فلمّا حضرَ قال له: أيْ عُمر، أتزعم أنك تَقتلني ويُولّيك الدعيّ بن الدعي بلاد (الريّ وجَرجَان)؟ واللهِ لا تَتهنّأ بذلك أبداً، عهدٌ مَعهود، فاصنَع بما أنتَ صانع، فانك لا تَفرح بعدي بدنياً ولا آخرة، وكأني برأسك على قَصبةٍ قد نُصِبَ بالكوفة يترامَاه الصبيان ويتّخذونه غرضاً بينَهم».

فغَضب ابنُ سعدٍ من كلامه، وصرَفَ وجهَه عنه، ثم نادى بأصحابه: ما تَنتظرون به، إحمِلوا بأجمعكم، إنّما هيَ أكلة واحدة(٢).

لم أنسَهُ إذ قامَ فيهمْ خاطباً ... فإذا هُمُ لا يَملكونَ خِطابا
يَدعو: ألستُ أنا ابنَ بنت نبيكم ... ومَلاذكم إن صرَفُ دهرٍ نابا
هل جئتُ في دين النبيّ ببدعة ... أم كنتُ في أحكامه مُرتابا
أم لم يُوصّ بنا النبيّ وأودع الـ ... ـثّقلين فيكم: عِترةً وكتابا
إن لم تَدينُوا بالمعاد فراجعُوا ... أحسابَكم إن كنتُمُ أعرابا
فغَدوا حَيارى لا يَرون لوعظِه ... إلا الأسنّة والسّهامَ جَوابا(٣)

---

(١) تاريخ ابن عساكر: الجزء الخاص بريحانة الرسول (٣) المستل من التاريخ العام: ص٢١٨ ط بيروت. ومقتل الخوارزمي: ج٢ ص٧-٨ طبع النجف، ولهوف ابن طاووس: ص٤١-٤٢ طبع النجف، وبحار المجلسي: ج٤٥ ص٨-١٠ طبع طهران الجديد، وجلاء العيون: ج٢ ص١٧٧.

(٢) المصدر الآنف من البحار، ونفس المصدر من مقتل الخوارزمي، ومقتل العوالم: ص٨٤، والايقاد للعظيمي: آخر الفصل السابع.

(٣) أبيات من قصيدة عامرة في رثاء الحسين عليه السلام للمرحوم العلامة الأديب السيد رضا السيد محمد الهندي الموسوي، ومطلعها:

أوَ بعدما ابيض القذال وشابا ... أصبو لوصل الغيد أو أتصابى

ثم أخذَ يُنادي: أما من مُغيثٍ يُغيثنا لوجهِ الله، أما مِن ذابٍّ يَذبّ عن حَرم رسول الله.

توبة الحر[1]

قالوا: ولما رأى الحرُّ بن يزيد الرياحي: أنّ القوم مُصمّمُون على قِتال الحسين، وسَمع استغاثتَه، أقبل على ابن سعد وقال له:

أمقاتلٌ أنتَ هذا الرجل؟.

قال: إي والله، قتالاً أيسرهُ أن تَسقطَ فيه الرؤوس وتَطيح الأيدي.

قال الحرّ: أما لكم في واحدةٍ من الخصال التي عرضَها عليكم رضاً؟.

قال ابنُ سعد: لو كان الأمر إليّ لفَعلتُ، ولكن أميرُك قد أبى ذلك.

فتَركه، وأَقبل حتى وقَف مع الناس، وكان إلى جنبه رجلٌ من قومه يقال له: (قُرةُ بن قَيس).

فقال له: يا قُرّة، هل سَقيتَ فرسَك اليوم؟ قال: لا.

قال: أما تُريد أن تسقيه؟.

قال (قرّة): فظننتُ - والله - أنه يُريد أن يتنحّى فلا يشهد القتال، ويكره أن

---

(١) الحر بن يزيد بن ناية بن قعنب بن عتاب بن هرمى بن رياح بن يربوع بن حنظلة التميمي... من الشخصيات الاجتماعة البارزة في الكوفة، وأحد قواد الجيش الأموي الخارج لحرب الحسين عليه السلام، وكان يقود فيه ربع تميم وهمدان - كما يقول الطبري وغيره - وقد ذكر الخوارزمي في (مقتله: ٢/ ١٠) أنه لحق بالحسين مع غلامه التركي. ولعل اسمه (عروة) على ما نص عليه بعض المقاتل، كمقتل الإمام المغفور له الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، ففيه إضافة إلى ذلك استشهاد ولد الحر (علي) وأخيه (مصعب) كل هؤلاء الثلاثة بين يدي الحر. على تأمل لنا في صحة ذلك، والله العالم. وفي لهوف ابن طاووس: ص٤٣ طبع النجف. ومقتل الخوارزمي: ج٢ ص٩ طبع النجف: أن قصة توبة الحر كانت بعد الحملة الأولى من أصحاب الحسين عليه السلام التي قتل فيها زهاء خمسين رجلاً.

أراه حين يصنع ذلك مخافة أن أرفعه عليه، فقلت له: لم أسقه، وأنا منطلق فأسقيه، فاعتزلتُ ذلك المكان الذي كان فيه، فوالله لو أنه أطلعني على الذي يُريد لخرجتُ معه إلى الحسين.

وأخذ الحرّ يَدنو من الحسين قليلاً قليلاً. فقال له رجلٌ من قومه يقال له (المُهاجرُ بن أوس): أتريد أن تحمل يا أبا يزيد؟.

فسكتَ، وأخذته مثلُ الرعدة.

فقال له المهاجرُ بنُ أوس: والله إن أمرَك لمُريب، والله ما رأيت منك في موقف - قط - مثلَ ما أراه - الآن -، ولو قيل لي: مَن أشجع أهل الكوفة لما عدوتُك، فما هذا الذي أرى منك؟.

فقال له الحر: اني - والله - أخيّر نفسي بن الجنة والنار، ولا أختار على الجنة شيئاً، ولو أحرقتُ وقُطّعتُ.

ثم ضرَب جوادَه وأقبل نحوَ الحسين عليه السلام واضعاً يديه على رأسه وقد قلَب درقَته، منكساً رمحَه كهيأة المستأمن، وقد طأطأ برأسه، حياءً من آل الرسول بما أتى إليهم، وجَعجَع بهم في هذا المكان على غير ماء ولا كِلاء، رافعاً صوته بقوله:

«اللهم إليك أُنيب، فتب عليّ، فقد أرعبتُ قلوبَ أوليائك وأولاد بنتِ نبيّك»[1] ولسانُ حاله يقول:

لن أبرح البابَ حَتى تُصلحوا عِوَجي وتَقبلوني على عَيبي ونُقصاني
فان رضيتُم فيا عزي ويا شَرفي وان أبيتُم فمَن أرجو لغفراني

ثم جاءَ وسلّم على الحسين وقال له:

«جَعلني الله فداك - أنا صاحبُك الذي حبستُك عن الرجوع، وسايرتُك في الطريق، وجَعجعتُ بك[2] في هذا المكان، ووالله الذي لا إله إلاّ هو ما ظننتُ أن القوم يَردّون عليك ما عرضتَ عليهم أبداً، ولا يبلغون منك هذه المنزلة...

---

(١) اللهوف لابن طاووس: ص٤٣ طبع النجف. وأمالي الصدوق: مجلس (٣٠).
(٢) جعجع به: أقلقه وأزعجه.

والله لو علمتُ أنهم يَنتهون بك إلى ما أرى ما ركبتُ مثلَ الذي ركبت، وإني قد جئتك تائباً إلى ربي ممّا كان مني، ومواسياً لك بنفسي حتى أموتَ بين يديك، أفترى لي من ذلك توبة؟.

قال الحسين: نَعم، يتوب الله عليك ويغفر لك. ما اسمك؟.

قال: أنا الحرّ بن يزيد.

قال الحسين: أنت الحرّ - كما سمّتك أمك - أنت الحرّ إن شاء الله في الدنيا والآخرة، إنزل؟.

قال الحرّ: أنا لك فارساً خيرٌ مني راجلاً، أقاتلهم على فرسي ساعةً، وإلى النزول ما يَصير آخرُ أمري.

فقال الحسين: إصنَع - رحمَك الله - ما بدا لك[1].

خطبة الحر

فاستَقدم أمام الحسين. وتوجّه نحوَ القوم منادياً بأعلى صوته:

يا أهل الكوفة، لأمكم الهَبل والعبَر[2] إذ دعوتُم هذا العبد الصالح حتى إذا

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٢٨ طبع دار المعارف بالقاهرة، وكامل ابن الأثير: ج٣ ص٢٨٨ طبع بيروت، وإرشاد المفيد ص٢٢٩ - طبع إيران، وفي مقتل الخوارزمي: ج٢ ص١٠ طبع النجف تكملة ذلك: «ثم قال: يا بن رسول الله كنت أول خارج عليك فائذن لي أن أكون أول قتيل بين يديك، فلعلي أن أكون ممن يصافح جدك محمداً غداً في القيامة...». ويذكر مبارزته ومقتله، ولم يذكر خطبته التالية.
وكذلك ابن طاووس في (لهوفه: ص٤٤) طبع النجف، فانه بعد ذكر ذلك يقول: «إنما أراد أول قتيل من الآن لأن جماعة قتلوا قبله» فهو يرى: أنه أول قتيل بعد الحملة التي وقع فيها خمسون من أصحاب الحسين عليه السلام لا أنه أول قتيل من الأصحاب، وعلى أي حال، فالحر من الطلائع المشرفة لشهداء الحسين عليه السلام.

(٢) الهبل - بالتحريك - الثكل والفقد. والعبر - بالتحريك -: سخنة العين وبكاؤها وجريان الدمع.

أتاكم أسلمتُموه، وزعمتُم أنك قاتِلوا أنفسكم دونَه، ثم عدوتُم عليه لتقتَلوه، وأمسكتُم بنفسه، وأخذتم بكَظمه[١] وأحطتُم به من كل جانب، ومنعتُموه من التوجّه في بلادِ الله العَريضة حتى يأمَن هو وأهلُ بيته، فأصبَح كالأسير في أيديكم، لا يمَلك لنفسه نفعاً، ولا يَدفع عنها ضرّاً، وحلأْتُموه[٢] ونساءَه وصبيتَه وأصحابَه عن ماء الفرات الجاري الذي يشربُه اليهود والنصارى والمجوس. وتَمرَغ فيه خنازيرُ السواد وكلابُها. وها هم قد صرَعهم العطَش، بئسما خلفتُم محمّداً في ذريته، لا سقاكم الله يوم الظمأ، ان لم تَتوبوا وتَنزعوا عمّا أنتم عليه من يومكم هذا وساعتكم هذه».

فحملتْ عليه الرجّالة تَرميه بالنّبل، فتَقهقَر حتى وقف أمامَ الحسين[٣].

عمر بن سعد أول من يرمي معسكر الحسين

قالوا: وتقدّم عمرُ بن سعد نحو عسكر الحسين، ثم نادى يا دُريد، أدنِ رايَتك، فأدناها، فوضع سهماً في كبد قوسه، ثم رمى وقال: إشهدوا لي عند الأمير أني أوَل من رمى ثم رمى الناس[٤]، فأقبلت السهام من القوم كأنها المطر، فلم يَبق من أصحاب الحسين أحدً إلاّ أصابه من سهامهم[٥].

---

(١) الكظم - بالفتح فالسكون - مخرج النفس من الإنسان ومن كل من له روح.

(٢) حلأه - بالتشديد - عن الماء: طرده ومنعه عنه.

(٣) إرشاد المفيد: ص٢٥٠ طبع إيران، وأنساب البلاذري ج٣ ص١٨٨ طبع بيروت، وتاريخ الطبري لأحمد زكي صفوت: ج٢ ص٤٨ الطبعة الأولى بمصر، ونهاية الارب للنويري ج٢٠ ص٤٤٥ ط القاهرة وفي بعض هذه المصادر الآنفة - قبل هذا الكلام - هكذا: «أيها القوم، ألا تقبلون من الحسين خصلةً من هذه الخصال التي عرض عليكم، فيعاقبكم الله من حربه وقتاله؟ فقال له عمر: قد حرصت لو وجدت إلى ذلك سبيلاً فعلت» فقال: يا أهل الكوفة. . .

(٤) تاريخ الطبري وابن الأثير - بالمصدر الآنف - والخطط المقريزية: ج٢ ص٢٨٧، وإرشاد المفيد ص٥٠ طبع إيران، ونهاية الارب للنويري - المصدر الآنف -.

(٥) مقتل الحسين للخوارزمي: ج٢ ص٨ طبع النجف.

فقال الحسينُ لأصحابه: قومُوا - رحمَكم الله - إلى الموت، الذي لا بدّ منه، فان هذه السّهام رُسلُ القوم إليكم[١].

خمسون صريعاً من أصحاب الحسين في الحملة الأولى

فحمل أصحابُه حملةً واحدةً، واقتتَلوا ساعةً من النهار حملةً، وحملةً، حتى قُتِلَ من أصحاب الحسين جماعةٌ[٢] فما انجلت الغُبرةُ إلا عن خَمسين صريعاً[٣].

---

(١) لهوف ابن طاووس: ص٤٢ طبع النجف، ومقتل العوالم: ص٨٤.
(٢) اللهوف لابن طاووس: ص٤٢ طبع النجف.
(٣) البحار للمجلسي: ج٤٥ ص١٢ المطبعة الإسلامية في طهران. وفي (كشف الغمة للاربلي: ج٢ ص٢٦٢) طبع قم «يما ينيف على خمسين رجلاً». وهذا العدد يناهز النصف من أصحاب الحسين عليه السلام أو ينوف عليه - على اختلاف الروايات في ضبطهم - وهذه الحملة كانت قبل الظهر بساعة - تقريباً -. وأسماء الذين قتلوا فيها - من أحرار وموالي - كما عن المناقب وغيره - هي كالآتي:

١ - الأدهم بن أمية العبد البصري جاء إلى الحسين من البصرة والتحق به في كربلا (إبصار العين للسماوي) ولواعج الأشجان للأمين.

٢ - أمية بن سعد الطائي. وكان أمية هذا من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام. خرج إلى الحسين عليه السلام من الكوفة أيام المهادنة، قال صاحب الحدائق الوردية: قتل في أول الحرب، يعني في الحملة الأولى (إبصار العين للسماوي).

٣ - جابر بن الحجاج مولى عامر بن نهشل التيمي... قال صاحب الحدائق: حضر مع الحسين عليه السلام في كربلا، وقتل بين يديه، وكان قتله قبل الظهر، في الحملة الأولى (إبصار العين للسماوي).

٤ - جبلة بن علي الشيباني، ورد ذكره - في عداد الشهداء - في زيارة الناحية - كما في البحار: ج٤٥ ص٧٢ طبع طهران الجديد - ولعله متحد مع جبلة بن عبد الله الوارد ذكره في الزيارة الرجبية. وقد ذكره ابن شهر آشوب في (المناقب: ج٤ ص١١٣) طبع قم في عداد المقتولين في الحملة الأولى قبل الظهر.

٥ - جوين بن مالك بن قيس بن ثعلبة التيمي الضبعي، ذكر في (الزيارة) باسم (حوى) كما في البحار: ج٤٥ ص٧٢ - طبع طهران الجديد وكذلك ورد ذكره في (الرجبية) =

. . . .

= باسم (جوير) ولعل المقامين تصحيف، والصحيح ما ذكرنا. والضبعي: نسبة إلى ضبع بن وبرة بطن من القحطانية. كان من جنود ابن سعد، ولما ردت الشروط على الحسين ازدلف إليه، وقتل في الحملة الأولى قبل الظهر.

٦ - جندب بن حجير الكندي الخولاني. هكذا ورد ذكره في (الزيارة كما في البحار: ج٤٥ ص٧٢) وكان من وجوه الشيعة، ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام. قال عنه أهل السير: إنه قاتل فقتل في أول القتال. والظاهر من ذلك: أنه من شهداء الحملة الأولى.

٧ - جنادة بن كعب بن الحرث الأنصاري الخزرجي، صحب الحسين من مكة، وجاء معه هو وأهله إلى كربلاء، فقتل في الحملة الأولى (إبصار العين للسماوي) و(الحدائق الوردية) وغيرها. وفي المناقب يذكره باسم (جنادة بن الحارث). ومثله الخوارزمي. والظاهر: أنه هو هذا الذي ذكرناه.

٨ - حباب بن الحارث السلماني الأزدي... هكذا ورد اسمه في (زيارة الناحية) كما في (البحار: ج٤٥ ص٧٢) طبع طهران الجديد. وفي (الرجبية) باسم (حيان) في نسخة، وفي أخرى (حسان) ولعل الجميع واحد، وهو (حباب) كما عده ابن شهر اشوب في (مناقبه: ج٤ ص١١٣) طبع قم، من شهداء الحملة الأولى.

وكان الحارث هذا من شخصيات الشيعة في الكوفة، وممن اشترك في حركة مسلم بن عقيل، وبعد مقتله خرج مع جماعة إلى الحسين والتحقوا به قبيل وصوله إلى كربلا، فأراد الحر منعهم من اللحاق بالحسين فباء بالفشل فالتحقوا بالحسين عليه السلام.

٩ - الحرث - أو الحارث - بن امرئ القيس الكندي. وكان مع ابن سعد، فلما ردوا على الحسين كلامه مال معه وقاتل وقتل، قال صاحب الحدائق: انه قتل في الحملة الأولى، (إبصار العين للسماوي).

١٠ - الحرث بن نبهان مولى الحمزة بن عبد المطلب. قال صاحب الحدائق الوردية: والحرث ابنه انضم إلى الحسين عليه السلام بعد انضمامه إلى علي بن أبي طالب عليه السلام والحسن عليه السلام فجاء معه إلى كربلاء، وقتل بها في الحملة الأولى (عن إبصار العين السماوي).

١١ - الحلاس بن عمرو الازوي الراسبي، من راس بن مالك بطن من شنوءة، ومن الأزد من القحطانية. وكان على شرطة أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة، وكان هو وأخوه النعمان مع عمر بن سعد، ثم تحولاً إلى معسكر الحسين عليه السلام ليلاً، ورد ذكره في =

. . . .

= الشهداء في (الزيارة الرجبية) وذكره ابن شهر اشوب في (المناقب: ج٤ ص١١٣) من شهداء الحملة الأولى.

١٢ - حنظلة بن عمرو الشيباني - ذكره السيدالأمن في عداد الشهداء في (أعيانه: ج٤ ق١ ص٢٥٢). وعدّه ابن شهر اشوب في (مناقبه: ج٤ ص١١٣) من شهداء الحملة الاولى. واحتمل سيّدنا الأستاذ الخوئي في (معجم رجال الحديث ج٦ ص٣٠٦) اتحاده مع حنظلة بن أسعد الشبامي، ولا مؤيد لهذا الاحتمال، بل إن السيد الأمين اعتبرهما اثنين كما في المصدر الآنف، ولعله الأصح.

١٣ - زاهر مولى عمرو بن الحمق الكندي الخزاعي. قال عنه أرباب السير والرجال: انه كان بطلاً مجرباً وشجاعاً مطرقاً، ومعروفاً بحبّه لأهل البيت عليهم السلام ورد ذكره في (الزيارة) مصحفاً بـ(زاهد) وذكره ابن شهر آشوب في (المناقب: ج٤ ص١١٣) من شهداء الحملة الأولى.

١٤ - زهير بن بشر الخثعمي، نسبة إلى خثعم بن أنمار بن أراش قبيلة من القحطانية. ورد ذكره في قائمة شهداء الأصحاب عند السيد الأمين في (أعيانه: ج٤ قسم١)، كما ورد ذكره في (زيارة الناحية كما في البحار: ج٤٥ ص٧٢) وورد ذكره بعنوان (زهير بن بشير) في (الزيارة الرجبية)، وذكره ابن شهر اشوب في (مناقبه: ج٤ ص١١٣) من شهداء الحملة الأولى. ورجّح بعض الكتاب المتأخرين في كتابه عن (أنصار الحسين) أنه متحد مع زهير بن سليم الأزدي. وهو ترجيح بلا مرجح، بل الترجيح على عدم الاتحاد، بحكم ذكرهما معاً في عداد أنصار الحسين في الزيارة وفي كثير من كتب التاريخ والرجال والمقاتل. وهكذا في (أعيان السيد الأمين) بالمصدر الآنف.

١٥ - زهير بن سليم الأزدي. ورد ذكره في (الزيارة) بهذا الاسم والنسبة - كما في البحار: ج٤٥ ص٧٢ طبع طهران الجديد - كما ورد له ذكر في قائمة الأنصار التي أعدّها سيّدنا الأمين في (أعيانه: ج٤ قسم ١ ص٢٥٢). وعدّه ابن شهر اشوب في (المناقب: ج٤ ص١١٣) من شهداء الحملة الأولى.

ويبدو - من بعض السير -: أنه ممن عبر من معسكر ابن سعد إلى الحسين ليلة عاشوراء.

١٦ - سالم بن عمرو مولى بني المدينة الكلبي. بهذا الاسم والنسبة ورد ذكره في (الزيارة) وفي كتب المقاتل، وفي قائمة السيد الأمين في (أعيانه) وبني المدينة، بطن من كلب، وكان من الشيعة في الكوفة - خرج إلى الحسين أيام المهادنة... وقال السرودي: قتل في أول رحلة ممن قتل من أصحاب الحسين عليه السلام (عن إبصار العين للسماوي). =

. . . .

= ١٧ - سعد بن الحرث مولى علي بن أبي طالب عليه السلام، خرج مع الحسين من المدينة إلى مكة، ومنها إلى كربلا، فقتل بها في الحملة الأولى، ذكره ابن شهر اشوب في المناقب، وغيره من المتأخرين (عن إبصار العين للسماوي).

١٨ - سوار بن منعم بن حابس بن أبي عمير بن نهم الهمداني، جاء إلى الحسين عليه السلام أيام الهدنة، وقاتل في الحملة الأولى - كما في مناقب ابن شهر اشوب - وله ذكر في (الزيارة) فجرح وصرع، وأخذ أسيراً إلى ابن سعد، وتوفي متأثراً بتلك الجروح بعد ستة أشهر تقريباً.

١٩ - سيف بن مالك العبد النميري. له ذكر في (الزيارة). وذكره ابن شهر اشوب باسم (النميري) من جملة المقتولين في الحملة الأولى. وهو من جملة الرجالات الذين كانوا يجتمعون في بيت مارية بنت منقذ العبدي في البصرة، أيام حركة الحسين في وجه يزيد ابن معاوية.

٢٠ - ضرغامة بن مالك. ذكر في (الزيارة) و(الرجبية). وذكره الأمين في (أعيانه: ج٤ قسم١) وعامة أرباب المقاتل، وعده ابن شهر اشوب في (المناقب: ج٤ ص١١٣) من شهداء الحملة الأولى.

ويقول السماوي في (إبصار العين): «انه ممن بايع مسلماً فلما خذل مسلم خرج من الكوفة مع ابن سعد والتحق بالحسين وقتل مبارزةً بعد صلاة الظهر».

٢١ - عامر بن مسلم العبدي البصري. ذكر في (الزيارة والرجبية) والأمين ذكره في (أعيانه) وعامة أرباب المقاتل، وعده ابن شهر اشوب في (المناقب) من شهداء الحملة الأولى.

٢٢ - سالم مولى عامر - المتقدم الذكر - فقد خرجا معاً مع يزيد بن ثبيط العبدي من البصرة وجماعة آخرين فاتحقوا بالحسين. وقتل سالم - هذا - مع عامر في الحملة الأولى (عن إبصار العين للسماوي).

٢٣ - عبد الله بن بشر بن ربيعة بن عمرو. . . الأنماري الخثعمي. كان ممن خرج من الكوفة في عسكر ابن سعد، ثم صار إلى الحسين أيام المهادنة، قال صاحب (الحدائق) وغيره: إن عبد الله بن بشر قتل في الحملة الأولى قبل الظهر. (إبصار العين للسماوي).

٢٤ - عبد الله بن عمير بن عباس بن عبد قيس بن عليم بن جناب الكلبي ذكر في (الزيارة) والرجبية والطبري والخوارزمي وعامة كتب السير والمقاتل. من بني عليم، توجه من الكوفة إلى الحسين مع زوجته أم وهب بنت عبد من النمر بن قاسط. ذكره ابن شهر اشوب في عداد المقتولين في الحملة الأولى. =

. . . .

= ٢٥، ٢٦ - عبد الله وعبيد الله أبناء يزيد بن ثبيط - أو نبيط - العبدي البصري خرجا مع أبيهما من البصرة، حين بعث الحسين كتاباً إلى أهل البصرة يدعوهم إلى نصرته، فالتحقوا به وهو في مكة. لهما ذكر في (الزيارة) وفي كثير من كتب السير والمقاتل. وعدهما ابن شهر اشوب في (مناقبه: ج٤ ص١١٣) من المقتولين في الحملة الأولى.

٢٧ - عمار بن حسان بن شريح بن سعد بن حارثة. . . الطائي كان من الشيعة المخلصين في ولائهم لأهل البيت عليهم السلام ومن الشجعان المطرقين ورد ذكره في (الزيارة والرجبية) صحب الحسين من مكة ولازمه إلى أن قتل بين يديه في كربلا في الحملة الأولى - كما عن (المناقب).

٢٨ - عمار بن أبي سلامة - أو سلّامة -. . . بن دالان الهمداني، وبنو دالان بطن من همدان. ورد ذكره بهذا الاسم في (الزيارة) كما في البحار: ج٤٥ ص٧٣ طبع طهران الجديد. وذكره ابن شهر اشوب في عداد المقتولين في الحملة الأولى - كما في المناقب: ج٤ ص١١٣ - طبع قم.

٢٩ - عمرو بن جندب الحضرمي الكوفي، له ذكر في (الزيارة) وفي قائمة السيد الأمين، خرج من الكوفة بعد قتل مسلم بن عقيل، والتحق بالحسين في الطريق، وقتل في الحملة الأولى.

٣٠ - عمرو بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة الضبعي التيمي. كان فارساً مقداماً في الحروب. خرج مع ابن سد ثم ازدلف إلى الحسين قبل العاشر من المحرّم. له ذكر في (الزيارة) بهذا الاسم وفي الرجبية (ضبيعة بن عمرو) مقلوباً، وذكره ابن شهر اشوب - باسم عمرو بن مشبعة مصحفاً - في عداد المقتولين في الحملة الأولى - كما في المناقب: ج٤ ص١١٣ طبع قم.

٣١ - عمرو بن عبد الله الهمداني الجندعي. وبنو جندع بطن من همدان. له ذكر في (الزيارة) بهذا الاسم. وهو ممن ازدلف إلى الحسين أيام المهادنة، قاتل وصرع، وبقي مريضاً من أثر الضربات، ومات بعد سنة - تقريباً - ذكره ابن شهر اشوب من المقتولين في الحملة الأولى - كما في المناقب -.

٣٢ - عمران بن كعب بن حارث الأشجعي، وأشجع: قبيلة من غطفان. ذكره الشيخ الطوسي في (رجاله) باسم (عمران بن كعب) وفي (الزيارة - كما في بحار المجلسي ج٤٥ ص٧٠) عمر بن كعب. والظاهر أنه واحد، وذكره ابن شهر اشوب اسماً ونسبة - في (مناقبه: ج٤ ص١١٣) في عداد المقتولين في الحملة الأولى.

٣٣ - عبد الرحمن بن عبد الله بن الكدن بن أرحب. . . الهمداني. وهو الذي أوفده =

. . . .

= أهل الكوفة مع قيس من مسهر، ومعهما نحو من مائة وخمسين صحيفة، إلى الحسين عليه السلام وهو - مع قيس ومع عمّارة السلولي ممن أرسلهم الحسين عليه السلام مع مسلم بن عقيل إلى الكوفة. ثم عاد عبد الرحمان إلى الحسين - من جملة الوفود - فصحبه إلى كربلاء، وقتل بين يديه في الحملة الأولى - كما في مناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص١١٣- وله ذكر في (الزيارة) بهذا الاسم.

٣٤ - قارب بن عبد الله الدؤلي مولى الحسين عليه السلام . أمه جارية للحسين، تزوجها عبد الله الدؤلي، فولدت منه (قارباً) فهو مولى للحسين، خرج معه من المدينة، وقتل في الحملة الأولى التي هي قبل الظهر بساعة (إبصار العين للسماوي) وله ذكر في (الزيارة).

(٣٥ - ٣٧) قاسط بن زهير بن الحرث التغلبي. وأخوه (مقسط) وأخوهما (كردوس). هؤلاء الثلاثة كانوا من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ثم صحبوا الحسين عليه السلام بعده، ثم بقوا في الكوفة، ولما ورد الحسين كربلاء خرجوا إليه ليلاً، وقتلوا بين يديه، قال السروي: في الحملة الأولى (عن إبصار العين). وقد ورد اسم قاسط وكردوس في (الزيارة).

٣٨ - كنانة بن عتيق التغلبي، من أبطال الكوفة، ومن عبادها وقرائها ورد اسمه في (الزيارة) كما في بحار المجلسي: ج٤٥ ص.٧١ وعده ابن شهر اشوب في (المناقب ج٤ ص١١٣) من المقتولين في الحملة الأولى.

٣٩ - القاسم - أو القسم - بن حبيب بن أبي بشر الأزدي. وكان فارساً من فرسان الشيعة في الكوفة، خرج مع ابن سعد، ثم مال إلى الحسين أيام المهادنة وقتل بين يديه في الحملة الأولى (إبصار العين للسماوي). وله ذكر في (الزيارة).

٤٠ - مجمع بن عبد الله العائذي المذحجي. كان من التابعين ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام . ولقد جاء هو وابنه عائذ مع عمرو بن خالد الصيداوي، مع نافع بن هلال المرادي إلى الحسين عليه السلام قبل وصوله إلى كربلاء، فمانعهم الحر أولاً، ثم باء بالفشل ووصلوا إلى الحسين. وله ذكر في (الزيارة). وذكره ابن شهر اشوب في (المناقب) من شهداء الحملة الأولى.

ويذكر السماوي في (إبصار العين) ان عائذاً بن مجمع، أيضاً من شهداء الحملة الأولى - نقلاً عن الحدائق الوردية. وعليه فينتهي الترقيم إلى (٤١).

(٤٢-٤٣) مسعود بن الحجاج التيمي، وابنه عبد الرحمان بن مسعود. وكانا من الشيعة المعروفين في الكوفة، خرجا إلى الحسين عليه السلام أيام المهادنة، وكانا - في بداية الأمر - مع ابن سعد - فازدلفا إلى الحسين عليه السلام وقتلا بين يديه في الحملة الأولى - كما ذكره السروي (عن إبصار العين للسماوي). =

. . . .

= ٤٤ - مسلم بن كثير الأعرج الأزدي الكوفي. كان من التابعين ومن شيعة أمير المؤمنين. ورد ذكره في (الزيارة) مصحفاً باسم أسلم بن كثير، كما ورد في (الرجبية) باسم سليمان بن كثير. والظاهر: إنهم واحد. ذكره ابن شهر اشوب في (المناقب: ج٤ ص١١٣) من شهداء الحملة الأولى.

٤٥ - شبيب مولى الحرث بن سريع الهمداني الجابري. جاء مع سيف ومالك ابني سريع. قال ابن شهر آشوب: قتل في الحملة الأولى (إبصار العين للسماوي).

٤٦ - شبيب بن عبد الله النهشلي البصري، ذكره الشيخ الطوسي: انه من أصحاب الحسين عليه السلام. ومثله ابن شهر اشوب في (المناقب). وقال الحائري في (ذخيرة الدارين ص٢١٩): «انه خرج من المدينة مع الحسين عليه السلام إلى كربلاء، وقتل في الحملة الأولى قبل الظهر.

٤٧ - نعيم بن عجلان الأنصاري. ذكر في (الزيارة) بهذا الاسم والنسبة وعدّه ابن شهر اشوب في (المناقب) من شهداء الحملة الأولى.

(٤٨) نعمان بن عمرو الراسبي. ذكره الشيخ في (الرجال)، وله في الزيارة الرجبية ذكر أيضاً، وعدّه ابن شهر آشوب في (المناقب: ج٤ ص١١٣) من شهداء الحملة الأولى.

ولقد ذكر ابن شهر اشوب في (مناقبه: ج٤ ص١١٣) من عداد المقتولين في الحملة الأولى (عبد الله بن عروة الغفاري) ولكننا في شك من ذلك. فانه وأخوه عبد الرحمن ممن استشهدوا بين يدي الإمام مبارزة - كما سنذكر -.

وذكر السماوي في (إبصار العين) نصر بن أبي نيزر مولى علي بن أبي طالب عليه السلام في عداد الشهداء في الحملة الأولى. ولا مؤيد له.

وذكر بعض أرباب المقاتل من بين الأسماء في هذه الحملة (عباد بن المهاجر الجهني) كما ورد ذكره في قائمة (السيد الأمين).

وعلى كلٍّ، فهذه الأرقام - وهي تناهز الخمسين - مما يمكن الوثوق بأنهم من أصحاب الحسين وممن قتلوا في الحملة الأولى، فقد ذكر ابن شهر اشوب في (المناقب) ما يقارب أو ينوف على الأربعين غير الموالي. والباقي ذكر في مختلف كتب السير والمقاتل.

وهذا العدد يتناسب مع كثير من تعابير (المقاتل) بـ(نحو من خمسين قتيلاً).

إلا أن بعض أرباب المقاتل يعبر بـ(نيف وخمسين). والظاهر أن عددهم لا يتجاوز الخمسين. والله عالم بحقائق الأمور. وبعد ذلك بقي علينا أن نعدَّ أسماء الأصحاب المبارزين الذين يتجاوز عددهم الخمسين أيضاً ليكون مجموعهم ينوف على المائة - كما ارتأينا ذلك في طليعة هذا المجلس - فراجع.

السائرونَ إلى المكارم والعُلى والحائزونَ غداً حياضَ الكوثر
لولا صوارمُهم ووقعُ نبالهم لم تسمع الآذان صوتَ مكبّر

قالوا: فعند ذلك ضرب الحسينُ بيده على كريمته المقدَّسَة وقال: «اشتدّ غضبُ الله على اليهود إذ جعلوا له ولداً، واشتد غضبُه على النَّصارى إذ جعلوه ثالثَ ثلاثة، واشتدّ غضبُه على المجوس إذ عبدوا الشمسَ والقَمر واشتدّ غضبُه على قوم اتفقتْ كلمتُهم على قتل ابن بنت نبيّهم، أما والله لا أجيبُهم إلى شيء ممّا يُريدون حتى ألقى الله تَعالى»(١).

المبارزة بين الفريقين

ولما قُتِلَ من أصحاب الحسين عليه السلام في هذه الحملة مَن قُتِل صار يبرز الرجلُ والرجلان، ويستأذن الحسين عليه السلام ويقاتل ثم يُقتَل.

مبارزة عبد الله بن عمير الكلبي(٢)

فخرَج من عسكر ابن سعد يَسار مولى زياد بن أبيه، وسالم مولى عبيد الله بن زياد، فطلبا المبارزة.

---

(١) لهوف ابن طاووس: ص٤٣ طبع النجف، وبحار المجلسي: ج٤٥ ص١٢ طبع طهران الجديد.

(٢) عده الطبري وابن الأثير والخوارزمي والمجلسي وابن شهر اشوب وعامة أرباب السير والمقاتل من طليعة المبارزين بعد الحملة الأولى التي سقط فيها زهاء خمسين قتيلاً.
وكان قد نزل الكوفة، واتخذ عند بئر (الجعد) من همدان داراً، وكانت معه امرأته من النمر بن قاسط يقال لها (أم وهب) فرأى القوم بالنخيلة يعرضون ليسرحوا إلى الحسين عليه السلام . . . فدخل على امرأته فأخبرها بما سمع ورأى، وأعلمها بعزمه على اللحوق بالحسين. فقالت له: أصبت، أصاب الله بك أرشدَ أمورك، افعل وأخرجني معك. فخرج من الكوفة ليلاً - ومعه زوجته - حتى التحق بالحسين في كربلا قبل يوم عاشوراء بثلاثة أيام، فأقام معه حتى استشهد هو وزوجته بين يديه - عن تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٢٩ طبع دار المعارف بالقاهرة - باقتضاب.

فوثب حبيبُ وبريرُ، فلم يأذن لهما الحسين عليه السلام.

فقامَ عبدُ الله بن عُمير الكلبي من عُلَيم بن جناب الكلبي، وكنيته (أبو وهب) واستأذن الحسين في البراز، وكان طويلاً، شديدَ الساعدين، بعيدَ ما بين المنكبين، شَريفاً في قومه شجاعاً مجرّباً.

فنظَر إليه الحسين، وقال: «إني أحسبُه للأقران قتّالاً» فأذن له، فبرز عبد الله إليهما، فقالا له: مَن أنت؟ فانتسب لهما. فقالا: لا نعرفك، فليَخرجْ إلينا حبيبُ أو زُهير أو بُرير. - وكان يسار قريباً منه - فقال له عبدُ الله: أوَبك رغبةٌ في مبارزة أحد من الناس؟ ولا يخرج إليك أحدٌ إلاّ وهو خيرٌ منك.

ثم شدّ عليه عبد الله بسيفه، فقتَله. وبينما هو مشتغل به، إذ شدّ عليه سالمُ مولى ابن زياد، فصاح أصحابُه: قد رَهقك العبدُ، فلم يَعبأ به عبدُ الله، فضرَبه سالمُ بالسّيف؛ فاتّقاها عبد الله بيده اليسرى، فأطارت أصابعه، ومال عبد الله على سالم فقتَله[1].

ثم أقبل إلى الحسين عليه السلام - وقد قتلهما معاً - وهو يرتجز ويقول:

إن تنكروني فأنا ابنُ الكلبي   حسبيَ بيتي في عُليم حسبيْ
اني امرؤٌ ذو مِرّةٍ وعضْب   ولستُ بالخوّار عندَ النّكب
اني زعيمٌ لكِ أمَّ وهبِ   بالطّعن فيهم مقدِماً والضَّرب
ضربَ غلام مؤمنٍ بالربِّ

فأخذت امرأتُه أمُ وهب عموداً وأقبلت نحوه، وهي تقول: فداك أبي وأمي، قاتل دون الطيبين ذرية محمد صلى الله عليه وآله فأراد أن يردّها إلى النساء فلم تطاوعه، وأخذت تجاذبه ثوبه وتقول: لن أدعك دون أن أموت معك.

فناداها الحسين: «جُزيتُم من أهل بيت نبيّكم خيراً، إرجعي - رحمَكِ الله - فانه ليس على النساء قتال» فرجعتْ إلى النساء[2].

---

(١) مقتل الخوارزمي: ج٢ ص٩ طبع النجف، وإرشاد المفيد: ص٢٥٠ طبع إيران.

(٢) تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٣٠ طبع المعارف بالقاهرة. وكامل ابن الأثير: ج٣ ص٢٨٩ طبع بيروت، وأنساب الأشراف للبلاذري: ج٣ ص١٩٠ طبع بيروت، ونهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤٤٧ ط القاهرة.

عمرو بن الحجاج يحمل ويؤلب الناس

وحمل عمروُ بن الحجّاج الزَّبيدي - فيمن كان معه من أصحابه - على ميمنة أصحاب الحسين عليه السلام، فلمّا دنا منهم ثبتُوا له، وجَثوا على الرُّكب وأشرعوا الرماح، فلم تقدم الخيل، فلما ذهبت الخيل لترجع رشقهم أصحاب الحسين بالنبل، فصَرعوا منهم رجالاً وجَرحُوا منهم آخرين[1].

دكّوا رُباها ثم قالوا لها - وقد جَثوا - نحن مكان الرُّبى

ثم إن عمروَ بن الحجّاج حين دنا من أصحاب الحسين عليه السلام أخذ يقول:

يا أهل الكوفة، إلزموا طاعتكم وجماعتكم، ولا ترتابوا في قتل مَن مَرق عن الدين وخالف الإمام.

فقال له الحسين: وَيحك يا عمرو، أعليّ تُحرض الناس؟ أنحن مرقنا عن الدين وأنتم ثبتم عليه؟ أما والله لتعلَمنّ لو قُبضتْ أرواحكم ومُتّم على أعمالكم: أيّنا مَرق من الدين؟ ومَن هو أولى بصليّ النار؟[2].

١ - مصرع مسلم بن عوسجة[3]

ثم حمل عمروُ بنُ الحجّاج - مرةً أخرى - من نحو الفرات على أصحاب الحسين عليه السلام، وفيها قاتَل مسلمُ بن عوسَجةَ الأسدي، فبرز وهو يقول:

---

(١) تاريخ الطبري ج٥ ص٤٣٠، وكامل ابن الأثير ج٣ ص٢٨٩ طبع بيروت، وأنساب البلاذري: ج٣ ص١٩٠ طبع بيروت، ونهاية الارب للنويري - بالمصدر الآنف -.

(٢) تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٣٥ طبع دار المعارف بالقاهرة، والبداية والنهاية لابن كثير (ج٨ ص١٨٢).

(٣) مسلم بن عوسجة بن سعد بن ثعلبة... الأسدي السعدي. ذكرته عامة المصادر التاريخية بأنه قتيل من أنصار الحسين عليه السلام بعد الحملة الأولى. وربما قيل بان الحر بن يزيد الرياحي هو أسبق منه.
كان شريفاً في قومه صحابياً جليلاً ممن رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وروى عنه. وكان ممن كاتب الحسين عليه السلام من أهل الكوفة، ووفى له بذلك، فقد كان يأخذ البيعة له على يد =

إن تسألوا عني فاني ذو لَبَدْ من فَرع قومٍ في ذرى بني أَسَد
فمن بَغاني حائدٌ عن الرَّشَدْ وكافرٌ بدين جبّار صمَد(١)

فشدّ عليه مسلمُ بن عبد الله الضُبابي، وعبد الرحمان بن أبي خَشكارة البجلي، فاشتركا في قتله وثارتْ لشدة الجلاد غبرةٌ عظيمة، فاما نجلت إلاّ ومسلمُ بن عوسجةٍ صَريع.

فمشى إليه الحسين - ومعه حبيبُ بن مظاهر - فقال له الحسين:

رَحِمَك اللهُ يا مُسلم، وتلا قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 23].

وكان به رمقُ الحياة، فدنا منه حبيب، وقال: «عزّ عليّ مصرعُك يا مسلم أبشر بالجنّة».

فقال له مسلم بصوتٍ ضعيفٍ: «بشّرك اللهُ بخير».

فقال له حبيب: لولا أعلمُ أني في الأثر لاحقٌ بك، لأحببتُ أن تُوصيني بكلّ ما أهمّك.

قال مسلم: أوصيك بهذا - وأشار إلى الحسين - أن تَموت دونه.

قال حبيب: أفعل وربّ الكعبة ولأنعمنَّك عيناً.

فما كان بأسرعَ مِن أن فاضتْ نفسُه بينَهما.

وصاحت جاريةٌ له: وآمسلماه، يا ابن عوسجتآه، يا سيّدآه!!.

فتنادى أصحابُ عمرو بن الحجاج: قتلنا مسلمَ بنَ عوسجة.

= مسلم بن عقيل عليه السلام وعقد له مسلم بن عقيل على ربع مذحج وأسد لمحاربة ابن زياد، وبعد فشل الثورة وقتل مسلم وهاني اختفى مدة بين قومه، ثم خرج بأهله متخفياً إلى الحسين، فادركه - وهو في كربلاء - فاستشهد بين يديه.

ويبدو من خلال المصادر الباحثة عنه - أنه كان شيخاً كبير السن، ومن الشخصيات الأسدية البارزة في الكوفة.

(١) مناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص١٠٢ طبع قم، ومقتل الخوارزمي: ج٢ ص١٤ طبع النجف.

فقال شبثُ بن ربعي لمن حوله: ثكلتكم أمهاتكم، أيُقتل مثل مسلم وتَفرحون؟ لربَّ موقفٍ له كريم في المسلمين رأيتُه يومَ (آذربيجان) وقد قَتلِ ستةً من المشركين قبل أن تلتئم خيولُ المسلمين[١].

٢ - ٣ مصرع الكلبي وزوجته

قالوا: وحَمل الشمرُ في جماعةٍ من أصحابه على مَيسرة أصحاب الحسين عليه السلام فثبتُوا لهم وكشفُوهم.

وفيها قاتَل عبدُ الله بن عُمير الكلبي، فقَتل رجالاً، وصَرع آخرين، وقاتل قتالاً شديداً، فحَمل عليه هاني بن ثبيت الحضرمي فقطع يَده اليمنى، وقطع بُكيرُ بن حي التَّميمي ساقَه، فقتلاه[٢] وقيل: أُخِذَ أسيراً إلى ابن سعد فقتله صبراً.

فمشت إليه زوجتُه (أم وهب) وجلستْ عند رأسه تَمسح الدمَ والتُرابَ عنه، وتقول: «هنيئاً لك الجنّة، أسأل الله الذي رزَقك الجنّة أن يُصحبني معَك».

فقال الشمر لغلامه (رُستم): إضربْ رأسَها بالعمُود، فضرَب رأسها بالعمود فشدَخه، فماتت في مكانها[٣] وهي أول امرأةٍ قُتِلتْ من أصحاب الحسين.

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٣٦ طبع دار المعارف بالقاهرة، ومقتل الخوارزمي: ج٢ ص١٥-١٦ طبع النجف، وأنساب البلاذري: ج٣ ص١٩٣ طبع بيروت، ونهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤٤٨ ط القاهرة - باقتضاب -.

(٢) تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٣٦ طبع دار المعارف بالقاهرة. وفيه: «وكان القتيل الثاني من أصحاب الحسين» أي بعد مسلم بن عوسجة، فانه أول قتيل بعد الحملة الأولى - على الظاهر -.

(٣) نهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤٥٠ ط القاهرة، وتاريخ الطبري: ج٥ ص٤٣٨ طبع دار المعارف بالقاهرة، وكامل ابن الأثير: ج٣ ص٢٩١ طبع بيروت، وفي مقتل الخوارزمي: ج٢ ص١٣ طبع النجف يذكر: انها ماتتت عند ولدها (وهب) لا عند زوجها.

٤ - وهب الكلبي(١)

قال السيّد وغيره: وبرزَ وهبُ بن حباب الكلبي، فأحسن في الجِلاد، وبالغ في الجهاد، وكانت معه أُمه وزوجتُه.

فقالت له أُمه: قُمْ يا بُني وانصرْ ابنَ بنت رسول الله.

فقال: أَفعلْ - يا أمّاه - ولا أقصر إن شاء الله، ثم برز وهو يقول:

إن تُنكروني فأنا ابنُ الكَلبي سَوف تَروني وتَرونَ ضَربي
وحَملتي وصَولتي في الحَرب أدركُ ثاري بعدَ ثار صحْبي
ودفعُ الكربَ بيوم الكَرب فما جِلادي في الوغى باللعبِ

فلم يَزل يُقاتل حتى قَتل منهم جماعة، فرجَع إلى أمّه وامرأته، فوقف عليهما، فقال: يا أمّاه: أرضيتِ عني أم لا؟ فقالت أمه: ما رضيتُ حتى تُقتل بين يدي الحسين عليه السلام ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقالت امرأتُه: بالله عليك لا تُفجعني بنفسك.

(١) ذكره ابن شهر اشوب في (المناقب: ج٤ ص١٠١) طبع قم بعنوان (وهب بن عبد الله الكلبي) وذكر له الرجز المعروف لأبيه (ان تنكروني فأنا ابن الكلبي) وذكره الخوارزمي في (مقتله: ج٢ ص١٣) بعنوان (وهب بن عبد الله بن جناب الكلبي) ومثله في (بحار المجلسي: ج٤٥ ص١٦) طبع طهران الجديد. وكلاهما يذكران موتَ أمه أم وهب عنده، لا عند زوجها عبد الله.
وفي بعض المصادر - ومنها البحار ج٤٤ ص٣٢٠ طبع الجديد - أن اسمه (وهب بن وهب) ولعلّ الأصح: أنه وهب بن عبد الله بن حباب، والله العالم.
ويذكر الخوارزمي بمصدره الآنف: أن وهب - هذا - كان نصرانياً، فأسلم هو وأمه على يد الحسين عليه السلام وأنه قتل (٢٤ راجلاً و١٢ فارساً) ثم أخذ أسيراً إلى ابن سعد، فضرُبت عنقه، ورُمي برأسه إلى عسكر الحسين، فأخذت أمه الرأس فقبّلته، ثم شدّت بعمود الفسطاط فقتلت به رجلين، فقال لها الحسين: إرجعي أم وهب، فان الجهاد مرفوع عن النساء، فرجعت وهي تقول: إلهي لا تقطع رجائي. فقال لها الحسين: لا يقطع الله رجائك يا أمّ وهب أنت وولدك مع رسول الله وذريته في الجنة. والمرجّح عندنا ان وهب هذا هو ابن لأم وهب زوجة عبد الله المذكور آنفاً، برز قبل أبيه عبد الله، ولم تقتل عنده، وإنما قتلت عند زوجها بعد ذلك. والله العالم.

فقالت أمه: يا بُني أعزُب عن قولها وارجع فقاتل بين يديه ابن بنت رسول الله، تَنلْ شفاعة جدّه يومَ القيامة.

فتقدّم إلى الحرب وهو يقول:

إنــي زعــيــمٌ لــكِ أمَّ وهْــب   بـالـطّـعـن فـيـهـم تـارةً والـضـرَّب
ضــربَ غــلام مــوقــنٍ بــالــربّ   حـتـى يُـذيـق الـقـومَ مـرّ الـحـرب
إنــي امــروءٌ ذو مــرّةٍ وعــضْــب   حَسبي بنفسي من عُليمٍ حَسبي[1]

ولم يَزل يقاتل حتى قطعت يداه، فأخذت امرأته عموداً، فأقبلت نحوَه وهي تقول: فداكَ أبي وأمي، قاتلْ دونَ الطّيبين حَرم رسول الله، فأقبل كي يردّها إلى النساء، فأخذت بجانب ثوبه وقالت: لن أعود دون أن أموت معك؟.

فقال الحسين: جُزيتُم من أهل بيت خيراً، إرجعي إلى النساء رَحِمك الله، فانصرفت إليهنّ. ولم يَزل الكلبي يقاتل حتى قُتِلَ رضوانُ الله عليه[2].

٥ - أبو الشعثاء الكندي[3]

وكان يزيدُ بن زياد بن مهاصر أبو الشعثاء الكندي رامياً مهدّفاً، فجثا على

---

(١) مناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص١٠١ طبع قم، ومقتل الخوارزمي: ج٢ ص١٢-١٣ طبع النجف ويرى الخورازمي - بروايته المختارة - أن أم وهب قتلت عند ولدها، لا عند زوجها. وذلك خلاف ما رأيناه - آنفاً - والله العالم. ثم أنه لا منافاة في اتحاد بعض أبيات أو اشطر رجزي الأب والابن، فلعل ذلك من التضمين والانشاد أو توارد الخاطر.

(٢) لهوف ابن طاووس: ص٤٤ و٤٥ طبع النجف.

(٣) ورد اسمه في (الزيارة) كما في البحار ج٤٥ ص٧٢ طبع طهران الجديد باسم يزيد بن زياد بن مهاصر، كما أورده الخوارزمي في (مقتله: ج٢ ص٢٥) طبع النجف مع الكناية، كما ذكره ابن شهر اشوب في المناقب: (ج٤ ص١١٣) بنسبة (الجعفي). وقال الطبري في (تاريخه: ج٥ ص٤٤٥) طبع دار المعارف بالقاهرة: «وكان يزيد بن زياد بن المهاصر ممن خرج مع عمر بن سعد إلى الحسين، فلما ردوا الشروط على الحسين مال إليه فقاتل معه حتى قتل».
ومثل ذلك في (أنساب البلاذري: ج٣ ص١٩٨) طبع بيروت. ولكن النويري في (نهايته: ج٢٠ ص٤٥٥) يذكره إنه يزيد بن أبي زياد الكندي.

ركبتيه بين يدي الحسين عليه السلام - بعدما عُقِرتْ فرسه - فرمى بمأة سهم ما سقط منها خمسة أسهم، وكان كلّما رمى يقول:

أنا ابنُ يُهدلهْ فِرسانُ العجلهْ

والحسين عليه السلام يدعو له، ويقول: «اللهم سَدِّد رميتَه واجعَل ثوابَه الجنّة».

فلما نَفذتْ سهامُه قام وهو يقول: «لقد تبيّن لي أني قتلتُ منهم خمسةً»[1] ثم حمل على القوم بسيفه وهو يقول:

أنا يزيدٌ وأبي مهاصرْ كأنني ليث بغيل خادرْ
يا ربّ إني للحسين ناصرْ ولابن سعدٍ تارك وهاجرْ

فلم يَزل يقاتل حتى قتل منهم تسعة نفر، ثم قُتِلَ رضوانُ الله عليه[2].

الشمر يدعو بالنار ليحرق فسطاط الحسين

قالوا: وحمَل الشمرُ على فسطاط الحسين بالرمح، وقال: عليّ بالنار لأحرقَه على أهله.

فتصايحت النساء، وخَرجنَ من الفسطاط، وناداه الحسين: «يا بن ذي الجوشن، أنتَ تدعو بالنار لتُحرق بيتي على أهلي أحرقك الله بالنار».

فأَقبل حميدُ بن مسلم إلى الشمر، وقال له: سبحانَ الله: يكفيك في إرضاء الأمير قَتل الرجال، ولا يَصلح لك أن تجمع إلى ذلك: الإحراق بالنار وقَتل العيال والأطفال.

ثم جاءَ إليه شَبثُ بن ربعي، وقال له: أمرعباً للنساء صرتَ؟ ما رأيت مقالاً أسوأ مِن مقالتك، ولا موقفاً أقبحَ من مَوقفك.

فاستحى الشمرُ وهمّ بالإنصراف، وحَمل عليه وعلى جماعته زُهير بن القين

(١) تاريخ الطبري - الآنف الذكر - وفيه يقول «وكان في أول مَن قتل».
(٢) المصادر الآنفة الذكر، وأمالي الصدوق: مجلس ٣، وإبصار العين للسماوي.

في عشرةٍ من أصحابه، فكشفوهم عن الخيام، وقُتل رجلٌ من أصحاب الشمر يكنى (أبا عُزرة الضَّبابي).

فلما رأى ذلك عسكرُ بن سعد حَملوا عليهم، واشتدّ القتال وقُتِلَ من أصحاب الحسين جمعٌ، وكانوا إذا قتل منهم الرجل والرجلان يَبين النقص فيهم لقلتهم. ويُقتل من أصحاب ابن سعد العشرة والأكثر، فلا يَظهر عليهم لكثرتهم[1].

عمرو بن الحجاج يحرض الناس على القتال

وأخذ اصحابُ الحسين - بعدَ أن بان النقصُ فيهم - يَستأذن الرجل بعد الرجل من الحسين، ويَبرز للقتال، فأكثروا القتل في أهل الكوفة، فعند ذلك صاح عَمرو بن الحجّاج بأصحابه:

ويحكم - يا حُمقاء - أتدرونَ مَن تقاتلون؟ تُقاتلونَ فرسانَ المصر، وأهلَ البصائر، وقوماً مستيمتين، لا يبرز إليهم أحدٌ منكم إلا قتلوه - على قلّتهم - والله لو لم تَرموهم إلا بالحجارة لقَتلتموهم.

فقال ابن سعد: صدقتَ، الرأي ما رأيتَ، أرسِل في الناس مَن يعزم عليهم أن لا يُبارزهم رجلٌ منهم، ولو خرجتُم إليهم وِحداناً لأتوا عليكم مبارزةً[2].

الزوال

قالوا: واشتدّ القتال بين الفريقين حتى الزّوال، والتفَت (أبو ثمامة

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٣٣٨-٣٣٩ طبع دار المعارف بالقاهرة، والكامل لابن الأثير: ج٣ ص٢٩١ طبع بيروت. ومقتل الخوارزمي: ج٢ ص١٦ طبع النجف، وإرشاد المفيد: ص٢٥٢ طبع إيران، ونهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤٥٠ ط القاهرة.

(٢) تاريخ الطبري: ج٥ ص٢٣٥ طبع دار المعارف، ومقتل الخوارزمي: ج٢ ص١٥ طبع النجف. وذكره البلاذري في (أنسابه: ج٣ ص١٩٢) طبع بيروت - باقتضاب -.

الصائدي)- رضي الله عنه -[1] إلى الشمس قد زالتْ، فقال للحسين عليه السلام: نفسي لك الفداء، إني أرى هؤلاء قد اقتربوا منك، لا والله لا تقتل حتى أقتل دونك إن شاء الله، وأخضب بدمي، وأحبّ أن ألقي ربي وقد صلّيتُ معك هذه الصلاة التي دنا وقتُها.

فرفع الحسينُ رأسَه إلى السماء، وقال: ذكرتَ الصلاة، جَعلك الله من المصلّين الذاكرين، نَعم هذا أول وقتها، سَلوا القومَ أن يكفّوا عنّا حتى نصلّي؟

ففعلوا، فقال الحُصَين بن نمير: إنها لا تُقبل.

فقال له حبيبُ بنُ مظاهر: زعمتَ أنها لا تُقبلُ من آل رسول الله وتقبلُ منك يا حمار؟.

فحَمل عليه الحصينُ، فضربَ حبيبُ وجهَ فرسه بالسيّف فشبّ به الفرس، ووقع عنه، وحمله أصحابُه واستَنقذوه[2].

---

(١) عمرو بن عبد الله بن كعب... أبو ثمامة الهمداني الصائدي. كان تابعياً من فرسان العرب ووجوه الشيعة في الكوفة، ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام الذين شهدوا معه جميع حروبه ومشاهده، ثم صحب الحسن بن علي عليه السلام وبقي في الكوفة، وكاتب الحسين عليه السلام بالمجيء إلى العراق بعد وفاة معاوية. وكان هو الذي يقبض الأموال - أيام مسلم بن عقيل في الكوفة - ويشتري العتاد والسلاح. وعقد له مسلم على ربع تميم وهمدان لمواجهة عبيد الله بن زياد، ولما تفرق الناس وتخاذلوا عن مسلم، اختفى أبو ثمامة، فاشتدّ طلب ابن زياد له بعد مقتل مسلم وهانئ. فخرج هو ونافع بن هلال الجملي متخفين إلى الحسين لما بلغهم خروجه من مكة إلى العراق. فلقياه في الطريق، وبقيا معه إلى أن استشهدوا بين يديه في كربلاء.
له ذكر في (زيارة الناحية) كما في (البحار: ج٥ ص٧٣) طبع طهران الجديد، كما أن له ذكرا في (الزيارة الرجبية) وفي تاريخ الطبري، ومقتل الخوارزمي ومناقب ابن شهرآشوب، وفي عامة كتب الرجال والسير والمقاتل.

(٢) تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٣٩ طبع دار المعارف، وكامل ابن الأثير: ج٣ ص٢٩١ طبع بيروت، ومقتل الخوارزمي: ج٢ ص١٧ طبع النجف.

٦ - مصرع حبيب

وأخذ حبيبُ بن مظاهر الأسدي يقاتل قتالَ الابطال، فقتَل - على كِبرَه - اثنَين وستينَ رجلاً - كما نُقل عن محمّد بن أبي طالب -[1] وهو يرتجز ويقول:

أنا حبيبٌ وأبي مظاهرُ فارسُ هيجاءَ وحربٍ تسعرُ
أنتُم أعدّ عُدةً وأكثرُ ونحنُ أوفى منكمُ وأصبَرُ
ونحنُ أعلى حُجةً وأظهرُ حقاً وأنقى منكمُ وأعذَرُ

وبينما حبيبُ يقاتل إذ حَمل عليه رجلٌ من بني تميم يقال له: (بَديلْ بن صَريم) من بني عقفان، فضَربه حبيبُ بالسّيف على رأسه فقَتله، وحمَل على حبيب رجلٌ آخر من بني تميم، فطعَنه بالرمح، فسقَط حبيبُ لوجهه، فذهب ليقوم، إذ ضرَبه الحصَينُ بنُ نَمير على رأسه بالسّيف، فوقَع على الارض يخور بدمه، فنزَل التميمي الذي طعَنه بالرمح، فاحتزّ رأسَه.

وتنازع التميميّ والحُصَين في رأس حبيب، ثم غَلب عليه الحُصَين، فأخذه وعلّقه قي عنُق فرسه، وجالَ به في العسكر ليَراه الناس ويَعلموا أنه شريكٌ في قتله، ثم دفع الرأسَ إلى التَميمي فأخذه التميمي، ورجع إلى الكوفة، وقد علّقه في لُبان فَرسه[2].

---

(١) مناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص١٠٣ طبع قم.

(٢) تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٣٩ طبع دار المعارف بمصر، وكامل ابن الأثير ج٣ ص٢٩١ طبع بيروت، ونهاية الارب للنويري ج٢٠ ص٤٥١ ط القاهرة، ومقتل الخوارزمي: ج٢ ص١٨ طبع النجف، وأنساب البلاذري: ج٣ ص١٩٥ طبع بيروت. ويستمر الطبري ومثله ابن الأثير في (تاريخهما، بعد ذلك) بقولهما: «ثم أقبل به إلى ابن زياد في القصر، فبصر به ابنُه القاسم بن حبيب، وهو - يومئذٍ - قد راهق. فأقبل مع الفارس لا يفارقه... فارتاب به، فقال: مالك يا بني تتبعني؟ قال لا شيء، قال: بلى يا بُني أخبرني؟ قال له: ان هذا الرأس الذي معك رأس أبي، أفتعطينيه حتى أدفنه؟ قال: يا بُني لا يرضى الأمير أن يدفن، وأنا أريد أن يثيبني على قتله ثواباً حسناً. قال له الغلام: لكن الله لا يثيبك على ذلك الا أسوأ الثواب.. فمكث الغلام حتى إذا أدرك لم تكن له همة الا اتباع أثر قاتل أبيه، فلما كان زمان مصعب بن الزبير، وغزا مصعب (باجميرا) دخل =

قالوا: ولما قُتِل حبيبُ بنُ مظاهر هدّ مقتلُه الحسين عليه السلام واسترجَع كثيراً، وقال: عندَ الله أحتسبُ نفسي وحُماةَ أصحابي[١].

ثم قال: لله درّك يا حبيب، لقد كنتَ فاضلاً تختم القرآن في ليلة واحدة.

٧ - مصرع الحر الرياحي

وخَرج من بعده: الحرُّ بن يزيد الرياحي، ومعه زُهيرُ بن القين يحمي ظَهرَه، فكان إذا شدّ أحدُهما استلحم شدّ الآخر واستنقَذه، ففعلا كذلك ساعةً والحرُّ يَرتجز ويقول:

آلــيــتُ لا أقــتَــلُ حــتــى أقــتَــلا ولــن أصــابَ الــيــومَ إلا مُــقــبِــلا
أضربُهُم بالسّيف ضرباً مُفصِلا لا ناكلاً عنهمْ ولا مُهلّلا[٢]

فبينما هما يقاتلان، وان فرسَ الحرّ لمضروبٌ على أذنيه وحاجبيه والدماء تَسيل منه، إذ التفت الحُصَينُ بن نمير إلى يزيد بن سفيان التميمي وكان التميمي هذا يتهدّد الحر بالقتل حين خروجه إلى جهة الحسين عليه السلام فقال له: يا يزيد، هذا الحر الذي كنت تتمنّى قَتله، فَهلْ لك به؟.

قال: نَعم، وخرَج عليه يطلب المبارزة، فما أسرعَ مِن أن قَتله الحرّ، ثم رمى لعينٌ من القوم فرسَ الحر بسهم فعقَره، فشبُ به الفرس، فوثب الحرّ مِن على ظهره كأنه ليث وبيده السيف، فَجعل يقاتل راجلاً، وهو يقول:

إن تَعقِروا بي فأنا ابنُ الحر أشجع من ذي لَبدةٍ هِزَبر

= عسكر مصعب، فإذا قاتل أبيه في فسطاطه، فأقبل يختلف في طلبه والتماس غرته، فدخل عليه، وهو قائلٌ نصف النهار، فضربه بسيفه حتى بَرد». هكذا ذكر الطبري، وذكر مثله ابن الأثير في (تاريخه: ج٣ ص٢٩١) طبع بيروت. وقريب منه ما في (مقتل الخوارزمي: ج٢ ص١٩) طبع النجف، وغيرهم.

(١) تاريخ الطبري وابن الأثير - بالمصدرين الآنفي الذكر - ومثلهما نهاية النويري - الآنف الذكر -.

(٢) هكذا في تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٤١ طبع دار المعارف بالقاهرة.

ولستُ بالخوّار عند الكرّ لكنني الثابتُ عن الفرّ[١]

وجعَل يُقاتل حتى قَتل نيفاً وأربعين رجلاً - كما عن ابن شهر اشوب[٢]. ثم لم يزل يقاتل راجلاً، وهو يرتجز ويقول:

اني أنا الحرّ ومأوى الضَيف أضربُ في أعناقكم بالسّيف
عن خير مَن حلّ بوادي الخَيف أضربُكم ولا أرى من حَيف[٣]

ثم شدّتْ عليه رَجّالة فصَرعتهُ[٤] فاحتمله أصحاب الحسين عليه السلام من الميدان حتى وضعوه بين يديه أمامَ الفسطاط الذي يقاتلون دونه[٥] وكان به رمقٌ، فجعل الحسين عليه السلام يمسح الدم والتراب عن وجهه، وهو يقول: «أنت الحر كما سمّتك أمك أنتَ الحرّ في الدنيا وأنت الحرّ في الآخرة»[٦].

ثم رثاه بعضُ أصحاب الحسين - وقيل: بل رثاه علي بن الحسين عليه السلام - بقوله:

لَنِعمَ الحرّ حرّ بن رياح صبورٌ عند مشتَبك الرماح
ونعمَ الحرّ إذ نادى حسينٌ فجادَ بنفسه عند الصباح[٧]

ويقال: إنها من إنشاء الحسين عليه السلام[٨].

---

(١) مقتل الخوارزمي: ج٢ ص١١ طبع النجف.

(٢) في مناقبه: ج٤ ص١٠٠ طبع قم، وفي مقتل الخوارزمي - المصدر الآنف (أربعين فارساً وراجلاً).

(٣) مناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص١٠٠ طبع قم، وأنساب البلاذري: ج٣ ص١٩٥ طبع بيروت بتقديم وتأخير في الرجز.

(٤) تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٤١ طبع دار المعارف بالقاهرة، والكامل لابن الأثير: ج٣ ص٢٩٢، طبع بيروت.

(٥) والملاحظ أن بني تميم - وهم عشيرة الحر وكان الكثير منهم مع ابن سعد - حملوا جسد الحر بعد ذلك من هذا المكان، ودفنوه حيث مرقده المشهور - اليوم - خارج الطف.

(٦) مقتل الخوارزمي: ج٢ ص١١ طبع النجف، وبحار المجلسي: ج٤٥ ص١٤ طبع طهران الجديد.

(٧) المصدرين الآنفي الذكر: من مقتل الخوارزمي، وبحار المجلسي. ومقتل العوالم: ص٨٨.

(٨) كما في أمالي الصدوق مجلس ١٠، وروضة الواعظين للفتال: ص١٨٦.

الصلاة

قالوا: ثم ان الحسين عليه السلام قال لزهير بن القين وسعيد بن عبد الله: «تَقدّما أمامي حتى أصلي الظهر».

فتقدّما أمامَه في نحوٍ مِن نصفِ أصحابه حتى صلّى بهم صلاةَ الخوف»[١].

٨ - مصرع سعيد الحنفي[٢]

ورُوي: أن سعيدَ بن عبد الله الحنفي تقدّم أمامَ الحسين عليه السلام وقد أخذوا يَرمونَه بالنبل، فكلّما جاءَت السهام نحوَ الحسين يميناً وشمالاً قام بين يديه، فما زال يتلقى النَّبل بنحره وصدره حتى أُثخِنَ بالجراح وسقَط إلى الأرض، وهو يقول: «اللهمّ ٱلعنهمْ لعنَ عادٍ وثمود، اللهم أبلغ نبيّك عني السلام، وأَبلغهُ ما لقيتُ من الجراح فاني أردتُ بذلك ثوابَك في نُصرة ذريّة نبيّك محمّد صلى الله عليه وآله[٣].

ثم التفَت إلى الحسين قائلاً: أوَفيتُ يا ابنَ رسولُ الله؟

قال الحسين: نَعم أنتَ أمامي في الجنّة[٤].

---

(١) مقتل الخوارزمي: ج٢ ص١٧ طبع النجف. ولهوف ابن طاووس: ص٤٣ طبع النجف، ونهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤٥١ ط القاهرة.

(٢) الحنفي بن حنيفة بن لحيم من بكر بن وائل، كان من وجوه الشيعة بالكوفة وذوي السيادة والعبادة فيهم، ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام الذين حضروا حروبه الثلاثة. وكان من المعارضين لبيعة الحسن عليه السلام وتنازله لمعاوية - في بداية الأمر - وكان من رسل الشيعة في الكوفة وحاملي كتبهم إلى الحسين عليه السلام، وممّن يعتمد عليه الحسين عليه السلام في إرجاع جوابات كتب أهل الكوفة، وممن أرسله الحسين إلى الكوفة قبل مسلم بن عقيل لتهيئة الجو وتوطيد الأمور. وبعثه مسلم بن عقيل بكتاب إلى الحسين عليه السلام فبقي مع الحسين إلى أن استشهد بين يديه في موقف الصلاة. والدفاع عن بيضة الإسلام.

(٣) لهوف ابن طاووس ص٤٧ طبع النجف. ومقتل العوالم للبحراني: ص٨٨.

(٤) ذخيرة الدارين للحائري: ص١٧٨.

ثم قضى نحبَه رضي الله عنه فوُجد به ثلاثة عشر سهماً، سوى ما به من ضَرب السيُوف وطَعن الرماح[١].

الحسين يستحث بقية أصحابه إلى الشهادة

ولما فرغ الحسين عليه السلام - من الصَّلاة قال لبقية أصحابه:

«يا كِرام، هذه الجنّة فُتِحتْ أبوابُها واتصّلتْ أنهارُها وأينعتْ ثِمارُها، وهذا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم والشهداءُ الّذين قُتِلوا في سبيل الله يتوقّعون قدومَكم، ويتباشَرون بكم، فحامُوا عن دين الله ودين نبيّه، وذبّوا عن حرَم الرسول»[٢].

بنات الرسالة يستثرن حفائظ الأصحاب

وخَرجن حرائرُ الرسالة وبناتُ الزهراء من الخيمة، وصِحْنَ: يا مَعشرَ المسلمين، ويا عُصْبَةَ المؤمنين: إدفعُوا عن حرَم الرسُول وعن إمامكم المنافقين لتكونوا معنا في جوار جدّنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فعند ذلك بكى أصحابُ الحسين، وقالوا: نفوسُنا دونَ أنفسِكم ودماؤنا دونَ دمائكم. وأرواحُنا لكم الفداء، فوالله لا يصل إليكم أحدٌ بمكروه وفينا عِرقٌ يضرب[٣].

---

(١) مقتل الخوارزمي: ج٢ ص١٧ طبع النجف، وبحار المجلسي: ج٤٥ ص٢١ طبع طهران الجديد. ويذكر له ابن شهر اشوب في (المناقب ج٤ ص١٠٣) طبع قم هذا الرجز - بعد أن يعتبره من المبارزين:

أقدم حسين اليوم تلقى أحمدا
وشيخك الخير علياً ذا الندى
وحسناً كالبدر وافى الأسعدا

(٢) ينابيع المودة للقندوزي: باب٦١.

(٣) أسرار الشهادة للدربندي: ص١٧٥.

ووَثبُوا على خيُولهم فعقرُوها، ولم يَبقَ مع الحسين فارسٌ إلاّ الضحّاك بن عبد الله المشرقي، واقتتلوا أشدَّ القتال.

٩ - مصرع أبي ثمامة

وخرَج أبو ثمامة الصادئي، فوقَف قِبالةَ الحسين عليه السلام وقال: يا أبا عبد الله، إني قد همَمتُ أن ألحق بأصحابي، وكرهت أن أتخلّف وأراكَ وحيداً منْ أهلك قتيلاً.

فقال له الحسين عليه السلام: تَقدّم فإنّا لاحقونَ بك عن ساعة.

فتقدّم أمامَ الحسين، فقاتلَ حتى أثخِنَ بالجراح(١) وكان مع عمر بن سعد ابنُ عم له يقال له (قيسُ بنُ عبد الله) وبينهما عداوة سابقة، فشدّ اللعين على أبي ثمامة، فقتله، وكان ذلك بعد قتل الحرّ(٢).

بقية الأصحاب يتهافتون على الموت

وَجَعل أصحابُ الحسين عليه السلام يسارعُون إلى القتل بين يديه كأنّما قيل فيهم:

قومٌ إذا نُودوا لدفع مُلمّة والخَيلُ بين مُدعّسٍ ومُكردَسِ
لبسُوا القلوبَ على الدروع كأنهم يَتهافتُون على ذَهابِ الأنفس(٣)

وكان كلُّ مَن أراد القِتال يأتي إلى الحسين فيودّعه، ويقول: السلامُ عليكَ يا ابنَ رسول الله، فيجيبهُ الحسين: وعليك السلام ونحن خلفَك، ويَقرأ: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 23] (٤).

---

(١) ويذكر له ابن شهر اشوب في (المناقب: ج٤ ص١٠٣) طبع قم: الأبيات التالية:
غزاءً لآل المصطفى وبناته على حبس خير الناس سبط محمد
غزاءً لزهراء النبي وزوجها خزانة علم الله من بعد أحمد

(٢) إبصار العين للسماوي في ترجمة (أبو ثمامة).

(٣) لهوف ابن طاووس: ص٤٧ طبع النجف.

(٤) مقتل الخوارزمي: ج٢ ص٢٥ طبع النجف.

بنفسي كراماً سخَتْ بالنفوس، بيوم سَمتْ فيه أمثالَها
وخفّوا سراعاً لنَصر الحسين، وقد أبدت الحربُ أثقالَها
إلى أن أبيدوا بسيف العِدى ونال السّعادةَ مَن نالَها

١٠ - شوذب مولى شاكر[1]

وأقبل عابسُ بن شبيب الشاكري على (شوذب) مولى شاكر فقال له: يا شوَذب، ما في نفسك أن تَصنع؟.

قال شوَذب: أقاتل معك دون ابن بنت رسول الله حتى أقتل، فجزّاه عابسُ خيراً، وقال له: ذلك الظنّ بك، تقدّم بين يدي أبي عبد الله حتى يحتَسبك كما احتسبَ غَيرك من أصحابه، وحتى أحتسبَك أنا، فان هذا يوم نطلب فيه الأجر بكل ما نقدر عليه، فانه لا عمَل بعد اليوم وإنّما هو الحساب.

فتقدّم شوذَب إلى الحسين عليه السلام وسلّم عليه، وقاتل بين يديه حتى قُتِل[2].

١١ - عابس بن شبيب الشاكري[3]

ووقَف عابسُ - بعد ذلك - أمامَ الحسين عليه السلام وقال: «يا أبا عبدَ الله، والله ما أمسى على ظَهر الأرض قريبٌ ولا بَعيدٌ أعزّ عليّ ولا أحبّ إليّ منك، ولو

(١) شوذب بن عبد الله الهمداني الشاكري مولى شاكر أي حليفهم.
قال المامقاني في (رجاله): «كان من رجال الشيعة ووجوهها ومن الفرسان المعدودين، وكان حافظاً للحديث، حاملاً عن أمير المؤمنين عليه السلام. وكان يجلس للشيعة فيأتون داره للحديث». وقال أبو مخنف: «صحب شوذب عابساً مولاه من الكوفة إلى مكة بعد قدوم مسلم بن عقيل الكوفة بكتاب لمسلم ووفادته على الحسين عليه السلام عن أهل الكوفة، وبقي معه حتى جاء إلى كربلاء...»-.

(٢) مقتل الخوارزمي: ج٢ ص٢٣ طبع النجف، وتاريخ الطبري: ج٥ ص٤٤٤ طبع دار المعارف بمصر.

(٣) هو عابس بن أبي شبيب بن شاكر بن ربيعة بن مالك... الهمداني الشاكري. وبنو شاكر بطن همدان من القحطانية.

قدرتُ على أن أدفعَ عنك الضَّيَم والقتَل بشيء أعزّ عليّ من نَفسي ودمي لفَعلتُ. السلامُ عليك يا أبا عبد الله، أشهد الله أني على هُداك وهُدى أبيك».

ثم مشى نَحوَ القوم مصْلِتاً سيفَه، وبه ضربةٌ على جَبينه، فأخذ ينادي: ألا رَجلٌ، لِرَجل؟.

فأَحجَموا عنه، وأخذ مناديهم ينادي في الصّفوف:

أيّها الناس، هذا الأسدُ الأسود، هذا أشجعُ الناس، هذا ابنُ أبي شَبيب، لا يَخرجنّ إليه أحدٌ منكم.

فصاح عمرُ بن سعد بالناس: إرضخوه بالحَجارة؟

فرُمي بالحجارة من كل جانب.

فلما رأى ذلك ألقى دِرعَه، ومِغفَره، ثم شدّ على الناس، فهزمهم بين يديه.

قال الراوي: فوالله رأيتُه يطرد أكثَر من مائتين من الناس. ثم إنهم تعطّفوا عليه من كل جانب، فقُتِلَ رضوان الله عليه، فاحتزّوا رأسَه، وتنازع عدةٌ من الرجال في رأسه، كلٌ يقول: أنا قتلتُه. فقال ابنُ سعد: لا تختصمُوا، هذا - والله - لم يقتله إنسان واحد، ففرّق بينَهم بهذا القول[1].

قال المامقاني في (رجاله): «. . . وكان عابس الشاكري من رجال الشيعة رئيساً شجاعاً خطيباً ناسكاً متهجداً. وكانت بنو شاكر من المخلصين بولاء أهل البيت عليهم السلام خصوصاً أمير المؤمنين عليه السلام، وفيهم يقول عليه السلام - يوم صفين على ما ذكره نصر بن مزاحم المنقري في كتابه -: «لو تمت عدتهم ألفاً لعبد الله حق عبادته»، كانوا من شجعان العرب وحماتهم وكانوا يلقبون (فتيان الصباح).

أرسله مسلم بن عقيل إلى الحسين عليه السلام بالرسالة التي أخبره فيها ببيعة أهل الكوفة، فظلّ ملازماً للحسين عليه السلام إلى أن قتل بين يديه. ذكره الطبري في (تاريخه: ج٥ ص٤٤٤) والشيخ الطوسي في (رجاله: ص٧٨) والخوارزمي في (مقتله: ج٢ ص٢٢)، وله ذكر في (الزيارة) كما في البحار: ج٤٥ ص٧٣ طبع طهران الجديد. كما ذكر في (الرجبية) باسم (ابن شبيب) ولعل الصحيح: انه ابن أبي شبيب، كما عليه جملة من المؤرخين كالنويري في (نهاية الارب: ج٢٠ ص٤٥٤) طبع القاهرة.

(١) تاريخ الطبري: ج٦ ص٤٤٤ طبع دار المعارف بالقاهرة، ومقتل الخوارزمي: ج٢ ص٢٣ طبع النجف، ونهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤٥٥.

١٢ - زهير بن القين

وخَرج زهيرُ بن القَين البَجلَي إلى الحرب وهو يقول:

أنــا زُهــيــرُ وأنــا ابــنُ الــقَــيــنِ أذودُكم بـالـسَّـيـف عـن حُـسـيـن[(١)]

فقَتل مئةً وعشرينَ رجلاً - على ما نُقل عن محمّد بن أبي طالب -[(٢)] ثم عطَف عليه كُثيرُ بن عبد الله الشّعبي والمهاجرُ بنُ أوس التَّميمي فقتلاه[(٣)] فوقَف عليه الحسين عليه السلام وقال:

«لا يُبعدنّك الله يا زُهير، ولعَن قاتِلَك لَعْنَ الذينَ مُسِخُوا قِرَدةً وخَنازير»[(٤)].

١٣ - عمرو بن قرظة الأنصاري[(٥)]

وجاءَ عَمرو بن قُرظةَ الأنصاري، وَوقَف أمامَ الحسين عليه السلام يَقيه من العدوّ

---

(١) وفي مقتل الخوارزمي إضافة لهذا البيت بيتين آخرين هما:

إن حــســيــنــاً أحــد الــســبــطــيــن مــن عــتــرة الــبــرّ الــتــقــي الــزيــن
ذاك رســول الله غــيــر الــمــيــن أضــربــكــم ولا أرى مــن شَــيــن

ويذكر القندوزي في (ينابيعه باب٦١) له رجزاً آخر وهو يستأذن الحسين عليه السلام فيقول:

أقـدم حـسـيـنُ الـيـومَ تـلـقـى أحـمـدا ثـم أبـاك الـطـاهـر الـمـؤيـدا
والـحـسـن الـمـسـمـوم ذاك الأمـجـدا وذا الـجـنـاحـيـن حـلـيـفَ الـشـهـدا
وحـمـزةَ الـلـيـث الـهـمـامَ الأسـعـدا فـي جـنـة الـفـردوس عـاش أسـعـدا

(٢) مناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص١٠٤ طبع قم.

(٣) تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٤١ طبع دار المعارف بالقاهرة، والكامل لابن الأثير: ج٣ ص٢٩٢ طبع بيروت، ومناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص١٠٤، ونهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤٥٢ ط القاهرة.

(٤) مقتل الخوارزمي ج٢ ص٢٠ طبع النجف.

(٥) عمرو بن قرظة بن كعب بن عمرو... بن الخزرج الأنصاري الكوفي. ورد عمرو إلى كربلاء، أيام المهادنة، فالتحق بركاب الشهادة مع الحسين عليه السلام.

وَيتلقّى السهامَ بصدره ووجهه، فلم يصِلْ إلى الحسين سوء[١] فلما كثرتْ فيه الجِراح التفت إلى الحسين عليه السلام وقال له: «أوَفيتُ يا ابنَ رسول الله»؟ قال الحسين: نَعم أنت أمامي في الجنّة، فاقرأ رسولَ الله عني السلام، وأعلمه أني في الأثر. فقاتَل حتى قُتِلَ - رضوان الله عليه -[٢].

١٤ - نافع بن هلال الجملي[٣]

ورمى نافعُ بن هلال الجمَلي بِنبالٍ مسمُومةٍ قد كتب اسمَه عليها فجَعل يرمي بها مسوّمةً وهو يقول:

وكان موضع ثقة الحسين عليه السلام في مراسلاته مع عمر بن سعد للمفاوضة. ذكره الطبري في تاريخه، وابن شهر اشوب في مناقبه، والخوارزمي في مقتله، والمجلسي في بحاره، وورد ذكره في (الزيارة والرجبية).

(١) يذكر له الخوارزمي في (مقتله: ج٢ ص٢٢) طبع النجف وابن شهر اشوب في مناقبه: ج٤ ص١٥ طبع قم، مبارزةً ورجزاً هكذا:

قد علمتْ كتيبةُ الأنصار ... أني ساحمي حوزةَ الذمار
ضرب غلام غير نكسٍ شارِ ... دونَ حسين مهجتي وداري

(٢) اللهوف لابن طاووس: ص٤٥ طبع النجف: وفي كامل ابن الأثير: ج٣ ص٢٩٠ طبع بيروت: «وكان أخوه - أي علي بن قرظة - مع عمر بن سعد، فنادى: يا حسين... أضللتَ أخي وغررته حتى قتلته؟ فقال الحسين: ان الله لم يضل أخاك بل هداه وأضلّك. قال: قتلني الله ان لم أقتلك أو أموت دونك، فحمل واعترضه نافع بن هلال فطعنه فصرعه، فحمل أصحابه فاستنقذوه، فبرأ». وكذلك يذكر البلاذري في أنسابه: (ج٣ ص١٩٢) طبع بيروت، الا أنه يسمي أخاً عمرو (الزبير):

(٣) هو نافع بن هلال بن نافع بن جمل بن سعد العشيرة بن مذحج. كان سيداً في قومه شريفاً سرياً شجاعاً مطرقاً. وكان قارئاً كاتباً ومن جملة الحديث، ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وحضر حروبه الثلاثة في العراق، خرج إلى الحسين قبل مقتل مسلم بن عقيل، فلقيه في الطريق واصطحبه إلى النهاية، وله مواقف معروفة يوم عاشوراء تدل على شدة تمسكه بمبدئه وولائه. ذكرته عامة المصادر التاريخية بالتمجيد والإطراء، كالطبري في تاريخه، والشيخ في رجاله وابن شهر اشوب في مناقبه، وله ذكر في الزيارتين الناحية والرجبية.

أرمي بها معلمةً أفواقُها والنفس لا يَنفعُها إشفاقُها[١]
مسمومةً يجري بها إخفاقها ليملأن أرضَها رِشاقُها

فقَتل اثني عشر رجلاً سوى المجروحين[٢]. ولما نَفذتْ سهامُه جرّد سيفَه، فحمل على القوم وهو يرتجز ويقول:

أنا الغلامُ اليَمنيّ الجَمَلي ديني على دين حسين وعلي
إن أقتَل اليومَ فهذا أمَلي وذاك رأيي وألاقي عَمَلي[٣]

فأَحاطُوا به يَرمونه بالحِجارة والنِّصال حتى كسروا عضُديه وأَخذوُه أسيراً. فأمسكه الشِّمرُ ومعه أصحابُه يَسوقونَه إلى عمر بن سعد.

فقال له ابن سعد: ويَحك يا نافع، ما حمَلك على ما صنعتَ بنفسك؟.

قال نافع: إنّ ربي يَعلم ما أردتُ.

فقال له رجل - وقد نظر إلى الدماء تسيل على وجهه ولحيته -: أما ترى ما بك؟.

قال نافع: واللهِ لقد قتَلتُ منكم اثني عشرَ سوى مَن جرحتُ وما ألوم نفسي على الجُهد، ولو بقيت لي عضدٌ وساعدٌ ما أسرتُموني.

وانتضى الشمرُ سيفَه ليقتلَه، فقال له نافع: «أمَا والله يا شمرُ، لو كنتَ من المسلمين لعظُم عليك أن تلقى الله بدمائنا فالحمدُ لله جعَل منايانا على يد شِرار خَلقِه» ثم ضرب الشمرُ عنَقه[٤].

---

(١) الأفواق: جمع (فوق بالضم) وهو مشق رأس السهم حيث يقع الوتر.
(٢) تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٤١، وكامل ابن الأثير: ج٣ ص٢٩٢ طبع بيروت ومقتل الخوارزمي ومناقب ابن شهر اشوب وغيرها.
(٣) هذا الرجز والذي قبله ذكره الخوارزمي في (مقتله: ج٢ ص٢١) طبع النجف، ومقتل العوالم: ص٩٠.
(٤) تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٤٢ وكامل ابن الأثير ج٣ ص٢٩٢، والخوارزمي: ج٢ ص٢١ ط، النجف، ونهاية الارب للنويري ج - ٢٠ ص٤٥٣ ط القاهرة.

١٥ - ١٦ الغفاريان[١]

وجاءَ عبدُ الله وعبدُ الرحمان ابنا عُروة الغفاريان - وكانا من أشراف الكوفة وشجعانهم وذوي الموالاة منهم -.

فوقفا أمامَ الحسين عليه السلام وقالا: السلام عليك يا أبا عبد الله، قد حازنا العدوّ إليك، فأحببنا أن نُقتَل بين يديك. وندفعَ عنك.

فقال الحسين: مرحباً بكما، أدنوا مني، فدَنوا منه، فجعلا يقاتلان قريباً منه حتى قُتِلا، وأحدهما يقول:

قد عَلِمتْ حقاً بنو غِفار وخندفٍ بعدَ بني نزار

لنضَربنَّ معشرَ الفجّار بكل عضْب صارمٍ بتّار

يا قوم ذودُوا عن بني الأحرار بالمشرفيّ والقَنا الخَطّار[٢]

١٧ - ١٨ الجابريان[٣]

وأتاه الفتيانِ الجابريان - وهما سيفُ بن الحارث بن سَريع، ومالكُ بن عبد ابن سَريع - وهما ابنا عمٍ وأخوان لأم. وجعَلا يبكيان.

---

(١) عبد الله وعبد الرحمان ابنا عروة بن حراق الغفاري. كانا من أشراف الكوفة ومن شجعانهم ومن الشيعة الموالين. وكان أبوهما (عروة) من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وممن حضر حروبه الثلاثة في العراق. ذكرتهما عامة المصادر التاريخية بالتجلة والثناء، كالطبري في تأريخه، والشيخ في رجاله، والمجلسي في البحار، ولهما ذكر في (زيارة الناحية.. والرجبية). والخوارزمي في (مقتله).

(٢) تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٤٢ طبع دار المعارف بالقاهرة. وفي نهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤٥٣ إشارة إلى ذلك.

(٣) جاءا إلى الحسين عليه السلام ومعهما شبيب مولاهما فدخلا في عسكره وانضما إليه، وكان أبواهما الحرث بن سريع وعبد الله بن سريع من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ومن الذين حاربوا معه في حروبه الثلاثة. ذكرتهما عامة المصادر التاريخية، ولهما ذكر في (الزيارة والرجبية). ويرى ان شهر اشوب في (مناقبه) أن سيف بن مالك - ونسبه النميري - قتل في الحملة الأولى.

فقال لهما الحسين: ما يبكيكما - يا ابنيْ أخي - فوالله إني لأرجو أن تكونا عن ساعةٍ قريرَي العين.

قالا: جعلنا الله فداك، والله ما على أنفسنا نبكي، ولكنّا نبكي عليك، نراك قد أحيط بك، ولا نَقدر أن نَدفعَ عنك ونمنَعك.

فقال الحسين: جزاكما الله - يا ابني أخي - بوجدكما من ذلك، ومواساتكما، إيّاي بأنفسكما أحسنَ جزاء المتّقين(١).

ثم استَقدما أمامَ الحسين، وقالا: السلامُ عليكَ يا ابنَ رسول الله.

فقال الحسين: وعليكما السلام ورحمة الله وبركاته. فقاتَلا جميعا قتالاً شديداً، وإن أحدهما ليحمي ظهرَ صاحبه حتى قُتِلا في مكانٍ واحد(٢).

١٩ - جون مولى أبي ذر(٣)

ووقف (جَون) مولى أبي ذرّ الغفاري أمامَ الحسين عليه السلام يستأذنه في البراز - وكان عبداً أسود -.

فقال الحسين له: يا جَون، أنتَ في إذن مني، إنّما تَبعتَنا طلباً للعافية، فلا تَبتلِ بطريقتنا.

فوقع (جون) على قدمي أبي عبد الله الحسين يُقبّلهما ويبكي وهو يقول:

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٤٣ طبع دار المعارف بالقاهرة، وكامل ابن الأثير: ج٣ ص٢٩٢ طبع بيروت، ونهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤٥٣ ط القاهرة.

(٢) تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٤٣ طبع دار المعارف، ومقتل الخوارزمي ج٢ ص٢٤ طبع النجف.

(٣) كان جون منضماً إلى أهل البيت عليهم السلام بعد أبي ذر، فكان مع الحسن عليه السلام وبعده كان مع الحسين عليه السلام وصحبه في سفره إلى العراق، وكان دائماً بخدمته. ورد ذكره في (الزيارة كما في البحار: ج٤٥ ص٧١ الطبع الجديد) باسم (جون بن حوي) وورد اسمه في (أنساب البلاذري: ج٣ ص١٩٦) طبع بيروت بعنوان (حوي مولى أبي ذر).

يا ابنَ رسول الله، أنا في الرَّخاء ألحسُ قِصاعَكم، وفي الشدّة أخذلكم؟ والله إنّ ريحي لنَتِن، وانّ حسبي للَئيم، وانّ لوني لأسود فتنفّس عليَّ بالجنّة لِيَطيب ريحي، ويَشرفَ حسَبي، ويبيَضّ لَوني، لا والله، لا أفارقُكم حتى يَختلط هذا الدمُ الأسود مع دمائكم[1].

فأذن له الحسين فبرزَ إلى القتال وهو يقول:

كيف تَرى الكفّارُ ضَربَ الأسودِ بالسَّيف ضرباً عن بَني محمّد
أذبّ عنهمْ باللسانِ واليَدِ أرجوْ به الجنّة يومَ المَورد[2]

ولم يَزل يقاتل حتى قَتل خمساً وعشرينَ رجلاً[3] فقُتِلَ.

فوقَف عليه الحسين عليه السلام وقال: «اللهم بيّض وجهه، وطيّبْ ريحَه، واحشره مع الأبرار، وعَرّفْ بينَه وبينَ محمّد وآل محمّد[4].

فرُوي عمّن حضرَ المعركةَ لدفن القَتلى مع الإمام زين العابدين عليه السلام: أنهم وجدُوا (جَوناً) تَفوحُ منه رائحةٌ طيّبة أذكى من المسك[5].

٢٠ - أنس بن الحرث الكاهلي[6]

وبَرز بعدَ ذلك أنسُ بن الحرث الكاهلي، وكان شَيخاً كبيراً صحابياً ممن رأى

(١) مثير الأحزان لابن نما: ص٣٣، ولهوف ابن طاووس: ص٤٦ طبع النجف.
(٢) مقتل الخوارزمي: ج٢ ص١٩ طبع النجف.
(٣) مناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص١٠٣ طبع قم.
(٤) بحار المجلسي: ج٤٥ ص٢٣ طبع طهران الجديد.
(٥) مقتل العوالم للبحراني: ص٨٨، وبحار المجلسي: ج٤٥ ص٢٣ طبع جديد.
(٦) أنس بن الحرث بن نبيه بن كاهل... الأسدي. كان صحابياً ممن رأى النبي وسمع حديثه ذكره الكثير من المقاتل باسم (أنس بن مالك الأسدي) وفي بعضها تصحيفاً (مالك بن أنس). والصحيح: انه أنس بن الحارث الأسدي الكاهلي... ونرجح انه متحد مع (أنس بن كاهل الأسدي) الوارد ذكره في (الزيارة) كما في البحار: ج٤٥ ص٧١ طبع طهران الجديد. وكذا في الرجبية. فبنو كاهل من بني أسد بن جزيمة. والكاهلي أسدي في الحقيقة.

النبيَّ وسَمع حديثَه، وشهدَ مه بَدراً وحُنيناً. وكان فيما سمع من النبيّ وحدّث به: أنه قال:

«سَمِعتُ رسول الله ﷺ يقول - والحسينُ بن علي في حِجره -: إن ابني هذا يُقتَل بأرضٍ من العراق، ألا فمَن شَهِدَه فليَنصرُهُ»[1].

فلمّا رآه الشيخُ في طريقه إلى العراق، وشَهِدَه جاءَ معه إلى كربلاء ليَنصرَه، قالوا: فجاءَ ووَقفَ قِبالةَ الحسينِ واستأذنه في القتال، فأذن له الحسين، فبَرز الشيخُ شادّاً وسَطَه بالعِمامة رافعاً حاجبيَه بالعِصابة عن عينيه، وهو يقول:

قد عَلمتْ كاهلٌ ثمّ دوُدانْ والخندقيّون وقيسُ عيَلانْ
بأنّ قَومي آفةٌ للاقرانْ وأنني سيّد تلك الفرسانْ[2]

فلمّا نظَر إليه الحسين عليه السلام بهذه الهيئة بكى، وقال: «شكر الله سعيَك يا شيَخ» فقتَل - على كبره - ثمانيةَ عشَر رجلاً وقُتِل[3].

٢١ - عمرو بن جنادة[4]

قالوا: وكان جنَادةُ بن كَعب الأنصاري الخزرَجي من الشيعة المخلِصين في

---

(١) وهذا الحديث بنصه يذكره القندوزي في (ينابيع المودة أوائل الباب الستين) عن أنس بن الحارث وأسد الغابة: ج١ ص٣٤٩، والإصابة: ج١ ص٦٨، وكنز العمال: ج٦ ص٢٢٣، وريحانة الرسول: المستل من تاريخ دمشق لابن عساكر: ص٢٣٩ طبع بيروت.

(٢) مقتل الخوارزمي: ج٢ ص١٨ طبع النجف. وورد فيه اشتباها (مالك بن أنس)، ومثله في المناقب.

(٣) ذخيرة الدارين للسيد مجيد الحائري: ص٢٠٨ ومثير الأحزان لابن نما الحلي، وفي مناقب ابن شهر آشوب ج٤ ص١٠٢ أربعة عشر رجلاً.

(٤) إنه عمرو بن جنادة بن كعب بن الحارث الأنصاري الخزرجي. ذكره ابن شهر اشوب في (المناقب ج٤ ص١٠٤) طبع قم. والخوارزمي في (مقتله: ج٢ ص٢١) وفي هذين المصدرين يظهر أن لجنادة ولدين، أحدهما عمرو، والثاني هذا الشاب. ولكن الظاهر: أنهما واحد، وأن الفتى الشاب هو عمرو ليس غيرهُ، وفي البحار للمجلسي: ج٤٥ ص٢٧ طبع الجديد - كالخوارزمي - «ثم خرج شابٌ قتل أبوه في المعركة...» وهكذا في عامة المقاتل، فلاحظ.

الوَلاء. وقد خرَج مع الحسين من مكة - ومعه زوجتُه (أم عَمرو) وولدهُ عمرو، وهو غلامٌ لم يُراهق، وقيل: ابنُ إحدى عشرة سنة أو ابنُ تسع سنين[(١)]، وقد قُتِل أبوه (جَنادة) في الحملة الأولى[(٢)] التي قُتِلَ فيها من أنصار الحسين زهاء خمسينَ رجلاً.

فأقبلتْ زوجتُه إلى ولدها (عمرو) فألبستْهُ لامةَ الحرب وقالت له: يا بني، أخرج وقاتل بين يدي ابن رسول الله فخرج الغلام، واستأذن الحسين في القتال، فأبى الحسين أن يأذن له، وقال: هذا غلامٌ قُتِل أبوه في المعركة، ولعلّ أمّه تكره خروجه.

فقال الغلام: إن أمي هي التي أمرتْني بذلك[(٣)].

فأذِنَ له الحسينُ، فَبرز الغلامُ إلى الحرب، وهو يقول: - ولله درّه: -.

أميريْ حسينٌ ونِعمَ الأميرْ، سرورُ فؤاد البشير النذيرْ
عَليٌّ وفاطمةٌ والداهُ، فهَل تَعلمونَ له من نَظِيرْ
له طلعةٌ مثلُ شَمسِ الضُّحى له غُرّةٌ مثلُ بَدرٍ مُنيرْ[(٤)]

وقاتَل، فما أسرعَ أن قُتِلَ، فاحتُزّ رأسُه ورُمي به إلى جهة معسكر

(١) فان عامة السِّيَر والمقاتل تُعبّر عنه بالشاب والفتى.
(٢) ولكن ابن شهر اشوب يذكر له في (المناقب:ج٤ ص١٠٤) طبع قم مبارزةً ورجزاً مستقلين.
(٣) وهذا منتهى علو النفس وصدق الولاء من هذه المرأة الصالحة وابنها البار: أن يكون زوجها قد قتل - وهي تنظر إليه - ثم تأمر ولدها الذي هو في عنفوان الشباب وريعان العمر بنصرة الحسين عليه السلام في حين أنها تعلم أنه مقتول، فتسوقه إلى القتل مختارة طائعة، ويطيعها ولدها في ذلك المقام فيقدم على القتل غير هيّاب ولا وَجِل، ثم يُرخّص له الحسين في ترك القتال مخافة أن تكون أمه تكره قتاله بعد قتل زوجها، فيأتي ويقول للحسين - متوسلاً به -: أمي هي التي أمرتني بذلك. حقاً إنه لمقامٌ عظيم وموقف جليل تزل فيه الأقدام وتذهل فيه الألباب والعقول (منه (قدّس سره)).
(٤) بحار المجلسي ج٤٥ ص٢٧ طبع طهران الجديد.

الحسين عليه السلام فأخذتْ أمُه الرأس، ومسحت الدمَ عنه، وهي تقول: أحسنتَ يا بُنيّ يا سُرورَ قلبي ويا قرةَ عيني[١].

وعادتْ إلى المخيم، فأخذتْ عمودَ خيمةٍ - أو سيفاً - وحمَلتْ على القوم وهي تقول:

أنا عجوزٌ في النسا ضعيفَهْ خاويةٌ باليةٌ نَحيفَهْ
أضربُكم بضربةٍ عنيفه دونَ بني فاطمةَ الشريفَهْ

وضرَبتْ رجلين بالعمود فقتلتهما. فأمر الحسينُ بصرفها ودعا لها، وردّها إلى المخيّم فرجَعتْ[٢].

٢٢ - الحجاج الجعفي[٣]

وقاتَل الحجّاج بن مسروق الجُعفي - مؤذنُ الحسين عليه السلام - حتى خُضّب بالدماء. فرجعَ إلى الحسين، وهو يقول:

أقدِمْ حسينٌ هادياً مهديّا اليومَ ألقى جدَّك النَّبيا
ثم أباك ذا الندى عليّا ذاك الذي نعرفُه الوصيّا

---

(١) في بحار المجلسي ج٤٥ ص٢٨ طبع طهران الجديد، ومقتل الخوارزمي ج٢ ص٢٢ طبع النجف: «ثم رمت برأس ابنها رجلاً فقتلته». ومثله في (مناقب ابن شهر اشوب ج٤ ص١٠٤) طبع قم.

(٢) بحار المجلسي، ومقتل الخوارزمي - بنفس المصدر الآنف الذكر -.

(٣) الحجّاج بن مسروق بن مالك بن ثقيف بن سعد العشيرة المذحجي الجعفيّ. كان من الشيعة المخلصين صحب أمير المؤمنين في الكوفة. ولما سمع بخروج الحسين، من المدينة إلى مكة، خرج من الكوفة إلى مكة، فالتحق بركاب الحسين، وظل معه يؤذن له في أوقات الصلوات إلى حين استشهاده في كربلاء.

ورد ذكره في عامة المصادر التاريخية: وفي الزيارتين: الناحية والرجبية بهذا الاسم والعنوان.

فقال له الحسين: وأنا ألقاهما على أثَرك، فرجع يُقاتل حتى قُتِل[(١)].

٢٣ - الغلام التركي[(٢)]

وكان للحسين عليه السلام غلامٌ تُركي، وكان في مَرتبةٍ عاليةٍ من الصَّلاح والسَّداد قارئاً للقُرآن، فاستأذَن الحسينَ في القِتال، فأذن له، فحمَل على القوم، فقاتَل وقَتل جماعةً كثيرةً، ثم وقع صريعاً، فاستغاث بالحسين، فأتاه الحسين واعتنَقه وبكى عليه، ففتح الغُلام عينيه ورأى الحسينَ فتبسّم. وكان به رمقٌ، فأخذ يفتخر ويقول: مَن مثلي وابنُ رسول الله واضعٌ خدّه على خدي. ثم فاضت نفسُه بين يدي الحسين عليه السلام[(٣)].

---

(١) مناقب ابن شهر اشوب: ص١٠٣ طبع قم. وبحار المجلسي: ج٤٥ ص٢٥ طبع جديد، ومقتل الخوارزمي: ج٢ ص٢٠ طبع النجف. وفيهما تكملة للبيتين بيت ثالث هكذا:

وذا الجناحين الفتى الكميّا وأسد الله الشهيد الحيّا

(٢) ذكر في (الزيارة) وفي رجال الشيخ وفي كثير من المقاتل باسم (سليم) وذكره الطبري: ج٥ ص٤٦٩ طبع دار المعارف بمصر بإسم (سليمان) ومثله بعض المقاتل، وذكر مثله النويري في (نهاية الارب: ج٢٠ ص٤٦٢) ط القاهرة. وذكر السيّد الأمين في (أعيانه ج٤ قسم١ ص٢٣٦) هكذا: «ثم خرج غلامٌ تركي كان للحسين عليه السلام اسمه أسلم» وكذلك في جدوله ص. ٢٥١ ومن المؤكد. ان هذا هو مقصود كل من عبّر من أرباب المقاتل هكذا: «خرج غلام تركي كان للحسين...».

(٣) ذخيرة الدارين للحائري ص. ٣٦٦ وبحار المجلسي: طهران الجديد ومقتل الخوارزمي: ج٢ ص٢٤ طبع النجف. ويذكر هذان الأخيران له رجزاً هكذا:

البحر مِن طعني وضربي يصطلي والجوّ من سهمي ونبلي يَمتلي

إذا حسامي في يَميني ينجلي يشقّ قلب الحاسد المبجلِ

إلى هنا يختم سيدنا الوالد (قدّس سره) هذا العرض الموجز عن الأصحاب وجهادهم، وحيث انه لم يكن بصدد الاستيعاب لم يذكر البقية الباقية منهم، ونحن الآن بدورنا نكمل هذا العرض. فنستعرض الأسماء التي تخلف ذكرها في الأصل، لأنا ممن يرى أن عدد الأصحاب الذين استُشهدوا يومَ الطف يتجاوز (المئة) فنقول: =

. . . .

= ٢٤ - ابن مضارب البجلي

وخرج سليمان - أو سلمان - بن قيس الأنماري البجلي، وكان ابن عم زهير بن القين البجلي، وقد حج مع زهير في تلك السنة، والتحق بركاب الحسين عليه السلام في عرض الطريق. قال صاحب (الحدائق): ان سلمان قتل فيمن قتل بعد صلاة الظهر (إبصار العين للسماوي). والحدائق الوردية.

٢٥ - ٢٩ عمرو بن خالد وأصحابه

في الإيقاد للعظيمي - آخر الفصل الثامن -: «ثم برز عمرو بن خالد الصيداوي، فقال للحسين: يا أبا عبد الله، جعلت فداك قد هممت أن ألحق بأصحابك وكرهت أن أتخلف فأراك وحيداً من أهلك قتيلاً.

فقال له الحسين: تقدم فانا لاحقون بك عن ساعة...».

قالوا: وخرج عمرو بن خالد الصيداوي - وكان من مخلصي الشيعة في الكوفة - التحق مع جماعته الأربعة بالحسين عليه السلام بالعذيب قريباً من كربلاء -.

ومعه سعد. وجنادة بن الحرث السلماني المذحجي، ومجمع بن عبد الله العائذي المذحجي ومعه ولده عائذ - كما قيل -.

كل هؤلاء خرجوا فقاتلوا في أول القتال. فشدوا جميعاً مقدِمين على أهل الكوفة بأسيافهم، فلمّا أوغلوا في الحرب والقتال عطف عليهم العدو فأخذوا يحوزونهم وقطعوهم عن أصحابهم غير بعيد، فندب إليهم الحسين عليه السلام أخاه العباس، فاستنقذهم، وجاؤا وقد جرحوا بأجمعهم وفي أثناء الطريق دنا منهم العدوّ فشدّوا بأسيافهم مع ما بهم من الجراح، فقاتلوا حتى قتلوا في مكان واحد.

(الطبري: ج٥ ص٤٤٦) طبع دار المعارف بمصر، وابن الأثير: (ج٣ ص٢٩٣ بيروت) والملاحظ ان مجمع العائذي من أصحاب الحملة الأولى. - كما مر عليك - وذكره ابن شهر اشوب كذلك.

٣٠ - واضح التركي

وخرج من بعدهم واضحُ التركي - وهو غلامُ الحرث المذحجي السلماني - جاء مع جنادة بن الحرث وجماعته، وقتل بعدهم مبارزة، كما ذكره صاحب الحدائق الوردية، وإبصار العين للسماوي.

٣١ - برير بن خضير

ذكرته عامة المصادر التاريخية وأرباب المقاتل بالتجلة والإطراء، ووصفته بأنه: كان=

. . . .

= سيّد القراء في الكوفة، وقائاً للقرآن، ومن شيوخ القرآء في جامع الكوفة، وكان شيخاً تابعياً ناسكاً، ونحو ذلك من عبارات الثناء والاكبار، ويظهر انه كان من أشراف الكوفة أيضاً، ورد له ذكر في (الزيارة) وفي عامة المصادر التاريخية، خرج من الكوفة فالتحق بالحسين في مكة فجاء معه إلى أن استشهد بين يديه في كربلاء.

قالوا: ونادى يزيد بن معقل - من بني عمير بن ربيعة - وقد قرب من مخيم الحسين عليه السلام برير بن خضير الهمداني: يا برير، كيف ترى صنع الله؟.

فقال برير: صنع الله بي خيراً، وصنع بك شراً.

قال يزيد: كذبت، وقبل اليوم ما كنت كذاباً، هل تذكر - وأنا أماشيك في بني لوذان وأنت تقول: ان عثمان بن عفان كان على نفسه مسرفاً، وأن معاوية بن أبي سفيان ضالّ مُضلّ، وأن إمام الهدى والحق علي بن أبي طالب.

فقال له برير: أشهد أن هذا رأيي وقولي.

فقال يزيد: فاني أشهد أنك من الضالّين.

فقال برير: هل لك لأباهلك؟ ولندعُ الله أن يَلعن الكاذب منّا، وأن يقتل المحق المبطل؟.

ثم برز كلٌّ منهما لصاحبه، فاختلفا بضربتين فضرب يزيد بريراً ضربةً خفيفة لم تضرّه شيئاً. وضربه بريرُ ضربةً عنيفة قدّت المِغفَر وبلغت إلى الدماغ، فخرّ كأنما هوى من شاهق، ومات لعنه الله. وإن سيف بُرير لثابتَ في رأسه، فبينما بُريرٌ يُريد أن يحرّكه ويُخرجه من رأسه إذ حَمل عليه رضي بن منقذ العبدي، فاعتنق بُريراً واعتركا ساعةً فصرعه برير وقعَد على صدره فاستنجد رضي بقومه، فجاء كعبُ بن جابر الأزدي، فطعن بريراً بالرمح في ظهره، فلما أحسّ بُرير بألم الطعنة برك على رضي فعضّ وجهه وقطع أنفه فطعنه كعبُ بأخرى حتى ألقاه عن رضي، وقد غيّب السنان في ظهره، ثم أقبل يضربه حتى قتله.

فقام رضي وهو ينفض الترابَ عن قبائه، ويقول: أنعمتَ عليّ يا أخا الأزد نعمة لن أنساها أبداً.

فلما رجع كعبُ بن جابر قالت له امرأته: أعنتَ على ابن فاطمة وقتلت بريراً سيّد القرآء، والله لا أكلمك من رأسي كلمة أبداً.

(عن تاريخ الطبري ج٥ ص٤٣٢) طبع دار المعارف بالقاهرة، وكامل ابن الأثير ج٣ ص٢٩٠ طبع بيروت). =

. . . .

= ٣٢ - حنظلة الشبامي

إنه حنظلة بن أسعد بن شبام - الهمداني. وبنو شبام بطن من همدان. التحق بالحسين من الكوفة أيام المهادنة، وكان وجهاً من وجوه الشيعة في الكوفة، له ذكر في الزيارتين: الناحية والرجبية، كما ورد ذكره بالتعظيم والتجلّة في عامة كتب التاريخ والرجال والمقاتل كالطبري في تاريخه، والخوارزمي في مقتله، والمجلسي في بحاره، والشيخ في رجاله، والسيد الأمين في أعيانه، وغير هؤلاء في كتُبهم.

قالوا: وبرز حنظلة بن أسعد الشبامي بين يدي الحسين عليه السلام وهو ينادي أمامَ القوم: ﴿يَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾﴾ [غافر: 30-31].

﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ [غافر: 32-33].

يا قوم لا تقتلوا حسيناً، فيُسحتكم الله بعذاب ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ [طه: 61].

فجزّاه الحسينُ خيراً، وقال: رَحِمكَ الله - يا بنَ أسعد -: إنهم قد استَوجبوا العذاب حينَ ردّوا عليك ما دعوتهم إليه من الحق، ونهضوا إليك ليستَبيحوك وأصحابَك، فكيف بهم الآن وقد قتلوا إخوانك الصالحين؟.

قال: صدقتَ - جُعِلتُ فداك - يا بنَ رسول الله، أفلا نروح إلى ربّنا ونلحق بإخواننا؟

فقال له الحسين: رُحْ إلى ما هو خيرٌ لك من الدنيا وما فيها، وإلى مُلكٍ لا يَبلى.

فقال: السلام عليك يا بنَ رسول الله، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك، وعرّف بيننا وبينكَ في الجنّة.

فقال الحسين: آمين آمين. ثم استقدم حنظلةُ، فقاتل قتالاً شديداً، وهو يرتجز:

يـــا شـــرّ قـــوم حـــســـبـــاً وزادا وكـــم تـــرومـــون لـــنـــا الـــعـــنـــادا[1]

ولم يزل يقاتل حتى قُتِلَ - رضي الله عنه -[2].

---

(١) يذكر له القندوزي في (ينابيعه باب ٦١) هذا الرجز، كما يذكر انه قتل ستين فارساً.

(٢) تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٤٣ طبع دار المعارف بالقاهرة، ومقتل الخوارزمي: ج٢ ص٢٤ طبع النجف، واللهوف لابن طاووس: ص٤٦ طبع النجف، وبحار المجلسي: ج٤٥ ص٢٤ طبع طهران الجديد، ونهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤٥٤ ط القاهرة.

. . . .

---

٣٣ - أنيس الأصبحي

ثم برز أنيس بن معقل الأصبحي - وهو من القحطانية، وهو يقول:

أنا أنيسٌ وأنا ابنُ معقل ... وفي يميني نصلُ سيفٍ فيصَل

أعلو به الهامَات بين القَسطل ... عن الحسين الماجد المفضّل

فقاتل وقَتل نيفاً وعشرين رجلاً - كما عن المناقب - وقُتِلَ.

(مناقب ابن شهر اشوب ج٤ ص١٠٣) طبع قم، ومقتل الخوارزمي: ج٢ ص١٩ طبع النجف، والسيد الأمين في (أعيانه جدول الأصحاب ص٢٥١) وفتوح ابن أعثم: ج٥ ص.١٩٨

٣٤ - الحجّاج السعدي

وخرَج الحجّاج بنَ بدر التميمي السعدي - وهو الذي حَمل كتاب مسعود بن عمرو الأزدي إلى الحسين عليه السلام جواباً عن كتابه عليه السلام إلى زعماء البصرة - فقاتَل فقُتل بعد صلاة الظهر - كما عن الحدائق الوردية - وله ذكر في الزيارتين: الناحية والرجبية، وفي جدول السيد الأمين من (أعيانه: ج٤ قسم١).

٣٥ - عمرو الأزدي

وبرزَ عمروُ بن خالد الأزدي، وهو يقول:

اليومَ يا نفسُ إلى الرحمان ... تمضِين بالروح وبالريحان

اليومَ تُجزَين على الإحسان ... قد كان منكِ غابر الزمان

ما خطّ باللوح لدى الديَّان ... فاليوم زال ذاك بالغفران

لا تَجزَعي فكلّ حيٍّ فاني ... والصبرُ أحظى لك بالأمان

فقاتَل قتالاً شديداً، وقتل - عن ابن شهر اشوب في المناقب ج٤ ص١٠١ طبع قم، ومقتل الخوارزمي: ج٢ ص١٤ طبع النجف، بحار المجلسي ج٤٥ ص١٨ -.

٣٦ - خالد بن عمر الأزدي

وخرج من بعده ابنُه خالد بن عمرو الأزدي وهو يرتجز ويقول:

صبراً على الموت بَني قحطانِ ... كيما تكونوا في رضى الرحمان

ذي المجد والعزة والبرهان ... يا أبتاه قد صرتَ في الجنان

فقاتل حتى قُتِل - المصادر الآنفة: من المناقب، والخوارزمي، والبحار -.

٣٧ - سعد بن حنظلة

ثم برزَ من بعده سعدُ بن حنظلة التميمي، وهو يقول: =

. . . .

= صبراً على الأسياف والأسنّه صبراً عليها لدخول الجنّه
وحور عين ناعماتٍ هنّه لمن يريد الفوز لا بالظنّه
يا نفس للراحة فأطرَحنّه وفي طلاب الخير فأرغبنّه
فقاتل قتالاً شديداً حتى قُتِل.

(المناقب ج٤ ص١٠١) طبع قم، و(مقتل الخوارزمي ج٢ ص١٤) طبع النجف و(بحار المجلسي ج٤٥ ص١٨) طبع طهران الجديد.

٣٨ - عمير المذحجي

ثم برزَ عُمير بن عبد الله المذحجي - من القحطانية - وهو يقول:

قد علمتْ سعدٌ وحي مذحج أنيّ ليث الغاب لم أهجَهج
أعلو بسيفي هامة المدجّج وأترك القَرنَ لدى التعرّج
فريسةَ الضبع الأزلّ الأعرج فمن تراه واقفاً بمنهجي

ولم يزل يقاتل قتالاً شديداً حتى قتله مسلمُ الضبابي وعبد الله البجلي. (مناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص١٠٢) طبع قم، و(مقتل الخوارزمي: ج٢ ص١٤) طبع النجف، و(بحار المجلسي: ج٤٥ ص١٨) طبع طهران الجديد.

٣٩ - عمرو بن مطاع

ثم خرج عمرو بنُ مطاع الجعفي، وهو يقول:

أنا ابنُ جُعفي وأبي مطاعُ وفي يميني مُرهفٌ قَطّاع
وأسمرٌ سِنانه لمّاع يُرى له من ضوئه شُعاع
قد طاب لي في يوم القِراعُ دون حسين وله الدفاع

فقاتَل حتى قُتِلَ - عن ابن شهر اشوب في المناقب: ج٤ ص١٠٢، ومقتل الخوارزمي: ج٢ ص١٨ طبع النجف. وبحار المجلسي: ج٤٥ ص٢٥ - باختلاف بسيط في الرجز.

٤٠ - عبد الرحمان الأنصاري

وخرَج عبدُ الرحمان بن عبد ربه الأنصاري الخزرجي: وقاتل حتى قتل. (ذكره الطبري في تاريخه: ج٥ ص٤٢٣) طبع دار المعارف بالقاهرة وابن طاووس في (لهوفه: ص٤٠) طبع النجف. والمجلسي في (بحاره: ج٤٥ ص٢١) وهو الذي كان يضاحكه برير بن خضير في صبيحة عاشوراء وهما يطليان. =

. . . .

= ٤١ - عبد الرحمان اليزني

ثم خرجَ عبدُ الرحمان بن عبد الله اليزني - بطن من حمْيرَ - وهو يقول:

أنا ابنُ عبد الله من آل يَزَنْ   ديني على دين حسينٍ وحسَنْ
أضربكم ضرب فتىً من اليمنَ   أرجو بذاك الفوزَ عند المؤتَمن

فقاتل حتى قُتِل (مناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص١٠٢، ومقتل الخوارزمي: ج٢ ص١٧، وبحار المجلسي: ج٤٥ ص٢٢).

٤٢ - قعنب النميري

وخرج قعنَب بن عمر النميري - أو النمري - وهو الذي جاء مع الحجّاج السعدي من البصرة إلى الحسين عليه السلام وقاتَل بين يديه حتى قُتل. - ذكره صاحب (الحدائق الوردية) والسماوي في (إبصار العين)، وله ذكر في زيارة الناحية - كما في البحار: ج٤٥ ص٧٢ - طبع جديد -.

٤٣ - منجح مولى الحسين

وخرَج مُنجح مولى الحسين عليه السلام فقاتَل حتى قتله حسّانُ بنُ بكر الحنظلي - كما عن الحدائق الوردية - وله ذكر في الزيارتين: الناحية والرجبية، وفي نهاية الارب للنويري.

٤٤ - يزيد المشرقي

وخرَج يزيدُ بنُ الحصَين الهمداني المشرقي القارئ فقاتَل. فقُتِل ولقد ورَد له ذكر في (الزيارة) وفي رجال الشيخ: ص. ٨١

٤٥ - مالك بن دودان

ثم برزَ مالكُ بنُ دودان - من بني أسد بن خُزيمة - وهو يقول:

إليكمُ من مالكِ الضرغام   ضربَ فتىً يحمي عن الكرام
يرجو ثواب الله ذي الإنعام

ذكره ابن شهر اشوب في (المناقب ج٤ ص١٠٤) طبع قم.

٤٦ - قرة الغفاري

ثم قرز قُرةُ بن أبي قرّة الغِفاري، وهو يقول:

قدِ علمتْ حقاً بنو غِفار   وخندف بعدَ بني نزار
بأنني الليث الهزَبر الضاري   لأضربنّ معشرَ الفجّار
بحدّ عضب ذَكر بتّار   دونَ الهُداة السادةِ الأبرار =

. . . .

= فقتل ثمانيةً وستين رجلاً - ثم قُتِل - كما عن ابن شهر اشوب في المناقب: ج٤ ص١٠٢ - وذكره الخوارزمي: ج٢ ص١٨ طبع النجف. وبحار المجلسي: ج٤٥ ص٢٤، وفتوح ابن أعثم: ج٥ ص. ١٩٥

٤٧ - يحيى المازني

ثم خرَج يحيى بن سَليم المازني وهو يقول:

لأضربنّ اليومَ ضرباً فَيصلاً ضرباً شديداً في العدى مستأصلاً

لا عاجزاً عنهم ولا مهللا ما أنا إلا الليث يحمي الأشبلا

فقاتل قِتالاً شديداً حتى قُتِل - مناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص١٠٢ ومقتل الخوارزمي: ج٢ ص١٨ طبع النجف، وفتوحَ ابن أعثم ج٥ ص١٩٤ -.

٤٨ - بكر بن حي

وخرَج بكرُ بنُ حي بن تيم الله بن ثعلبة التميمي، وكان ممّن خرج مع ابن سَعد لحرب الحسين عليه السلام ثم مال مع الحسين وقُتِل بين يديه بعد الحملة الأولى - ذكره صاحب الحدائق وغيره (إبصار العين للسماوي).

٤٩ - يزيد بن مغفل الجعفي

ثم خَرج يزيدُ بنُ مغفل بن مجمع بن جعفي بن سعد العشيرة المذحجي الجعفي. وكان منَ الشيعة المخلصين، ومن التابعين وأبوه من الصحابة. كان مع الحسين عليه السلام من مكة إلى كربلاء، قال المرزباني في (مجمعه): أنه لما جدّ القتال تقدم وهو يقول:

إن تنكروني فأنا ابن مغفل شاك لدى الهيجاء غير أعزل

وفي يميني نصل سيف منصل أعلوا به الفارس وسط القسطل

فقاتل قتالاً شديداً لم يُر مثله حتى قتل جماعة، ثم قتل - رضي الله عنه (إبصار العين للسماوي). وورد ذكره في قائمة السيد الأمين في (أعيانه).

٥٠ - حبشي النهمي

وخَرَج حبشي بن قيس بن سلمة بن ظريف. . الأنماري الهمداني النهمي. وقد جاء إلى الحسين أيام المهادنة في كربلاء، قال ابن حجر: وقُتل مع الحسين (إبصار العين للسماوي) وله ذكرٌ في قائمة السيد الأمين في (أعيانه).

٥١ - رافع مولى مسلم الأزدي

وخرَج رافعٌ بن عبد الله مولى مسلم بن كثير الأزدي - الذي قُتل في الحملة الأولى - وقد جاء إلى الحسين مع مسلم المذكور، فقُتِل بعدَه مبارزة بعد صلاة الظهر (إبصار العين للسماوي) وذكر في قائمة السيد الأمين في (أعيانه). =

. . . .

= ٥٢ - يزيد العبدي البصري

وخرج يزيدُ بن ثُبيط - أو نُبيط - العبدي البصري، وقد جاء من البصرة مع ولديه: عبد الله وعبيد الله المقتولين في الحملة الأولى - بعد أن وصل كتاب الحسين إلى أشراف البصرة.

فالتحق بالحسين بمكة. ورافقه إلى كربلاء، فاستشهد بين يديه مبارزة بعد الظهر. وفي رثاء الحسين ورثائه ورثاء ولديه يقول ولده عامر بن يزيد:

يا فرو قومي فاندبي خيرَ البريّة في القبور
وابكي الشهيدَ بعبرةٍ من فيض دمع ذي درُور
وابكي (يزيد) مجدلا وابنيه في حرّ الهجير
متزملين دماؤهم تجري على لَبَب النحور
يا لهفَ نفسي لم تَفزْ معَهمْ بجناتٍ وحوُر

ذكر ذلك السماوي في (إبصار العين).

٥٣ - إبراهيم الأسدي

قال ابن شهر اشوب في (مناقبه: ج٤ ص١٠٥) طبع قم: ثم برز إبراهيم بن الحصين الأسدي يرتجز:

أضرب منكم مفصلاً وساقا ليهرِق اليوم دمي إهراقا
ويرزق الموت أبو اسحاقا أعني بني الفاجرة الفساقا

فقتل أربعةً وثمانين رجلاً. ثم قُتِل. وذكره السيد الأمين في (قائمة أعيانه).

٥٤ - ٥٥ - بشر وسويد

وآخر مَن استشهد من أصحاب الحسين عليه السلام اثنان: هما:

سويد بن عَمرو بن أبي المطاع الخثعمي الأنماري، وبشر بن عمرو الحضرمي - برواية الضحاك بن عبد الله المشرقي - كما عن الطبري في تاريخه: ج٥ ص٤٤٤ طبع دار المعارف بالقاهرة - قال: «. . . لما رأيت أصحاب الحسين قد أصيبوا، وقد خلص إليه وإلى أهل بيته، ولم يبق معه غير سويد بن ابي المطاع الخثعمي وبشر بن عمرو الحضرمي، وقلت له: يا بن رسول الله، قد علمتَ ما كان بيني وبينك، قلت لك: أقاتل عنك ما رأيت مقاتلاً، فإذا لم أر مقاتلاً فأنا في حل من الانصراف فقلتَ لي: نعم، قال فقال: صدقت، وكيف لك بالنجاء، ان قدرت على ذلك فأنت في حل. . .» ويتابع الحديث إلى تخلصه من الأعداء ونجاته من القتل بعد قتل خمسة من أهل الكوفة. . . =

. . . .

= أما بشر - أو بشير - الذي ورد له ذكر في عامة المصادر التأريخية وفي زيارة الناحية، فقد ذكر أرباب المقاتل إنه قبل صاحبه سويد، مبارزةً، وكان شريفَ قومه كثيرَ الصلاة والعبادة.

وأما سَويد.. فقد قاتلَ حتى أثخن بالجراح، فسقَط إلى الأرض لوجهه وأغمي عليه وظن أنه قد قتل. وانتبه من عشيته بعد قتل الحسين عليه السلام وسمع القوم ينادون: قتل الحسين. فأخرج سكينةً كانت معه - وقد أخذوا سيفه - فجعل يقاتل بها ساعةً حتى تعطفوا عليه فقتلوه، قتله عروة بن بطان التغلبي - أو الثعلبي وزيد بن رقاد الجهني. وكان آخر قتيل (تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٥٣) طبع دار المعارف بالقاهرة: وفي أنساب البلاذري: ج٣ ص٢٠٤) طبع بيروت. قتله عزرة بن بطان التغلبي وزيد بن رقاد الجهني وقال النويري في نهاية الأرب: ج٢٠ ص٤٥٥) طبع القاهرة: «وكان آخر من تبقى من الحسين من أصحابه سويد بن عمرو بن أبي المطاع الخثعمي). وفي (ص٤٦٠ منه) يسمى قاتله بـ(عروة بن بطان الثعلبي) ولعلّ التغلبي أصح.

بأبي من شروا لقاء حسينٍ	بفراق النفوس والأرواح
وقَفوا يدرأون سُمر العَوالي	عنه والنبلَ وقفةَ الأشباح
فوقَوه بيضٌ بالنحور	البيض والنبلَ بالوجوه الصباح
باعدوا بين قُربهم والمواضي	وجسوم الأعداء والأرواح
أدركوا بالحسين أكبرَ عيدٍ	فغدوا منه في الطفوف أضاحي
لست أنسى من بعدهم طودَ عزٍ	وأعاديه مثلَ سيل البطاح
هو يحمي دين النبي بعضبٍ	بسناه لظُلمة الشرك ماحي
ثم لما نال الظَما منه والشمسُ	ونزفُ الدما وثقل السِلاح
وقف السبطُ يستريح قليلاً	فرماهُ القضا بسهمٍ مُتاح
فهوى العرشَ للثرى وادلهمتْ	برماد المصاب منها النَواحي
حرّ قلبي لزينبٍ إذ رأته	تربَ الجسم مُثخناً بالجراح
أخرس الخطبُ نطقها فدعتهُ	بدموعٍ بما تجنّ فِصاح
يا منارَ الضّلال والليلُ داجٍ	وظِلالُ الرَميض واليومُ ضاحي
كنتَ لي يومَ كنتَ كهفاً منيعاً	سرج الظِل خافقَ الأرواح
أترى القوم إذ عليكَ مررنا	منعونا من البكا والنياح
ان يكن هينا عليك هواني	واغترابي مع العدى وانتزاحي=

. . . .



= ومسيري أسيرة للأعادي ... وركوبي على النياقِ الطِلاح

فبرغمي أني أراكَ مقيماً ... بين سمُر القَنا وبيض الصِفاح

لك جسمٌ على الرماح ورأسٌ ... رفعُوه على رؤوس الرماح[1]

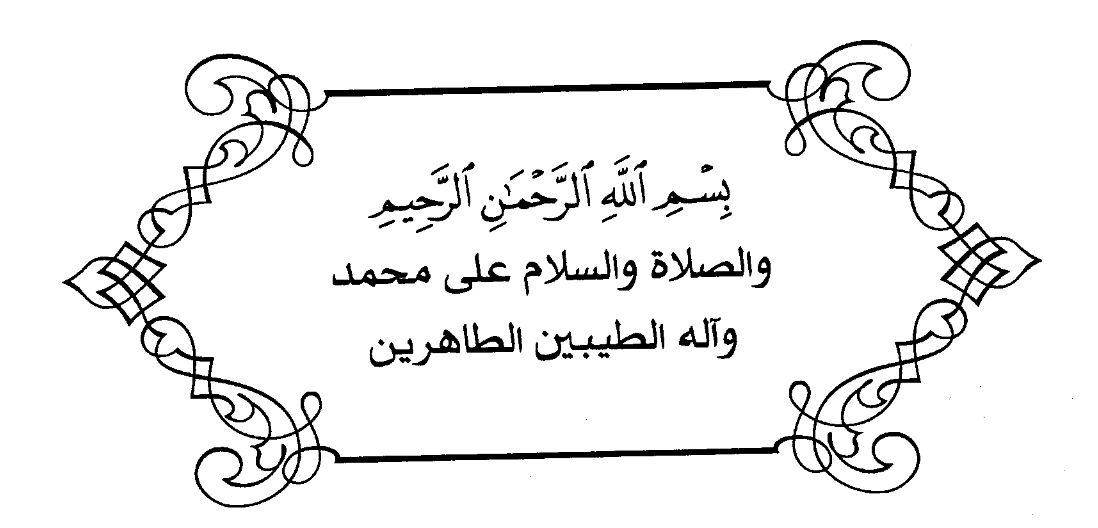
ألا لعنةُ الله على القوم الظالمين.

---

(١) القصيدة للعلامة المغفور له السيد رضا السيد محمد الهندي الموسوي.

المجلِسُ العَاشِرُ

وهو يحتوي - بعد المقدمة - على مبارزات الحسين عليه السلام بعد قتل أصحابه وأهل بيته، وما جرى عليه في مصرعه، والحوادث التي جرت عليه وعلى أهل بيته بعد قتله في كربلاء إلى حين تسييرهم من كربلاء إلى الكوفة يوم الحادي عشر من المحرم.


بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
والصلاة والسلام على محمد
وآله الطيبين الطاهرين

قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه المجيد:

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦﴾ [القصص: 5-6].

﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٩٥ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٩٦﴾ [النساء: 95-96].

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١٧٠ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٧١﴾ [آل عمران: 169-171].

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: 15].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: 4].

﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: 227] ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: 128].

(صدق الله العلي العظيم)

من كلام للإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام

- كما في تحف العقول -

لا تُمارِ فيذهبَ بهاؤك، ولا تُمازحْ فيُجتَرأ عليك. الإِشراك في الناس أخفى من دَبيب النّمل على المَسح الأسود في الليلة الظلماء.

مِن التواضع: السلام على كل مَن تَمرّ به، والجُلوسُ دون شرَف المجلِس.

مِن الفَواقِر التي تقصم الظهر: جارٌ إن رأى حسنةً أطفأها وإن رأى سيئةً أفشاها.

أورعُ الناس مَن وقَف عند الشّبهة، أعبدُ الناس مَن أقام على الفرائض. أزهدُ الناس مَن ترك الحرام، أشدُّ الناس اجتهاداً مَن تركَ الذنوب.

المؤمنُ بَركةٌ على المؤمن وحُجةٌ على الكافر.

قلبُ الأحمق في فمِه، وفمُ الحكيم في قلبه.

لا يُشغلك رزقٌ مضمُون عن عمَل مفروض.

ما ترَك الحقَّ عزيزٌ إلاّ ذلّ، وَلا أخذَ به ذليلٌ إلاّ عزّ.

جُرأة الولد على والده في صغره تدعو إلى العقُوق في كِبَرِه.

ليس من الادب إظهارُ الفرح عند المحزون.

خيرٌ مِن الحياة ما إذا فقدتَه بغضْتَ الحياة، وشرٌّ مِن الموت ما إذا نزل بك أحببتَ الموت.

منَ وَعظ أخاه سِرّاً فقد زانَه، ومَن وعظهَ علانيةٌ فقد شانه.

يدخل حُسنُ الصُورة جَمال ظاهر. وحسنُ العقل جَمالٌ باطن.

إنّ للسخاء مقداراً، فان زاد عليه فهو سرَفٌ، وللحزم مقداراً، فان زاد عليه فهو جبن، وللاقتصاد مقداراً، فإن زاد عليه فهو بُخل، وللشَّجاعة مقداراً، فإن زاد عليه فهو تَهوّر.

ومن كلام له عليه السلام مع شيعته:

أوصيكُم بتقوى الله، والورَع في دينكم، والاجتهاد لله، وصدق الحديث، وأداء الأمانة إلى مَن ائتَمنكم: مِن برّ أو فاجر، وطول السّجود وحُسنِ الجوار، بهذا جاءَ محمّد صلى الله عليه وآله، صِلوا في عشائركم واشهَدوا جنائزهم، وعودُوا مَرضاهم، وأدّوا حقوقَهم، فإن الرجل منكم إذا ورَع في دينه وصدقَ في حديثه وأدّى الأمانة، وحسّن خُلقَه مع الناس، قيل: هذا شيعيٌ فيَسرّني.

إتّقوا الله وكونوا زَيناً ولا تكونوا شيناً، جُرُّوا إلينا كلّ موَدة، وادفعوا عنّا كلّ قبيح، فانه ما قيل فينا من حَسنٍ فنحن أهله، وما قيل فينا من سُوء فما نحن كذلك...

أكثِروا ذكرَ الله وذكرَ الموت، وتلاوةَ القرآن، والصلاةَ على النبيّ صلى الله عليه وآله فانّ الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله عشرُ حَسنَات.

ومن دعاء الحجة المنتظر
الإمام المهدي بن الحسن (عجل الله فرجه)

«اللهم ارزقنا توفيقَ الطاعة، وبُعدَ المعصية، وصدقَ النّية، وعِرفان الحُرمة، وأكرمنا بالهدى والاستقامة، وسَدّد ألسنتَنا بالصَّواب والحِكمة، واملأ قلوبنا بالعلم والمَعرفة، وطَهّر قلوبَنا من الحَرام والشُّبهة، واكففْ أيدِيَنا عن الظُّلم والسرِقَة، واغضُضْ أبصارنَا عن الفجُور والخِيانة، واسدد أسماعَنا عن اللغو والغِيبة، وتَفضّلْ على علمائنا بالزُهد والنصيحة، وعلى المتعلّمين بالجُهد والرَّغبة، وعلى المستَمِعين بالاتّباع والمَوعظة، وعلى مَرضى المؤمنينَ والمؤمنات بالشِفاء والصّحة، وعلى أحياء المؤمنين والمؤمنات باللطف والكرامة، وعلى موتاهم بالمغفرة والرحمة وعلى غُرباء المؤمنين والمؤمنات بالرد إلى أوطانهم سالِمين غانِمين، وعلى مشايخنا بالوقار والسكينة، وعلى الشباب بالإِنابة والتوبة، وعلى النساء بالحياء والعفة، وعلى الأغنياء بالتواضع

والسعة، وعلى الفقراء بالصَّبر والقناعة، وعلى الغُزاة بالنَّصر والغَلَبة، وعلى الأسراء بالخلاص والراحة، وعلى الأمراء بالعدل والشفَقة، وعلى الرعيّة بالإنصاف وحسنِ السِّيرة. وبارِكْ للحجّاج والزُوار في الزاد والنَفَقة، واقضِ ما أوجَبتَ عليهمْ من الحجّ والعُمرة - بفضلك ورحمتك يا أرحمَ الراحمين -[1].

مصرع الحق

أقعدَ الدهرَ بالأسى وأقاما ... مَصرعٌ للحسين فيه تسَامى

مَصرعٌ طبّق العَوالمَ رُزءاً ... وتحدّى الأجيالَ والأعواما

مَصرعٌ أثكل النبيَّ شجَاهُ ... حيثُ لم يُرعَ في بنَيه ذِماما

مَصرعٌ قد أقام للحقّ ركناً ... مذ أطاح الضَّلالُ منه الدَعاما

وأعزّ الإسلامَ حيث أذلّتْ ... آلُ حربٍ بكفرها الإسلاما

وأبانَ الأحكامَ يومَ اضاعتْ ... أمّةُ الجهل للهدى أحكاما

وأنارَ العقُول رُشداً وكانتْ ... تَشتكي منهَم العَمى والظَّلاما

وتعالى مجدُ الرَّشاد بيوم ... شَعّ في مَفرقِ الخلودِ وِساما

يومَ أضحى في المسلمين يَزيدٌ ... - وهو حربُ الإسلام - يُدعى إماما

وارتقى منبرَ النّبوة مَن قد ... جَحد الوحيَ واستَحلّ الحَراما

سامَ رمزَ الإبا وصِنوَ المعالي ... أن يُرى تحتَ حكمه إرغاما

فأبى الحقُّ أن يَمدّ إلى الباطل ... كفاً تُجلّ عن أن تُضاما

وعزيزٌ على ابن أحمدَ يُغضي ... ويَرى دينَ أحمدٍ مُستَضاما

عَبثت فيه للضَّلالة كفٌّ ... دَنَّست من آثامِها الآثاما[2]

وعزيزٌ على ابن فاطمَ يَلوي ... لابن (ميسُون) جيدَه استسِلاما

فانتضى السّبطُ مِن لظى الحقّ سَيفاً ... قد أباد العِدى رِقاباً وهاما

---

(١) يورد الشيخ البهائي (قدّس سره) في (مخلاته) بعض الفقرات من هذا الدعاء الشريف.

(٢) الاثام - على فعال - بالفتح: جزاء الأثم، وحصيلته.

وامتطى صَهوة الوغى فتَرامى حولَه الدهرُ غارِباً وسناما[1]
زاحفاً بالعقيدة الطُّهر جيشاً عقَد النَّصرَ فوقَه أعلاما
ويَزيدُ الفجُور أضحى عليه يَحشد الخافقين جَيشاً لُهاما[2]
فرحابُ الصحراء ضاقت، فلا تُبصر بَدءاً لِحدّها وختاما
وبروجُ السماء أضفتْ عليها خافقاتٌ من البنُود لِثاما
وهنا جلجلَت وغىً واستدارتْ بالمنايا رَحى الكِفاح زُحاما
ونفوسُ الاقران تُملؤُ رُعْباً مُذْ عليها طيرُ المنيّة حاما
والبَهاليل مِن بَني هاشم الفخر مع الصّحب تستَجيش احتداما
شَمّروا للكفاح دونَ حُسينٍ فانْحنى مَفرقُ الكفاح احتِراما
هُمْ بِسُوح الوغى أسودٌ ولكن اتَخِذوا مشبَك الظُّبى آجاما
كلّما جلجلَ الحِمامُ استَهلّتْ أنفس تشرَبُ الحِمامَ مُداما
طَرِبُوا للوغى كأنّ شِفارَ البيض خُودٌ تُردّد الأنغاما
وكأنّ السُّمرَ اللدانِ لحاظٌ تنفثُ السّحرَ بالطّعان هياما
وكأنّ الدِّماء تقطرُ منها خمرةٌ تُسكر النُّفوسَ نَدامى
نَقّبوا الأفقَ بالقَتام ولكن لَمعَانُ السيُوف يَجلو القَتاما
جاهَدوا والحِفاظُ يُلهبُ فيهمْ عَزَماتٍ بها استَطابوا الحِماما
بَذلوا النّفسَ دونَ نفسِ حُسينٍ فاستَحقوا دارَ الخُلود مُقاما
وتَهاوَوا على الصعيد نُجوماً كشَفت عن دُجى السماء الظّلاما
غادَرُوه بالطفّ فرداً ولكن بأخيه الحُسام عادَ تُواما

وانبرى للوداع والقلبُ منه يَتلظّى من الأوام ضرَاما[3]
ثم نادى عقائلَ الوحي، فانثالتْ لتَقضي من الوداع مرَاما

---

(١) الغارب - بالكسر -: ما بين منتهى الظهر والعنق من الفرس. والسنام - بالفتح - حدبة في ظهر البعير. ويكنى بهما عن العلو الرفعة.

(٢) اللهام - بالضم -: الجيش العظيم.

(٣) الأوام - بالضم - العطش الشديد. والضرام - بالفتح -: الاشتعال.

وتعالى الصُّراخ، فالأرضُ تُروى … من دم اللطم والدمُوع غَماما
فيتيمٌ إن يَبكِ فَقْدَ أبيه … جاوبَتهُ أراملٌ ويَتامى
وثكولٌ بالنَّوح تُسعد أخرى … من شَجها لا تستطيع كلاما
ندَبتْ طفلَها بقلبٍ حزينٍ … ضاق بالصبر فاستجاش احتِداما
حَلّئوه كأسَ الحياة حَلالاً … وسَقَوهُ كأسَ الممات حرَاما
فتغذّى دمَ الشهادة دراً … حين أضحت له السهامُ فِطاما
ضمّخته الدما كزهرةِ غُصنٍ … لبستْ حُمرةَ الدِّما أكماما
وعليلٌ توسّد التُّربَ نَطعاً … وارتدى مُطرفَ الهُزال سَقاما
ضاق بالوجد صدرُه وهو رحبٌ … كاد بالصّبر أن يثور رُكاما
وأمضّ المصاب في القلب وَقعاً … منظرٌ للأسى يَفتّ الرّخاما
مذ أتته سكينةٌ وحشاها … من لظى النائبات يَصلى أواما
قد عراها الهوان حتى كساها … مُطرفاً فاض ذِلةً واهتضاما
وقفتْ حولَهُ تُطأطئ هاماً … قد أبى العزّ والإبا أن يُضاما
عطَفتْ جيدَها لتُخفي محيّاً … خدّدته الدمُوعُ منها سِجاما
فأراها عطفَ الأبوة رفقاً … وأرته بالنَّوح شجو اليَتامى
وأتتْ زينبٌ وللحُزن منها … نفثاتٌ تُوري الفؤادَ اضطراما
تستخفّ الخُطى فيثقلها الخطبُ … فتَحني - وهي الوقورُ - قِواما
عانقته فقبّلت صدرَه الدامي، … وأرخت دمعَ العيون انسجاما
ثم نادتْ والحزنُ يَقذف مِن فيها … فؤاداً مع العيون انسجاما
يا بنَ أمي مَن للعواطف يَسقيها، … فتُروى بَرداً وتُغذى سَلاما
مَن لهذي الصِّغار يحنو عليها … يومَ تبكي الآباء والأعماما
مَن يُسلّي كرائمَ الوحي إمّا … ندَبتْ يومَ سَببهنّ الكِراما
مَن لرهط النبيّ يحمي حماه … إذ يلاقي أراذلا ولئاما
مَن يُراعي الذّمامَ بعدَك فينا … فالأعادي لم تَرعَ منك الذِّماما

ومضى راجعاً إلى الحرب صَقراً … ليس يخشى من الزُحوف نَعاما
وانتضى للجهاد في الدِّين عَضباً … ينفَثُ الموت من شَباه زُؤاما

وانبرى يحصد الرؤوسَ فيُقري أنسرَ الجوّ باللحوم طعاما
ويُروّي الصحراءَ بالدم حراً خاض في لجّه الجَوادُ فعاما
وإذا ما أقام للدين ركناً بسوى حدّ سيفه لن يُقاما
خرّ للأرض لهفَ نفسي صريعاً فهوى العرش للثرى إعظاما
وعلا رأسُه على الرمح قُطباً حوله عَالمُ الوجود استقاما
وعدتْ نحوَ رهطه آلُ حرب فأشبّتْ على العيال الخياما
ففررنَ النساءُ حسرى ولكن يتَجلْبينَ بالحفاظ واحتشاما
سلبتها أيدي الضَّلالة خدراً ذبّ عنه كفُّ الرّشاد وحامى
فإذا ابتزّها العدوّ لِثاما أسدلت فوقَها العَفافَ لثاما
وإذا ابتزّها القلائدَ صاغت لؤلؤَ الدمع للنُحور نِظاما
وإذا خاصمته فالسوطُ يدمي عَضُديها حتّى يفلّ الخصاما(١)

«رُوي عن معاوية بن وهب: قال: «دخلتُ يومَ عاشوراء إلى دار سيّدي ومَولاي جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام فرأيتُه ساجداً في محرابه، فجلستُ من ورائه حتى فرغ، فأطال في سجوده وبكائه، فسمعتُه يناجي ربّه - وهو ساجدٌ - ويقول:

«اللهم يا مَن خصّنا بالكرامة، ووعَدنا الشفاعة، وحمَّلنا الرسالة، وجعَلنا ورَثةَ الأنبياء، وختَم بنا الأممَ السالفة، وخصّنا بالوصية، وأعطانا عِلمَ ما مضى وما بقي، وجعَل أفئدةً من الناس تهوي إلينا، إغفرْ لي ولإخواني، ولزوّار أبي عبد الله الحسين، الذين أنفقوا أموالَهم في حبّه، وأشخصوا أبدانَهم رغبةً في برّنا، ورجاءً لما عندك في صِلتنا، وسُروراً أدخلوه على نبيّك محمّد صلى الله عليه وآله وإجابةً منهم لأمرنا، وغَيضاً أدخلوه على عدوّنا، وأرادوا بذلك رضوانَك اللهم، فكافهم عنّا بالرضوان، واكلأهُم بالليل والنهار، واخلُفهم في أهاليهم وأولادهم، وما خلّفوا أحسنَ الخَلف، واكفهم شرَّ كلّ جبّار عنيد، وكلّ ضعيفٍ من خلقك وشَديد،

(١) قصيدة لنا في رثاء الحسين عليه السلام قرئت ليلة الختام من مجلسنا الحولي سنة ١٣٧٠هـ، ونشرت في ديواننا (زورق الخيال) المطبوع في بيروت.

وشرّ شَياطين الإنس والجنّ، وأعطِهم ما أمّلوا منك في غُربتهم عن أوطانهم، وما آثرونا به على أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم.

اللهمّ إن أعدائنا عابُوا عليهم خُروجَهم، فلم ينهَهم ذلك عن النهوض والشخُوص إلينا، خلافاً منهم على مَن خالفنا، فأرحم تلك الوجوه التي غيّرتها الشمسُ، وارحم تلك الخدودَ التي تقلّبتْ على قبر أبي عبد الله الحسين، وارْحم تلك الأعين التي جرت دموعُها رحمةً لنا، وارْحم تلك القلوبَ التي حزنت لأجلنا، واحترقت بالحزن، وارْحم تلك الصرخة التي كانت لأجلنا.

اللهمّ إني أستودعك تلك الأنفسَ وتلك الأبدانَ حتى تُرويهم من الحوض يومَ العطش الأكبر وتُدخلهم الجنّة، وتُسهّل عليهم الحساب، إنك أنت الكريم الوهّاب. . .

قال: فما زال يدعو لأهل الإيمان، ولزوّار قبر الحسين عليه السلام - وهو ساجدٌ في محرابه - فلمّا رفَع رأسَه أتيتُ إليه، وسلّمتُ عليه، وتأمّلتُ في وجهه، فإذا هو كاسفُ اللون، متغيّر الحال، ظاهرُ الحزن، ودموعُه تنحدر على خديه كاللؤلؤ الرطب.

فقلت: يا سيّدي، مِمَّ بُكاؤك. لا أبكى الله لك عيناً، وما الذي حل بك؟.

فقال لي: أوَ في غفلةٍ أنت عن هذا اليوم؟ أما علمتَ أنّ جدي قد قُتِل في مثل هذا اليوم؟.

فبكيتُ لبكائه، وحزنتُ لحزنه، وقلت له: يا سيّدي، فما الذي أفعل في مثل هذا اليوم؟.

فقال: يا ابنَ وهب. زُرِ الحسينَ من بعيدٍ أقصى، ومن قريبٍ أدنى، وجدّد الحزنَ عليه، وأكثر البكاءَ والشجو.

فقلت: يا سيّدي، لو أنّ الدعاءَ الذي سمعتُه منك - وأنت ساجد - كان لمن لا يَعرف الله لظننتُ أن النار لا تَطعم منه شيئاً، والله لقد تمنّيت أني كنتُ زرتُه قبلَ أن أحجّ.

فقال: فما يمنَعك من زيارته - يا ابنَ وهب - ولما تدع ذلك؟.

فقلت: جُعِلتُ فداك، لم أدرِ أنّ الأجر يَبلغ هذا كلّه، حتى سمعتُ دعاءَك لزوّاره.

فقال: يا ابن وهب، إنّ الذي يدعو لزوّاره في السماء أكثر ممّن يدعو لهم في الأرض، فإيّاك أن تَدعَ زيارتَه لخوفٍ من أحد، فمن ترك زيارتَه لخوفٍ من أحد رأى الحسرةَ والندمَ حتى يتمنى أن قبره نبَذه.

يا ابنَ وهب، أما تحبّ أن يَرى اللهُ شخصَك، أما تحبّ أن تكون غداً ممن رؤي وليس عليه ذنب يُتبع به، أما تحبّ أن تكون غداً ممّن يُصافحه رسول الله ﷺ يومَ القيامة؟.

قلت: يا سيّدي، فما تقول في صومه من غير تبييت؟.

فقال لي: لا تجعلْه صومَ يومٍ كامل، وليكن إفطارُك بعدَ العصر بساعة على شربةٍ من ماء، فانه في ذلك الوقت انجلت الهيجاء من آل الرسول، وانكشفت الغمّة عنهم، ومنهم في الأرض ثلاثون قتيلاً من مَواليهم ومن أهل البيت[1] يعزّ على رسول الله مصرعُهم، ولو كان حياً لكان هو المعزّى.

قال: وبكى الصادق عليه السلام حتى أخضلّت لحيتُه بدموعه، ولم يَزل كئيباً طولَ يومه ذلك، وأنا معه أبكي لبكائه وأحزن لحزنه[2].

يا ابنَ النبي المصطفى ووصيّه ... وأخا الزكيّ ابنَ البتول الزّاكيه
تَبكيكَ عيني لا لأجل مثوبةٍ ... لكنّما عيني لأجلك باكيه
تَبتلّ منكم (كربلا) بدم ولا ... تبتلّ مني بالدموع الجاريه
أنستْ رزيّتكُم رزايانا التي ... سَلفتْ وهوّنت الرّزايا الآتيه
وفجائعُ الأيّام تبقى مدةً ... وتَزول وهي إلى القيامة باقيه[3]

---

(١) هذا من المؤيدات لما ارتأيناه - في المجلس الثامن -: من أن عدد القتل من بني هاشم يتجاوز العشرين رجلاً، فان الموالي أقل من العشرة على التحقيق.

(٢) كامل الزيارات لابن قولويه، الباب الأربعون بسنده عن غسان البصري عن معاوية بن وهب. ومثله عن الكليني في (الكافي) كما في كتاب الوسائل: آخر كتاب الحج باب المزارات -.

(٣) من قصيدة عامرة للعلامة الأديب الشيخ محمد علي الأعسم رحمه الله.

الحسين يستغيث ويطلب الناصر

ذكرَ أربابُ السِّيَر والمقاتل: أنّ الحسينَ عليه السلام لمّا بقي وحدياً فريداً قد قُتِلَ جميعُ أصحابه وأهل بيته، ورآهم على وجه الأرض مجزّرين كالأضاحي، ولم يَجد أحداً ينصره ويذبّ عن حريمه، وهو إذ ذاك يسمع عويل العيال وصُراخ الأطفال.

يـرى قـومَـه صـرعـى ويـنـظـر نـسـوةً   تـجـلْـبـبـنَ جـلـبـاب الـبُـكـا والـمـآتـم

فعند ذلك نادى بأعلى صوته: «هل من ذابٍّ عن حرم رسول الله، هل من مُوحّدٍ يخاف الله فينا؟ هل من مغيثٍ يرجو اللهَ في إغاثتنا».

فأرتفعتْ أصوات النساء بالبكاء والعويل[1] وعزَم على الموت بنفسه المقدّسة.

الوداع الأول

قالوا: ولمّا عزَم الحسين عليه السلام على مُلاقاة الحتُوف جاءَ ووَقف بباب خيمَة النساء[2] مودّعاً لحُرمه مخدّراتِ الرسالة وعقائل النبوّة، ونادى:

يا زينبُ، ويا أمَّ كلثوم، ويا فاطمةُ، ويا سُكينةُ، عليكنّ مني السلام».

فأقبلْنَ إليه، ودُرنَ حَولَه، ولسانُ حالِ زَينب يقول:

قـوُمـوا إلـى الـتـوديـع إنّ أخـي دعـا   بـجـواده إنّ الـفِـراقَ طـويـلُ
فـخـرجـن ربّـات الـحـجـال حَـواسـراً   وغـدا لـهـا حـول الـحـسـيـن عَـويـلُ

(١) اللهوف لابن طاووس: ص٤٩ طبع النجف، ومقتل الخوارزمي: ج٢ ص٣٢ طبع النجف.

(٢) قيل: انه لما وقف على باب الخيمة أخذ ينادي: مَن ذا يقدّم لي جوادي؟. فجاءته زينب وقد أخذت بعنان الجواد تقوده وتقول: أخي لمن تنادي قطعت نياط قلبي، ثم قالت: ما أجلدني وأقساني، أي أخت تقدم لأخيها فرس المنون؟

فنادته سُكينةُ: يا أبه، استسلمتَ للموت؟.

فقال: كيف لا يستسلِمُ للموت من لا ناصرَ له ولا مُعين؟.

فقالت: رُدّنا إلى حرم جدِّنا رسول الله؟.

فبكى الحسينُ بكاءً شديداً: وقال: هيهات!! لو تُركَ القَطا لغفا ونام، وتمثل بقول الشاعر:

لقد كان القَطاةُ بأرضِ نجدٍ قرير العين لم تجد الغَراما
تولّته البُزاةُ فهيمته ولو تُرك القَطا لغفا وناما

فأين الرحيل، ولو لم يكن من الأعداء وصُولُ فالفجيعةُ أقربَ من ذلك.

فرفعتْ سكينةُ صوتَها بالبكاء والنحيب، فضمّها الحسينُ إلى صدره، ومسحَ دموعَها بكمّه، وكان يحبّها حباً شديداً، وجَعل يقول:

سيَطول بَعدي يا سُكينةُ فاْعلمي منكِ البكاءُ إذا الحِمامُ دَهاني
لا تُحرقي قلبي بدمعكِ حسرةً ما دامَ منّي الروحُ في جُثماني
فإذا قُتِلتُ فأنتِ أولى بالّذي تأتينَه يا خيرةَ النسوان(١)

الإمام زين العابدين يحاول القتال

قالوا: ونَهض عليّ بنُ الحسين زين العابدين عليه السلام وخرج من الخَيْمة وهو يتوَكأُ على عصاً ويجرُّ سيفَه، إذ لا يقدر على حمله لأنه كان مريضاً لا يَستطيع الحركة(٢).

فصاح الحسين بأم كلثوم: إحبسيه يا أختاه - لئلاّ تبقى الأرضُ خاليةً من نسل آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

(١) المناقب لابن شهر اشوب: ج٤ ص١١٠ طبع قم، والايقاد للعظيمي، الفصل الحادي عشر - نقلاً عن البحار ومقتل أبي مخنف -.

(٢) يذكر عامة المؤرخين: أنها كان عليه السلام في خروجه من المدينة صحيحاً، فمرض في الطريق قبل الوصول إلى كربلاء، وتفاقم مرضه بعد ذلك.

فقال زينُ العابدين: يا عَمتاه، ذَريني أقاتل بين يدي ابن رسول الله؟.

فأخذتْ أمُّ كلثوم تُمانعُه، وتُنادي خلفَه: يا بُنيْ ارجعْ، حتى أرجعتهُ إلى فراشه(١).

عبد الله الرضيع(٢)

ثم تقدّم - سلامُ الله عليه - إلى باب الخيمة، ودعا بابنه عبد الله الرضيع ليُودّعه، فأجلسه في حِجره، وأخذ يُقبّله ويقول:

«وَيلٌ لهؤلاء القَوم إذا كان جدّك المصطفى خَصمَهم».

وفي بعض المقاتل: «ثم أتى به نحوَ القوم يطلب له الماء وقال: ان لم ترحمُوني فأرحمُوا هذا الطفل».

فرماه حرملة بنُ كاهل الأسدي بسهم فذبَحه - وهو في حجر أبيه - فتلقى الحسينُ الدمَ بكفه، ورمى به نحو السماء(٣).

فعن أبي جعفر الباقر عليه السلام: «أنه لم يسْقُط من ذلك الدم قَطرةٌ إلى الأرض»(٤).

ويقول حجةُ آل محمّد عجل الله فرجه - كما في زيارة الناحية -: «السّلام على عبد الله

---

(١) مقتل الخوارزمي: ج٢ ص٣٢ طبع النجف، والخصائص الحسينية للشوشتري ص١٢٩.

(٢) المعروف بين عامة المؤرخين ان له من العمر أقل من ستة أشهر. قال أبو الفرج في (مقاتله): «وعبد الله أمه الرباب بنت امرئ القيس وهي التي قال فيها أبو عبد الله الحسين:

لعمرُك انني لأحب داراً تحلّ بها سكينةَ والربابُ
أحبّهما وأبذل جلّ مالي وليس لعاتب عندي عتاب

وسكينة اسمها أمينة، وإنما غلب عليها سكينة وليس باسمها، وكان عبد الله يوم قتل صغيراً».

(٣) مقتل الخوارزمي: ج٢ ص٣٢ طبع النجف.

(٤) اللهوف لابن طاووس: ص٤٩ طبع النجف. ومثير الأحزان لابن نما: ص٣٦.

ابن الحسين الطفل الرضيع، المرميّ الصّريع، المُتشحّط دماً، المصعّد دمُه في السماء، المذبوح بالسهم في حَجر أبيه. . .»[١].

ثم قال الحسين عليه السلام: «هَوّن ما نَزل بي أنه بعين الله[٢]، اللهم لا يكن أهون عليك من فَصيل[٣]، اللهم، إن كنتَ حبست عنّا النَّصر فاجْعله لما هو خيرٌ منه، وانتَقم لنا من الظالمين[٤] واجعَل ما حَلَّ بنا في العاجل ذَخيرةً لنا في الآجل»[٥].

وسَمِع عليه السلام قائلاً يقول: دَعه يا حسين، فإنّ له مرضعاً في الجنة[٦].

ثم نزل عليه السلام - عن فَرسه، وحفر له بجفن سيفه، وصلّى عليه ودفنه مرّملاً بدمه[٧]. ويقال وضَعه مع القتلى من أهل بيته[٨].

لهفي على أبيه إذ رآهْ	غارتْ لشدّة الظما عيناه
ولم يجدْ شربةَ ماءٍ للصبيّ	فساقه التقديرُ نحوَ الطلَّبِ
وهو على الأبيّ أعظمُ الكُرَبْ	فكيف بالحِرمان من بعد الطَّلَبْ
من دمه الزاكي رمى نحو السَّما	فما أجلَّ لُطفَه وأعظَما
لو كان لم يَرمِ به إليها	لساختِ الأرضُ بمن عليها
فاْحمَرّت السّماءُ من فَيض دَمِهْ	وَيلٌ من الله لهم من نِقَمه[٩]

---

(١) بحار المجلسي: ج٤٥ ص٦٦ المطبعة الإسلامية بطهران.

(٢) اللهوف لابن طاووس: ص٤٩، طبع النجف.

(٣) مناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص١٠٩ طبع قم.

(٤) مقتل الخوارزمي: ج٢ ص٣٢، ومثير الأحزان لابن نما: ج٣٦.

(٥) مقتل الخوارزمي: ج٢ ص٣٢، وتظلّم الزهراء للقزويني ص١٢٢.

(٦) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ص١٤٤ طبع النجف.

(٧) مقتل الخوارزمي: ج٢ ص٣٢ طبع النجف. واحتجاج الطبرسي: ج١ ص١٦٣ طبع النجف.

(٨) إرشاد المفيد، ومثير الأحزان لابن نما: ص٣٦.

(٩) من أرجوزة (الأنوار القدسية) للحجة آية الله المحقق الشيخ محمد حسين الاصفهاني رحمه الله.

أقول: ويا لَهف نفسي لأم الرضيع الرباب بنت امرئ القيس، أين هي عنه في ذلك =

الوداع الثاني

ثمَّ إنه عليه السلام - أمرَ عيالَه بالسكوت، وودّعهم - ثانياً - وكانت عليه جُبةُ خزٍّ دكناَء[1] وعمامةُ مُورّدة، أرخى لها ذُؤابتين، وٱلتَحف ببُردة رسول الله صلى الله عليه وآله،

= الحال، ولعلّ فادح الخطب أذهلها فبقيت في الخيمة لا تستطيع الحراك والخروج كما يقول الشاعر:

أفـدي بـنـفـسـي حـرةً ... ذُهِلـتْ مـن الـخـطـب الـفـظـيـع
حـنّـت لـذكـرى طـفـلـهـا ... الـمـذبـوح مـن فـرط الـولـوع
فـي سـهـم حـرمـلـة وقـد ... غـذّاه بـالـسـهـم الـنـقـيـع
وأتـت لـمـهـد رضـيـعـهـا ... وفـؤادهـا جـمّ الـصـدوع
فـحـنّـت عـلـيـه أضـالـعـاً ... طـويَـتْ عـلـى قـلـب مـروع
وغـدت تـنـاجـيـه ونـار ... الـوجـد تـقـدح فـي الـضـلـوع
عـن مـهـجـة حـرى وطـرف ... كـاد يـغـرق بـالـدمـوع
يـا مـهـدَه الـزاكـي أبـثّـك ... لـوعـة الـقـلـب الـوجـيـع
فـعـسـاك لـلـزفـرات والـشـكـوى ... الـمـثـيـرة مـن سـمـيـع
ولـعـلّ قـلـبـك رحـمـةً ... يـحـنـو عـلـى أم الـرضـيـع

ويصور الحجة الفقيه الشيخ محمد تقي آل صاحب الجواهر (قدّس سره) حالة الرباب بعدما رأت الفاجعة الأليمة، فيقول - من قصيدة -:

ولـهـفي عـلى أم الـرضـيـع وقـد دجا ... عليها الدجى والدوح ناحتْ حمائمُهْ
تـسـلّل في الـظـلـمـاء ترتـاد طفـلـها ... وقـد نجمتْ بيـن الـضحـايا علائـمه
فـمـذ لاح سـهـم الـنـحـر ودّت لـو انـها ... تـشـاطـره سـهـمَ الـردى وتـسـاهـمـه
أقـلّـتـه بـالـكـفـيـن تـرشـف ثـغـره ... وتـلـثـم نـحـراً قـبلـهـا الـسـهـم لائـمه
وأدنـتـه لـلـنـهـديـن ولـهـى فـتـارةً ... تـنـاغـيـه ألـطـافـاً، وأخـرى تـكـالـمـه:
بُـنـيّ أفِـقْ من سَـكـرة الـمـوت وارتـضعْ ... بـثـديـك عـلّ الـقـلـبَ يـهـدأ هـائـمـه
بُـنـيّ فـقـد درّا وقـد كـضّـك الـظـمـا ... فـعلّـك يُـطـفـى من غـلـيـلـك ضـارمـه
بُـنـيّ لـقـد كـنـتَ الأنـيـسَ لـوحـشـتـي ... وسـلـواي إذ يـسـطـو مـن الـهـمّ غـاشـمـه

(١) مجمع الزوائد للهيثمي: ج٩ ص١٩٣ الطبعة الثانية في بيروت، ومقتل الخوارزمي ج٢ ص٣٥ طبع النجف.

ولبس درعَه وتَقلّد بسيفه[١]. وطَلبَ ثَوباً لا يَرغب فيه أحد يلبسه تحت ثيابه لئلاّ يُجرّدَ منه، فإنه مقتُول مَسلوب، فأتوه بتبّان[٢] فلم يَرغب فيه، لأنه لباسُ مَن ضُرِبَنْ عليه الذِّلّة، فأخذ ثوباً خَلِقاً فمزّقه وجعَله تحتَ ثيابه[٣] ودعا بسَراويلَ حِبرَة ففزرها ولبسَها لئلاّ يُسلَبها[٤].

الحسين يتقدّم إلى الحرب

ثم تَقدّم عليه السلام - نحوَ الْقَوم مُصلِتاً سَيفه آيساً من الحياة. عازماً على الْموت. ودعا الناسَ إلى البِراز، فلم يَزل يقتُل كلّ مَن بَرزَ إليه حتى قَتل جمعاً كثيراً[٥].

ثم حَمل على الميمَنة وهو يقول:

المـوتُ أولـى مـن ركُـوب الـعـارِ والـعـارُ أولـى مـن دخُـول الـنـار

---

(١) منتخب الطريحي: ص٣١٥ طبع النجف.

(٢) التبّان - بالضم والتشديد - كما عن الصِّحاح -: سراويل صغيرة بمقدار ستر العورة.

(٣) مجمع الزوائد للهيثمي ج٩ ص١٩٣، ومناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص١٠٩ طبع قم. المفيد: ص٢٥٧ طبع إيران. وكتاب ريحانة الرسول، المستلّ من تاريخ دمشق بيروت بتحقيق المحمودي.

(٤) تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٥١ طبع دار المعارف بالقاهرة واللهوف لابن طاووس: ص٥٢ طبع النجف، وإرشاد المفيد: ص٢٥٧ طبع إيران. وكتاب ريحانة الرسول، المستلّ من تاريخ دمشق لابن عساكر ص٢٢١ طبع بيروت بتحقيق المحمودي.

(٥) مقتل العوالم للبحراني: ص٩٧، ومثير الأحزان لابن نمير: ص ٣٧، وفي مقتل الخوارزمي: جـ٢ ص ٣٢ طبع النجف «وهو يقول»:

أنا ابن عليّ المطهر من آل هاشم كفاني بهذا مفخراً حين أفخر

وجدي رسول الله أكرم من مضى ونحن سراج الله في الأرض نزهر

وفاطمةٌ أمي ابنةُ الطهر أحمدٍ وعمّي يُدعى ذا الجناحين جعفر

وفينا كتابُ الله أنزل صادعاً وفينا الهدى والوحي بالخير يُذكر

ونحن أمان الله في الخلق كلهم يُسر بهذا في الآنام ويُجهر

ونحن وُلاةُ الحوض نسقي محبّنا بكأس وذاك الحوض للسقي كوثر

ثم حمَل على الميسرة، وهو يقول:

أنا الحسينُ ابنُ علي آليتُ أن لا أنثني
أحمي عيالاتِ أبي أمضي على دين النبي[1]

قال بعضُ مَن حضَر المعركة[2]: «فوالله، ما رأيتُ مكثوراً - قطّ - قد قُتِلَ وُلدُه وأهلُ بيته وصحبُه أربطَ جأشاً منه، ولا أمضى جناناً ولا أجرأ مقدماً، ولم أرَ قبله ولا بعدَه مثلَه ولقد كانت الرجالُ لتشدّ عليه، فيشدّ عليها، فتنكشفُ بين يديه إذا شدّ عليها انكشاف المِعزى إذا شدّ فيها الذئب[3].

ونفسٍ تَعاف الضّيمَ حتى كأنّه هو الكفرُ يومَ الرّوع أو دونَه الكفرُ
فأثبتَ في مُستَنقع الموت رِجلَه وقال لها: مِن تحت أخمُصِك الحشرُ
تَردّى ثيابَ الموت حُمْراً فما أتى لها الْليلُ إلاّ وهي من سُنْدسٍ خُضرُ

ولقد كان يَحمل فيهم، وقد تكاملوا ثلاثين ألفاً، فينهزمون بين يديه كأنهم الجَراد المنتشر، ولم يثبت له أحد، ثمّ يرجع إلى مركزه وهو يقول: «لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العلي العَظيم»[4] حتى قَتل منهم مقتلةً عظيمة[5].

---

(١) مناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص١١٠ طبع قم.
(٢) وهو عبد الله بن عمار بن يغوث البارقي - كما عن تاريخ الطبري وغيره - وفي روضة الواعظين، حميد بن مسلم.
(٣) تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٥٢ طبع دار المعارف بالقاهرة، ومقتل الخوارزمي: ج٢ ص٣٨ طبع النجف، وإرشاد المفيد ص٢٥٧ طبع إيران، وأنساب البلاذري: ج٣ ص٢٠٢ طبع بيروت.
(٤) لهوف ابن طاووس: ص٥٠ طبع النجف.
(٥) في بحار المجلسي: ج٤٥ ص٥٠ طبع طهران الجديد، ومناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص١١٠ طبع قم، وإيقاد العظيمي: فصل ١٢: أن عدد القتلى ألف وتسعمائة وخمسون رجلاً سوى المجروحين.

فزع القوم من حملات الحسين

فعند ذلك صاحَ عمرُ بنُ سعد بقومه: الويلُ لكم، أتَدرون لمن تقاتلون؟ هذا ابنُ الأنزع البطين، هذا ابنُ قتّال العَرب، احمِلوا عليه من كلّ جانب(١).

واستَدعى شِمرُ الفرسان، فصاروُا في ظهُور الرَّجّالة، وأمرَ الرُّماةَ أن يَرموه، وكانت الرُّماةِ أربعةَ آلاف، فَرشقُوه بالسّهام، فأتتهُ أربعةُ آلاف نبلة(٢).

وجاءَ الشمرُ في جَماعةٍ من أصحابه(٣)، فحالوا بين الحسين وبين رحله وعياله.

فصاح بهم أبيّ الضَّيم: «وَيحكم يا شيعةَ آل أبي سفيان، إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تَخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عُرُباً كما تَزعمون».

فناداه شِمرٌ: ما تقول - يا ابنَ فاطمة -؟.

فقال أقول: «أنا الذي أقاتلكم وتُقاتلونني والنساء ليس عليهنَّ جُناح، فأمنَعوا عُتاتكم وجُهّالكم عن التَّعرّض لحُرمي ما دمتُ حياً».

قال أقصدُوني بنفسي وأتركوا حُرَمي قد حانَ حَيني وقد لاحتْ لوائحُه

فقال شِمرُ: لك ذلك يا حسين، ثمّ صاح بالقَوم:

إليكمْ عن حرَم الرجل، فأقصُدوه بنفسه، فلَعمري لَهُوَ كفؤ كريم.

---

(١) مناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص١١٠ طبع قم، وروضة الواعظين للفتال: ص١٨٩، طبع النجف.

(٢) المصدر نفسه. وفي (أنساب البلاذري: ج٣ ص٢٠٢) إن الرجّالة كان عددهم خمسين.

(٣) في تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٥٠ طبع دار المعارف بمصر: إن الشمر أقبل في نحو من عشرة من رجّالة أهل الكوفة، وعدّ من بينهم: أبا الجنوب عبد الرحمان الجعفي، والقشعم بن عمرو بن يزيد الجعفي، وصالح بن وهب اليزني، وسنان بن أنس النخعي، وخولّى بن يزيد الأصبحي، ومثل ذلك في (نهاية الارب للنويري ج٢٠ ص٤٥٨) ط القاهرة.

يطلب شربة من الماء فلا يجدها

فقصَده القومُ واشتدّ القتال وجعَل يحمل عليهم ويَحملونَ عليه، وهو يطلب الماءَ في تلك الحال، وقد اشتدّ به العطش[١].

فعَزّ أن تَتلظّى بينَهم عطشاً والماءُ يصدرُ عنه الوحشُ ريّانا

وكلّما حمَل بفرسه على الفرات حملوا عليه حتى أجلوه عنه[٢].

الحسين دريئة للسهام

ودنا من الفرات - ثانياً - فرماه الحُصَينُ بنُ نُمير بسهم، وقَع في فمه الشَّريف، فجَعل يَتلقّى الدمَ من فمه، ويَرمي به نحوَ السماء[٣].

وذكرَ بعض أرباب المقاتل: أنه ركِبَ المسنّاة يُريد الفُرات، فأعتَرضتْهُ خيلُ ابن سَد - وفيهم رجل من بني أبان بنِ دارم[٤] - فقال لهم. وَيلكم حُولوا بينَه وبين

(١) اللهوف لابن طاووس ص٥٠ طبع النجف.
(٢) مقتل الخوارزمي: ج٢ ص٣٤ طبع النجف، والايقاد للعظيمي: فصل (١٢) ص.٨٤ وذكره البلاذري في (أنسابه: ج٣ ص٢٠٢) طبع بيروت - باقتضاب -.
(٣) مناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص١١١ طبع قم. وفي تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٤٩ طبع دار المعارف: (ابن تميم).
(٤) ذكر الحافظ أبو بكر عبدالله بن محمد الأموي المتوفى سنة ٢٨١هـ في كتابه (مجابي الدعوة: ص٣٨) طبع بمبي: أن اسمه زرعة بن شريك التميمي بما ذكر الحافظ - الآنف الذكر - في كتابه المذكر أيضاً. والعلامة الخوارزمي في كتابه (مقتل الحسين: ج٢ ص٩١) طبع النجف، ومثلهما غيرهما كثير كمحبّ الدين الطبري في (ذخائر العقبى: ص١٤٤) طبع القدسي، وابن حجر الهيثمي في (الصواعق: ص١٩٥) طبع مصر - أن هذا اللعين كان في حالة الموت يجود ويصيح من الحرّ في بطنه والبرد في ظهره، وبين يديه المراوح والثلج وخلفَه الكانون، وهو يقول: أسقوني أهلكني العطش، فيؤتى بعسّ عظيم فيه السويق أو الماء أو اللبن لو شربه خمسة لكفاهم، فيشربه ويعود فيقول اسقوني أهلكني العطش، فانقدّ بطنه كانقداد البعير.

الفُرات، ولا تُمكّنوه من الماء. فحالوا بينَه وبينَ الفُرات، فقال الحسين: «اللهم أَمتهُ عطَشاً، ولا تَغفرْ له أبداً». فغضِب الدارمي ورماه بسهمٍ أثبته في حَنكَه الشَّريف[١].

فانتزع الحسينُ السهمَ من حَنكه وبسَط يديه تحتَ الجُرح، فلما امتلأَتْ راحتاه من الدم رمى به نحوَ السماء، وقال:

«اللهم، إني أشكو إليك ما يُفعلُ بابن بنت نبيك، اللهم أحصِهم عدداً واقتُلهم بَدَداً، ولا تُبقِ منهم أحداً»[٢]

فرس الحسين يواسي الحسين في العطش

قالوا: ثم حمَل الحسين عليه السلام من نحو الفرات على الأعور السَّلَمي وعمرو ابن الحجّاج الزَّبيدي - وكانا في أربعة آلاف على المشرَعة - فكشفَهم عن الماء، وأَقحمَ الفرسَ على الفرات، فلما وَلغ الفرسُ ليشرب، قال الحسين: «أنتَ عطشان وأنا عطشان فلا أشربُ حتى تشرب»، فرفع الفرسُ رأسَه كأنّه فَهِمَ الكلام، فقال الحسين: إشرب فأنا أشرب.

ولما مَدّ الحسينُ يَده إلى الماء ليشرب ناداه لعينٌ من القوم: يا حُسين، أتلتذّ بشرب الماء وقد هُتكتْ حُرمُك.

فنفَض الماءَ من يده ولم يشرب. وحمَل على القوم، فكشفهم وقصَد الخيمة، فإذا هي سالمة[٣].

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٥٠ طبع دار المعارف بالقاهرة، وفي المناقب المصدر الآنف - أن الذي رماه بذلك السهم هو أبو أيوب الغنوي، ولعله اشتباه.

(٢) مقتل الخوارزمي: ج٢ ص٣٤ طبع النجف، وأنساب الأشراف للبلاذري: ج٣ ص٢٠١ طبع بيروت، ونهاية الارب للنويري ج٢٠ ص٤٥٨ ط القاهرة.

(٣) بحار المجلسي: ج٤٥ ص٥١ طبع طهران الجديد. ومقتل العوالم للبحراني: ص٩٨، ونفس المهموم للقيم: ص١٨٨، والخصائص للشوشتري: ص٤٦، والايقاد للعظيمي: فصل (١٢).

يَروي الثرى بدمائهم وحشاه من ظمأ تَطايرُ شُعلةً قَطَعاتُها
لو قُلّبتْ من فوق غلة قلبه صُمّ الصَّفا ذابتْ عليه صفاتها
تَبكي السّماءُ له دماً أفلا بكتْ ماءً لِغُلّة قلبه قطَراتُها(١)

الوداع الثالث

ثم إنه عليه السلام - ودّع عيالَه وأهلَ بيته - ثالثاً - وأمَرهم بالصبر ولَبس الأزُر، ووعَدهم بالثّواب والأجر وقال لهم:

«استَعِدّوا للبَلاء، واعلمُوا أن الله تعالى حاميكم وحافظكم وسيُنجيكم من شرّ الأعداء، ويجعَل عاقبةَ أمركم إلى خير، ويعذّب عدوّكم بأنواع العذاب، ويعوّضكم عن هذه البليّة بأنواع النّعم والكرامة، فلا تَشكوا، ولا تَقُولوا بألسِنتكم ما يُنقِصُ من قدَركم»(٢).

فصاح عُمر بنُ سعد بقومه: وَيحكم، إهجِموا عليه ما دام مَشغولاً بنفسه وحُرمه، والله إن فَرغ لا تمتاز مَيمنُتكم عن ميسرتكم.

فحَملوا عليه يَرمونه بالسّهام، حتى تَخالفت السّهامُ بين أطناب المخيّم، وشكّ سهم بعض أزُر النساء، فدُهِشنَ وأرعبنَ وصِحنَ ودَخلنَ الخَيمَة، وهن ينظرن الحسين كيف يصنع؟.

الحسين يصول كالليث الغضبان

فحمَل على القوم كالليث الغضبان، فلا يَلحق أحداً إلا بَعجَه بسيفه فقلته، أو طعنَه برمحه فصرَعه، والسّهامُ تأخذه من كل جانب وهو يتّقيها بصدره ونحره ويقول:

---

(١) من قصيدة جزلة عصماء في رثاء الحسين عليه السلام للحجة اية الله الإمام الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء (قدّس سره) ومطلعها:
نفس أذابتها أسى حسراتُها فجرت بها محمرةً عبراتُها
(٢) جلاء العيون للمجلسي، فارسي، ومقتل الحسين لكاشف الغطاء.

«يا أمّةَ السُوء، بِئسَما خلفتُم محمّداً في عِتْرته، أما إنكم لن تقتلوا بعدي عبداً من عباد الله، فتَهابوا قتلَه، بل يَهون عليكم ذلك عند قتلكم إيّاي، وأيمُ الله إني لأرجو أن يُكرِمَني اللهُ بالشّهادة، ثم يَنتقم لي منكم من حيث لا تَشعرون».

فناداه الحُصينُ بنُ مالك السكوني. وبماذا ينتقم لك منّا يا ابنَ فاطمة؟.

فقال الحسين: «يُلقي بأسَكم بينكم، ويسفِكُ دماءَكم، ثمّ يَصبُّ عليكم العّذاب الأليم»[1].

ورجَع عليه السلام - إلى مركزه، وهو يكثر من قول: «لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العليّ العظيم»[2].

وجَعل يَطلب - في هذه الحال - ماءً، وشِمرٌ يقول له: لا تَرِده حتى تَرِدَ النار.

وناداه لَعينٌ من القَوم: يا حُسين، ألا تَرى الفراتَ، كأنه بُطون الحيّات، فلا تَشرب منه قطرةً حتى تموتَ عطشاً.

فقال الحسين: اللهم، أَمِتهُ عطشاً؟.

فكان ذلك الرجل يطلب الماءَ في مرضه، فيؤتى به، فيشرب حتى يخرج من فيه، وما زال كذلك إلى أن مات عطشاً - لعنه الله -[3].

السهم في جبهته المقدسة

ورماه أبو الحتوف الجُعفي[4] بسهم وقع في جبهته المقدسّة فنزعه، وسالت الدماء على وجهه وكريمته، فقال:

---

(١) مقتل العوالم للبحراني: ص١٨، ونفس المهموم للقمي ص١٨٩، ومقتل الخوارزمي: ج٢ ص٣٤ طبع النجف.

(٢) لهوف ابن طاووس: ص٥٠ طبع النجف.

(٣) مقاتل الطالبيين لأبي الفَرج: ص٨٦ طبع النجف، ومناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص٥٦ طبع قم، وبحار المجلسي: ج٤٥ ص٥٢ طبع طهران الجديد، والصواعق لابن حجر: ص١٩٥ - طبع الميمنية بمصر -.

(٤) ويسمّيه البلاذري في (أنسابه: ج٣ ص٢٠٢) طبع بيروت: أبو الجنوب عبد الرحمان بن زياد بن زهير الجعفي. ولعله اشتباه.

«اللهم إنّك تَرى ما أنا فيه من عِبادك هؤلاء العُصاة، اللهم أحصِهمْ عَدداً، وأقتُلهم بَدداً، ولا تذرَ على وَجه الأرض منهم أحَداً ولا تَغفِرْ لهم أبَداً»[١].

الجراحات الكثيرة في مقدّمه الشريف

ثمّ لم يَزل يقاتل حتى أصابه جراحاتٌ كثيرة، فقد رُوي: أنها ألف وتسعمائة جُراحة، وكلّها في مُقدمّه الشَّريف، وكانت السّهامُ في دِرعه كالشَّوك في جلد القُنفذ[٢].

الحجر والسهم المثلث في جبهته وصدره

قالوا: ولما ضَعُفَ عن القتال وقَف ليستَريحَ ساعةً، فبينما هو واقفٌ إذ رَماه رجلٌ بحجَرٍ وقعَ في جبهتَه الشريفة[٣] فسالت الدماءُ على وجهه، فأخذَ الثوبَ ليمسحَ الدمَ عن وجهه وعينيه، إذ رماه لعينٌ آخر من القوم بسهم مُحدَّد مَسمُوم له ثلاثُ شُعَب وقَع على صدره. وفي بعض الروايات: وقَع على قلبه.

فقال الحسين عليه السلام: بسم الله وبالله وعلى ملّة رسول الله، ورفَع رأسَه إلى السماء وقال:

«إلهي، إنّك تَعلم أنهم يَقتلُونَ رَجلاً ليس على وجه الأرض ابنُ بنت نبي غيره». ثم أخذ السّهمَ فأخرجه من قَفاه، فانبعث الدم كالميزاب»[٤].

---

(١) مناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص١١١ طبع قم، ومقتل الخوارزمي: ج٢ ص٣٤ طبع النجف.

(٢) الايقاد للعظيمي فصل (١٢)، والمناقب - نفس المصدر - وبحار المجلسي: ج٤٥ ص٥٢، طبع طهران الجديد.

(٣) في مناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص١١١ طبع قم: أن الذي رماه بذلك الحجر هو أبو الحتوف الجعفي المتقدم الذكر.

(٤) مقتل الخوارزمي: ج٢ ص٣٤ طبع النجف. ولهوف ابن طاووس: ص٥٠ طبع النجف.

فوَضعَ يدَه تحت الجُرح، فلمّا امتلأتْ دماً رمى به نحوَ السماء وقال: «هوّن عليّ ما نَزل بي أنه بعين الله»، فلم تَسقُط من ذلك الدم قَطرة إلى الأرض[١].

فوضَع يدَه - ثانياً - فلمّا امتلأتْ لطَّخ به رأسَه ووجهَه، وقال: «هكذا أكون حتى ألقى اللهَ وجَدّي رسولَ الله وأنا مخضوبٌ بدمي، وأقول: يا جَدّي قَتلني فُلانٌ وفُلان»[٢].

أضميرَ غَيبِ الله كيف لك القَنا ... نفَذتْ وَراءَ حجابِه المخزُون
وتَصكُّ جبهتَك السيوفُ وإنّها ... لولا يَمينُك لم تكنْ ليمينِ
فصبرتَ نفسَك حيث تَلتهب الظُّبى ... ضرباً يُذيب فؤادَ كلّ رزين
والحربُ تَطحن شُوسها برحاتِها ... والرّعبُ يُلهم حِلمَ كلّ رصين
والسّمرُ كالأضلاع فوقَك تنحني ... والبِيض تنطبق انطباق جُفون[٣]

مالك بن النسر يضربه على رأسه الشريف

قالوا: وأعياه نزفُ الدم، فجلسَ على الأرض يَنوءُ برقبته، فانتهى إليه في تلك الحال مالكُ بنُ النَّسر الكندي، فشتَم الحسينَ، ثم ضَربه بالسيّف على رأسه، وكان عليه (بُرنُس) فامتلأ البُرنسُ دماً[٤]، فقال الحسين: «لا أكلتَ بيمينك ولا شربتَ بها، وحشَرك اللهُ معَ الظالمين». ثم ألقى البُرنسَ وشدّ رأسَه بخرقةٍ استَدعاها، ودعا بقَلنسوةٍ، فلبسها، وأعتمَّ عليها، وأخذ الكندي ذلك (البُرنُس) وكان من خَز[٥].

---

(١) تهذيب ابن عساكر: ج٤ ص٣٣٨، ومقتل الخوارزمي: ج٢ ص٣٤ طبع النجف.
(٢) مقتل الخوارزمي: ج٢ ص٣٤ طبع النجف، والايقاد العظيمي: فصل (١٢) وبحار المجلسي: ج٤٥ ص٥٣ طبع طهران الجديد.
(٣) من قصيدة جزلة في رثاء الحسين عليه السلام لشاعر أهل البيت السيد حيدر الحلي رحمه الله.
(٤) لهوف ابن طاووس: ص٥١ طبع النجف.
(٥) الكامل لابن الأثير: ج٣ ص٢٩٤ طبع بيروت، وبحار المجلسي: ج٤٥ ص٥٣ طبع جديد، ومناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص١١١ قم، وإرشاد المفيد ص٢٥٦ طبع إيران. ويذكر الخوارزمي في (مقتله: ج٢ ص٣٤) طبع النجف، والبلاذري في (أنسابه: ج٣ ص٢٠٣) طبع بيروت والنويري في نهايته: ج٢٠ ص٤٥٧ ط القاهرة: «ان الكندي بعد ذلك لم يزل فقيراً وشلت يداه إلى أن مات بأسوء حال».

قالوا: ولما سقَط الحسينُ عن ظَهرِ فرسه - وقد أثخِنَ بالجراح - قاتَل راجلاً قِتالَ الفارس الشُّجاع المُطْرِق، يتَقي الرَّميّة، ويَفترصُ العَورة، ويَشدّ على الخيل وهو يقول: «ويحكم أعلى قتلي تَجتَمعون»[1].

الحسين يدافع عن نفسه وحده

وأقبل على القوم يَدفعهم عن نفسه، ولم يبقَ معه إلا ثلاثةُ نفَر من رهطه[2] يحمون ظهرَه، حتى إذا قُتِلَ الثلاثة بقي وحدَه بين الأعداء، وقد أُثخِنَ بالجراح في رأسه وبدَنه، فجعلَ يُضاربُهم بسيفه وحمَل القومُ عليه يَميناً وشِمالاً، فحملَ على الذين عن يمينه، فتَفرّقوا عنه. ثم حمَل على الّذين عن شِماله فتَفرّقوا عنه.

هذا وقلبُه متفتّتٌ من الظَّما، ومحترق من فراق الأحبّة، وهو إذ ذاك يسمَعُ عَويلَ العِيال، وصُراخَ الأطفال، فنادى:

«هلْ مِن ذابٍّ يَذبُّ عن حرَم رسول الله، هلْ من مُوحّدٍ يَخاف الله فينا، هلْ مِن مُغيثٍ يَرجو الله في إغاثتنا، هل من مُعينٍ يَرجو ما عند الله في إعانتنا[3]».

فخرجت النساءُ من الخَيمة، وارتفعتْ أصواتُهنّ بالبكاء والعَويل.

---

(١) تاريخ الطبري ج٥ ص٤٥٢ طبع دار المعارف بلقاهرة، وكامل ابن الأثير: ج٣ ص٢٩٥ طبع بيروت.

(٢) كما عن عامة المؤرخين وأرباب المقاتل من الفريقين. وهم: سويد بن عمرو بن أبي المطاع، وبشر بن عمرو الحضرمي - أو ابنه محمد - ومسلم بن رباح، - كما قيل - ولعلّ الأخير هو آخرهم.

(٣) وعن مقتل أبي مخنف: «ثم أنه عليه السلام جعل ينظر يميناً وشمالاً، ولما لم ير أحداً من أصحابه وأهل بيته إلا من صافح التُراب جبينَه، وقطع الحمامُ أنينَه، فنادى: يا مسلم بن عقيل، ويا هاني بن عروة، ويا حبيب بن مظاهر، ويا زهير بن القين ويا مسلم بن عوسجة، ويا ولدي علي، ويا ابن أخي القاسم، ويا أخي العباس، ويا فلان ويا فلان. . . يا أبطال الصفا، ويا فرسان الهيجا، مالي أناديكم فلا تجيبون، وأدعوكم فلا تسمعون. . . أنتم نيام أرجوكم تنتبهون، قوموا من نومتكم يا كرام وادفعوا عن حُرم الرسول الطغاة اللئام. . .».

الشمر يحاول إحراق فسطاط الحسين

ثم إنّ شمرَ بن ذي الجوشَن حمَل على فِسطاط الحسين عليه السلام، فطعنَه بالرّمح، ثم قال: عليّ بالنار أحرقه على مَن فيه؟.

فقال له الحسين عليه السلام: يا بنَ ذي الجَوشن، أنتَ الداعي بالنار لتُحرقَ على أهلي؟ أحرقَك اللهُ بالنار.

وجاءَ شَبثُ بنُ ربعي فوبَّخه، فاستحى وانصَرف(١).

مصرع عبد الله بن الحسن

قالوا: وخرَج عبدُ الله بنُ الحسن بن علي عليهما السلام - وهو غلامٌ لم يُراهقْ - من عند النساء يَشتدّ نحوَ الحسين - حينما رأى القومَ قد أحدقوا به - فصاح الحسين بأخته العقيلة زينب: «إحبِسيه يا أختآه».

فلحقته زينب وأرادت حبسَه وردّه إلى الخيمة. فأفلت من بين يديها، وأبى عليها وامتنع امتناعاً شديداً، وقال: «لا والله لا أفارق عمي». فجاءَ حتى وقف إلى جنب عمّه الحسين - وهو صريع على وجه الأرض -.

وبينَما هو كذلك إذا جاء أبحرُ بنُ كعب، - وقيل حرَملةُ بنُ كاهل - وأهوى إلى الحسين بالسيفِ ليضربه. فصاح الغلام به: ويلك يا بنَ الخبيثة، أتقتل عمي؟.

فضرَبه أبحرُ بالسّيف، فاتّقاها الغلامُ بيده، فأَطنّها إلى الجلد، فإذا هي معلّقة، فصاح الغلام: يا عمّاه!!.

فأخذه الحسينُ وضمّه إلى صدره، وقال: «يا ابنَ أخي، إصبرْ على ما نزَل بك، واحتَسِبْ في ذلك الخير، فان الله تعالى يُلحقك بآبائك الصالحين».

---

(١) بحار المجلسي: ج٤٥ ص٥٤ طبع طهران الجديد، ولهوف ابن طاووس: ص٥١ طبع النجف.

فرماه حرملةُ بنُ كاهل الأسدي بسهمٍ فذبحَه، وهو في حجر عمّه الحسين[١].

فرفع الحسينُ عليه السلام يديه إلى السماء قائلاً: «اللهم، إن متّعتهم إلى حين، ففرِّقهم فِرَقا، واجعلْهم طَرائقَ قِدداً، ولا تُرضِ الوُلاةَ عنهم أبداً، فانّهم دعونا لينصرُونا فعَدوْا علينا يُقاتلوننا»[٢].

مصرع محمد بن أبي سعيد

قالوا: وخرَج غلامٌ من أخبية الحسين - حينما صُرِع - عليه أزارٌ وقميص وفي أذنيه درّتان، وهو مُمْسك بعُود، وهو مذعور يلتفت يَميناً وشِمالاً، وقُرطاه يتَذبذبانِ على خَدّيه كلّما الْتفتَ، فأقبل هاني بنُ ثَبيت الحضَرمي يركض حتى إذا دنا من الغلام مال عن فرسه، وعلاه بالسَّيف فقطّعه[٣].

وذلك الغلام هو محمّد بن أبي سعيد بن عقيل بن أبي طالب[٤] وكانت أمّه تنظر إليه وهي مدهوشة[٥].

الحسين يمكث طويلًا من النهار على وجه الأرض

قالوا: ومكثَ الحسين عليه السلام طويلاً من النهار مَطروحاً على وجه الأرض

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٥١ طبع دار المعارف بالقاهرة، ولهوف ابن طاووس: ج٥١ طبع النجف، وبحار المجلسي: ج٤٥ ص٥٤ طبع طهران الجديد، ومثير الأحزان لابن نما: ص٣٨، وأنساب البلاذري: ج٣ ص٢٠٢ طبع بيروت - باقتضاب -.

(٢) تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٥١ طبع دار المعارف بالقاهرة، وفي نهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤٥٩ أول هذا الدعاء هكذا: «اللهم أمسك عنهم قطر السماء، وامنَعهمْ بركات الأرض...».

(٣) تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٤٩ طبع دار المعارف بالقاهرة، والبداية والنهاية لابن كثير: ج٨ ص.١٨٦ وقيل: ان الذي قتله لقيط بن أياس الجهني.

(٤) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج، ص٨٧ طبع النجف.

(٥) الخصائص الحسينية للشوشتري: ص١٢٩.

وهو مَغشيٌّ عليه - ولو شاؤا أن يَقتُلوه لفعَلوا، إلا أن كل قبيلةٍ تتّكل على الأخرى وتكره الإقدام(١).

لله مُلقىً على الرّمضاء غَصّ به فمُ الرّدى بعد إقدامٍ وتَشميرِ
كأنَّ بيضَ المواضي وهي تَنهبُهُ نارٌ تحكَّم في جسمٍ من النّور
تَحنُوا عليه الظُّبى ظِلاً وتستُره عن النَواظر أذيالُ الأعاصير(٢)

فعندها صاح شِمرُ بالناس: ويحكم، ما تنتَظرون بالرجل؟ أقتلوه ثكلتكم أمهاتكم.

حملوا عليه من كل جانب

فحَملوا عليه من كلّ جانبٍ، فضَربَه زرعةُ بنُ شريك التَميمي على كفّه اليُسرى، فقطَعها وضَربهُ لعينٌ من القوم على عاتقه المقدّس ضربةً كبا بها على وجهه(٣).

وا أسفاهُ حمَلوا عليه من كل جانبٍ أتوا إليه
قد ضَربُوا عاتقَه المطهّرا بضربةٍ كبا بها على الثرى(٤)

وكان قد أعيا، فجعَل يَنوءُ برقبته، ويقوم ويكبُو على الأرض، فحمَل عليه - في تلك الحال - سنانُ بنُ أنس النخعي فطعنه بالرمح في تِرقوته فوقع، ثم انتزع

---

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ص٢٥٥، والخطط المقريزيّة: ج٢ ص٢٨٨، وتاريخ الطبري: ج٥ ص٤٥٢ طبع دار المعارف.

(٢) من قصيدة عصماء للشريف الرضي (قدّس سره) في رثاء الحسين عليه السلام - كما في ديوانه المطبوع -.

(٣) تاريخ الطبري - المصدر الآنف - ومناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص١١١ ولهوف ابن طاووس: ص٥٢ طبع النجف. وأنساب الأشراف للبلاذري: ج٣ ص٢٠٣ طبع بيروت. وفي بعض هذه المصادر (كتفه الأيسر) بدل (كفه اليسرى). وفي المصدر الآنف من (المناقب): ان الذي ضربه على عاتقه: هو عمرو بن الخليفة الجعفي.

(٤) من (المقبولة الحسينية) للمغفور له الحجة الشيخ هادي آل كاشف الغطاء.

الرمحَ وطعنه في بَواني صدره[١] ثم رماه بسهم وقع في نحره[٢]. وطعنه صالحُ بنُ وهَب المزني بالرمح في خاصرته[٣]. وقصَدَ إليه نصرُ بنُ خُرشة، فجعَل يضربه بسيفه [٤] ورماه الحصين بن تَميم في حلقه [٥] فعند ذلك وقع على الأرض مغشياً عليه.

قال هلال بن نافع: كنتُ واقفاً مع أصحاب عمر بن سعد، فخرجتُ بين الصفين، ووقفت على الحسين - وهو طريحٌ على الأرض وانه ليجود بنفسه - فوالله ما رأيت قتيلاً مضرّجاً بدمه أحسن منه ولا أنورَ وجهاً، ولقد شغلني نور وجهه وجمال هيأته عن الفكرة في قتله، فاستسقى في تلك الحال ماءً، فسمعتُ رجلاً يقول له: «والله لا تذوق الماء حتى تردَ الحامية فتشربَ من حميمها، فسمعتُه يقول: «يا وَيلك أنا لا أرد الحامية ولا أشرب من حميمها، بل أرد على جدي رسول الله وأسكن معه في داره في مقعَد صدقٍ عند مليك مقتدر، وأشرب من ماءٍ غير آسِنٍ، وأشكو إليه ما ارتكبتُم مني وفعلتم بي».

قال: فغضبوا بأجمعهم حتى كأنّ الله لم يجعل في قلب أحد منهم من الرّحمة شيئاً[٦].

لله مطروحٌ حوتْ منه الثَّرى ... نفسَ العلى والسُؤددَ المفقُودا
ومجَرّح ما غيّرتْ منه القنَا ... حسَناً ولا أخلقنَ منه جديدا
قد كان بدراً فاغتدى شمسَ الضُّحى ... مذ ألبستْهُ يدُ الدماء لبُودا

---

(١) إرشاد المفيد ص٢٥٧ طبع إيران، ومقتل الخوارزمي: ج٢ ص٣٥ طبع النجف، ونهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤٥٩ ط القاهرة.
(٢) لهوف ابن طاووس: ٥٢ طبع النجف، وفيه: «فسقط عليه السلام وجلس قاعداً وجلس قاعداً فنزع السهم من نحره، وقرن كفيه جميعاً، فكلما امتلأتا من دمائه خضب بهما رأسه ولحيته وهو يقول: هكذا ألقى الله مخضباً بدمي، مغصوباً علي حقي».
(٣) مقتل العوالم ص١١٠، ومناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص١١١ طبع قم.
(٤) مناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص١١١ طبع قم.
(٥) الاتحاف بحب الأشراف: ص١٦ والمناقب: ج٤ ص١١١ طبع قم.
(٦) لهوف ابن طاووس ص٥٣ طبع النجف، ومثير الأحزان لابن نما: ص٣٩.

تَحمي أشعّتُه العيُونَ، فكلّما حاولنَ نهجاً خِلْته مسدودا
وتُظلّه شَجرُ القَنا حتى أبتْ إرسالَ هاجرةٍ إليه بَريدا[1]

قالوا: وجاءت جاريةٌ من ناحية خِيَم الحسين عليه السلام فقال لها رجلٌ من القوم: يا أمةَ الله، إن سيّدك قُتِلَ، فهرعت الجارية إلى سيّداتها - وهي صارخة - فقُمنَ في وجهها وصِحنَ وبكين[2].

الحسين يناجي ربه في ساعة العسرة

ولمّا اشتدّ الحال بالحسين عليه السلام رفَع طرفَه إلى السماء وقال:

«صبراً على قضائك يا ربّ، لا إله سواك يا غياثَ المستَغيثين»[3].

(١) من قصيدة عامرة في رثاء الحسين عليه السلام للمغفور له الحاج هاشم الكعبي مطلعها:
أرأيت يوم حمّلتك القودا من كان منا المثقل المجهودا
(٢) لهوف ابن طاووس: ص٥٥ طبع النجف.
(٣) أسرار الشهادة للدربندي: ص٤٤٣ وعن مصباح المتهجّد للطوسي وإقبال ابن طاووس، ومزار البحار - باب زيارته يوم ولادته -: أنه «لما اشتد الحال بالحسين رفع طرفه نحو السماء وقال: «اللهم متعالي المكان، عظيم الجبروت، شديدَ المحال، غني عن الخلائق عريض الكبرياء، قادرٌ على ما تشاء، قريب الرحمة، صادق الوعد، سابغ النعمة، حسن البلاء، قريب إذا دعيت، تحيط بما خلقت، قابل التوبة لمن تاب إليك، قادر على ما أردت، تدرك ما طلبت، شكور إذا شكرت، ذكورٌ إذا ذكرت، أدعوك محتاجاً، وأرغب إليك فقيراً، وأفزع إليك خائفاً وأبكي مكروباً، وأستعين بك ضعيفاً، وأتوكل عليك كافياً.
اللهم احكم بيننا وبين قومنا، فانهم غرّونا وخذلونا، وغدروا بنا وقتلونا، ونحن عترة نبيك وولد حبيبك محمد صلى الله عليه وآله الذي اصطفيته بالرسالة، وائتمنته على الوحي، فاجعل لنا من أمرنا فرجاً ومخرجاً يا أرحم الراحمين».

فرس الحسين يهرَعُ نحو المخيم

وأقبل فرسُ الحسين عليه السلام يَدور حولَه، ويلطّخ عرفَه وناصيتَه بدمه[١].

فصاح ابنُ سعدٍ بقومه: دونكم الفرس، فانه من جياد خيل رسول الله؟ فأحاطت به الخيل، فجَعل يرمَح برجليه حتى قتل رجالاً وأفراساً كثيرة[٢].

فقال ابنُ سعد: دعُوه لننظر ما يصنع. فلمّا أمِنَ الطلب أقبل نحوَ الحسين - وهو مضمّخ بدمائه - فأخذ يمرغ ناصيتَه بدمه ويشمّه ويَصهل صَهيلاً عالياً[٣].

فعن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام -: أنه كان يقول في صَهيله:

«الظليمةَ، الظليمةَ من أمةً قَتَلت ابنَ بنت نبيّها».

وتوجّه نحوَ المخيّم بذلك الصَّهيل الحزين[٤].

«فلمّا نظرنَ النساءُ إلى الجَواد مَخزيّاً، وسرجَه عليه ملويّاً بَرزنَ من الخدّور، ناشراتِ الشعور، على الخدود لاطمات، وللوجوه سافرات، وبالعويل داعيات، وبعدَ العزّ مذَلّلات، وإلى مصرع الحسين مبادرات»[٥].

بنات الرسالة يهرعن إلى مصرع الحسين

وخرجتْ زينبُ ابنةُ علي - ومن خلفها النساءُ والأرامل واليتامى - من الفسطاط إلى جهة المعركة وهي تنادي:

وآمحمّداه، وآعليّاه، وآجعفراه، وأحمزتاه، وآسيّداه، هذا حسينٌ بالعراء،

(١) أمالي الصدوق: مجلس (٣٠). وتظلم الزهراء: ص١٢٨، ومقتل الخوارزمي: ج٢ ص٣٧.

(٢) في بحار المجلسي: ج٤٥ ص٥٧ طبع طهران الجديد: انه قتل أربعين رجلاً.

(٣) البحار - المصدر الآنف - وتظلّم الزهراء: ص١٢٩.

(٤) مقتل الخوارزمي: ج٢ ص٣٧ طبع النجف.

(٥) فقرات من زيارة الناحية المنسوبة إلى حجة آل محمد عجل الله فرجه.

صَريعُ كربلاء[١] ليتَ السماء أطبقتْ على الأرض، وليتَ الجبال تَدكدكتْ على السَّهل[٢].

قالوا: وانتهت زينبُ ابنةُ علي نحوَ الحسين، وقد دنا منه عمرُ بنُ سعد - والحسينُ يجودُ بنفسه - فصاحت به:

«أيْ عُمَر، وَيحكَ أيُقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه»؟. فصرَف بوجهه عنها ودموعه تَسيل على وجهه ولحيته[٣].

فعند ذلك صاحتْ زينبُ بالقوم: «وَيحكم، أما فيكم مسلم؟. فلم يُجبها أحد[٤].

وقعت الواقعة

قالوا: ثم صاح ابنُ سَعدٍ بالناس: وَيحكم، إنزلوا إليه فأريحوه.

فنزل إليه شمرُ بنُ ذي الجَوشن - وكان أبرص - فضربه برجله، وألقاه على قَفاه، ثم أخذ بكريمته المقدّسة.

فقال له الحسين عليه السلام: أنت الكلب الأبقع الذي رأيتُه في منامي.

فغضب الشمر، وقال له: أتشبّهني بالكلاب يا ابن فاطمة؟.

فجَعل يضربُه بالسيف - والحسينُ يلوك بسانه من شدّةِ العطش - فطلب الماءَ. فقال له الشمر: يا ابنَ أبي تُراب، ألستَ تزعم أنّ أباكَ على حوض النبي يسقي من أحبّه، فاصبرْ حتى تأخذ الماءَ من يده.

---

(١) مقتل الخوارزمي، وبحار المجلسي - بنفس المصدر الآنف -.
(٢) مقتل المقرم: ص٣٤٧ طبع النجف.
(٣) تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٥٢ طبع دار المعارف بالقاهرة، وكامل ابن الأثير: ج٣ ص٢٩٥ طبع بيروت، وأنساب البلاذري: ج٣ ص٢٠٣ طبع بيروت، ومقتل الخوارزمي: ج٢ ص٣٥ طبع النجف، ونهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤٥٩.
(٤) إرشاد المفيد.

فرمَقه الحسينُ ببصره وقال له: أتقتلني، أَولا تعلم مَن أنا؟.

فقال الشمر: أعرفك حقّ المعرفة: أمّك فاطمةُ الزهراء، وأبوك علي المرتضى، وجدّك محمّد المصطفى، وخصمُك العلي الأعلى، وأقتلك ولا أبالي.

فضربه بالسيف اثنتي عشرة ضربةً، ثم حزّ رأسَه ودفعه إلى خِولّى بن يزيد، فقال: احمله إلى الأمير ابن سعد، وزينبُ تنظر إلى ذلك(١).

فأَقبلْنَ رَبّاتُ الحِجال وللأسى تَفاصيلُ لا يُحصي لهنّ مُفصّل
فواحدةٌ تحنُو عليه تَضمُّه وأخرى عليه بالرّداءِ تُظلّل
وأخرى بفيض النَّحر تَصبغ وَجهَها وأخرى تَفدّيه وأخرى تُقبّل
وأخرى على خَوفٍ تَلوذ بجنبه وأخرى لِما قد نالها ليس تَعقل
وجاءَتْ لشمرٍ زينبُ ابنةُ فاطم تُعنّفه عن أمره وتُعذّل
تدافِعُه بالكفّ طوراً وتارةً إليه بطه جدّها تَتوسَّل
أيا شِمرُ لا تَعجل على ابن محمّدٍ فذو تِرةٍ في أمره ليس يَعجل
أيا شمرُ مهما كنتَ في الناس جاهلاً فمثلَ حسينٍ لستَ يا شمرُ تَجهل
أيا شمرُ هذا حجةُ الله في الورى أَعدْ نظراً يا شمرُ إن كنتَ تَعقل
ومرّ يَحزّ النحرَ غيرَ مراقبٍ من الله لا يخشى ولا يتوجّل(٢)

(١) مقتل الخوارزمي: ج٢ ص٣٦، ٣٧ طبع النجف، وبحار المجلسي: ج٤٥ ص٥٦ طبع طهران الجديد. وقال البلاذري في أنسابه - كغيره من عامة المؤرخين -: «وكان الحسين قبل ذلك قد ضُرب بالسيوف وطُعن بالرماح فوُجد به ثلاثٌ وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة».
والمشهور بين المؤرخين: أن الشمر هو الذي تولى قتله وحز رأسه الشريف. وقيل: خولّى بن يزيد الأصبحي، أو سنان بن أنس النخعي ويرى النويري في (نهايته: ج٢٠ ص٤٥٩): أن سنان ذبحه وأعطى رأسه إلى خولّى.

(٢) من قصيدة عامرة في رثاء الحسين عليه السلام للمرحوم الحاج هاشم الكعبي.

تغير العالم العلوي بعد مقتله

قالوا: وارتفعتْ في ذلك الوقت غُبرةٌ شديدةٌ سوداءُ مُظلمة، فيها ريحٌ حمراء، لا يُرى فيه عينٌ ولا أثر، حتى ظَنّ القومُ أن العذاب قد جاءَهم. فلبثوا كذلك ساعةً، ثم انجلت الغُبرة عنهم[١].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: أنه قال: «لما ضُرب الحسينُ بنُ علي بالسيف وسَقط، وابتُدِرَ ليُقطعَ رأسُه، نادى مُنادٍ من بِطنان العشر: ألا أيّتها الأمّة المتحيّرة الضالّة بعدَ نبيها، لا وَفقكم الله لأضحىً ولا فطر - ثم قال -: لا جَرم - والله - ما وُفّقوا، ولا يوَفّقون حتى يثور ثائرُ الحسين بن علي عليه السلام -»[٢].

سلب الحسين عليه السلام

ثم أقبل القومُ على سلب الحسين عليه السلام، فأخذ عمرُ بنُ سَعد درعَه البتراء[٣]. وأخذ إسحاقُ بنُ حويّة الحَضرمي قميصَه[٤]. وأخذ الأخنسُ بن مرثَد الحضرمي عمامَته[٥]. وأخذ أبحرُ بن كعب التميمي سَراويلَه[٦]. وأخذ قيسُ بنُ

---

(١) بحار المجلسي: ج٤٥ ص٥٧ طبع طهران الجديد، ومقتل الخوارزمي: ج٢ ص٣٧ طبع النجف.

(٢) (من لا يحضره الفقيه) للشيخ الصدوق: ص١٤٨، ونفس المهموم للمحدث القمي: ص١٩٦.

(٣) لهوف ابن طاووس: ص٥٤ طبع النجف.

(٤) اللهوف - نفس المصدر - والمناقب ج٤ ص١١١ طبع قم، وإرشاد المفيد: ص٢٥٨ طبع إيران. وفي اللهوف، «فلبسه فصار أبرص وامتعط شعره». وفي (الأنساب للبلاذري ج٣ ص٢٠٤) طبع بيروت: انه اسحاق بن حياة الحضرمي. ولعله اشتباه.

(٥) كما في اللهوف والإرشاد - بنفس المصدر - وفيه: «وقيل جابر بن يزيد الأودي، فاعتم بها فصار معتوهاً».

(٦) مناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص١١١ طبع قم، إرشاد المفيد ص٢٥٨ طبع إيران، تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٥٣ طبع دار المعارف بمصر، وكامل ابن الأثير: ج٣ ص٢٩٥ طبع =

الأشعث الكندي قطيفَته - وكانت من خَز[١]. وأخذ جعونةُ بنُ حوية ثوبَه الخَلِق الذي جعله تحت ثيابه[٢] وأخذ جميعُ بن الخَلِق الأودي سيفَه[٣]. وأخذ الأسودُ بن خالد الأودي نَعليه[٤]. وأخذ الفرشَ والحُلل: الرحيلُ بنُ خيثَمة الجعفي وهاني بن ثبيت الحضرمي، وجرير بن مسعود الحضرمي[٥] وأخذ بدل بن سليم الكلبي خاتَمه الشريف، وقد جُمدت عليه الدماء، فقطع إصبَعه مع الخاتم[٦] وتركوه:

عُريانَ يكسوه الصعيدُ ملابساً أفديه مَسلوبَ اللباس مُسربَلا
ولِصَدرِهِ تَطأُ الخيولُ وطالَما بسريره جِبْريلُ كان مُوَكَّلا

= بيروت، ولهوف ابن طاووس: ص٥٤ طبع النجف وفيه: - كما في الخوارزمي - «فروي انه صار زمناً مقعداً من رجليه» وفي اللهوف أيضاً ص٥٢ «فكانت يده بعد ذلك تيبسان في الصيف كأنهما عودان يابسان، وتترطبان في الشتاء، فتنضحان دماً وقيحاً إلى أن أهلكه الله» وذكر الخوارزمي في.(مقتله: ج٢ ص٣٨) والطبري في (تاريخه ج٥ ص٤٥١) طبع دار المعارف - مثل ذلك، وكذلك ذكر النويري في (نهايته: ج٢٠ ص٤٥٩).

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٥٣ طبع دار المعارف بمصر، وكامل ابن الأثير: ج٣ ص٢٩٥ طبع بيروت وفيهما: «وكان يسمى بعد ذلك قيس قطيفة». ومثل ذلك في (أنساب البلاذري ج٣ ص٢٠٤) طبع بيروت، ومثل ذلك ذكر النويري في (نهايته: ج٢٠ ص٤٦٠).

(٢) مناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص١١١ طبع قم، ومقتل الخوارزمي ج٢ ص٣٧ طبع النجف، وفيه «انه لبسه فصار أبرص وسقط شعره».

(٣) لهوف ابن طاووس: ص٥٤ طبع النجف، وفيه: «ان هذا السيف ليس بذي الفقار فان ذلك كان مذخوراً ومصوناً مع أمثاله من ذخائر النبوة والامامة». وفي أنساب البلاذري - بالمصدر الآنف: ان الذي أخذ سيفه رجل من بني نهشل بن دارم، ومثله ذكر النويري - في المصدر الآنف من النهاية -.

(٤) اللهوف ص٥٤، والمناقب: ج٤ ص١١١، وكامل ابن الأثير: ج٣ ص٢٩٥ طبع بيروت. وأنساب البلاذري: ج٣ ص٢٠٤ طبع بيروت، ونهاية الارب للنويري ج٢٠ ص٤٦٠.

(٥) كامل ابن الأثير: ج٣ ص٢٩٥ طبع بيروت، والمناقب ج٤ ص١١١، وفي (الأنساب): أسيد ابن مالك الحضرمي، بدل: هاني بن ثبيت.

(٦) لهوف ابن طاووس: ٥٤ طبع النجف، وشرح الشافية لأبي فراس ج٢ ص٢.

حرق الخيام ونهب المتاع وسلب النساء

ثم مال الناس إلى ثقله ومتاعه، وانتهبُوا جميعَ ما في الخيام[١].

ثم أخرجوا النساءَ من الخيام، وأضرموا النارَ فيها، وتسابق القومُ على نهبِ بيوت آل الرسول وقرّة عين البتول، حتى جَعلوا ينتزعون مَلحفةَ المرأة عن ظهرها، ففررنَ بنات الزهراء حواسرَ، مسلّباتٍ حافياتٍ، باكيات[٢].

---

(١) كامل ابن الأثير: ج٣ ص٢٩٥ طبع بيروت. وتاريخ الطبري: ج٥ ص٤٥٣ طبع دار المعارف بمصر.

(٢) لهوف ابن طاووس: ص٥٥ طبع النجف. ومثير الأحزان لابن نما: ص. ٤٠ وفي (نهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤٦٠) ط القاهرة: (... وانتهبوا ثقله ومتاعه وما على النساء، حتى إن كانت المرأة لتنازع ثوبها، فيؤخذ منها).

وفي (أمالي الصدوق: مجلس ٣٠) وسير أعلام النبلاء للذهبي: ج٣ ص. ٢٠٤ «وجاء رجل من القوم إلى فاطمة بنت الحسين، فانتزع خلخالها، وهو يبكي، فقالت له: ما لك تبكي؟ فقال: كيف لا أبكي وأنا أسلب ابنة رسول الله؟ قالت له: دعني؟ قال: أخاف أن يأخذه غيري».

وفي (بحار المجلسي: ج٤٥ ص٦٠) طبع طهران الجديد: «رأيتُ في بعض الكتب: أن فاطمة الصغرى قالت: كنت واقفة بباب الخيمة، وأنا أنظر إلى أبي وأصحابه مجزرين كالأضاحي على الرمال والخيول على أجسادهم تجول، وأنا أفكر فيما يقع علينا بعد أبي من بني أمية: أيقتلوننا أم يأسروننا، فإذا برجل على ظهر جواده يسوق النساء بكعب رمحه، وهن يلذين بضعهن ببعض، وقد أخذ ماعليهن من أخمرة وأسورة، وهي يصحن: واجداه، واابتاه، واعلياه... واقلة ناصراه، واحسناه واحسيناه؟ أما من مجير يجيرنا؟ أما من ذائد يذود عنّا؟.

قالت: فطار فؤادي، وارتعدت فرائصي، فجعلت أجيل بطرفي يميناً وشمالاً على عمتي أم كلثوم خشيةً منه أن يأتيني.

فبينما أنا على هذه الحالة، وإذا به قد قَصدني، ففررتُ منهزمة، وأنا أظن أسلم منه، وإذا به قد تبعني، فذهلت فخشيتُ منه، وإذا بكعب الرمح بين كتفي، فسقطتُ على وجهي، فخرم أذني وأخذ قرطي ومقنعتي، وترك الدماء تسيل على خدي، ورأسي تصهره الشمس...».

قال حميدُ بنُ مسلم: رأيتُ امرأةً من آل بكر بن وائل كانت مع زوجها في أصحاب عمر بن سعد، فلما رأت القومَ قد اقتحموا على سلب بنات رسول الله صلى الله عليه وآله أخذت سيفاً، واقبلتْ نحو القوم وهي تصيح: «يا آل بكر بن وائل، أتسلبُ بناتُ رسول الله؟ لا حكم إلا لله، يا لثارات رسول الله» فأخذها زوجُها وردّها إلى رحله[1].

وأشجى مصابٍ أغضبَ الحقّ غيرةً ... وأدمى جفونَ المجد فهي له عَبرى
هجومُ بني حربٍ على حَرم الهدى ... على حينَ ربُّ العرش شرّفه قَدرا
فتمسي بلا سَترٍ بناتُ محمّدٍ ... وان هنَّ قد ألبسنَ من هيبةٍ سِترا
وأنّ بني هندٍ تغير بخيلها ... على صفوة الزهراء فتهتكها خِدرا
وأن أكفّ الخَمر تمتدّ نحوَها ... على قِصَرٍ فيها، فتنتزع الخُمْرا
ومذعورةٍ باليُتم قد ريع قلبُها ... كطيرٍ عليها الصقرُ قد هاجَم الوكرا
أهابت بها من هجمة الخيل صرخةٌ ... على ثكلها باليتم فاضطربتْ ذُعرا[2]

وذكر بعضهم: إن الحسين عليه السلام - أوصى أخته العقيلةَ زينبَ بحفظ الأطفال وجمعِهم عند هجوم العدوّ على خيامهم. ولما فرّت الأطفال في البيداء عند هجوم الخيل، خرجتْ زينبُ تتَفقّدهم فوجدت طفلين ميّتين تحت شجرةٍ هناك. هل أنهما ماتا من العَطش، أم خوفاً من دهشة العدوّ؟ لا أدري؟.

محاولة قتل الإمام زين العابدين عليه السلام

قالوا: ثمّ انتهى القومُ إلى علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام - وهو مريضٌ منبسط على فراشه لا يستطيع النهوض - وإذا بجماعة من الرّجالة في مقدّمتهم شمرُ بن ذي الجَوشن. يقولون: ألا نقتل هذا العليل؟.

---

(١) ن. م.

(٢) أبيات من قصيدة عامرة في رثاء الحسين عليه السلام للعلامة الشاعر الشيخ الفرطوسي - كما في ديوانه المطبوع -.

فقال حميدُ بنُ مسلم: سُبحانَ الله، أتُقتَل الصّبيان؟ إنّما هذا صبي[١].

فقال الشمرُ: قد صدَر أمرُ الأمير عبيدُ الله بن زياد بقتل جميع أولاد الحسين، وبالغ ابنُ سعد في منعه حينما رأى العقليةَ زينبَ قد أقلبتْ إليه وأهوتْ عليه، وقالت: والله لا يُقتَل حتى أقتلَ دونه، فكفّوا عنه[٢].

والهفتاهُ لزين العابدينَ لَقىً من طول علته والسقمِ قد نُهكا
كانتْ عيادتُه منهمْ سياطهم وفي كعوب القنا قالوا: البقاءُ لكا
جرّوه فانتهبُوا النطعَ المعدّ له وأوطئوا جسمَه السعدانَ والحَسكا[٣]

عيال الحسين يصرخن في وجه ابن سعد

وأقبل عمرُ بن سعد إلى جهة خيام الحسين وعياله وأطفاله فصاحت النساءُ والأطفال في وجهه وبكينَ وأعولْنَ.

فقال لأصحابه: ألا لا يَدْخلْ أحدٌ منكم بيوتَ هذه النسوة، ولا تعرّضوا لهذا الغلام.

وسألته النسوةُ أن يَسترجع ما أُخِذَ منهنّ من المسلوبات، فصاح بالناس: من أخذَ منهن شيئاً فليردّه.

قال حميد بن مسلم: فما ردّ أحدٌ منهم شيئاً[٤].

وهل بَقيتْ لبنات الزهراء خيمةٌ يأوينَ إليها لم تحترق؟ لا أدري؟...

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٥٤ طبع دار المعارف بالقاهرة، وكامل ابن الأثير: ج٣ ص٢٩٥ طبع بيروت، وفي تاريخ القرماني: ص١٠٨: «انما هو مريض».

(٢) تاريخ القرماني: ص١٠٨، ومقتل الخوارزمي: ج٢ ص٣٨، ونفس المَهموم للقمي....

(٣) من قصيدة للشاعر الجزل السيد جعفر الحلي - كما في ديوانه المطبوع -.

(٤) تاريخ الطبري: ج٥ ص٤٥٤ طبع دار المعارف بالقاهرة، وكامل ابن الأثير: ج٣ ص٢٩٥ طبع بيروت، وتاريخ ابن كثير: ج٨ ص١٨٩.

وحَصانٍ لم تَجِدْ كسرَ حجابٍ أبرِزَتْ تَخفض طَرفيها انكسارا
حُرةٍ لم تُنضِ في الخِدر خِماراً قد أماطوا عن مُحيّاها الخِمارا
تَخمشُ الأوجهَ بالعشر وتَدعو بحنينٍ يُسكت الهيمَ العِشارا
طفَقت تَلدمُ صدراً واغرا وشّحته الأصبحياتُ صِدارا
زَفرتْ عن حُرّ قلبٍ أشرجت فوقَه للحزن أضلاعاً حِرارا
بشجونٍ مستشيطاتٍ أَوارا وشؤونٍ مستهلاّتٍ قَطارا
كلّما قد نَضب الدمعُ استقى مدمعُ العين دمَ القلب مُمارا
وأمضّ الداء في القلب وقوعاً طفلةٌ تقدح في القلب شَرارا
ذاتُ قُرطٍ قَصُرتْ عنه يداً طال ما صاغ لها السوطُ سِوارا
وغريرٍ أتلعِ الجيد انبرتْ من دِما أوداجه تُروى الغرارا
ذي نَفارٍ عَلُق الطَّوقُ به وردَ الحتفَ وما اخضرّ عِذارا
كبُروا من أن يعنّيهم صغارٌ، فقضَوا فيه كباراً وصغاراً[1]

ألا لعنةُ الله على القَوم الظّالمين وسيَعلم الذينَ ظَلَموا أيَّ مُنقلَبٍ ينقلبُون[2]

عقبة والمرقع والضحاك ينجون من القتل

ثم إنَّ عمر بن سعد أخذ عقبةَ بن سمعان - مولى الرباب بنت امرئ القيس زوجة الحسين عليه السلام - فقال له: مَن أنت؟ قال: أنا عبد مملوك، فخلى سبيله، فلم يَنجُ من أصحاب الحسين غيرُه، وغير المرقع بن ثمامة الأسدي - وكان قد نثر نبله وجثا على ركبتيه - فجاءَه نفرٌ من قومه فاستأمنوه، وجاؤوا به إلى ابن زياد،

---

(١) من قصيدة في رثاء الحسين عليه السلام للمغفور له جدنا السيد إبراهيم الطباطبائي بحر العلوم - كما في ديوانه المطبوع -.

(٢) إلى هنا ينتهي سيدنا الوالد من كتابه (المقتل) ونحن بدورنا - بعد ذلك - نلحق به ما يناسب الموضوع من عرض بعض الحوادث التي وقعت في كربلاء - بعد قتل الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه، فنقول - وبالله المستعان.

فنفاه إلى (الزارة) من أرض البحرين. وكذلك ينجو الضحاك بن عبد الله المشرقي من القتل، لمعاهدة بينه وبين الحسين عليه السلام: أنه يقاتل عنه ما دام معه أحد فإذا لم ير مقاتلاً فهو في حلٍّ من الإنصراف، فلما قتل جميع أصحاب الحسين استحل من ذمامه وفرّ من المعركة ونجا على فرسه بعد أن دارت بينه وبين القوم مقاتلة عنفية[1].

الخيل ترض صدر الحسين وظهره

ثم نادى ابنُ سعد - بعد ذلك - في أصحابه: ألا مَن ينتدب إلى الحسين فيوطئ الخيلَ ظهرهَ وصدرَه، فانتدبَ له عشرةٌ من الفوارس، فداسوا جسدَ الحسين بخيولهم حتى رضّوا ظهرَه وصدرَه[2].

وهؤلاء العَشرة هم: اسحاق بن حوية الحضرمي الذي سلَب الحسين قميصَه، والأخنس - أو الأحبش - بن مرثد بن علقمة الحضرمي، وحكيمُ بن الطفيل السنبسي الطائي، وعَمرو بن صبيح الصَّيداوي المذحجي، ورجاء بن منقذ العبدي، وسالم بن خَيثمة الجعفي، وواخط - أو أدلم - بن ناعم - أو غانم - وسالم بن وهب الجعفي، وهاني بن ثبيت الحضرمي، وأسيد - أو أسد - بن مالك[3].

---

(١) تاريخ الطبري ج٥ ص٤٠٤ طبع دار المعارف بالقاهرة، وكامل ابن الأثير: ج٣ ص٢٩٦ طبع بيروت، وأنساب البلاذري: ج٣ ص٢٠٥ طبع بيروت. ونهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٦٤٢ ط القاهرة.

(٢) تاريخ الطبري، وابن الأثير - المصدرين الآنفين - والخطط المقريزية: ج٢ ص٢٨٨ والبداية والنهاية: ج٨ ص١٨٩ وتاريخ الخميس: ج٣ ص٣٣٣ واعلام الورى للطبرسي ص.٨٨٨ وروضة الواعظين للفتال: ص١٨٦، وأنساب البلاذري: ج٣ ص٢٠٤ طبع بيروت، ونهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤٦٣ ط القاهرة.

(٣) لهوف ابن طاووس: ص٥٦ طبع النجف، ومقتل الخوارزمي: ج٢ ص٣٩ طبع النجف، ومناقب ابن شهر اشوب ج٤ ص١١١ طبع قم. =

فـليـتَ أكـفـاً حـارَبـتـكَ تَـقـطّـعـتْ وأرجـلَ بـغـيٍ جـاوَلـتْـكَ جُـذامُ
وخيـلاً غـدَتْ تُـردي عـليـك جوارياً عُـقِـرْنَ فـلا يُـلـوى لـهـنّ لِـجـام
ورضّت قراك الخيل من بعدما غدتْ أولو الخيل صرعى منك فهي، رمام[1]

قطع الرؤوس وتوزيعها على القبائل المقاتلة

وأمرَ ابنُ سعد - بعد ذلك - بقطع رؤوس القتلى من أصحاب الحسين وأهل بيته، وقسمتها بين القبائل المشتركة في القتال لتتقَرب بها إلى ابن زياد وتأخذ الجائزةَ منه[2].

فأعطى كندةَ - وصاحبُهم قيسُ بن الأشعث - ثلاثةَ عشر رأساً[3].

وأعطى هوازنَ - وصاحبُهم شمرُ بن ذي الجوشن - عشرينَ رأساً[4].

= وفي اللهوف والمقتل للخوارزمي ومقتل ابن نما وغيرها: ان هؤلاء العشرة جاءوا إلى ابن زياد يقدمهم أسد بن مالك وهو يقول:

نـحـن رضـضـنـا الـصـدر بـعـد الـظـهـر بـكـل يـعـبـوب شـديـد الأسـر

فأمر لهم ابن زياد بجائزة يسيرة. قال الراوي: (فنظرنا في هؤلاء العشرة فوجدناهم جميعاً أولاد زنا).

(١) من قصيدة في رثاء الحسين عليه السلام لابي ذيب الشيخ يوسف القطيفي المتوفى سنة ١٢٠٠هـ.

(٢) قال السيد ابن طاووس في (لهوفه: ص٦٠) طبع النجف: «وروي: ان أصحاب الحسين عليه السلام كانوا ثمانية وسبعين رأساً، فاقتسمتها القبائل لتتقرب بذلك إلى عبيد الله بن زياد وإلى يزيد بن معاوية». والملاحظ: أن بعض الرؤوس لم تقطع، وبعضها قطعت في أثناء الحرب فخفي أثرها، وهذا العدد الذي ذكره السيد هو المتيقن من الرؤوس المسيّرة مع القبائل بعد المعركة.

(٣) لهوف ابن طاووس: ص٦٠ طبع النجف، وأنساب البلاذري: ج٣ ص٢٠٧ طبع بيروت، ونهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤٦١ طبع القاهرة.

(٤) مناقب ابن شهر اشوب: ج٤ ص١١٢ طبع قم، وأنساب البلاذري ج٣ ص٢٠٧، طبع بيروت، ونهاية الارب للنويري - المصدر الآنف.

وأعطى تميمَ: سبعةَ عشر رأساً[١].

وأعطى بني أسد: ستةَ رؤوسٍ[٢].

وأعطى مذحج - وصاحبُهم عمرو بن الحجاج الزبيدي - سبعة رؤوس[٣].

وأعطى باقي الناس: ثلاثةَ عشر رأساً[٤].

وأرسل ابنُ سعد في عَصر اليوم العاشر رأسَ الحسين عليه السلام مع خولى بن يزيد الأصبحي، وحميد بن مسلم الأزدي[٥] وسرّح رؤوسَ أهل بيته وأصحابه مع الشمر، وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجاج[٦].

---

(١) أنساب البلاذري - المصدر الآنف - وكذلك نهاية الارب - المصدر الآنف - ولهوف ابن طاووس: ص٦١ طبع النجف، وفي (المناقب): تسعة عشر.

(٢) نهاية الارب: ج٢٠ ص٤٦١ ط القاهرة.

(٣) ن. م.

(٤) اللهوف والأنساب - بالمصدرين الآنفين - وبحار المجلسي: ج٤٥ ص٦٢ طبع طهران الجديد، وفي نهاية الارب - المصدر الآنف -: سبعة رؤوس.
هذا، ولكن في (تذكرة السبط ص٢٥٦) طبع النجف: «حمل مع رأس الحسين اثنان وتسعون رأساً».

(٥) لهوف ابن طاووس ص٦٠ طبع النجف، وبحار المجلسي: ج٤٥ ص٦٢ طبع طهران لجديد، وأنساب البلاذري: ج٣ ص٢٠٦ طبع بيروت. ونهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤٦٣ ط القاهرة، وفيه: «... فأقبل به خولّى فوجد باب القصر مغلقاً، فأتى منزله، فوضعه تحت أجانة في الدار، ثم دخل البيت، فأوى إلى فراشه، فقالت له امرأته، وهي النوّار بنت مالك الحضرمية: ما الخبر؟ قال: جئتك بغنى الدهر، هذا رأس الحسين معكِ في الدار، قالت: فقلت: ويلك، جاء الناس بالذهب والفضة وجئت برأس ابن رسول الله صلى الله عليه وآله. والله لا يجمع رأسي ورأسك بيت أبداً. قالت: فقمت من فراشي فخرجت وجلست أنظر، فوالله ما زلت أنظر إلى نور يسطع مثل العمود من السماء إلى (الأجانة) ورأيت طيراً بيضاً ترفرف عليها...».

(٦) اللهوف ص٦٠، ومقتل الخوارزمي: ج٢ ص٣٩، وإرشاد المفيد ص.٢٥٨ وتاريخ الطبري ج٥ ص٤٥٦ طبع دار المعارف بالقاهرة.

وجاءَت القبائلُ بالرؤوس إلى ابن زياد في الكوفة في اليوم الحادي عشر أو الثاني عشر من المحرّم، فأجاز البعضَ منهم جائزةً يسيرةً، وحرَم الآخرين(١).

ابن سعد يدفن قتلاه ويترك قتلى الحسين عليه السلام

ولما سيّر ابنُ سعد الرؤوس إلى الكوفة عصرَ اليوم العاشر من المحرّم، أقام مع الجيش إلى زوال يوم الحادي عشر من المحرّم، فجمَع قتلاه، وصلّى عليهم ودفنَهم. وترك سيّد شباب أهل الجنة مع أهل بيته وصحبه بلا دفن في العرآء تسفي عليهم الريح، ويَزورُهم الوَحش(٢).

ما إن بقيتَ من الهَوانِ على الثرى ملقىً ثلاثاً في رُبىً ووِهاد
إلاّ لكي تقضي عليك صلاتَها زُمَرُ الملائك فوقَ سبع شِداد

ارتحال عائلة الحسين سبايا عصر الحادي عشر

وبعدَ زوال اليوم الحادي عشر من المحرّم أمر ابنُ سعد حميدَ بن بكير الأحمري، فنادى في الناس بالرحيل إلى الكوفة(٣) فارتحل ومعه نساء الحسين

---

(١) ومن الذين حرموا عمرُ بن سعد، فلم يف له ابن زياد بالجائزة التي وعده بها «ولاية الري» فكان ابن سعد بعد ذلك يقول: «ما رجع أحد إلى أهله بشرّ مما رجعت به، أطعت الفاجر الظالم ابن زياد، وعصيت الحكم العدل، وقطعت القرابة الشريفة» أنساب البلاذري: ج٣ ص٢١١ طبع بيروت.
ومن الذين حرموا أيضاً سنان بن أنس، فقد دخل على عبيد الله بن زياد بعد يوم عاشوراء بيومين وهو يرتجز بقوله:
أوقر ركابي فضةً أو ذهبا أنا قتلت السيّد المحجّبا
قتلت خير الناس أماً وابا وخيرهم إذ يُنسبون نسبا
فقال ابن زياد: فان كان خير الناس أماً وأباً فلِمَ قتلته؟ وأمر فضربت عنقه، خسر الدنيا والآخرة - نهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤٦١ ط القاهرة -.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي: ج٢ ص٣٩ طبع النجف.

(٣) أنساب البلاذري: ج٣ ص٢٠٦ طبع بيروت.

وبناته وأهل بتيه وصبيته وجواريه وعيالات الأصحاب، وكنّ عشرين امرأة[١]، وسيَّروهنّ سباياً على أقتاب الجمال بغير رَحل ولا وِطاء، وساقوهم كما يُساق السَّبي من التُرك أو الدَّيلم[٢]. ومعهنّ الإمام زين العابدين عليه السلام وعمرُه - يومئذٍ - ثلاثٌ وعشرون سنة[٣]. وهو على بغير ظالع بغير وِطاء، وقد أنهكته العِلّة وأنضاه المَرض[٤] ومعه وَلدُه الإمام الباقر عليه السلام وله من العمر سنتان وأشهر[٥].

ومن أولاد الحسن المجتبى عليه السلام: زيد وعمرو...[٦].

مرور السبايا على مصارع القتلى

فقلنَ النسوةُ للموكّلين بهم: بالله عليكم إلاّ ما مررتُم بنا على مَصرع الحسين والقتلى من أهل بيته وأصحابه؟ فمرّوا بهنّ على مصارع القتلى.

فلما نظرنَ إليهم مقطّعي الأوصال، قد طعمتهم سمرُ الرماح، ونَهلتْ من دمائهم بيضُ الصِّفاح وطحنتهم الخيلُ بسنابكها صِحنَ وَوَلْوَلْنَ ولطَمنَ الخدود[٧].

حالة آل محمد ﷺ حين المرور على مصارع القتلى

وجعلتْ زينبُ ابنةُ علي عليها السلام تحدّ النظرَ من جسم أخيها الحسين، وهي تنادي بصوتٍ حزين وقلبٍ كئيب: يا محمداه، صلّى عليك مليك السماء، هذا

(١) نفس المهموم للمحدث القمي: ص٢٠٤.
(٢) بحار المجلسي ج٤٥ ص١٠٧ طبع طهران الجديد.
(٣) نسب قريش لمصعب بن الزبير: ص٥٨.
(٤) الاقبال لابن طاووس: ص٥٤.
(٥) إثبات الوصية للمسعودي: ص١٤٣، وتاريخ أبي الفدا: ج١ ص٢٠٣.
(٦) اسعاف الراغبين للصبان على هامش (نور الأبصار للشبلنجي: ص٢٨).
(٧) مثير الأحزان لابن نما ص٤١، والمنتخب للطريحي ص٣٣٢، واللهوف لابن طاووس: ص٥٥ طبع النجف.

حسين بالعراء، مرمّلٌ بالدماء، مقطّع الأعضاء، محزوزُ الرأس من القفا، مسلوبُ العمامة والرداء، يا محمداه، وبناتُك سبايا، وذرّيتُك مُقتَّلة تَسفي عليهم ريحُ الصبَا، بأبي مَن عسكرُه يوم الإثنين نُهبا، بأبي مَن فسطاطه مقطّع العُرى، بأبي مَن لا هو غائبٌ فيرتجى، ولا هو مريضٌ فيُداوى، بأبي المهموم حتى قضى، بأبي العطشان حتى مضى، بأبي مَن شيبتهُ تقطر بالدماء...

قال الراوي: فأبكتْ والله كلَّ عدوٍّ وصَديق(١) حتى جرتْ دموعُ الخيل على حَوافرها(٢).

ثم وقفتْ على جسده الشريف بخشوعٍ وتأمّل وبسطتْ يديها تحتَ الجثمان المقدّس ورفعته نحو السماء وقالت: «الهي تقبّل منّا هذا القُربان»(٣).

واعتَنقتْ سكينةُ جسدَ أبيها الطاهر، وهي تندبُه وتبكيه وتودّعه، ولم يستطع أحد أن يُنحّيها عنه، حتى اجتمع عليها عدةٌ من الأعراب فجرّوها عنه(٤).

وأما الإمام زين العابدين عليه السلام، فانه لما نظرَ إلى أبيه والقتلى من أهل بيته، مجزرين على وَجه الأرض، مرمّلين بدمائهم، وبينهم بضعةُ الزهراء ووليدُ الامامة، وربيبُ النبوّة وسيّدُ شباب أهل الجنة بحالةٍ تتفطّر لها السماوات، وتخرّ لها الجبال هدّاً.

قالوا: فعظُم عليه ذلك المنظر المؤلم، واشتدّ قَلقُه، وعظُمَ عليه الحزن والمصاب، وكادتْ روحُه أن تَخرج.

---

(١) لهوف ابن طاووس ص٥٦ طبع النجف، والخطط المقريزية: ج٢ ص. ٢٨٠ وتاريخ الطبري: ج٥ ص٤٥٦ طبع دار المعارف بالقاهرة، وتذكرة الخواص لابن الجوزي: ص٢٥٦ طبع النجف، وأنساب البلاذري: ج٣ ص٢٠٦ طبع بيروت - باقتضاب -. ونهاية الارب للنويري: ج٢٠ ص٤٦٤ ط القاهرة - باقتضاب -.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي: ج٢ ص٣٩ طبع النجف، ومناقب ابن شهر اشوب ج٤ ص١١٢ طبع قم.

(٣) الكبريت الأحمر: ج٣ ص١٣ عن الطراز المذهب.

(٤) لهوف ابن طاووس: ص٥٦ طبع النجف، وتظلم الزهراء للقزويني: ص١٣٥.

فلمّا تبيّنتْ ذلك منه عمتهُ العقيلة زينب ابنةُ علي عليهما السلام التفتت إليه - وهي تصبّره - قائلة:

«ما لي أراكَ تجودُ بنفسك يا بَقية جدّي وأبي وإخوتي»؟

فقال: وكيف لا أجزع وأهلع، وقد أرى سيّدي وإخوتي وعمومتي وبني عمي وأهلي مضرّجين بدمائهم، مرمّلين بالعراء، مسلّبين لا يُكفّنون ولا يُوارَون، ولا يَعرج إليهم أحدٌ، ولا يَقربُهم بشرٌ، كأنهم أهلُ بيتٍ من الدَّيلم والخَزَر؟.

فقالت زينب: لا يَجزعنّك ما تَرى، فوالله إنّ ذلك لعهدٌ من رسول الله ﷺ إلى جدّك وأبيك وعمّك، ولقد أخذ الله ميثاقَ أناس من هذه الأمة لا تعرفهم فراعنةُ هذه الأرض وهم معروفون في أهل السماوات: أنهم يَجمعون هذه الأعضاءَ المتفرقة وهذه الجسومَ المضرّجة، فيوارونها، وينصبُون بهذا الطف عَلَماً لقبر أبيك سيّد الشهداء، لا يُدرس أثرُه، ولا يُمحى رسمه على كرور الليالي والأيام. وليَجتَهدُنّ أئمةُ الكفر وأشياعُ الضَّلال في محوه وتطميسه، فلا يَزداد أثرُهُ إلا ظهوراً، وأمرُه إلا علوّاً...»[1].

لله صَبرُ زينبَ العَقليهْ ... فكم رأتْ مصائباً مَهولهْ
رأتْ من الخطوب والرزايا ... أمراً تهونُ دونَه المنَايا
رأتْ كرامَ قومِها الأماجدْ ... مُجزّرين في صعيدٍ واحدْ
تَسفي على جسومها الرياحُ ... وهي لذؤبان الفَلا تُباح
رأتْ عزيزَ قومها صريعا ... قد وزّعوه بالظبى توزيعا[2]

وهكذا وقعت النسوةُ على مصارع قتلاهنّ ينحن ويبكين ويندبن وأطلن المقامَ والنياحة على جسوم القتلى. فأتاهنّ زجرُ بن قيس وصاح بهنّ، فلم يقمنَ، فأخذ يضربهنّ بالسوط، واجتمَع عليهن الناس حتى أركبوهنّ على الجِمال قهراً[3].

---

(١) كامل الزيارات لابن قولويه القمي: باب٨٨ فضل كربلا وزيارة الحسين عليه السلام.
(٢) أبيات من (المقبولة الحسينية) للحجة الشيخ هادي آل كاشف الغطاء (قدّس سره) -.
(٣) تظلم الزهراء: ص١٧٧.

سبايا آل محمد إلى الكوفة

وسَيّروهنّ إلى الكوفة سباياً على أقتاب المطايا بالذّل والهَوان.

وركبت العقيلةُ زينب الكبرى ناقَتها العجفاء، فتذكّرت ذلك العزّ الشامخ والحرمَ المنيع والخدرَ المصُون الذي قال فيه السيّد حيدر الحلي:

كانت بحيث عليها قومُها ضرَبتْ ... سَرادقاً أرضُه من عزّهم حرَمُ
يكاد من هيبةٍ أن لا تطوفَ به ... حتى الملائك لولا أنّهم خَدمُ

وإذا بها اليومَ في حالةٍ يَرق لها الشامت، ويبكي لها العدوّ:

فلا مثلَ عزٍ بالأمسِ عزُّها ... ولا مثلَ حالٍ عاد في اليوم حالُها
إلى أينَ مَسراها وأينَ مصيرُها ... ومَن هو مأواها ومَن ذا مآلُها
ومَن ذا ثمالُ الظّعن إذ هي سُيّرت ... يضيق فمي أنّ ابنَ سعدٍ ثمالُها
على أي كتْفٍ تَتّكي حين رُكّبت ... وجَمّالُها زَجرٌ وشُمْسٌ جِمالُها
وما هان ثُكلٌ عندها غيرَ أنه ... أمضّ مصاباً هتكُها وابتذالُها(١)

دفن الأجساد الطاهرة

ولقد أجمع أربابُ السير والمقاتل: أن قوماً من بني أسَد كانوا نزولاً بالغاضرية حول كربلا، هم الذين تولّوا دفنَ الحسين عليه السلام، وأهل بيته وأنصاره - في اليوم الحادي عشر - أو الثاني عشر على الأصح - بعدما صلّوا عليهم - في الأمكنة التي هي عليه الآن - كما عليه الطبري وابن الأثير في تأريخهما بحوادث سنة ٦١ هجرية وإرشاد المفيد، وبحار المجلسي، ولهوف ابن طاووس وغيرها -.

وللإطّلاع على تفصيل قصة الدفن وأنه كان بإشرافَ من الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام - ننقل القصةَ عن السيّد نعمة الله الجزائري في كتابه

(١) أبيات للفقيه الجليل الشيخ محمد طاهر الشيخ راضي - دام ظله -.

(الأنوار النعمانية) والدربندي في كتابه (أسرار الشهادة)، والسيّد العظيمي في كتابه (الإيقاد) وعن كتاب (الكبريت الأحمر) أيضاً للتستري وغيرها. هي هكذا:

«لما ارتحَل عسكرُ ابن سعد من كربلا عصرَ اليوم الحادي عشر من المحرّم، وساروا بالسبايا والرووس إلى الكوفة، نزلتْ طائفة من بني أسد في مكانهم إلى جنب نهر العلقمي، وبنوا بيوتهم هناك. فخرجتْ نساؤهم يَستقين من الفرات في اليوم الثالث بعد قتل الحسين عليه السلام فمرّوا في طريقهم على المعركة، وإذا هنّ يَرينَ جُثثاً حولَ المسنّاة، وأخرى نائيةً عن الفرات، وبينهنّ جثةً قد جلّلتهم بأنوارها وعطّرتهم بطيبها، وهي مطروحة على وجه الصعيد تشخص دماؤهم، كأنهم قد قتلوا ليومهم. فتصارخنَ النساءُ وقلن: هذا والله الحسين وأهلُ بيته وصحبُه.

فرجعنَ إلى رجالهنّ صارخات، وقلن لهم: يا بَني أسد، أنتم جلوسٌ في بيوتكم وهذا الحسين وأهل بيته وأصحابه مجزّرون كالأضاحي على الرمال، تسفي عليهم الرياح، فبماذا تعتذرون من رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة الزهراء إذا وردتمْ عليهم، حيث أنكم لم تنصُروا أولادَهم ولا دافعتم عنهم بضربة سيف ولا بطعنة رمح، ولا بجذبة سهم.

فقالوا: انا نخاف من بني أمية.

فقلن لهن: ان فاتكم نصرة تلك العصابة فقوموا الآنَ إلى مواراة أجسادهم، فان لم تدفنوها نتولّى دفنَها بأنفسنا.

فجاءَ الرجالُ إلى المعركة - وقد وضعوا لهم عيناً ينظر إلى طريق الكوفة -.

فصارت همتُهم أولاً مورارة جثة الحسين عليه السلام فجاؤا إلى الجسد الطاهر، وقد عرَفوه بملامح الإمامة وأنوار النبوة، وصار لهم حوله بكاءٌ وعويل، وحاولوا تحريك عضو من أعضائه، فلم يتمكّنوا.

فقال كبيرُهم - وقد أقرّوا رأيه - نجتهد أولاً في دفن أهل بيته وأصحابه، وبعد ذلك نرى رأينا فيه.

فقال أحدُهم: كيف يكون دفنكم لهم وما فيكم مَن يعرف من هذا ومَن هذا،

وهم - كما ترون - جثثٌ بلا رؤوس، قد غيّرت معالمَهم الشمسُ والتراب. فلربّما نُسئل عنهم فما الجواب؟.

فبينما همْ كذلك إذا بفارس قد طَلع عليهم من جانب الكوفة وقد ضيّق لثامَه. فلما رأوه انكشفوا عن الجثث الزواكي.

فأقبل الفارس ونزَل عن ظهر جواده، وجعل يتخطى القتلى واحداً بعدَ واحد - وهو منحني الظهر - حتى إذا وقع نظره على جَسد الحسين عليه السلام رمى بنفسه عليه، واحتضنه وجعل يشمّه تارةً، ويقبّله أخرى، وهو يبكي وقد بلّ لثامه من دموع عينيه، وهو يقول: «يا أبتاه بقتلك قرّتْ عيونُ الشامتين، يا أبتاه بقتلك فرحتْ بنو أمية، يا أبتاه بعدك طال حُزننا، يا أبتاه بعدك طال كربُنا».

ثم التفت إلى بني أسد وقال لهم: لِمَ كان وقوفكم حول هذه الجثث؟.

قالوا: أتينا لنتفرّج عليها.

قال: ما كان هذا قصَدكم.

قالوا: إِعلم يا أخا العرب، الآن نُطلعك على ما في ضمائرنا. انا أتينا لنواري جسدَ الحسين وأجسادَ أهل بيته وأصحابه. فلمّا طلعتَ علينا خشينا أن تكون من أصحاب ابن زياد، فانكشفنا عن تلك الجثث.

فعند ذلك خطّ الأعرابي لبني أسد خطاً في الارض وقال لهم: احفروا ها هنا، ففَعلوا، فأمرهم أن يضعوا سبعةَ عشر جثة.

ثم خطّ لهم خطاً آخر في الأرض قريباً من الأول، وقال لهم: احفروا ها هنا، ففَعلوا، فأمرهم أن يضعوا باقي الجثث فيها.

واستثنى جثةً واحدةً، وأمرهم أن يشقّوا لها ضريحاً ممّا يلي الرأس الشريف، ففَعلوا، فأمرَهم أن يُنزلوا تلك الجثة في ذلك المكان.

ثم إنه عليه السلام تخطّى قريباً من جثة الحسين عليه السلام، وأهال يسيراً من التراب، فبان قبرٌ محفور ولَحدٌ مشقوق - حفره رسول الله صلى الله عليه وآله - كما في رواية أم سلمة في رؤياً رأتْها - فتقرّب الرَجال ليعينُوه على دفن تلك الجثة الطاهرة، فإذا هو يقول لهم بخضوع وخشوع: أنا أكفيكم أمرَه. فقالوا له: يا أخا العرب، كيف

تكفينا أمرَه، وكلّنا قد اجتهدنا على تحريك عضو من أعضائه فلم نتمكن. فبكى عليه السلام وقال: إن معي مَن يعينني عليه.

ثم إنه بسَط كفّيه تحت ظهره الشريف وقال: «بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله، هذا ما وعَد الله ورسولُه، وصدقَ الله ورسولُه، ما شاءَ الله، لا حولَ ولا قوةَ إلاّ بالله العلي العظيم» - ثم أنزله وحدَه ولم يُشرك معه أحداً.

ولما أقرّه في لَحده وضعَ خدَّه على نحره الشريف، وهو يبكي ويقول:

«طوبى لأرضٍ تضمّنتْ جسدَك الطاهر، أما الدنيا فبعدَك مظلمة، وأما الآخرة فبنورك مشرقة، أما الحزنُ فسرمَد، وأما الليلُ فمسهّد. حتى يختار الله لأهل بيتك دارَك التي أنت فيها مقيم، وعليك مني السلام يا ابن رسول الله، ورحمة الله وبركاته».

ثم خطّ باصبعه على الأرض: هذا قبرُ الحسين بن علي بن أبي طالب الذي قتلوه عطشاناً غريباً.

ثم التفت إلى بني أسد وقال: انظروا هل بقي أحد؟.

فقالوا: نعم يا أخا العرب: بقي بطلٌ مطروحٌ حولَ المسنّاة- وحوله جثتان - وكلّما حملنا منه جانباً سقط الآخر، لكثرة السيوف وطعن الرماح ورشق السهام.

فقال: امضوا بنا إليه. فمضينا إليه، فلما رآه انكبّ عليه يقبّله ويقول: «على الدنيا بعدَك العفا - يا قمرَ بني هاشم - وعليك مني السلام من شهيدٍ محتَسب ورحمة الله وبركاته».

ثم أمرَهم أن يشقّوا له ضريحاً، فأنزله فيه وحدَه، ولم يُشرك معه أحداً.

وأشرجَ عليه اللبن. ثم أمَرهم بدفن الجثتين حوله، ففَعلوا.

ثم مضى الأعرابي إلى جَواده، فداروا حولَه وسألوه عن نفسه وعن تلك الأجساد الزواكي.

فقال لهم: أما ضَريح الحسين عليه السلام فقد علمتُموه.

وأما الحفيرة الأولى، ففيها أهل بيته، والأقرب إليه منهم وَلدهُ علي الأكبر.

وأما الحفيرة الثانية، ففيها أصحابُه.

وأما القبر المنفرد مما يلي الرأس الشريف فهو لحامل راية الحسين حبيب بن مظاهر الأسدي.

وأما البطل المطروح حول المسنّاة فهو العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

وأما الجثّتان فهما أولاد أمير المؤمنين عليه السلام.

فإذا سألكم سائل بعدي فأعلموا بذلك.

فقالوا له: يا أخا العرب، نسألك بحق الجسد الذي واريتَه بنفسك ولم تُشرك معك أحداً منّا: من أنت؟.

فبكى بكاءً شديداً وقال: أنا إمامكم عليّ بن الحسين.

فقالوا: أنت علي بن الحسين؟ قال نعم، ثم غاب عن أبصارهم».

مدفن الرأس الشريف

لقد اختلف المؤرخون وأربابُ المقاتل - من الفريقين - اختلافاً كبيراً في موضوع دفن رأس الحسين عليه السلام وبعض رؤوس أهل بيته.

فقيل: إنه دفن بجنب قبر أبيه أمير المؤمنين عليه السلام وعند رأسه الشريف.

وعليه روايات كثيرة عن الأئمة الأطهار عليهم السلام تُشير إلى ذلك، ذكرها الحر العاملي في (وسائله ج١٠ باب٣٢ من أبواب المزار وما يناسبه) بعد أبواب العمرة.

وقيل: إنه دفن في البقيع مع أمّه الزهراء عليها السلام، دفنه والي المدينة - يومئذ - عمرو بن سعيد بن العاص، بعد أن سيره إليه يزيد بن معاوية مع النعمان بن بشير الأنصاري.

ذكر ذلك العماد الحنبلي في (شذارت الذهب: ١/ ٦٧) واليافعي في (مرآة الجنان: ١/ ١٤٦) وابن كثير في (البداية والنهاية: ٨/ ٢٠٤) ووسيلة المآل: ص١٩٤ وابن سعد في طبقاتهم وغيرهم.

وقيل: في القاهرة، واختَلفوا أيضاً في سبب دفنه هناك: فمن قائل بأن العقيلة زينب عليها السلام دفنته هناك - كما في دائرة المعارف الحديثة ص١٥٢ - ومن قائل: إن الفاطميين نقلوهُ من باب الفراديس - في دمشق - إلى (عَسقلان) ومنها حمل إلى القاهرة - من طريق البحر - في سنة ٥٤٨هـ أيام المستنصير بالله العبيدي صاحب مصر - كما في نور الأبصار للشبلجني: ص١٢١ - وغيره.

وقيل: انه دفن في دمشق - على اختلاف بين القائلين بهذا القول: انه في حائط، أو في دار الامارة، أو في خزانة يزيد، أو في المقبرة العامة، أو في داخل باب الفراديس في (جامع دمشق). . .

قال القرماني في (أخبار الدول: ص١٠٩) ط القاهرة: «واختلفوا في مكانٍ دفن فيه رأس الحسين عليه السلام، وفي مسالك الأبصار: إنه حمل جسد الحسين ورأسه إلى المدينة المنورة، حتى دفنوه عند قبر أخيه الحسن، وقيل: دفن الرأس بالقاهرة بالمشهد المعروف بباب القرافة. وقيل: انه دفن رأسه عند قبر أمه بالمدينة المنورة، والأصح: إن دفن في جامع دمشق. . .».

ولكنّ المشهور عند الشيعة الامامية: أن رأس الحسين عليه السلام بالخصوص، وكذلك بقية رؤوس أهل البيت التي حُمِلت إلى الشام كلّها أعيدتْ مع الإمام زين العابدين وزينب ابنة علي عليهما السلام إلى كربلاء يومَ الأربعين ودفنت مع أجسادها، ولذلك أثِرتْ زيارة الأربعين عند الشيعة.

ولعلّ مردّ ذلك إلى طَلب الإمام زين العابدين عليه السلام رأسَ أبيه ورؤوسَ أهل بيته من يزيد بن معاوية حينما عرَض له يزيدُ أن يطلب منه ما يشاء، بعد أن أظهر الأسف والندم على ما فعله ابن زياد في قتل الحسين وأهل بيته الأطهار عليهم السلام -. خوفاً من تصدّع كيانه المهزوز.

فقد ذكر صاحب كتاب (حبيب السير): أن يزيد بن معاوية سلّم رؤوس الشهداء إلى علي بن الحسين، فألحقها بالأبدان الطاهرة يومَ العشرين من صفر، ثم توجّه إلى المدينة الطيّبة، وقال: «هذا أصحّ الروايات الواردة في مَدفن الرأس المكرّم».

وقال ابن الجوزي في (تذكرته: ص٢٦٥) طبع النجف: «واختلفوا في الرأس على أقوال، أشهرُها أنه ردّه إلى المدينة مع السبايا، ثمّ ردّ إلى الجسد بكربلاء فدفن معه، قاله هشام وغيره».

ثم استعرض الأقوال الأخر التي ذكرناها: أنه دفن بالمدينة عند قبر أمه فاطمة عليها السلام وأنه بدمشق، وأنه بمسجد الرقة على الفرات بالمدينة المشهورة، وأنه في القاهرة...

وإليه يشير النويري في (نهاية الأرب ج٢٠ ص٤٧٧) بنحو عرض أحد الأقوال في الموضوع حيث يقول: «قد اختلف المؤرخون في مقر رأس الحسين، فمنهم من قال: إنه دفن بدمشق، ومنهم من زعم: أنه نقل إلى مرو، ومنهم من يقول: إنه أعيد إلى الجسد ودفن بالطف، ومنهم من قال: دفن بعسقلان ثم نقل إلى مصر، ومنهم من قال: دفن بالمدينة عند قبر أمه فاطمة عليها السلام...».

وعلى ذلك الرأي المشهور ابنُ طاووس في (لهوفه: ص٨٢) طبع النجف، قال فيه: «وأما رأسُ الحسين، فروي: أنه أعيد، فدفن بكربلاء مع جَسده الشريف، وكان عملُ الطائفة على هذا المعنى المشار إليه...».

ومَثل ذلك يرى المجلسي في (بحاره: ج٤٥ ص١٤٤) طبع طهران الجديد.

وكذلك يرى ابنُ نما الحلي في (مثير الأحزان: ص٥٨) فانه - بعد أن يذكر الأقوال المختلفة - يقول: «والذي عليه المعوّل من الأقوال: أنه أعيد إلى الجسد بعد أن طِيف به في البلاد ودُفن معه».

وكذلك يرى الفتّال في كتابه (روضة الواعظين ص١٩٢) والطبرسي في (إعلام الورى: ص١٥١) ونور الله البحراني في (مقتل العوالم: ص١٥٤) والشبراوي في كتابه (الإتحاف بحبّ الاشراف: ص١٢) والمحدث القمي في كتابه (نفس المهموم: ص٢٥٣)، والبيروني في كتابه (الآثار الباقية: ج١ ص٣٣١) والقزويني في (عجائب المخلوقات: ص٦٧)، والمنّاوي في كتابه (الكواكب الدرية: ج١ ص٥٧). وكذلك يرى ابنُ شهر اشوب في (مناقبه): أنه المشهور بين الشيعة، وينَقل رأي السيّد المرتضى والشيخ الطوسي في ذلك. إلى غير هؤلاء من أقطاب التاريخ والمقاتل. فلا يبقى لنا مجالٌ للتشكيك في ذلك.

وكذلك الرأي في بقية الرؤوس المحمولة إلى الشام - على اختلاف بين المؤرخين - في عددها. والله العالم.

وبهذا ينتهي الكتاب والله الموفق للصواب، وآخر دعوانا : أن الحمد لله رب العالمين



فهرس محتويات الكتاب

بقي وحيداً بين الأعداء، ووداعه لعياله ثم انحداره في الميدان، ومبارزاته ومقتل طفله الرضيع على صدره، ومصرعه عليه السلام بعدما أثخن بالجراح، ومصرع عبد الله بن الحسن على صدره، ومصرع محمد بن سعيد العقيلي، ثم فرس الحسين يهرع نحو المخيم بالصهيل الحزين. وأخيراً وقعت الواقعة فيتغير العالم العلوي والسفلي لذلك، ثم سلب الحسين، وحرق الخيام ونهبها، ورض صدر الحسين، وقطع رؤوس القتلى من الشهداء، وقصة دفن الأجساد الطاهرة. وختام المطاف في التحقيق حول دفن رأس الحسين وأهل بيته عليهم السلام وبذلك ينتهي الكتاب.



مصادر الكتاب

القرآن الكريم وتفاسيره
نهج البلاغة وشروحه.
كتب الأخبار الأربعة للشيعة
الصحاح الستة للسنة.
الآثار الباقية للبيروني
ابصار العين للسماوي
الاتحاف للشبراوي
اثبات الوصية للمسعودي
الاحتجاج للطبرسي
الاخبار الطوال للدينوري
اخبار الدول للقرماني
الإرشاد للمفيد
إرشاد القلوب للديلمي
أسد الغابة للجزري
أسرار الشهادة للدربندي
الاستيعاب لابن عبد البر
الاسلام والحضارة لكرد علي
الشعر والشعراء لابن قتيبة
الإصابة لابن حجر
الاعلام للزركلي
أعلام النساء لكحالة
أعلام النبوة للماوردي
أعلام الورى للطبرسي
أعيان الشيعة للأمين
الأغاني لأبي الفرج
الإقبال لابن طاووس
الإمامة والسياسة لابن قتيبة
أمالي الشيخ الصدوق
أمالي السيد المرتضى
أمالي الشيخ الطوسي
أمالي القالي
أنساب السمعاني
أنساب الأشراف للبلاذري
أنساب قريش للزبير بن بكار
الأنوار القدسية للأصفهاني
الأنوار النعمانية للجزائري
الهاشميات للكميت
بحار الأنوار للمجلسي
بحر الانساب لعميد الدين
البداية والنهاية لابن كثير
بطل العلقمي للمظفر
بغية النبلاء للسيد عبد الحسين
بلغة الرجال للماحوزي
بلاغات النساء لابن طيفور
البيان والتبين للجاحظ
تاج العروس للزبيدي
تاريخ القرماني
تاريخ الطبري
تاريخ ابن الأثير
تاريخ أبي الفداء

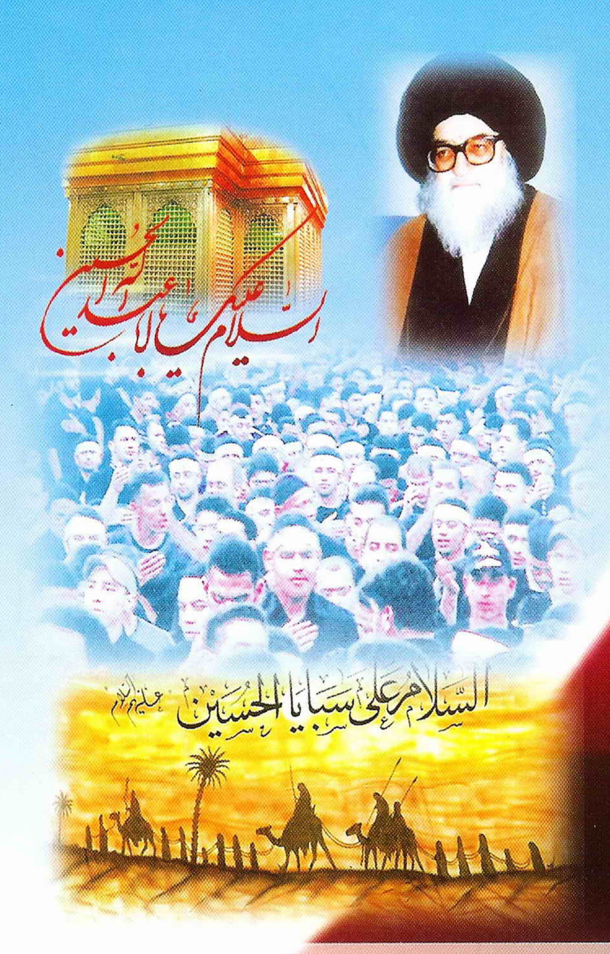
تاريخ خليفة خياط
تاريخ الخميس للديار بكري
تاريخ الخلفاء للسيوطي
تاريخ الإسلام للذهبي
تاريخ دمشق لابن عساكر
تاريخ ابن خلدون
تاريخ اليعقوبي
تاريخ بغداد للخطيب
تحفة العالم للسيد جعفر بحر العلوم
تحفة الازهار لابن شدقم
تحف العقول لابن شعبة
تذكرة الحفاظ للذهبي
تذكرة الخواص لابن الجوزي
تصحيح الاعتقاد للمفيد
تظلم الزهراء للقزويني
تفسير علي بن إبراهيم القمي
تلخيص الشافي للطوسي
تنقيح المقال للمامقاني
تهذيب التهذيب لابن حجر
تهذيب كامل المبرد
ثواب الأعمال للصدوق
جامع السعادات للنراقي
جلاء العيون للمجلسي
جمهرة انساب العرب لابن حزم
جمهرة خطب العرب لزكي صفوت
جنة المأوى لكاشف الغطاء
الحدائق الوردية لليماني
حديقة النسب للفتوني
حلية الأولياء لأبي نعيم
الحماسة البصرية لأبي الفرج البصري
حياة الحيوان للدميري
خاتمة المستدرك للنوري
الخرائج والجرائح للراوندي
خزانة الأدب للبغدادي
الخصال للصدوق
الخصائص للشوشتري
خطط الشام للمقريزي
دار المعارف للبستاني
دائرة المعارف لفريد وجدي
الدرجات الرفيعة للسيد عليخان
الدر المسلوك للعاملي
الدر النظيم للشامي
الدر النضيد للأمين
الدروس للشهيد
دلائل الإمامة للطبري
دلائل النبوة لأبي نعيم
الدمعة الساكبة للحائري
ديوان السيد الحميري
ديوان دعبل الخزاعي
ديوان الشريف الرضي
ديوان السيد حيدر الحلي
ديوان السيد جعفر الحلي
ديوان الشيخ عبد الحسين العاملي
ديوان السيد ابراهيم بحر العلوم
ديوان السيد حسين بحر العلوم
ديوان السيد رضا الهندي

ديوان الكعبي
ذخائر العقبى للمحب الطبري
ذخيرة الدارين للحائري
الذريعة للطهراني
رجال النجاشي
رجال الكشي
رجال الطوسي
رجال أبي داود
رجال البرقي
رجال بحر العلوم
رسالة المغتابين للنسابة
الروض الانف للسهيلي
روضة الشهداء لمولانا كاشفي
روضة الواعظين للفتال
رياض المصائب للموسوي
رياض الأحزان للقزويني
رياض المسائل للطباطبائي
سر السلسلة العلوية لأبي نصر
السرائر لابن ادريس الحلي
سفينة البحار للقمي
سفينة النجاة للعيناتي
سير اعلام النبلاء للذهبي
شذرات الذهب للحنبلي
شرح ديوان الحماسة للتبريزي
شرح الشفا للخفاجي
الشهيد مسلم للمقرم
الصحاح للجوهري
الصراط السوي للقادري
الصواعق المحرقة لابن حجر
الطبقات الكبرى لابن سعد
العقد الفريد للاندلسي
العقد المفصل للسيد حيدر
عمدة الطالب للنسابة
عمدة القارىء للعيني
العمدة لابن رشيق
عيون الأخبار لابن قتيبة
الغدير للأميني
غرر الخصائص للوطواط
فتوح البلدان للبلاذري
الفتوح لابن أعثم
الفخري لابن الطقطقي
الفصول المختارة للسيد المرتضى
الفصول المهمة لابن الصباغ
الفصول المهمة لشرف الدين
فضل الخيل للدمياطي
الفهرست لابن النديم
الفهرست للشيخ الطوسي
فوات الوفيات لمحمد شاكر
القاموس للفيروز آبادي
قرب الإسناد للحميري
كامل الزيارات لابن قولويه
الكبريت الأحمر للتستري
كتاب بغداد لابن طيفور
كتاب سليم بن قيس
كشف الغمة للاربلي
كشكول الشيخ البهائي

كفاية الطالب للكنجي
كفاية الأثر للحافظ القمي
كنز الفوائد للكراجكي
اللباب للمزني
لسان العرب لابن منظور
لسان الميزان للعسقلاني
اللهوف لابن طاووس
لواعج الأشجان للأمين
مثير الأحزان لابن نما
المجدي للعمري
المجالس الفاخرة لشرف الدين
مجمع الأمثال للميداني
مجمع الزوائد للهيثمي
المحبر لابن حبيب
مختصر تاريخ دول الاسلام للذهبي
مرآة الجنان لليافعي
مرآة الزمان لابن الجوزي
مروج الذهب للمسعودي
مسند أحمد بن حنبل
المشتركات للطريحي
مصابيح السنة للبغوي
مطالب السؤول لابن طلحة
معادن الحكمة للكاشاني
المعارف لابن قتيبة
معالم العلماء لابن شهر آشوب
معاهد التنصيص للعباسي
معجم الأدباء للحموي
معجم البلدان للحموي
معجم الشعراء للمرزباني
المعجم للطبراني
مقاتل الطالبيين لأبي الفرج
مقالات الاسلاميين للأشعري
المقبولة الحسينية للهادي كاشف الغطاء
مقتل الحسين للخوارزمي
مقتل الحسين للمقرم
مقتل العوالم للبحراني
المناقب لابن شهرآشوب
المناقب للخوارزمي
المنتخب للطريحي
المنتظم لابن الجوزي
منتهى المقال لابن علي
نسب قريش للزبيري
نسمة السحر للصنعاني
نفس المهموم للقمي
نهاية الأرب للنويري
نور الأبصار للشبلنجي
نور العين للاسفراييني
وسائل الشيعة للحر العاملي
وسيلة المآل للحضرمي
وفاء الوفاء للسمهودي
وفيات الأعيان لابن خلكان
ينابيع المودة للقندوزي

آية الله الفقيه
السيد محمد التقي آل بحر العلوم

مقتل الإمام الحسين عليه السلام



■ المجلس الأول: الآيات والأحاديث النبوية في فضل البكاء والرثاء والزيارة وعقد المجالس الحسينيَة.

■ المجلس الثاني: تبرّم شيعة العراق من سيرة معاوية ومطالبتهم الامام الحسين (ع) في الانتفاضة عليه.

■ المجلس الثالث: حث يزيد من واليه في المدينة على أخذ البيعة من الحسين وجماعته المعارضين وتخلص الحسين من ذلك بمغادرة المدينة الى مكة بعد توديع أخيه ابن الحنفية ووصيته اليه.

■ المجلس الرابع: بعض وصايا أمير المؤمنين الى ولده الحسن (ع) على مواصلة الحسين (ع) سيره الحثيث في توجّهه من مكة الى كربلاء.

■ المجلس الخامس: قصّة خروجه في الكوفة وبالتالي قتله وقتل هانىء بن عروة، وأخيراً وصول نبأ قتلهما الى الحسين (ع).

■ المجلس السادس: الحسين(ع) ينعي نفسه ليلة العاشر والعقيلة زينب (ع) تسمعه فيغشى عليها.

■ المجلس السابع: موجز ترجمة العباس(ع) وأشقائه الثلاثة من أم البنين، وعلى أم البنين ترثي أولادها في المدينة وتندبهم بأشجى ندبة.

■ المجلس الثامن: عرض مبارزة ومصرع علي الأكبر وعموم آل أبي طالب من الشهداء.

■ المجلس التاسع: خطب الامام الحسين (ع) يوم عاشوراء، وخطب بعض أصحابه، وتوبة الحر وخطبته، ومصرع الدفعة الأولى من أصحاب الحسين(ع).

■ المجلس العاشر: وداعه لعياله ثم انحداره في الميدان، ومبارزاته ومقتل طفله الرضيع على صدره، ومصرعه (ع) بعدما أثخن بالجراح.



بيروت - لبنان - ص.ب. ١٥٥ / ٢٥ الغبيري
هاتف وفاكس: ٠٠٩٦١١٨٤٠٣٩٢
E-mail:mortada14@hotmail.com

